

طبع بأمر من صاحب الجلالة الأمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المسلك السهل
غفر الله له ولوالديه

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المسلك السهل

في شرح توشيح ابن سهل

تأليف: محمد الإفراحي

تحقيق وتقديم
الأستاذ محمد العمري

المسلك السهل
غفر الله له ولوالديه

1418 هـ - 1997 م

طبع بأمر من صاحب الجلالة الأمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المسألة
غفر الله له ولوالديه

2009-07-16

المسألة السهلة

في شرح توشيح ابن سهل

تأليف: محمد الإفرائي

تحقيق وتقديم
الأستاذ محمد العمري

www.alukah.net

1418 هـ - 1997 م

المسألة
غفر الله له ولوالديه

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الأمين.

وبعد، فإن المتتبع للأدب المغربي عبر مختلف عصوره وأزمته الإسلامية يجد فيه إنتاجاً غزيراً متنوعاً، وعطاءً فكرياً رفيعاً متميزاً، مليئاً بالمشاعر النبيلة والعواطف الصادقة، والأحاسيس الجياشة الرقيقة، والحكم والمواعظ البليغة، والصور البلاغية والبيانية الرصينة.

وهو بالإضافة إلى ذلك كله وسيلة لتهديب النفوس وترويح القلوب، وتنوير العقول وتغذية المدارك، وأداة ارتقاء بالعقل والفكر وسمو بالشعور والعاطفة إلى أعلى مدارج الكمال.

وتعتبر الموشحات إحدى الفنون الشعرية التي اهتم بشرحها الأدباء المغاربة باعتبارها من الأشعار الجميلة الرائعة الغائصة في أغراض ومعان مختلفة، فكان الموشح أدباً إنسانياً رفيعاً، وتعبيراً بشرياً سليماً، وأسلوباً عاطفياً سامياً، ينمي في الإنسان مشاعر الخير وعواطف الود، وسمو التفكير ونبيل الإحساس والمكارم، ويبعث فيه الشعور بروعة الكون وجماله، كما خلقه الله دالاً على وجوده ووحدانيته، وباهر إرادته وكامل قدرته. فكان من نتائج ذلك انتشار الموشح بلغته السهلة العذبة وأوزانه المختلفة الرائقة، وقوافيه الرفيعة المتعددة، فتطرب له النفوس، وتروقها صوره اللطيفة الجميلة.

ويعتبر كتاب المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل أحد النماذج لشرح الموشح الأندلسي الذي مطلعه :

هَلْ دَرَى ظَنِّي الْحَمَى أَنْ قَدْ حَمَى

قَلْبَ صَبٍّ حَلَّاهُ عَنْ مَكْنَسِ

الذي ألفه العلامة الشهير والمؤرخ النحرير، والأديب البياني البارع، محمد الإفرائي صاحب المنن على التاريخ المغربي والأدب، ويعد الكتاب باكورة إنتاج الإفرائي في مجال الشروح الشعرية، وثمرة من ثمرات شبابه.

والكتاب فضلاً عن ذلك يعد سفراً نفيساً من أسفار التراث العربي، وإبداعاً جميلاً من إبداعات علماء المغرب، وفي عنوانه رمز دقيق لمضمونه ومغزاه، وإشارة واضحة إلى المقصد الجمالي، والغاية الفنية التي سعى إليها صاحبه، مما يدل على سعة اطلاعه، وسلامة ذوقه وعلمه بالشعر وفنونه وأساليبه، وقواعده وأسراره وعناصر جماله، مما جعل منه إحدى النصوص التي سيساهم نشرها في إبراز جوانب الأصالة والتميز في الأدب المغربي.

واعتباراً للأهمية العلمية والأدبية لهذا المؤلف المفيد، وما احتواه من فوائد جليلة لا تتوفر في غيره من كتب الشروح، قام الأستاذ محمد العمري بتحقيقه، وقدمه أطروحة جامعية نال به درجة دكتوراه الدولة في الأدب.

وتنفيذاً للتوجيهات الملكية السامية المتعلقة ببعث عيون التراث الإسلامي، يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تقوم بطبعه ونشره لتعميم الاستفادة والنفع به لدى المهتمين بالدراسات الأدبية والمتخصصين فيها.

وتسأل الله عز وجل أن يجعله في سجل الأعمال الصالحة، والمبرات الكريمة، والمآثر العلمية الخالدة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وأن يقر عين جلالته بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير المجيد مولاي رشيد، ويحفظه في كافة أسرته الملكية الشريفة.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

أما بعد

كتاب المسلك السهل من الأعمال الأصلية منهاجيا. فهو عمل مبني على اجتهاد شخصي في إطار مدرسة:

المجتهد هو الأديب المؤرخ محمد الصغير الإفرائي صاحب نزهة الحادي وصفوة ما انتشر.

والمدرسة هي مدرسة الدراية والممارسة (في مقابل مدرسة الرواية والتبعية)، هي مدرسة أبي علي اليوسي وابن المسناوي ومن سار في طريقهما، وقد احتفلنا بالمجتهد والمدرسة في كتابنا الإفرائي وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17، 18.

لقد ارتفعت قيمة المنحى الذي نحاه الإفرائي، وهو منحى بلاغي لساني تناسي، مع غلبة التوجه حديثا إلى البناء اللغوي للأدب و زيادة الاهتمام بالتناص وتوالد النصوص. هذا في ممارسة شرح الأبيات. أما إذا نظرنا إلى الكتاب نظرة شمولية فسنعجب لوعي الرجل بالمحيط العام الضروري لفهم النص وتقويمه، هذا المحيط الذي تحقق من خلال وضع النص في إطاره التاريخي (التعريف بالشاعر والظروف التي أثرت في شعره) والفني (التعريف بالموشحات في تاريخها وبنائها).

إلى جانب القيمة المنهاجية التأطيرية والقيمة التحليلية البلاغية للكتاب، هناك بعد ثالث يُحل الإفرائي وكتابه مقاما عليا وهو البراعة الإنشائية التي تتراوح بين النثر الأدبي الكثيف صوتيا ودلاليا، كما في المقدمة، والنثر السلس المبلّغ المتوازن، في العرض والتحليل. إن الإفرائي يوصل المعاني بأدق عبارة وأسلسها في صنعة خفية ينعم بها القراء ولا يدرك أسرارها إلا أولو الألباب من المختصين.

ولائحة مصادره ومراجعته التي بلغت المئات، من الأصول والأمهات، جديرة بتفسير قوة هذا الشرح. لهذه الاعتبار فإن كتاب المسلك السهل هو أحد النصوص التي

سيساهم نشرها في إبراز جوانب الأصالة والتميز في تاريخ الأدب المغربي. و إذا نظرنا من زاوية تلقي الكتاب، والتجاوب معه، فإننا نندهش لعدد النسخ المخطوطة المتوفرة منه في خزائن الكتب العامة والخاصة في الرباط وفاس وحدهما. فضلا عن طبعته الحجرية التي تداولها العلماء تدولا واسعا منذ بداية القرن.

بعد هذه اللحة، وقبل أن أسلم الكتاب للقارئ الكريم، استسمحه في استعادة لحظتين: لحظة بداية البداية، ولحظة بداية النهاية:

اللحظة الأولى

...كان أول لقاء لي مع المسلك السهل في يوم سعيد من أيام 1974. كانت شمس الرباط صفراء ناعمة. كنت أحت أستاذي الدكتور عزت حسن على ركوب السيارة، كي نصل بسرعة إلى قسم الوثائق، و كان هو مشغولا بشاعرية الأصيل، يرفع عينه إلى السماء ثم يعرض ظهر راحته لأشعتها أمام عيني! كأنه يعاتبني.

أذكر جيداً كل ما جرى في هذه اللحظة. أذكر الشمس المتسللة من بين العمارات، من وراء قبة البرلمان الحمراء، وأذكر وجهه المشرق، و أذكر لهفتي للوصول قبل غيري إلى قسم الوثائق.

...فتح الدكتور عزة حسن مخطوطة المسلك، وسوى نظارته، واستغرق في قراءة خطبة الكتاب. وكلما حاولت أن أوجه قراءته بكلمة أو جملة، وضع يده على معصمي وضغط واستمر ضاغطاً؛ يقلب صفحات، ويقرأ فقرات، ليصدر في النهاية حكماً بتأييد الانطباع الأول الذي وقع لديه في الصباح عندما قرأت عليه فقرات كنت نسختها من مقدمة المسلك: "يا محمد، هذا هو... هذا هو.... هل تأكدت من أنك غير مسبوق إليه؟"

ثم كانت رحلتي، في الكتاب، مع عالم عفّ كريم، يحسب المراعي بالدقيقة والثانية، ولا يرحم حين يحس بمحاولة استغلاله علمياً. وما أكثر من حاولوا ذلك معه فردهم على أعقابهم. استفدت منه علمياً وإنسانياً، فلزمني شكره والتتويه بفضلته مشرفاً وإنساناً.

جرني كتاب المسلك السهل في مسارب ودروب. وعندما انتهى التحقيق سنة 1980 سُرّق هو وكل الوثائق. فكان ذلك نعمة على الكتاب بقدر ما كان نقمة علي؛ إذ أعدت العمل من أوله إلى آخره، مستفيدا مما اكتسبته من خبرة خلال المرحلة الأولى، محتسبا أجري، تطلبت الإعادة سنتين ونصف.

اللحظة الثانية

كم من ماء تدفق تحت قنطرة سَبُو، قبل أن تسمح الظروف باستعادة تلك اللحظة الأولى في شتاء 1996، أي بعد 22 سنة من لقائي الأول بالكتاب، تذكّرتها وقررت تسجيلها بحروف تسافر في الآخرين، تذكّرتها بقاعة الأساتذة من كلية الآداب بفاس، وأنا ألحظ المفاجأة والإعجاب الذي أبداه بعض الزملاء من شُعب اللغات عندما أطلعتهم على السحب الأول للكتاب تمهيدا للنشر. لقد اندهشوا للمنهج الشامل بلاغيا ولغويا وتناصيا، المنهج الذي صرح به المؤلف ثم التزمه و وفاه حقه. كما عبروا عن عدم فهم الظروف التي تحكم على مثل هذا العمل بملازمة الرقوف.

أجدني اليوم سعيدا بقاء اللحظتين لحظة البداية ولحظة النهاية. ولذلك لن أعكر صفو هذه اللحظة بالحديث عن أسباب تأخر ظهور الكتاب كل هذه السنين، فذلك يعيد إلى المخيلة بعض صور اللؤم التي عاينتها و أنا أحاول نشره.

أكتفي بشكر من تحملت عبء إخراجه على الشكل الذي ارتضيته له، زوجتي المخلصة فاطمة الطاهري. لقد قضت شهورا في تنصيده. كما أشكر أساتذتي وزملائي الذين قوموا خطأي أو تداركوا زلتي، وهم كثيرون، لا يكاثره إلا فضلهم علي.

مقدمة التحقيق

الإفرانجي وكتابه المسالك السهلة

١- التعريف بالإفراني¹

هو محمد الصغير بن محمد الإفراني المراكشي. ذهب أبو الربيع سليمان الحوات إلى أنه ولد في حدود الثمانين والألف هجرية². تلقى تعليمه الأول في مراكش، ثم انتقل إلى فاس حيث نلتقى بخبره لأول مرة في المدرسة الرشيدية سنة 1118هـ (1706م). بقي بفاس طالبا للعلم إلى حدود سنة 1130هـ/1718م ثم عاد إلى مراكش وتصدر لتدريس التفسير والحديث بجامعة ابن يوسف. وهناك اصطدم بفقهاء مراكش الذين كانوا يرون أن شروط تفسير القرآن لم تعد متوفرة.

كان ذلك الاختلاف، في الواقع، اختلافا بين اتجاهين فكريين: اتجاه متفتح يميل إلى الاجتهاد ويأخذ بالرأي، وهو الاتجاه الذي شرعه أبو علي اليوسي وسار فيه تلاميذه وتلاميذ تلاميذه ومنهم الإفراني، واتجاه محافظ قنع بحفظ ما انتهى إليه من تفصيلات وتقنيات فقهية من وضع الفقهاء المتأخرين، وهذا الاتجاه كان يرى أن باب الاجتهاد قد سد. وقد ميّز بهما منذ ذلك العصر فاعتبر اتجاه اليوسي اتجاه الدراية، والاتجاه المخالف له اتجاه الرواية³.

استطاع الإفراني بعد معاناة أن يتغلب على هذه الأزمة ويفرض نفسه علما متميزا في مراكش، بل في المغرب كله، تشهد لذلك أخباره ومؤلفاته الكثيرة المتنوعة.

مؤلفات الإفراني

يُستفاد من سجل الإعارة بخزانة ابن يوسف بمراكش أن الإفراني كان يستعير كتب اللغة، والتاريخ والأدب والرياضيات والفلك، ولا سيما كتب الحديث والتصوف والإلهيات واللغة

¹ - انظر ترجمة الإفراني في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة والأدب في المغرب القرنين 17، 18. ط الدار

العالمية للكتاب. الدار البيضاء 1992.

² - انظر المرجع السابق.

³ - انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق.

لقد تجلّى هذا التنوع في القراءة في تنوع مؤلفات الرجل، وتنوع محتويات المؤلف الواحد وغناه، كما نلاحظ في المسلك السهل مثلاً. وعموماً فقد ألف الإفرائي في التاريخ والأدب والفقه.

1- التاريخ والتراجم.

هذا هو المجال الذي اشتهر به في العصر الحديث في أوساط المستشرقين والباحثين الجامعيين المغاربة الذين خصوه بعناية كبيرة. وأعماله في هذا المجال هي:

1.1 - نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي.

طبع على الحجر بفاس بدون تاريخ. وبيارس على الحروف مع ترجمة إلى الفرنسية سنة 1888. وطبع جزء منه تحت عنوان: جملة من أخبار الدولة السجلماسية في باريس 1903. وصورت طبعة ثانية من طبعة 1888 بالرباط بدون تاريخ (في السبعينات).

قال ليفي بروفانسال في حق هذا الكتاب: "نزهة الحادي كافية لتحلّ مؤلفها الإفرائي محلاً مرموقاً من بين رجال الأدب المغربية"².

1.2 - صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر.

طبع على الحجر بفاس بدون تاريخ. واختصره أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التادلي الرباطي³.

تمتاز الصفوة بترجمة رجال من الأرياف لم تتلهم غناية المترجمين من أهل الحاضرة.

1.3 - روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، أو الظل الوريث في التعريف

¹ - HESPERIS.1944.P.59

² - مؤرخو الشرفاء 217.

³ - انظر دليل المؤرخ 277/1-278.

بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف.

طبع بالمطبعة الملكية بعناية عبد الوهاب بنمنصور سنة 1960م.

1- 4 - درة الحجال في مناقب سبعة رجال، أو زبدة الأوطاب في مناقب الأحاب. وقف العباس ابن إبراهيم على جزء منه بخط المؤلف¹.

1 - 5 - المغرب في أخبار ملوك المغرب.

نكره ابن سودة في الدليل².

1 - 6 - طلعة المشتري في التعريف بمحمود الزمخشري.

تقييد، نكره في المسلك³. وأورده أبو الربيع في ترجمة الإفراني بعنوان: طلعة المشتري في ثبوت توبة الزمخشري" في ورقات لطيفة"⁴.

1 - 7 - الوشي العبقرى في ضبط لفظ المقرى.

نكره الكتاني في فهرس الفهارس⁵.

1 - 8 - تقديم أو خطبة واسطة العقدين (تلخيص وتقديم كناشتي الملك إسماعيل)

2 - الأكب

2 - 1 - المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل.

¹ - الإعلام 57/5.

² - دليل المؤرخ 164/1.

³ - المسلك السهل 71.

⁴ - الإعلام 54/5.

⁵ - فهرس الفهارس 15/2.

طبع طبعة حجرية (وسيلتي الحديث عنه).

2 - 2 - تعليق على أرجوزته المسماة ياقوتة البيان.

شرح لأرجوزة المؤلف في الاستعارة والمجاز عامة. عدد أبيات الأرجوزة ثلاثة وثلاثون بيتاً. (مخطوط)¹.

2 - 3 - الإفادات والإنشادات

ذكره أبو الربيع سليمان الحوات، وقال فيه: "وهو تأليف لا كفاء له في الحسن"².

3 - الفقه

3 - 1 - فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث³

سماه الإفراني "تَبْتَأْ". وعلى صغر هذا المؤلف (أو الرسالة) فإن الإفراني اعتمد فيه على أكثر من عشرين مصدراً. وهو يعتبر إنتاجاً أصيلاً بالقياس إلى تأليف هذا العصر التي لا تخرج عن نطق الشروح والحواشي.

3 - 3 - و للإفراني أجوبة فقهية وفتاوى كان لها صيت وقبول حسن في عصره⁴.

¹ - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 4294.

² - الإعلام. 54/5.

³ - مخطوط الخزانة العامة بالرباط: ع 88 ج.

⁴ - رحلة الوافد 197، وفهرس العميري. 81.

ب - التعريف بالمسلك السهل

ملاحظات التأليف

لَفَ الْإِفْرَانِي كِتَابَهُ الْمَسْلُوكَ السَّهْلَ لِشَرْحِ الْمَوْشَحِ الْمَشْهُورِ الَّذِي مَطَّلَعَهُ:

هَلْ نَرَى ظَنِّي الْجَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهْ عَنْ مَكْنَسِ

للشاعر الإشبيلي إبراهيم بن سهل، وأنهى تأليفه في أول رجب من سنة 1128هـ بالمدرسة الرشيدية¹ بفاس، وهذا ما سجله بخطه في حاشية الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل المخطوطة: "كان فراغي من تبليضه أوائل رجب من عام ثمانية وعشرين ومائة وألف، بالمدرسة الرشيدية من مدينة فاس. قاله مؤلفه محمد"². وكان ما يزال - على ما نعلم - طالب علم يسكن المدرسة المذكورة.

وهو باكورة إنتاجه، وثمرة من ثمرات الشباب. يقول في مقدمته: ".وهو أول مجموع أبرزته في قالب التصنيف، وأفرغت جهدي فيما يحصل به لأنن سامعه التقريط والتشنيف، مع كوني في إبان الحداثة"³. ويقول في الخاتمة: "ولا يخفى على قريني أنها، كما يقول الناس، من الرأي العشريني"⁴.

وتسغفنا خطبة المسلك السهل وبقية مباحثه في التعرف على الدافع الذي دفع الإفراني إلى الاهتمام بهذا الموشح، وهو دافع أدبي خالص، فبالأدب تنهذب النفس، وتكمل إنسانية⁵ الإنسان. وليس

¹ - هي مدرسة الشراطين، أسسها الملك رشيد العلوي. انظر كتابنا الإفراني ص 87-88.

² - مخطوطة الأصل ص 294.

³ - المسلك السهل 57.

⁴ - المسلك السهل 434. من مخطوطة الأصل 293.

⁵ - خطبة المسلك 53.

أدخل في الأدب وأقدر على تحقيق هذه المهمة من موشح حاز رضا أرباب الأدب والموسيقى وإعجابهم.

وليس في حديث الإفراني ما يشير إلى دافع ديني أو تعليمي ولا سيما أن الموضوع لا يسمح بذلك، وهذا مما يميزه عن أغلبية شراح النصوص ممن ينشئون أجراً أو قربى من عملهم كما يميز شرحه عن الشروح الهادفة إلى خدمة الدين بخدمة اللغة التي هي وسيلة لفهم الكتاب والحديث كما جاء في مقدمة ابن زكور لشرح لامية العرب: "... فإن معرفة كلامهم (يعني العرب) وسيلة إلى معرفة كلامه (يعني الرسول) وما أنزل وسبب، فكانت لذلك من أعظم الوسائل وأجل القرب، فلذلك شرحت لامية العرب"¹.

بل نظر الإفراني في الملابس الدينية المحيطة بشرحه، فرأى أن يحتاط للتهم التي يحتمل أن تصوب إليه، فسعى لعقد تصالح بين المفاهيم الدينية الإسلامية والمفاهيم الأدبية التي يلتبس وجه براعتها على قوم لا يشعرون"².

وجماع رأي الإفراني أن الاعتبار في الدين بما في السرائر، إذ لا يضير شيء مع صفائها. والأدب مبني على المسامحة. وقد جد الإفراني في التراث الإسلامي، ومنه حديث الرسول وسلوك الصحابة وفتاوى الأئمة وأكابر الفقهاء ما يبرر وجهة نظره المتسامحة.

ولا شك أن قوة الدفاع وعنف الاتهام في عبارة الإفراني ناتجان عن وجود منكرين متشددين، يقول: "كأنني بمتعسف ممثلي الصدر بالأضغان والإحن ينكر إكبابي على إيضاح مغفل هذه الموشحة، ويحتج بأنها مشتملة على وصف الخدود والقنود، والمبالغة في وصف الراح، وكل ذلك مما هو حرام في الشريعة"³. ولهذا الكلام ارتباط بالصراع الذي صورناه في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة بين اتجاهين فكريين ودينيين في عصره.

¹ - مخطوطة الخزنة العامة رقم 157 د ورقة 59 و.

² - انظر المسلك السهل 143.

³ - نفسه.

ونجعل دفاع الإفراني عن الأدب والمفاهيم الأدبية التي طرحها عليه شرح مُوشح ابن سهل في
النقط التالية:

1 - **التنويه بالأدب عامة.** وخصص له الإفراني جزءاً من خطبة الكتاب مستشهداً بسلوك
الصحابه، مورداً تنويه الرسول بالبيان في الحديث المشهور، مبيناً أثر الأدب في تكوين شخصية
الإنسان وتمييزه عن الحيوان بقوله: "ولعمري إن كل من لا يتعاطى الأدب، ولا ينسل لاجتلاء
غرره، واجتلاب درره من كل حذب، ما هو إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مرسلة"¹. ويعود لهذا
الموضوع من حين لآخر عازياً التفاوت في الأدب إلى التفاوت في البلاغة. وهذه الانطلاقة في
التأليف، وما فيها من هجوم على خصوم الأدب تعبّر عن نكاء الإفراني، فبعد أن أحلّ الأدب المكان
اللائق به من الاحترام إنتقل إلى التنويه بموشح ابن سهل، وتفضيله على غيره، تبريراً للاشتغال به.

2 - **تبرير شرح نص غزلي.** وذلك في مبحث (الزهر الغض في الرد على من عاتب في
التوشيح أو غض). عرض الإفراني هنا موقف الدين من الغزل معتمداً على فتوى مفصلة لواصل من
أشهر فقهاء المغرب وهو ابن رشيد الفهري السبتي. كما عمم الحديث فناقش بالمناسبة موقف الدين
من الرثاء مبيناً الحد الفاصل بين الجائر منه و الممنوع، وأثر الأدب في تخفيف ألم أهل الفقيده.

3 - **دفع الالتباس العالق ببعض التعبيرات المجازية.** إذ كثيراً ما أدى التمسك بظاهر النصوص
الدينية إلى تأييد بعض التعبيرات. فمن ذلك انتقادهم شكوى الشعراء من الدهر، واعتبار ذلك خروجاً
عن هدي الحديث النبوي: "لا يقل أحدكم يا خبث الدهر، فإن الله هو الدهر"². ومن المشددين في هذه
المسألة بعض شيوخ الإفراني الذين أنكروا قول سعد الدين التفتازاني في طالعطة المطول: "فلقد جرد
الدهر على أهلها سيفَ العنوان"³. ويحسم الإفراني الأمر لصالح التعبير الأدبي مستعيناً بمبحث موسع

¹ - المسلك السهل ص53.

² - نفسه 269.

³ - نفسه.

لحافظ المغرب والمشرق، أبي عمر ابن عبد البر¹ في استشهاده بسلوك الصحابة والتابعين. والذي ينبغي تسجيله، بكثير من الاهتمام، استقلال الإفراني عن رأي شيوخه في هذه السن المبكرة.

ومن التعابير التي أثارت ضجة أنباء فاس منذ العصر المريني قول محمد الريبب في سيف إريس المنصوب بمنار جامع القرويين²:

وما خص إريس المنار بسيفه لغم، ولكن كي يغم نداؤه
مشيرا: أحيوا داعي الله تأمنوا، ومن لم يجب داعيه هذا جزاؤه

وكان ابن الأحمر قد انتقد قول هذا الشاعر في كتابه نثر الجمان ذاهبا إلى أن ترك الصلاة لا يقتل، فرد عليه أستاذ الإفراني أحمد بن عبد الحي الحلبي، وعلى ما كتب بطرة كتابه المذكور، من أنه يقتل بقوله: "قلت: وهذا كله تعسف بلا فائدة، وإنما جرى هذا الكلام مجرى المبالغة"³. لقد التبس على الإفراني رأي شيخه في هذه المسألة فنسب إليه نقيضه، وقد بينا ذلك في مكانه.

ويدل على اهتمام الإفراني بهذا الموضوع أنه جرد كراسة في حكم الاقتباس في وقت مبكر من حياته ذكرها في المسلك السهل⁴. كما نكل مناقشته لهذه القضية ولغيرها في المسلك السهل بروح متفتحة على ما يمكن أن يطبع موقفه من مرونة في هذه الكراسة. وهي مرونة تطبع موقف الإفراني في كتابه فتح المغيب بحكم اللحن في الحديث بطابعها، كما تطبع الاتجاه الذي ينتمي إليه هو وجميع الأدباء المتأثرين بأبي علي اليوسي، المياليين إلى التصوف؛ إذ يرون أن الحكم في ذلك لصفاء سريرة

¹ - المسلك السهل 269.

² نفسه 413.

³ - الدر النفيس 377، والمسلك السهل ص 415 والحاشية 1.

⁴ - المسلك السهل 87.

الإنسان. ولهذا الموقف علاقةٌ بروج ديوان ابن الفارض في هذا العصر، وهو من الدواوين القليلة التي ذكرها الإفرائي ضمن مصادره في المسلك السهل إلى جانب كتب الأدب واللغة¹.

ولا يبعد أن يكون المحتوى الأدبي للمسلك السهل من ضمن مواد طعن فقهاء مراكش في أهلية الإفرائي عندما تصدى لتدريس التفسير والحديث بجامعة ابن يوسف.

موقع المسلك السهل

اهتم المغاربة بشرح النصوص الشعرية، لا سيما في العصر المريني والسعدي وما بعدهما. ويمكن تقسيم ما خلفوه من شروح، حسب موضوع النص والغرض المتوخى من الشرح، إلى ثلاثة أنواع:

1- شرحُ نصوص دينية تتعلق في الغالب بمدح الرسول². وتثير قضايا تصوفية، مثل شرح البردة لسعيد بن سليمان السملالي المتوفى سنة 382هـ³. وشرحها لمحمد بن عبد السلام بناني المتوفى سنة 1163هـ. وشرحها لأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني المتوفى سنة 1146هـ. ومن أحسن الشروح منها مادة شرح ابن مرزوق: إظهار صدق المودة في شرح البردة. ومن ذلك أيضا شرح الهزمية فقد شرحها محمد بن عبد الرحمن الصومعي⁴ والحضيكي⁵ المتوفى سنة 1185هـ، وبنيس⁶، ومحمد بن زكري المتوفى سنة 1144هـ، وشرح بانث سعاد كل من أبي الحسن بناني والحضيكي السالف الذكر.

¹ - وهو الديوان الوحيد المسجل في سجل الاستعارة بمكتبة ابن يوسف في أول القرن الثاني عشر الهجري

HESPERIS 1944 P 57.

² - انظر محاضرة للدكتور عباس الجراري بعنوان الأدب المغربي في المولد النبوي، في كتابه الأدب

المغربي 1/ 150 وما بعدها.

³ - مخطوطة خ. ع. ضمن مجموع رقمه 1372 د.

⁴ - مخطوطة خ. ع. 895 ج.

⁵ - مخطوطة خ. ع. 527 ج.

⁶ - مخطوطة خ. ع. 534 ج، 1135 ج.

وهذه الشروح تجمع من المادة التاريخية واللغوية والبلاغية والفوائد الأدبية قدراً وافراً، كما أنها مفعمة بالخوارق والخرافات.

2- شروح تستهدف غاية لغوية تعليمية لتيسير فهم النص لمن يريد تناوله من الطلبة، ومن هذا النوع الفريد في تقييد الشريد لأبي القاسم الفكيكي¹، ونيل الأمانى في شرح التهاني لأبي علي اليوسي المتوفى سنة 1102هـ².

وقد يكون هدف الشارح خدمة اللغة العربية التي بدونها لا يمكن فهم "كتاب الله وسنة رسوله". وهذا الغرض كثيراً ما يُنص عليه لنفع تهمة العبث وضياع الوقت.

3- شروح تتجه إلى القيمة الأدبية للنص المشروح، وتعتبر الشرح اللغوي والإعراب والتخريجات البلاغية وسيلة لاجتلاء درر المعاني، وهذا هو الاتجاه الذي يسير فيه الإفراني. ومن الشروح التي سبقت شرح الإفراني في هذا الاتجاه إتحاف نوي الأرب في مقاصد لامية العرب لسعيد المغوسي³.

ومن الملاحظ أن معاصري الإفراني قد ساهموا في هذه الاتجاهات الثلاثة.

أما الظاهرة البارزة التي تنتظم أغلب العصور فهي لتجاه الشراح إلى نصوص بعينها، وعلى رأسها البردة والهمزية وبانت سعاد ولامية العرب وديوان الشعراء الستة وديوان الحماسة.. وذلك ما يجعل هذه الشروح مكرورة وغير مجدية أحياناً، إذ يصعب التعرف على ما هو أصيل فيها وما هو منقول، وقلّ من تناول موضوعاً بكاملاً بعمق وإجادة، وخصوصاً في العصور اللاحقة لعصر الإفراني، وهذا ما يُعطي المسلك السهل قيمة كبيرة في نظرنا.

ليس فيما وصل إلى أيدينا من أخبار الإفراني تعليق على قيمة كتابه للمسلك السهل غير قول

¹ - مخطوطة خ.م 4198، 4260.

² - انظر كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة.

³ - توجد نسخ منه عديدة بالخرانة العامة بالرباط منها 142 ج، 877 ج للخ.

أبي الربيع سليمان الحوات: "وله تأليف عديدة، جامعة لفرائد الفوائد المفيدة، ومنها، وهو أول ما ألف، المسلك السهل في توشيح ابن سهل، وهو وحده يدل على قوة عارضته وامتداد بابه"¹. وفي العصر الحاضر قال ليفي بروفسال في حق المسلك السهل كذلك: "وهو كتاب متداول اليوم عند الأقباء المغربية"².

وبعد ذلك نجد الحديث عن الإفرائي الأديب البياني. وهذه مجموعة من الأقوال في التتويه به، قال محمد المكي بن موسى الناصري في الرياحين الوردية، وهو معاصر للإفرائي وله به اتصال: "أديب زمانه، وفريد أوانه"³. وقال في الدرر المرصعة: "الأديب النحوي اللغوي البياني"⁴. وقال فيه محمد القادري، وهو معاصر له كذلك: "العالم الأديب الإخباري النجيب"⁵. ومن الأجيال اللاحقة قال أبو الربيع سليمان الحوات: ".. النفاذة النحوي البياني الأديب البليغ الفصيح الخطيب"⁶. ومن المعاصرين قال ليفي بروفسال: "إن الإفرائي يتمتع اليوم بسمعة طيبة في الأوساط الأدبية، ويحظى بكامل التقدير"⁷. ومن المعاصرين كذلك عبد الله كنون: "العلامة المؤرخ الأديب صاحب المنن على التاريخ المغربي والأدب"⁸.

¹ - الإعلام للمراكشي 54/5. وولد أبو الربيع سليمان الحوات بعد ثلاث أو أربع سنوات من موت الإفرائي أي سنة 1160/1747، وتوفي سنة 1231/1816. (مؤرخو الشرفاء 242).

² - مؤرخو الشرفاء 89، وقد عاش ليفي بروفسال في النصف الأول من هذا القرن (1894 - 1956م). انظر ترجمته في أول الترجمة العربية لكتابه مؤرخو الشرفاء نقلا عن مجلة (أرابيكا 1956 فصلة 2).

³ - الرياحين الوردية 67.

⁴ - الدرر المرصعة 91.

⁵ - النقاط الدرر 2 / 415.

⁶ - الإعلام للمراكشي 5 / 53.

⁷ - مؤرخو الشرفاء 93.

⁸ - النبوغ المغربي 1 / 298.

فهذه الشهادات المأخوذة من عصر الإفراني إلى اليوم تنوه كلها بصفة الأديب. ويهتم أقدمها بصفة (البياني)، و (النقادة) و (البليغ). فعلم يقوم هذا الحكم إن لم يقد على كتاب المسلك السهل؟ صحيح أن الإفراني كان خطيباً بليغاً، ومدرّساً، وناظماً متوسط النظم، أما أن يكون نقاداً وبيانياً فهذه الصفة لا يخلو لها إلا المسلك السهل. هذا الكتاب الذي أخذ زملاء المؤلف بنسخه بعد انتهائه من تبييضه مباشرة إذ لم يفرغ المؤلف من تبييض الكتاب حتى كان صاحب نسخة (الأصل) قد فرغ هو الآخر من نسخته في مدة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً.

وبدل عدد النسخ المتوفرة في الخزنة الملكية والخزنة العامة بالرباط وحدها وهو ثلاثة وعشرون نسخة مخطوطة، على ما كان للكتاب من رواج. ولقد أصبحت النسخ المطبوعة منه أندر من المخطوطة، على أن طبع الكتاب في حد ذاته له دلالة خاصة في عصر اتجه فيه الاهتمام إلى الكتب الدينية واللغوية.

ولم نعر بين الشروح التي ظهرت بعد المسلك السهل في المغرب على ما يسمو إلى مستواه، أو يدانيه في قيمته. ومنها: فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان لمحمد العربي المشرفي، وشروح البردة والهمزية التي أصبحت عبارة عن تلخيصات وتقاييد هزيلة. ويظل المسلك السهل من أبرز المعالم في اتجاه النقد التطبيقي في المغرب الأقصى لما توفر فيه من تصور منهجي وتذوق فني بلاغي للنص المشروح. وهو بعد مصدر للتعرف على ثقافة الأديب في عصر الإفراني بمصادرها الشرقية والأندلسية والمغربية.

* * *

أما الطريقة التي اتبعها الإفراني في الشرح والخطوات التي سار عليها فهي ليست مما ابتدعه أو انفرد به، وإن تميز بالتزامه بصرامة. بل نسج فيه على منوال غيره من الشراح الذين سبقوه من مغاربة ومشارقة، ممن ساروا في هذا الدرب، ومهوا هذا الطريق، مع اختلافهم في التزام هذه الخطوات كلها أو بعضها أو الزيادة عليها. وبعد استعراض عدد وافر من الشروح الأدبية برزت لنا حلقات السلسلة التي ينتظم فيها المسلك السهل. ونقف الآن وقفة قصيرة عند أربعة شروح لعلماء من

دعائم هذا الاتجاه أو هذه المدرسة لنعرف بالطرائق التي اتبعوها في شروحهم وهم: الصفدي في الغيث المسجم في شرح لامية العجم، وابن مرزوق في إظهار صدق المودة في شرح البردة، والمغوسي في إتحاف نوي الأرب بمقاصد لامية العرب. والأليوري في شرح البردة.

1 - نعرض في إيجاز خطة كتاب (إظهار صدق المودة) لمطابقتها لخطة المسلك السهل في خطواته الست مع إضافة ابن مرزوق مطلباً سابعا عنوانه "الإشارات التصوفية"، وهذا، بطبيعة الحال، مما أملاه الموضوع، واقتضاه النص المشروح، وهو البردة في المديح النبوي. يقول ابن مرزوق في مقدمة شرحه محدداً منهجه: "... وجعلت الكلام، على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم:

الأولى، الغريب في شرح لغة الألفاظ المفردة، وما يتعلق بها من التصريف.

الثانية، التفسير في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل.

الثالثة، المعاني في ذكر خواص الكلمة المستعملة في ذلك التركيب وغيرها أفراداً وتركيباً.

الرابعة، البيان في ذكر وجوه ذلك التركيب مع وضوح دلالاته على المعنى المراد وبيان الحقيقة منه والمجاز، وما ينخرط في سلك ذلك من الفن.

الخامسة، البديع في ذكر وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية والمعنوية.

السادسة، الإعراب، فنذكر منه الوجوه الظاهرة القوية دون غيرها، وهي ترجمة معينة على فهم معاني الأبيات.

السابعة، الإشارات للتصوفية، فنذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة إلى المعنى المذكور¹.

¹ - إظهار صدق المودة مخ. خ. ع رقم 1713 د ورقة 10 ب. الجزء الأول.

2 - أما الأبيوري فقد سار في شرحه في "أربعة فنون" حسب تعبيره: "الفن الأول للغة، إذ بها تنتظم الألفاظ وتبين المعاني. الفن الثاني الشرح وبيان المعنى، وما أمكن استحضاره من الشواهد الشعرية. الفن الثالث الإعراب على اختصار إذ لم يقصد به ذلك المجموع. الفن الرابع ما يعرض في الأبيات من البيان وعلم البديع"¹.

3 - ولم يلتزم المغوسي بهذه الخطوات، وإن كان عمله يحقق مجمل ما تنتهي إليه، فهو يبدأ بقوله: "أقول" ليشرح الألفاظ ويناقش صيغها الصرفية، ثم يتجه لتلخيص المعنى بقوله: "يقول" ثم يبسط المسائل البلاغية التي يتوقف عليها تنوع النص، "مع رد كل فرع إلى أصله، ووصل كل معنى بما يناسبه من فصلة"². وينتهي كلامه بالإعراب متوسعا فيه كثيراً.

4 - ويتناول الصفدي أبيات لامية العجم فيشرح الألفاظ شرحاً لغوياً ثم يعربها متوسعا في الإعراب كثيراً، ويستخرج معنى البيت ويرفع النقاب عن تعابيره وصوره. ومنهجه أكثر مرونة من غيره. وهو أميل إلى الاستطراد لأنه يرى الانتقال من نوع إلى نوع أنشط للمطالعة وأبسط، فيقول "فلا تجدني في هذا الشرح واقفاً مع ضيق المقام، ولا فاراً من مشق القواضب ولا رشح الحسام، بل أشرف على كل مكان فأسقط وأتوخى الحب الكبار فألتقط، فمهما استطراد الكلام إليه وفيته حقه"³.

وقد وجد الإفراني في هذا الشرح المادة الأدبية من المناسبة لشرحه من شعر وأخبار مناسبة للغزل فعوض بذلك نقصها في الشروح الأخرى.

هذه بعض حلقات سلسلة الشروح الأدبية التي تتبع خطة محكمة، وتحاول أن تحيط بالجوانب اللغوية (المعجمية والصرفية)، والتركيبية (النحو)، والبلاغية (المعاني والبيان والبديع)، مع إثارة مختلف المسائل المتعلقة بمعاني النص وظروفه، على اختلاف في الأهمية التي يوليها هؤلاء الشراح كل مطلب من هذه المطالب تبعاً لثقافة كل واحد منهم، والغرض الذي رصد له شرحه، فالإفراني

¹ - شرح البردة مخ. خ. ع رقم 530 ج. ص 4.

² - إتحاف ذوي الأرب مخ. خ. ع رقم 877 ج ص 7.

³ - الغيث المسجم 3/1.

المؤرخ خصص أكثر من ربع الكتاب للظروف التاريخية والفنية للموشح المشروح. والمغوسي، الشيخ اللغوي، اهتم أكثر من غيره باللغة والنحو والصرف. بينما اقتضى الموضوع ابن مرزوق أن يخصص (ترجمة) للإشارات التصوفية. والتقى الإفراني بالصفدي في مفهوم الأدب ووظيفته: "الأدب كله فكاة، وأحسنه الغريب الحلو المساق"¹، فاشتركا في كمية وافرة من مادتي كتابيهما، وفي جو الطرافة والغرابة السائد فيهما. أما الأليوري فإن التقاء الإفراني به أعمق وأجدى، وذلك في ميل كل منهما نحو تنويع جمال النص والاهتمام بـ "المعاني" والعزوف عن التقسيمات والتعليقات النحوية.

الإطار العام للشرح: التاريخ، الفن، الدين

قبل أن يتناول الإفراني أبيات الموشح بيتاً بيتاً عقد مقدمة طويلة للتعريف بلبن سهل صاحب الموشح، والتعريف بفن التوشيح وبيان نشأته وتطوره. وتحدث عن الموسيقى والعروض والثقافة، كما تناول موقف الدين من الأدب والغزل خاصة.

وكما اهتم بالإطار العام للموشح اهتم كذلك بالمجال الخاص بالمعاني والصور الشعرية، فأورد الشواهد والأخبار والمعارف المختلفة التي تساعد على وضع المعاني والصور في إطارها العام ضمن الأدب العربي عامة، وأدب العصور المتأخرة خاصة.

وكان الإفراني واعياً بالهدف من مقدمته، فهي، حسب عبارته، علم منشور على طلائع رايات الموشح، يهدي إليه وينبئ عنه، يقول: "وَعَنْ لِي أَنْ أَقْدِمَ قَبْلَ الْخَوْضِ فِي لَجَجِ مَعَانِي التَّوْشِيحِ مَقْدَمَةً تَكُونُ كَالرَّعِيلِ لَجِيْشِ أَبْيَاتِهِ، وَعِلْمًا مِّنْشُورًا عَلَى طَلَائِعِ رَايَاتِهِ، أَضْمَنُهَا التَّعْرِيفَ بِنَاحَتِ ثُرَرِهِ الْمَزْخَرَفَةِ.. وَذَكَرْ نَبْذَ فِي صِنَاعَةِ التَّوْشِيحِ، وَاخْتِرَاعِهَا وَمَخْتَرَعِهَا، وَمَا يَكُونُ كَالذَّيْلِ لِنَازِلِ"².

¹ - المسلك السهل ص146. وانظر حديثنا عن الطرافة ومفهوم الأدب في هذه المقدمة.

² - نفسه 61.

وهو لا يعتبر هذه المقدمة غاية، فيقول في آخرها: "ولنمسك الزمام، فإن المطلوب بالذات أمام"¹؛ أي فيما يأتي من الشرح، ولكنها داخلة عنده، في الألب، وليست مقحمة عليه. ولذلك يبرر الإطالة فيها بحاجة كتب الألب إلى ما توشح به من نوالر، فيقول: "والعز في الإطالة أنا رأينا كتب الألب إذا لم توشح بنوالر وأخبار لم تقع في العقول موقع للقبول"².

ثم نرى الإفراتي يتتبع تطور الموشحات بدون كلل حتى يبلغها قمة نموها، وتسلم رايته لابن سهل، فتكون موشحته لذلك ثمرة ناضجة لجهود سابقه، وهذه عبارته التي أنهى بها الحديث عن تاريخ الموشحات وأخبار أصحابها: "ولنتهت الرئاسة في التوشيح لابن سهل، وبذهاب عينه اندثرت آثارها، وغربت شمسها، وتقلصت أفيالها. ولا شك أن شلوه في ذلك لا يلحق، كما لا يخفى على من تصف بالإتصاف وتقلد بالحق. وكفى شاهدا على ذلك موشحته هذه، فبها حاققة اللحي، لمن تتحل معارضتها وتتحى. وقد تصدى لمعارضتها أقولم، فكانوا كمن تطلب رجوع ما مضى من الأعرام"³. وهذا مما يكسب اختياره قيمة كبيرة.

لولى الإفراتي بيئة الشاعر أهمية كبيرة فتناولها من جميع جوانبها التي أثرت في ابن سهل وجعلت منه شاعرا رقيقا، وشاحا غزلا، ومنها طيب هواء مدينة إشبيلية، ودمائة أخلاق أهلها، وميلهم إلى الموسيقى والطرب. وأضاف إلى ذلك تكثر ابن سهل بانتمائه اليهودي في بيئة إسلامية، حتى رد بعض المغاربة رقة شعره إلى اجتماع ذلن فيه: ذلّ العشق، وذل اليهودية⁴.

ولسنا في حاجة إلى تأكيد العلاقة بين اهتمام الإفراتي بجانب الرقة والشاعرية في شخصية ابن سهل وبين الموشح المشروح وموضوعه الغزل، ويقوي ذلك أن الإفراتي شرح هذا النص في ظروف ازدهرت فيها الموسيقى بالمغرب، وزاد نتيجة ذلك الاهتمام بالموشحات.

¹ - المسلك السهل 146.

² - نفسه 146.

³ - نفسه 117.

⁴ - نفسه 73.

وتتسجم النصوص التي انتقاها الإفراني من ديوان ابن سهل وألحقها بترجمته في المسلك السهل مع موضوع الموشح المشروح، فكلها في الغزل تبرز فيها الصناعة البديعية، ولاسيما التوجيه.

وغلبة طابع الرواية على المؤلف في هذه المقدمة كثيراً ما جعله ينتقل من مادة إلى ما يشابهها أو يقترب منها، فحديثه عن الموشحات يؤدي إلى الحديث عن الزجل والتوبييت والمواليا. وترجمة ابن سهل اليهودي تذيل بالتعريف بستة من اليهود النابغين في البيئة الإسلامية.

والاستطرادات كثيرة في هذه المقدمة تبعد القارئ عن إدراك هدف المؤلف من المادة الغنية التي يحشرها فيها، فيأخذ بعضها برقاب بعض برباط قوي أو ضعيف. غير أنه إذا رجع إلى مفهوم الأدب في عصر الإفراني، كما سنحدده في مبحث لاحق، وجد للمؤلف عزرا.

وتعتبر هذه المقدمة التاريخية، مضافة إلى الميل إلى الرواية والحديث عن الظروف المحيطة بالنص ومعانيه في مجمل الكتاب، علامة مبكرة على ميل المؤلف إلى التاريخ الذي سيغلب عليه بعد عودته من فاس.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو مدى تأثر الإفراني بمن سبقه من الشراح الذين قدموا لشروجهم بالتعريف بالشعراء، وعلى رأس هذه الشروح الغيث المسجم، في شرح لامية العجم لمصالح الدين الصفدي، الذي تعرض في مقدمة شرحه لأخبار الطغرائي. واعتنى المغوسي من المغاربة بترجمة الشنفرى مورداً ما تيسر من أخباره، مشيراً إلى أهمية قصيدته، وذلك في مقدمة شرحه للامية العرب المسمى إتحاف نوي الأرب بمقاصد لامية العرب. وليس لدينا ما يدل على استفادة الإفراني من هذا الشرح، أو إطلاعه عليه عند تأليف المسلك السهل، وإن كنا لا نستبعد ذلك.

ونرى أن مقدمات كل من الغيث المسجم للصفدي، وإتحاف نوي الأرب للمغوسي، وشرح البردة للأبيوري، وغيرها من الشروح التي تيسر لنا الاطلاع عليها، ليس فيها من التنوع والغنى والتوجه نحو تحليل شاعرية الشاعر أو تفوقه ما يجعلها في مستوى المسلك السهل. وإذا كانت الخطة التي اتبعها الصفدي في حديثه عن الطغرائي، ثم عن العروض والقافية، قريبة من خطة الإفراني، فهي مختصرة وغير هادفة إلى غاية معينة.

كما أن مقدمات أغلب الشروح قبل الإفراني وبعده، ولا سيما شروح البردة و الهمزية، تميل إلى المبررات الغيبية في بيان فضل النص المشروح، فتنسب لصاحبه من الكرامات ما يضيق به المنطق والنوق. وهذا ما جعلني أبحث عن مصادر أخرى تأثر بها المؤلف واستفاد منها في الإطار العام للتاريخي والفني لهذا النص.

فإلى جانب ميل المؤلف إلى التاريخ نرى أنه تأثر في المسلك السهل خاصة بأحمد المقرئ في كتابه نفح الطيب وأزهار الرياض، وذلك في اهتمام هذا الأخير بالظروف المحيطة بحياة ابن الخطيب في النفح، وبحياة القاضي عياض في الأزهار، وذلك ما أعطى كتابيه طابعا موسوعيا في تاريخ الأدب الأندلسي والمغربي. ويزكي ما ذهبنا إليه اعتماد المؤلف عليهما، ولا سيما نفح الطيب، في معظم المادة التاريخية والأدبية في مقدمة المسلك السهل. وكان من نتيجة إعجاب الإفراني بالمقرئ أن خصه بترجمة عنوانها: الوشي العبقري في ضبط لفظ المقرئ، كما اطلع الإفراني على مقدمة ابن خلدون ونقل منها في المقدمة والشرح ناعتا صاحبها بـ "الشيخ الرئيس أعجوبة المؤرخين"¹. وقد بينا أثناء الحديث عن الطابع الثقافي للعصر في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة أن الميل إلى الأدب والتاريخ يميز الأدباء الشبان في عصر المؤلف عن شيوخهم الذين يميلون أكثر إلى اللغة والتصوف والأمثال والحكم.

* * *

وفي تحديد الإطار الأدبي والفني للموشح لاحظ الإفراني باستغراب الإهمال الذي لحق الموشحات فقال: "والعجب أنه مع كونه من شدة الحاجة إليه بهذه المرتبة لم ينتزلوا لضبط قواعده كل التنزيل، ولم يسهلوا من أمره ما هو في غاية الحاجة إلى التسهيل، ويبسطوا من مسأله ما يصعب"².

¹ - المسلك السهل ص 99.

² - نفسه 49.

فهناك إذن الحاجة إلى الموشحات، وهناك الدعوة إلى ضبط مسائلها، وتسهيل ما صعب منها.

غير أنه لم يكن بوسع الإفراني أن يقوم بهذا العبء وحده، فله فضل تصور المشكل والإحساس بالحاجة إلى معالجته. أما ما قدمه في أول السمط الثاني من تعريف التوشيح لغة وعرفاء، مع ذكر عدد محدود من أسماء أجزاء الموشح كما نقلها ابن خلدون عن ابن سعيد، فليس كافياً للتعرف على تركيب الموشح وتقنيات بنائه.

وفي المبحثين الخاصين بالموسيقى والعروض والقافية، وهما: زهرة الريحان، في ذكر الطبوع والألحان وجملة كافية فيما يتعلق بالتوشيح من العروض والقافية، اكفى الإفراني بالتأني بالموسيقى والنصائح عن الطبوع وعلاقتها بالطبائع، وأثر زرباب في تطوير الموسيقى بالأندلس، مؤكداً ضرورة العروض للشعر، ومحدداً معنى القافية وما ثار حولها من خلاف بين القدماء، وغير ذلك من القضايا المعروفة المتداولة، معوضاً التحليل والتنظير اللذين تقتضيهما المناسبة بإيراد الأخبار والنكت وغريب القوافي... ولم يزد فيما يخص الموشح على تقطيع البيت الأول منه، وذكر الدائرية التي ينتسب إليها، ولنغمة التي يجري عليها، وما كان له من شهرة واستحسان عند أرباب الموسيقى...

وقد سهل مهمة الإفراني في هذا المجال كون موشح ابن سهل يجري على بحر من البحور الخليلية وهو الرمل. ولم يشر الإفراني إلى تنوع قافية الموشح.

منحى الإفراني في الشرح: الذوق والبلاغة

إذا نظرنا إلى عمل الإفراني في المسلك السهل بكامله، معتبرين لغاية التي يتوخاها من كل خطوة من خطوات التأليف وجنناه يهتم بثلاثة جوانب أساسية، يشكل كل جانب منها خطوة من خطوات الشرح ومرحلة من مراحله.

1- وأولى هذه الخطوات وضع النص المشروح في إطاره التاريخي والفني، وتبرير الاشتغال به دينياً، واستغرق هذا الجانب، كما تقدم، ربع الكتاب.

2- والخطوة الثانية فهم معاني الألفاظ وفحوى التراكيب في مطلبي اللغة والإعراب، وفي جانب من مطلب المعنى. وقد برر الإفرائي تقديم مطلب اللغة بكونه سبيلاً لفهم ما بعده، ولم يبرر تأخير الإعراب وهو يؤدي المهمة نفسها. والظاهر أنه خضع في ذلك لتأثير أغلب الشراح في تأخيرهم لمطلب الإعراب ولتأثير ابن مرزوق مباشرة. وكان حرياً به أن يسلك سبيل الصفدي الذي جعل الإعراب بعد اللغة مباشرة، والأليوري الذي قدم مطلب الإعراب على المطلب البلاغي. والخطوتان الأولى والثانية تمهدان لتتوق جمال النص المدروس.

3- وفي الخطوة الثالثة التي نحلها هنا تتاول المؤلف الجانب الفني في النص باذلاً قصارى جهده لإظهار جماله وتعليل هذا الجمال بلاغياً. ويشترك مطلب المعنى والمطلب البلاغي (المعاني، البيان، البديع) في تحقيق هذه الغاية؛ فيتم، في مطلب المعنى، "رفع القناع عن معنى التركيب، وتنزيل المعنى على الألفاظ، ونسق بعضها ببعض، حتى تصبح من حيث المعنى كأنها سبيكة إبريز، تشهد لصانغها بالتقدم في الصناعة والتبريز".¹

فالهدف من (المعنى) إذن ليس تيسير الفهم فحسب، وإنما سبك المعاني حتى يظهر جمالها وت فوق صانغها.

ويعتبر المؤلف المطلب البلاغي ألطف المطالب وأعلاها، إذ به تتم المفاضلة والتقييم، فيقول: "ثالثها²: وشي حل البيت بسلك المعاني، ثم بجواهر البيان ثم بواقيت البديع، وهذا ألطف المطالب وأعلاها وأعلاها، إذ هو مضمار ما يقع به التفاضل، وينعقد بين الأمثال في شأنه التسابق و التناضل"³.

¹ - المسلك السهل ص56

² - يقصد الخطوة: الثالثة من خطوات الشرح.

³ - المسلك السهل ص56.

ولهذا كله تكون الخطوة الثالثة محط رحال الشارح والهدف الأسمى للشرح.

ونشرع الآن في تلمس هذه الحقيقة من الشرح مباشرة فنضع بين يدي القارئ نموذجاً من النماذج الموقفة في سبك معاني الأبيات، نقططه من شرح البيت الثالث، وهو: "كان في البيتين¹ قبله في مقام الغيبة، فتضاعف وجده، إلى أن استغرق في أوصاف جمال محبوبه، وفي مشاهدة حسنه، فصار حاضراً لديه، مخاطباً له، فهو يحاوره، ويطارحه بما قاساه من هواه، ويقول: يا أيها القمر الذي كان طالعا في فلك القرب، حاضرا في سماء القلب، أنظر إليه، ثم غاب عني، وتحجب بالبعد والفراق، فسلك لهجرته سبيلا عرض فيه عاشقيه للتهلكة، إذ بغيبة سواده عن سوادهم تغيب أرواحهم عن أجسادهم، فتهلك نفوسهم، ويقوى بوسهم، ويعيل صبرهم، فإن الفراق، عذاب لا يطاق"².

وهكذا يرتفع الإفراني بمطلب المعنى عن المفهوم المتداول بين الشراح، وهو نثر البيت وإعادة ترتيب كلماته ترتيباً (معقولا) يفرغها من جمالها الفني، ويجرهم إلى كثير من الحشو والفضول، فقد جعل "المعنى" توكيدا للجهد البلاغي في علاقته بالحالة النفسية، فراه هنا يبحث عن الدوافع النفسية للكلمة وراء تغير اتجاه الكلام من "مقام الغيبة" إلى "مقام المشاهدة"، مستعينا بثقافته البلاغية في الالتفات، محاولا الاستغراق في النص ومشاركة ابن سهل في تجربته، فبقدر ما كان هذا الأخير "يستغرق في أوصاف محبوبه" و "يفنى في مشاهدة جماله"، كان الإفراني يستعيد التجربة ويستلذها في عملية نقد تأثري. وعندي أن الإفراني متأثر هنا بتجربة الغربة التي عبر عنها في أول المسلك، واعتبرها عائقا من عوائق التجويد في التأليف، تلك الغربة التي دامت عشر سنوات على الأقل. وهذه المعاناة والصدق جعللا الشارح ينظر إلى النص في وحدته، ويربط البيت بما قبله، وذلك نادر في الشروح التي تعتبر البيت وحدة مستقلة. وتقتضي هذه الطريقة في الشرح أول ما تقتضي، أن يكون

¹ - الأبيات المحال عليها هي:

قلب صلب حله عن مكنس
لعبت ريح الصبا بالقبس
غررا تسلك في نهج الغرر

هل درى ظبي الجمى أن قد حمى
فهو في حر وخفق مثلما
يا بدورا أفلت يوم النوى

² - المسلك السهل ص 184 - 185.

الشارح مبدعاً، قادراً على إعادة الخلق، وهو ما برهن عنه الإفراني هنا، سواء في تصور اللحظة والتأثر بها أو في أسلوبه الذي رفع التجربة إلى أجواء السمو الصوفي، مستعملاً كلمات من نوع المقام والاستغراق، والفناء، والحضور، والأرواح، والأجساد، والنفوس.

ولا غربة في ذلك، فالإفراني واحد من كتاب العصر وخطبائه المرموقين. وتجويد الأسلوب سمة غالبية على هذا المطلب الذي يشيع فيه المجاز وانتقاء الكلمات المتجانسة، والمزاوجة بين السجع والاسترسال.

وقد يكون "المعنى" عبارة عن تخريج صورة مجازية على نحو ما نقرأ في البيت الثاني: "المعنى أن قلبه بسبب حمية الحبيب له، وإيقاده به نار الصبابة، هو في حرارة واحترق، وأنه يضطرب ويحترق، فالنار مستعرة بحركته، لأنه كالنافخ لها. فحالته في ذلك كحالة المقياس إذا صادفته ريح فهي تقلبه ذات اليمين وذات الشمال. فأخبر أن قلبه يكابد غصص أمرين: الحرارة والخفوق"¹.

فمن السهل التمييز بين الشقين المكونين لهذا "المعنى"، ففي الأول يحاول الشارح تحديد طرفي الصورة، والكشف عن العلاقة بينهما، وفي الثاني، الذي يبتدئ من قوله: "فأخبر.."، يلخص المعنى على طريقة أغلب الشراح الذين يهدفون إلى الإقحام لا إلى التنوق.

غير أن تنوق الصور الشعرية، وربطها بالحالة النفسية للشاعر لا يتحقق إلا في الأبيات التي تصور حالة نفسية، أما الأبيات التي لا تحتوي على أكثر من أوصاف مرصوفة فهي لا تستحق، في نظر الإفراني إلا أن يقال فيها كما قال المتنبي²:

أسامياً لم تزد معرفته وإنما لذة ذكرناها

وشأنها شأن الأبيات التي تقوم على أحكام عقلية جافة، كالبيت الثاني والعشرين الذي يُحتج فيه على خرق مبدأ قانوني:

¹ - المسلك السهل ص 167.

² - نفسه 346.

ليست شعري أي شيء حرماً ذلك الورد على المغترس

إذ لم يزد في "المعنى" على قوله: "لما أبان في البيت قبله أنه الغارس للورد في رياض الوجنات، ومن غرس شيئاً فهو له، عجب من كونه لا يجد سبيلاً لقطف ما غرسه، ولم يدر السبب الموجب لهذا الإبعاد"¹، واقتصر في (البيان) على الإحالة على ما سبق: "تقم ما يتعلق بالورد والغرس وما فيها من المجاز"²، ثم استطرد بشرح (التوجيه). ومثل ذلك صنيعة في (المعاني).

بعد فهم البيت وتنوق جماله على نحو ما سبق في مطلب (المعنى)، يتجه المؤلف لاستخراج ما فيه من صور بلاغية على ضوء علوم البلاغة الثلاثة، فيذكر ما فيه من نكت ومحسنات بلاغية. وكان الأمر يتعلق بمستويين لقضية واحدة: المستوى الأول تنوق مباشر، يتلقى فيه الشارح التأثير مباشرة من النص على طريقة النقاد التأثيريين، وكأنه أعزل من علوم البلاغة ومبادئ النقد. والمستوى الثاني محاولة تحليل ذلك التأثير بلاغياً، بنكر القاعدة التي تحكمه، والشواهد التي تؤيده. فلا يكاد يذكر المحسن حتى ينطلق إلى بسط القواعد البلاغية، وإيراد الشواهد الشعرية والنثرية مبتعداً هذه المرة عن النص سابقاً في أجواء البلاغة والشعر، وهذا جلي في مطلب (البدیع) أكثر من غيره، بينما يجنح في مطلب (المعاني) إلى التحليل والإحالة على النوق، حاثاً على التأمل.

ويتجانب الإفراني قطبان: الأول قطب المعاني، والثاني قطب البديع. أما البيان فإن عمله فيه عادي جداً. فهو يهتم في جانب المعاني بقيمة الكلمة في موقعها من التركيب فناقش دلالة ألوات العطف، والاستفهام، وأل، وأن، وإذا، والفرق بين صفة اسم الفاعل واسم المفعول، كما ناقش التقديم والتأخير، والإضافة والإظهار، والإضمار، والفرق بين الأزمنة، والتعريف والتكثير، والنداء، وصيغ الجمع، والاستئناف، والحال، ونكتاً بلاغية أخرى يستفيد منها الكتب التطبيقية كالكشف للزمخشري.

¹ - المسلك السهل ص 389.

² - نفسه 393

إلى جانب القيمة التي تكسبها الكلمة من موقعها في التركيب، يهتم المؤلف بالملابسات التاريخية والاجتماعية التي تكسب الكلمة إحياءً خاصاً، وتجعلها متقدمة على غيرها في موضعها، فكلمة "الصبا" في البيت الثاني تكسب قيمتها من ارتباطها بالثمن، واستدل لذلك بقول الرسول: "تُصرت بالصبا"¹، ومن إرسال الشعراء لها، وانتشاقهم لأريج هبوبها لأنها غالباً ما تكون في الأسرار².

كما أن كلمة "الحمى" تميز الطبي الذي أضيف إليها فتجعله أحسن الأطباء لما توفره له من نعمة العيش وهناء البال، ويؤيد ذلك قولهم: "آمن من طبي الحر"³.

ويقف الشارح عند تعبير الشاعر: "بأبي أفديه.." فيرى أن استعمال الأب صان الكلام من الاستهجان الذي يلحق به من ذكر الأم، وقد كان عبد الملك بن مروان يستهجن ذكر النساء والطعام في مجالسه⁴.

ولنتبه الإفراني كذلك إلى ما تفقده التعبيرات المجازية من قوة إيحائها نتيجة كثرة الاستعمال حين تتحول دلالة الكلمات من المجاز لتصبح "حقائق عرفية"، نجد ذلك عند تعليقه عن الصور البيانية في البيت الأول:

هل درى طبي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس

بقوله: "وهذه الألفاظ صارت عند الشعراء حقائق عرفية وإن كانت في الأصل مجازاً"⁵.

وينجذب الإفراني بقوة التقليد ونوق العصر نحو البديع كما سلف. ولا نجد في هذا المطلب تحليلاً لقيمة المحسن في النص المشروح. إذ يكتفي المؤلف بذكر المحسن ثم ينطلق إلى شروح

¹ - المسلك السهل ص 173.

² - نفسه .

³ - نفسه 157.

⁴ - نفسه 310.

⁵ - نفسه 157.

البديعيات يستقي منها مادة غنية من شواهد الشعر والنثر، والتقنيات ذات الطابع التعليمي حتى لكان الأمر يتعلق بدرس في البديع، وكأن المؤلف لا يثق في ثقافة القراء. وهذا ما يقرب هذا المطلب من شروح "البديعيات"، التي تنطلق من أمثلة مصنوعة في البيت المشروح لتفصيل القواعد البديعية، وكان مجموع المحسنات التي تعرض لها المؤلف في هذا الشرح حوالي سبع وعشرين محسناً، منها ما تكرر الحديث عنه عدة مرات كالطباق والجناس والاقتباس. ونذكر هنا هذه المحسنات حسب ورودها أول مرة في المسلك السهل، وهي: الجناس، والمواساة، والتمثيل، والطباق، ومراعاة النظير، والجمع والتفريق، والتفسير، والإمماج، والمبالغة، والاتسجام، والتكرار، وحسن البيان، والسهولة، والتعديد، والتورية، والإرصاد، وحسن الاتباع، والتنمिम، والتوجيه، والتكيت، والتجريد، والاعتراض، وحسن الانتهاء. أدخل الإقراني ضمن البديع كلاماً على التشبيه والتشبيه المركب¹.

وقد يجنح المؤلف إلى الاختصار في الحديث عن القواعد البديعية ويرتبط بالنص أكثر، ففي شرح البيت الثامن، يقتصر على مثال واحد في تعريف المحسن، ثم عاد إلى البيت يشرح موقع المحسن منه²، وهذا النحو قليل في مطلب "البديع".

* * *

¹ - المسلك السهل ص222.

² - نفسه 249.

نرى بعد هذا أن الإفراني جمع في شرحه بين اتجاهين طالما اعتبرا مختلفين أو متباينين وهما اتجاه "المعاني" واتجاه "البدیع"، فركزه على التراكيب والعلاقة بين الكلمات والقيمة التي تكتسبها اللفظة من موقعها مما يرجع إلى علم المعاني الذي تحدثت معالمه من خلال جهود عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) فيما سماه بالنظم. وأغنى الزمخشري هذه الجهود بتطبيقها على آيات القرآن في (الكشاف)¹ وهذا الكتاب هو، في تقديري، المدرسة التي تخرج منها الإفراني في القدرة على التمييز بين التراكيب وإدراك قيمتها. يقول في شرح البيت الثاني: ".فإن قلت: ما وجه العدول للإتيان بالظروف في قوله: فهو في حر وخفق؟ وهلا قال: حار وخافق؟ قلت: وجهه مراعاة الأبلغية، ولا خفاء أن قولك: فلان في حزن أبلغ من حازن، وفي سرور، أبلغ من مسرور، وسببها واضح، فتأمل. وهذه لطيفة استفنتها من الكشاف في غير ما موضع"².

ولم ينكر الإفراني كتاب الكشاف من بين مصادره في أول المسلك السهل، وإن أحال عليه أثناء الشرح. وسبب ذلك، فيما نرى، أنه لم ينقل منه نصوصا. على أن اهتمام الإفراني بالزمخشري يظهر من تلخيص أخباره في تقييد سماه: طلعة المشتري في التعريف بمحمود الزمخشري، عدا حديثه عنه في المسلك السهل. وفي أزهار الرياض من الأخبار والشعر وما يبرز اهتمام المغاربة وغيرهم بالجانب البلاغي من كتاب الكشاف، برغم ازورارهم عن آراء الزمخشري الاعتزالية³.

أما المصدر الذي استفاد الإفراني منه في الاهتمام بقيمة الكلمة فهو شرح البردة للأليوري. وهو من مصادره المسطرة في أول الكتاب، فهذا الشارح يهتم اهتماما ملحوظا بقيمة الكلمة في موقعها على نحو ما نوردته هنا في شرحه للبيت الأول:

أمن تنكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

¹ - البلاغة تطور وتاريخ 219 وما بعدها.

² - المسلك السهل ص 174.

³ - أزهار الرياض 3/282-325.

قال: استعمل لفظ "جيران"، ولم يقل لفظ أحباب، والوزن يساعده، فراراً من اللفظ المبذول، لأن الأحباب لفظ مبذول، لا يستعمله إلا ضعفة الشعراء. والقوي العارضة منهم، يجتنب الألفاظ المبذولة، ويتحامي ما يكثر ترداده على ألسنة العامة من الألفاظ¹.

ويهتم الأليوري، مثل الإفراني، بالجانب النفسي، يحاول إبرازه من خلال تعابير الشاعر²، كما يهتم بالقيمة الموسيقية للكلمة أو التركيب، وفي هذا يرى أن "ذي سلم" في البيت اختيرت للمحافظة على الترصيع الذي يزيد به النظم حسناً، زيادة على ما فيها من كناية³.

وهذان المصدران، أي كتاب الكشف وشرح البردة للأليوري، وربما غيرهما، ساعدا الإفراني على الإفلات من سيطرة التيار البديعي في عصره، وأقاما توازناً بين المعاني والبديع في كتابه، بل إن أصالة الإفراني في هذا الشرح ظاهرة في جانب المعاني أكثر منها في البديع، بينما كان عمله في البيان يسيراً ومكملاً للمعنى والمعاني كما سبق.

واعتمد الإفراني فيما أورده من تعريفات علم البديع وشواهد على مصدرين أساسيين، هما خزانة الألب لابن حجة، وهو شرح لبديعية من نظم المؤلف. وأنوار التجلي لعبيد الثعالبي، وهو شرح لبديعية صفي الدين الحلي. وضعهما الإفراني على رأس مصادره في البديع فقال في الأول: "بديعية ابن حجة وشرحها له، وما رأيت مثل شرحها في الألب"، وقال في الثاني: "بديعية الصفي الحلي، وشرحها للثعالبي في مجلدة، وهو شرح حفي".

وكانت البديعيات غاية ما انتهى إليه الاهتمام بالبديع. ظهرت في النصف الأول من القرن السابع من الهجرة، إذ يعتبر الإربلي المتوفى سنة 670هـ أول من نظم قصيدة حرص على إيداع كل منها محسناً بديعياً. ثم نظم صفي الدين الحلي المتوفى سنة 750هـ مدحياً نبوية ضمنها عدداً وافراً من المحسنات البديعية، واشتهرت لسلاستها وعذوبة ألفاظها. ومن أهم شروحها أنوار التجلي على ما

¹ - شرح البردة مخطوطة خ. ع. برقم 530 ج، ص 7.

² - المصدر السابق 7.

³ - المصدر السابق 8.

تضمنته بديعة الحلي لعبيد الثعالبي، وهو في جزأين، وما يزال مخطوطاً. كما نظم ابن جابر الأندلسي المتوفى سنة 750هـ بديعة، شرحها رفيقه أبو جعفر الرعيني. وقد تردد ذكرها في المسلك السهل. "غير أن بديعته لم تظفر بالشهرة كما ظفرت بديعة ابن حجة الحموي المتوفى سنة 837هـ، وقد جعلها في مئة واثنين وأربعين بيتاً"¹. وعليها أقام شرحه خزانة الألب المذكور، وحشد فيه من شواهد الشعر والنثر ما جعله خزانة ألب بحق. واعتمد الإفراني على هذا الشرح في المقام الأول، كما تقدم، فأخذ منه أغلب مادته في قواعد البديع وشواهد، وتبنى آراء ابن حجة في قضايا أدبية مثل الإعجاب بالمبالغة والتورية، وحمل مثله على تشدد الصلاح الصفدي في محاسبة الشعراء وتتبع معانيهم بالنقد، وإغارته على معاني غيره.

واستمرت سيطرة البديع على الأدب والبلاغة طوال العصور التالية لعصر ابن حجة. فنظم فيه جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، وعائشة البعونية (ت 922هـ)، وصدر الدين بن معصوم الحسيني (ت 1117هـ)، وعبد المغني النابلسي (ت 1143هـ). وهذان الأخيران معاصران للإفراني². فكان من الطبيعي أن يتأثر الإفراني بهذه الثقافة التي تعتبر زينة العصر، ويبحث لها عن مكان في الكتاب. وكان النص المشروح مُسعفاً، فخرج مطلب البديع شبيهاً بشرح بديعة من سبعة وعشرين محسناً.

وقد أشرنا في مناسبة سابقة إلى تدخل مباحث علوم البلاغة أحياناً عند الإفراني، من ذلك حديثه عن التشبيه، والتشبيه المركب في البديع والبيان في الوقت نفسه. ويرجع ذلك فيما نرى إلى أن اتساع البحث في البديع جعله يبتلع بعض المباحث التي اعتبرت من علم المعاني، ومن ذلك الإطناب والتكرار والتفصيل والتذييل والاستقصاء والإيجاز والبسط³. وهكذا تضخم البديع ليشمل الصور

¹ - البلاغة تطور وتاريخ 362.

² - المرجع السابق 363 - 366. انظر كذلك تظهور البديعيات وتطورها في كتاب علم البديع 46 - 64 لعبد العزيز عتيق. واستمر البديعيون في نظم البديعيات وشرحها إلى العقود الأولى من القرن العشرين ومنهم محمود صفوت الساعاتي (1298هـ) والشيخ طاهر الجزائري (ت 1341/1922).

³ - البلاغة تطور وتاريخ 359.

البيان، وكثيراً من صور علم المعاني¹.

أما البيان فكان قد انكمش في تليخيصات المفتاح للسكاكي وشروحها، وأهمها المطول لسعد الدين النفاذاني الذي يعتبر من أهم مراجع الإفراني ومعاصريه. ولم يكن علم المعاني بموضوعاته المحدودة على أهميتها، ميداناً مسعفاً لبسط القواعد وجلب الشواهد.

* * *

وينطلق الإفراني في شرحه لهذا الموشح من الإعجاب به، فيهتم بإظهار جماله، وتعليل ذلك الجمال. غير أن هذا لم يدفعه إلى التتويه بما لا يستحق التتويه من كلام ابن سهل، ولا إلى غض الطرف عما بدا له من مأخذ. فأخذ عن ابن سهل بعض تعابير، فرد عليه استعمال الوالو في قوله: "وفؤادي" مرجحاً عليها الفاء لإيذانها بالسببية، كما رجحها بعض أصحابه، فقال الإفراني: "المعاني: عبر بالوالو في قوله: "وفؤادي". وقال بعض أصحابنا: إن التعبير بالفاء أحسن. وهو ظاهر لما فيها من الترتب على ما قبلها، أي فبسبب سكر جفونه وعربته لا ينتبه فؤادي من رقة سكره، وأما الوالو فلا تخلص في هذا المحل من قلق"².

وقد الإفراني عبارة ابن الخطيب: "جال في النفس" على عبارة ابن سهل: "حل من نفسي"، فقال: "وعندي أن تعبير لسان الدين بن الخطيب في معارضته السالفة بالمجال ألطف من تعبير ابن سهل بالمحل، وإن كان لسان الدين أخذ منه"³.

على أن عدم احتفال الإفراني ببعض أبيات الموشح والاقتصار في شرحها على ما سبق، أو اعتبارها "أسامياً لم تزد معرفته" على نحو ما سبق، يعتبر، في حد ذاته، مأخذاً عاماً مهنياً.

¹ - البلاغة تطور وتاريخ 366.

² - المسلك السهل ص 333.

³ نفسه 303.

ونرى، في الختام، أن موازنة الإفراني بين المعاني والبيان، من جهة، والبديع، من جهة أخرى، جدير بأن يثير الشك حول نظرية ابن خلدون في أن المغاربة أميل إلى البديع لسهولة على حساب البيان والمعاني الدقيقي المطلوب والصعبي المأخذ¹، كما يقلل من أهميته استثمار الدكتور بدوي طبانة لهذه النظرية لتجريد المغاربة من القدرة على الابتكار، والاكتفاء بالنقل عن المشاركة².

¹ - مقدمة ابن خلدون

² - البيان العربي 137 - 138.

ج - تحقيق الكتاب

المخطوطات المعتمدة

لقي كتاب المسالك السهل قبولا لدى الأديباء المغاربة جعل عدد النسخ المخطوطة منه تعد بالعشرات (عدا الطبعة الحجرية التي صدرت بفاس). يوجد بالمكتبتين الملكية والعامية بالرباط وحدهما ثلاث وعشرون نسخة. بعد المقارنة بين هذه النسخ تبين أن أحسنها وأصحها هي نسخة الخزنة الملكية بالرباط رقم 1761، تليها نسخة أخرى في الخزنة نفسها برقم 9918، وتليها نسخة الخزنة العامة رقم 171 ج. فاعتبرنا أن النسخة الأولى الأصل الأول المعتمد في التحقيق، والنسخة الثانية أصلا ثانيا مكملًا للأولى، واعتبرنا نسخة الخزنة العامة نسخة مساعدة. ورمزنا للأصل الأول بكلمة (الأصل)، وللأصل الثاني بحرف (ب)، وللنسخة الثالثة المساعدة بحرف (ج).

1 - نسخة الأصل.

عدد أوراق هذه المخطوطة مائة وعشر ورقات. في كل صفحة منها اثنان وعشرون سطرا. وهي بخط مغربي معتاد جميل، يسير على وثيرة واحدة من أول الكتاب إلى آخره. ويستترك الناسخ ما فاتته من كلمات أو عبارات في الحواشي مع حرف (ط)، ويكتب الكلمات غير الواضحة في المتن مع إشارة التصحيح "صح". كما استترك في الورقة 77 ظ سهوا حين انتقل من مطلب "المعنى" في البيت الثالث عشر إلى البيت الرابع عشر، ثم عاد فشطب ذلك وكتب "المعنى".

وفي أول الورقة 25 ظ بياض استترك المؤلف فيه بعض ما فاتته حين تبييض الكتاب.

وعادة الناسخ أن يكتب أبيات الشعر في سطر مستقل إلا في حالات قليلة. ويكتب أبيات الموشح بالأحمر وكذا بعض العناوين.

وتوجد في أول هذه المخطوطة لائحة بمصادر التأليف بخط المؤلف. كما توجد بين البسملة والحمد في أول الكتاب العبارة التالية: "يقول العبد الحقير، المخطئ الفقير، المرتجي غفو مولاه محمد

الملقب بالصغير، بن محمد بن عبد الله الإفرائي نجاراً، المراكشي داراً، تاب الله عليه، ووجه قلبه إليه". ونعتقد أنها (أي العبارة) من خط المؤلف، أو خط صاحبه محمد صالح الشرقي صاحب هذه المخطوطة. كما يوجد خط المؤلف بطرة الكتاب في أوله وآخره، ففي الورقة 2 ظ يعلق على عبارته: "وحقيقة تزي بشقائق ابن الشقيقة" بقوله: "ط ابن الشقيقة هو النعمان بن المنذر". وفي طرة الورقة 4 ط تعليق على قول الشاعر:

خرجنا على أن المقام ثلاثة فطاب لنا حتى أقمنا به شهراً

بقوله: "ط هذا البيت رأيته في منطق الطير غير معزوف، ثم وقفت عليه في مقطعة ذكرها الشريشي الكبير، ونسبها للحسن، ولعله ابن هاني، إلا أنه قال: حتى أقمنا بها شهراً". وفي طرة الورقة 5 و بقايا كلام من خط المؤلف نستعين في نقله هنا بالنسخة (ب) وهو يتعلق بنسبة بيتين في المتن جاء فيه: "البيتان لأبي روح الجزيري، إلا أنه قال أحن إلى الخضراء، يعني جزيرة الأندلس". وفي طرة الورقة 8 و، تعليق على رأي أحد مشايخه في المتن جاء فيه: "ط هذا الذي قاله هذا الشيخ هو الذي كنت أقول به ولم أزل، قا....".

وفي الورقة الأخيرة من هذه النسخة في الزاوية اليمنى السفلى كتب المؤلف بخطه: "كان فراغي من تبييضه أوائل رجب من عام ثمانية وعشرين ومائة وألف بالمدرسة الرشيدية من مدينة فاس، قاله مؤلفه محمد....".

وقد أثبتنا هذه التعليقات في حواشي المسلك السهل حيث التحقيق، وهي تدل على أن المؤلف راجع هذه المخطوطة كلها أو بعضها، أو قرئت عليه، أو استشير في بعض قضاياها فعلق عليها بخطه.

وناسخ هذه المخطوطة من أصحاب الإفرائي نسخها من مبيضة المؤلف، لقوله في آخرها: "وكان الفراغ منه من مبيضة جامع ومؤلفه صاحبنا الفقيه النبيه السيد الصغير المراكشي حفظه الله ورعاه في النصف من رجب المبارك عام ثمانية وعشرين ومائة وألف....".

ويدل انتهاء النسخ من النسخ في أقل من خمسة عشر يوماً على أنه ربما كان يساير المؤلف في نسخ الكتاب فصلاً فصلاً، ويستعين به على ما يجده من صعوبات، ولا يبعد أن يكون هو الآخر من طلبة المدرسة الرشيدية التي أنهى فيها الإفراني تأليف المسلك السهل.

وكانت هذه النسخة في ملك محمد صالح الشرقي، ثم آلت إلى ابنه المعطي، ولا يبعد أن يكون هو ناسخها، ففي الزاوية اليمنى العليا من الورقة 1 أو منها العبارة التالية: "عارية من عواري الدهر بيد (....) وكتبه (.....) بخط يده الفانية محمد المدعو بالصالح بن محمد الملقب بالمعطي الشرقي التادلي العمري الفاروقي، عفا الله عنه"¹. وفي المكان نفسه من الورقة 2 و "المعطي بن الصالح بن محمد (.....) بن محمد الشرقي (.....) نسباً للتادلي داراً (.....) تاب الله عليه، وعامله (.....) خير هو لديه هـ"².

ولكل المزايا السابقة اعتبرنا هذه النسخة الأصل الأول المعتمد في تحقيق الكتاب. وهي تكاد تغني عن غيرها لولا أن الأرضة عثت بأطرافها فأتلفت كلمات وحروفا كثيرة، وما زالت تعيش فيها فساداً كما فقدت منها الورقة 40 ظ فاقضى الأمر أن نبحث عن نسخة مكمله لهذه النسخة، فاخترنا مخطوطة الخزنة الملكية رقم 9918.

2 - مخطوطة الخزنة الملكية رقم 9918: (ب).

وهي مخطوطة عارية من تاريخ النسخ. عدد أوراقها مائة وورقتان، في كل صفحة منها واحد وعشرون سطراً. وهي بخط مغربي معتاد واضح. وصفحاتها مؤطرة بخطين أزرقين يحيط بهما خط أحمر. يميز كاتبها بين النثر والشعر في الكتابة. كما يبرز الأبيات والعناوين بالألوان. وهو ناسخ متمرس، أمين، لا يتخلل في تغيير ما غمض عليه. وليس على هذه المخطوطة خطوط أخرى غير خط النسخ، وهي كاملة وسليمة. نقل صاحبها بعض تعليقات الإفراني التي كتبها بخطه في أول نسخة (الأصل) مع النص حيناً على أنها "من خط المؤلف". ونعتقد أنها نسخت من (الأصل)

¹ - مابين قوسين أكل، أرضة.

² - ما بين قوسين أكل أرضة.

مباشرة قبل أن تعبت به الأرضة، وذلك يجعلها أقدم النسخ بعد (الأصل) بقطع النظر عن تاريخ نسخها، كما يجعلها أحسن مكمّل لهُ. فاعتبرناها لذلك أصلاً ثانياً ورمزنا إليها بحرف (ب).

ولكثر ما استتركناه منها من خروم في (الأصل) اكتفينا بحصر ما نقل منها بين معقوفين بدون إحالة. أما حين يكون التكميل من غيرها فإننا نحصره بين معقوفين ونحيل على الأصل المنقول منه.

3 - مخطوطة الخزنة العلية رقم 171 ج: (ج).

وإذا كانت المخطوطتان السابقتان تصحان عن نفسيهما لمزايهما الظاهرة، فإن اختيار النسخة الثالثة كلفني مقارنات مضمّنة بين النسخ الثلاث والعشرين.

عدد أوراق هذه النسخة مائة وثمانين وعشرون ورقة، في كل صفحة منها ثمانية عشر سطراً. وهي بخط مغربي معتاد جميل وواضح. وصفحاتها مؤطرة بخطين أزرقين. انتهى منها النسخ سنة 1265هـ، وقد كتب العناوين والتبويض بالأزرق. وليس عليها شيء من التعاليق المنقولة من خط الإفرائي، فنعتقد أنها منقولة عن أصل آخر. وفيها بترٌ حوالي ست عشرة صفحة، يبتدئ من الصفحة السابعة والعشرين، ذهب بآخر السمت الأول من المقدمة، وحوالي صفتين من أول السمت الثاني منها. وميزة هذه النسخة في سلامتها سلامة تامة من أخطاء النسخ المستقلة في النسخ الأخرى، بل تتعدى ذلك لاقتراح حلول لبعض الإشكالات الموجودة في الأصل، فيظهر أن صاحبها محمد الغماري الزجلي، الذي نسخها بخط يده لنفسه، كان عالماً أدبياً مطلعاً على قضايا الشعر، ملماً بالعروض، ولذلك اخترناها نسخة ثالثة مساعدة في التحقيق، ورمزنا إليها بحرف (ج)، كما تقدم.

ولم نتردد في الاستعانة بباقي المخطوطات كلما دعت الضرورة لذلك، غير أن قصارى ما استفدناه منها هو تسهيل قراءة بعض الكلمات الملتبسة في (الأصل). وأحسن النسخ بعد المخطوطات الثلاث السابقة هي مخطوطة الخزنة العامة بالرباط رقم 1692 ك، وهي منقولة لاشك عن نسخة (الأصل)، ففيها تلك البداية التي امتاز بها الأصل و(ب) وهي قول الإفرائي: "يقول العبد الحقير...". ونقل ناسخها بعض تعليقات الإفرائي على نسخة (الأصل) ونص على أنها من خط المؤلف.

أما مطبوعة الكتاب، فقد طبعت بمطبعة الباسي بفاس سنة 1324 هـ طبعة حجرية على نفقة محمد بن القاسم الباسي، وتصحيح الفقيه أحمد بن العباس كما هو مبين في آخر هذه الطبعة. وعدد صفحات المطبوع مئتان. وليس فيه ما يمتاز به عن سائر المخطوطات، ولا يسمو بحال إلى كمال (الأصل) المخطوط المعتمد عندنا. وقد نظرنا في النسخة المطبوعة مرارا فلم نجد فيها ما يشفي الغليل في بعض الإشكالات التي استعصت على نسخ المخطوطة المعتمدة عندنا. وهي إلى ذلك مليئة بأغلاط الطبع.

والواقع أن المصادر التي نقل عنها الإفراني شواهد الشعر ونصوص الأخبار كانت الأصل الثالث الذي اعتمدنا عليه في التحقيق بعد نسخة (الأصل) والنسخة (ب)، فهي وحدها التي أسعفتنا في الوصول إلى حلول لكثير من الإشكالات الناتجة عن أخطاء النسخ في نسخة (الأصل) ونسخة (ب) حيناً، وعن تصرف الإفراني في بعض النصوص حيناً آخر.

وإلى جانب ما تقدم كانت قراعتي المستمرة والدائمة لمؤلفات الإفراني الأخرى، والتمرس بأسلوبه، وكذا التعمق في ثقافة العصر من جملة ما ساعدني على فهم الكتاب وحل إشكالات النسخ فيه.

طريقتنا في تحقيق الكتاب

انصب عملنا في المرحلة الأولى على استخراج نسخة قريبة من نص الكتاب كما وضعه مؤلفه اعتماداً على المقارنة بين المخطوطات. ثم اتجهنا بعد ذلك إلى تخريج نصوص الشعر والنثر التي نقلها المؤلف من مصادر مختلفة ومتنوعة جداً اعتماداً على فهرس أولية لمادة الكتاب.

ثم سارت عملية التحقيق في خطوات وثيدة (أكثر من خمس سنوات موصولة) لتحقيق المطالب التالية:

1 - نسبنا النصوص المنقولة في المسلك السهل إلى مصادرها، لاسيما نصوص الألب واللغة والبلاغة إلا ما ندر، مع حصر ما نقله الإفراني منها بالنص بين أقواس مزدوجة، و الإشارة إلى الفروق التي توجه المعنى. وبالاستعانة بالمصادر الأصلية للنصوص المنقولة، وبمخطوطات المسلك السهل الأخرى، أمكن تصحيح الأخطاء الناتجة عن النسخ¹، وتصحيح بعض الأسماء التي وقع فيها تحريف في المسلك السهل وفي بعض المصادر التي نقل عنها كذلك²، وكذا أسماء بعض الكتب³.

2 - ذكرنا في الحاشية تنمة بعض النصوص المنقولة في المسلك السهل وبيننا ما وقع في بعضها من تحريف أدى إلى تغيير المعنى، وذلك حتى يسهل على القارئ فهمها في سياقها الأصلي ويرتفع عنها اللبس⁴.

3 - أضفنا إلى متن الكتاب كلمات وعبارات يسيرة حذفها الإفراني من النصوص التي نقلها، وكان حذفها مخرلا بالمعنى، الأمر الذي ساهم في حل كثير من الإشكالات المتبقية بعد النسخ والمقابلة⁵.

4 - رأينا في الكتاب ألياً من الشعر مضطربة الوزن فاجتهدنا لتقويمها بالاستعانة بمصادرها الأصلية في دولوين الشعراء أو كتب الألب، أو بالنظر إلى ما في النسخ الأخرى، وقد لمتازت النسخة (ج) بتقديم حلول لبعض هذه الإشكالات⁶.

¹ - انظر مثالا لذلك في الصفحة 323 الحاشية 3 والصفحة 135 الحاشية 4. والصفحة 136 الحاشية 1.

² - انظر أمثلة لذلك في الصفحة 236 الحاشية 1، والصفحة 324 الحاشية 3، والصفحة 328 الحاشية 1، والصفحة 417 الحاشية 3 والصفحة 423 الحاشية 5.. الخ.

³ - على نمط ما في الصفحة 87 الحاشية 8.

⁴ - انظر مثال ذلك في الصفحة 88 الحاشية 2، والصفحة 163 الحاشية 2، والصفحة 264 الحاشية 1، 2، 3. والصفحة 116 الحاشية 1، والصفحة 415 الحاشية 1.

⁵ - من ذلك إسقاط عجز بيت من الشعر وصدر الذي يليه، وتكوين بيت كامل من صدر الأول وعجز الثاني في الصفحة 83 الحاشية 4، والصفحة 115 الحاشية 2 و 4.

⁶ - انظر مثالا لذلك في الصفحة 353 الحاشية 2، والصفحة 185 الحاشية 1.

5- صححنا نسبة بعض الآيات الشعرية التي وهم الإفراني في نسبتها¹. ونسبنا بعض ما لم ينسبه منها.

6- شرحنا بعض الألفاظ الغريبة في الشواهد التي أوردها الإفراني، مع تجنب إقبال الحواشي. وقد رجعنا في ذلك إلى القاموس المحيط للفيروز آبادي، وهو مصدر الإفراني الأول في اللغة، والصاحح للجوهري، والأساس للزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي وغيرها. كما رجعنا إلى المعاجم الخاصة، مثل الروض المعطار ومعجم البلدان ومعجم نوزي، مع إثبات المعجم المعتمد في الحاشية في غالب الأحيان.

7- شرحنا بعض النكت البلاغية التي قد تستغل على بعض القراء، كـ (التوجيه) بأسماء الكتب ومصطلحات العلوم. ولشروع هذه الظاهرة البلاغية في الكتاب اقتصرنا على شرح المستغل منها ليكون وسيلة لفهم ما دونه.

8- عرفنا بحوالي مائة علم من أعلام الأدب من عصور مختلفة، وصححنا ما وقع في أسماء بعضهم من تحريف على نحو ما سبق²، مع الاهتمام بالمغاربة والأندلسيين وأهل العصور المتأخرة، وذلك لما لهم من مساهمة في الثقافة التي يمثلها المسلك السهل، مع تحاشي التفاصيل غير المفيدة، وأشرنا إلى أهم مصادر ترجمتهم.

9- عرفنا ببعض الكتب والمؤلفات التي لها صيت ومكانة في عصر المؤلف وتردد ذكرها في المسلك السهل، لاسيما ما ليس مطبوعاً أو متداولاً منها.

10- ضبطنا بالشكل آيات القرآن والأحاديث النبوية ونصوص الشعر وأواسط بعض الكلمات ولولآخرها.

¹ - انظر الصفحة 399 الحاشية 3 و 4 الصفحة 319 الحاشية 1 و 3.

² - انظر الصفحة 136 ح: 2، 3، 4، 5 و ص 137 ح 1، والصفحة 196 ح 4. والصفحة 197 ح 5 و 358 ح 3.

هذه نظرة موجزة عن عملنا في التحقيق، هدفنا منها إلى تصحيح النص وتقريبه من الصورة التي أخرجها المؤلف أو تمنّاها له، مع تصحيح ما فاتته أو التّبس عليه. والكمال لله وحده.

مقدمة الشارح

التعريف بالوشاح والموشحات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد

يقول العبد الحقير، المخطئ الفقير، المرتجي غفوَ مولاهُ، محمدَ الملقبُ بالصغير ابنُ محمدِ بنِ عبدِ الله الإفرانيّ نجاراً، المراكشيّ داراً، تاب الله عليه، ووجه قلبه إليه:

الحمد لله الذي وشّح جيدَ أهلِ الألبِ بعقود البيان التي [هي] على الشرف عنوانٌ، وسرّحَ عيونَ أفكارهم في حدائقِ كلامِ العربِ فقطفوا أزهارَ المعاني من أكمّامِ الألفاظِ "صِنُونٌ" وغيرُ صِنُونٍ¹، وتَوَجَّ مفارقهم بإكليلِ التبيان، وحلّى لبّاتهم في المقاماتِ بعقيانِ القلائدِ، وقلائدِ العقيانِ²، وأطلعَ في سماءِ عقولهم من ملحِ البديعِ شُموسها، وراضَ لهم جموحَ التراكيبِ، فنلَّ من لطائفِ الأساليبِ شُموسها، فسبحوا في بحرِي المديحِ والهجاءِ بأجملِ إشارةٍ وأكملِ احتجاج، فـ "هذا عَذْبُ فَرَاتٍ سائِغٌ شَرَابُهُ، وهذا مِلْحُ أَجَاجٍ"³. وتَلَفَّعُوا بثوبِ الاقتنانِ في فنونِ الأغراضِ، ورَمَوْا بسهمِ الإصابةِ مُستهتِفَ الأغراضِ⁴، وغاصوا في قاموسِ اللغةِ⁵ على صحاحِ الجواهر⁶، واقتنَعُوا سفينةَ الغزلِ في تيارِ المعاني

¹ - اقتباس من الآية: "وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتجاوِراتٍ وَجَنَّتْ من أَغْتابٍ وَزَرَعَ وَتَخِيلَ صِنُونٌ وَغيرُ صِنُونٍ تُسَقَى بِماءٍ وَّاحِدٍ". سورة الرعد (4/13).

² - يشير إلى كتاب قلائدِ العقيانِ للفتح بن خاقان، وهو من الكتب التي راجت في هذا العصر.

³ - اقتباس من الآية: "وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ، هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحُ أَجَاجٍ". سورة فاطر 12/35.

⁴ - الأغراض الأولى يريد بها أغراض الشعر، والثانية الأهداف يُرمى فيها، مفرداً غرض.

⁵ - يشير إلى معجم القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزبادي، والقاموس في أصل اللغة هو البحر، ولهذا قال: "غاصوا".

⁶ - إشارة إلى معجم صحاح اللغة وجواهر العربية للجوهري.

فَغَنِمُوا كُلَّ مَعْنَى أَزْهَر¹، وتَلَوُّوا فِي حُلَلِ الْكَلَامِ تَلَوْنَ الْحَرْبِ، وَتَخَيَّرُوا مِنْ بَدَائِعِ الْمُحَسَّنَاتِ كُلِّ مَقْصَدٍ سَمًا وَأَرْضِي، فَمِنْ مَجَازِ الْفَصَاحَةِ مَجَازٌ، وَحَقِيقَةُ تَزْرِي بِشَقَائِقِ ابْنِ الشَّقِيقَةِ²، وَإِيجَازٌ تَقْلَدُ بَدَائِلَ الْإِعْجَازِ³، وَتَشْبِيهِ بِلا شَبِيهِ، وَتَقْسِيمٌ وَسِيمٌ، وَتَمْلِيحٌ مَلِيحٌ، وَغُلُوٌّ فِي غَايَةِ الْغُلُوِّ، وَجَنَاسٌ مُوصُولٌ بِالْإِنْسَانِ، وَتَمَثِيلٌ بِلا مَثِيلٍ، وَإِيْهَامٌ يَحْيِرُ الْأَفْهَامَ، وَ[تَفْ-]رِيقٌ فِي الْحَسَنِ عَرِيقٌ، وَحُسْنٌ خِتَامٌ، كَشَفٌ عَنْ وَجْهِهِ الْبَدَائِعِ اللَّثَامُ، فَسُبْحَانَ مَنْ آتَاهُمُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ⁴، وَجَعَلَ أَلْسِنَتَهُمْ لِيَزِيدَ الْبَلَاغَةَ أَحْسَنَ وَطَابَ، وَحَسَّنَ بِهِمْ خُمَائِلَ الْقَرِيضِ، فَكَأَنَّهُمْ فِي فَمِ الْأَشْعَارِ ابْتِسَامٌ. وَخَصَّ كَلِمَتَهُمْ بِرُقِيَّةِ النُّفُوسِ، فَلَوْ رَقَّوْا بِهَا مَرِيضًا مَا طَرَقَ سَاحَتُهُ السَّامُ، وَأَدَارَ عَلَيْهِمُ رَاحَ الْمَلْحِ، فِي حَانَ الْخَلَاعَةِ فَأَصْبَحُوا حَيَارَى، "وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى"⁵؛

هُمُ الْقَوْمُ فَأَجْهَدُ فِي اتِّبَاعِ سَبِيلِهِمْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ شَيْهًا لَهُمْ فَتَشَبَّهِهُ
اللَّهُمَّ كَمَا رَفَعْتَهُمْ مِنْ سَمَاءِ الشَّرَفِ مَكَانًا عَلِيًّا، وَأَلْبَسْتَهُمْ مِنْ بُرُودِ السَّعْدِ وَالْقَبُولِ حُلِيًّا، فَاجْعَلْنَا مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِمَا كَانَ لَجَمُوحِ الْمَعَانِي فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مُحْكَمِ الْأُرْسَانِ، بِجَاءِ مَنْ إِذَا خُتِمَ الدَّعَاءُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ أَسْرَعَتْ بِالْإِجَابَةِ، مَوْلَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الَّذِي ظَهَرَتْ عَلَى أَسْرَةٍ وَجْهَهُ، وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، مَخَابِيلُ النُّجَابَةِ، أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَمْلَاقِ، فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى وَأَحْرَى، الْقَائِلُ، "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى"⁶: "إِنَّ مِنَ الْبَيِّنَاتِ

¹ - قد يكون هذا إيماءً من المؤلف إلى أبي منصور الأزهري صاحب معجم تهذيب اللغة.

² - في حاشية الأصل، بخط المؤلف: "ابن الشقيقة هو النعمان بن المنذر".

³ - دلائل الإعجاز هي علاماته يشير إلى كتاب عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز.

⁴ - اقتباس من الآية "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ" (سورة صاد 20/38).

⁵ - سورة الحج 2/22.

⁶ - اقتباس من الآية: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى". (سورة النجم 53/3).

لَسِحْرًا¹، والآخذُ من البراعة بالترائب، حين أخذ الناس بالعراقيب والأعضاء، الناطقُ بجوامع الكلم، ولا غرو فهو أفصحُ من نطقِ بالصاد. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم براعة استهلال هذه الشريعة، المعتنون² بنقد جواهر كلام العرب في الجِدِّ والهزل، مع عظيم حرصهم على سدِّ النريعة، والرضا عن كل من كَمَلَ نوعُ إنسانيته بخاصة الأديب، ففضّل بها عن أبناء جنسه، وبذل في افتضاض ألكار القصائد وعرائس مخدرات الأراجيز حشاشة نفسه، علماً منه بأن الأديب به تتفاوت المقامات [في المشاهد]، ويستحق الغائبُ التقدّم على الشاهد. ولعمري إن كل من لا يتعاطى الأديب، ولا ينسلّ لاجتلاء غُرره، واجتلاب ثرره من كل حنّب، ما هو إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مُرسلة.

ولما كان توشيحُ إبراهيم بن سهل رِيحانة كل من له إلى الألب انتساب، ونخـ[يرة] أهل الجزيرة التي هي من أجلّ للنخائر وأفضل الاكتساب، فقد أ[جمعت] كلمة أرباب البلاغة، واتفق رأي من نهض لتصفية إبريز المعاني من الصّاعة، على أنه عَنَاءُ مَغْرِب، الذي لا يؤتى بسورة من مثله في مَشْرِق ولا في مَغْرِب،

وَمَشْرِقٌ حَتَّى لَيْسَ لِلْمَشْرِقِ مَشْرِقٌ وَغَرْبٌ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبٌ

فلو تصدّى لمعارضته النابغة، لأقرّ بإعجاز محاسن السابغة³، أو ألحد في آياته شاعر بني أسد⁴، لشدّ لسانه بحبل من مسد⁴ ولو بصُر به حبيب بن أوس، لم يمكنه المناضلة إضياء قوس، أو المتنبّي، كانت معجزته مقرونة بالتّحدي، أو أبو العلاء، أقرّ على نفسه

1 - الموطأ 698 وفيه: "قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله (ص): "إنّ من النّبيان لَسِحْرًا" أو قال: "إنّ بعض النّبيان لَسِحْرٌ"، (انظر مجمع الأمثال وزهر الآداب. 6/1).

2 - في الأصل: "المعتنين"، ولم نر له وجها، إلا أن يكون وصفا لـ "آله وأصحابه".

3 - شاعر بني أسد هو: عبيد بن الأبرص الأسدي وهو من قدامى الجاهليين.

4 - اقتباس من الآية "وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جَيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ" (المسد 5/111).

بما لم تستطعه الأوائل بالتعدي¹، أو ابن بسام، لما سام في مضمار المساجلة سلّ حسام. فـيا له من توشيح ردّ عيون أعيان هذه الصناعة من الحياء مطرقة، تالية آيائه على من قاسها بامريء القيس، "فلا تميلوا كلّ الميّل فتكروها كالمعلقة"². وفيه وفيه، مما لا أعدّه ولا استوفيه.

طلب مني بعض من اتخذ ترداده ورداء، وارتوى من زلال معانيه المترقرة على صفا ألفاظه ورداء، وجعله في ساعة الفرح، تميمة من الترح، أن أكتب عليه ما يوضح غامض معانيه، ويأخذ بمجامع قلب معانيه، ويسفر عن وجوه لطائفه مُسدلّ الحجاب، ويُدير على حفاظه من سلافيه كؤوس الإعجاب، فقلت: يا هؤلاء؟ "لقد جئتم شيئاً إذا"³، وسألتم ما سجل عليه قاضي العجز و[لدي]، وتطلبتم ما هو "أبعد من بيض الأنوق"⁴، و"أغرب من الأبلق العقوق"⁵، من أين للزمن أن يجاري الراكب، ومتى ساوت العرايب المناكب؟ ومن أجهل ممن يعارض البحر بالوشل⁶؟ أو يقاوم النشاط بالفشل؟ أو يساوي الجوهر الفرد بالحصا؟ أو يجمع في غمد القراطيس⁷ بين السيف والعصا؟ على أني لو لبيت النداء، وسقطت على

¹ - إشارة إلى قول المعري:

وإنّي وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل.

(شرح سقط الزند، القسم الثاني 525)

² - سورة النساء 129/4.

³ - اقتباس من سورة مريم 89/19.

⁴ - من أمثال العرب "أعز من بيض الأنوق". والأنوق: الرخم. ويضرب المثل ببيضاها للأمر العسير،

لأنها تبيض في رؤوس الجبال. وقيل: "الأنوق ذكر الرخم، ولابيض له". (أفعل من كذا 40).

⁵ - يقال: "سألتنني الأبلق العقوق" وهو الذكر من الخيل، ويقال: فرس عقوق، إذا حملت فامتلاً بطنها،

فالأبلق العقوق محال، (الكامل للمبرد 271/2، ولسان العرب: عق) وقد تمثل معاوية ببيت جمع فيه

صاحبه المثلين:

طَلَبَ الْأَبْلَقُ الْعُقُوقَ، فَلَمَّا لَمْ يَنْلَهُ، أَرَادَ بَيِّضَ الْأُنُوقِ

⁶ - الوشل: الماء القليل يرشح من صخر أو جبل.

⁷ - القراطاس هنا، على ما يبدو، أيّم ينصب للنصال، ويسمى الغرض قرطاسا، (لسان العرب: قرطس).

شرحه سقوط النداء، لِقِيلَ لي: ليس هذا بعشك فادرج،¹ وما النادي بنادي أمثالك فاخرج،
فَنَقِيلُوا، ولا تَقُولُوا²:

قَدْ يُذْرِكُ الْمَجْدَ الْفَتَى وَلِيَّاسُوهُ خَلَقَ وَجَبَّ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ
فما زادهم تحذيري إلا إغراء وإلحاحاً، ورأوا أحاديثَ اعتذاري ضعيفةً، وأحاديثَ سؤالهم
صباحاً، وتَمَالاً على التَّصْمِيمِ سرُّهم ونجواهم، و "مَا زِلْتُ تِلْكَ دَعَوَاهُمْ"³. ولم يكن في
غُزِّي لهم من مَقْنَعٍ، وأحبَّ شيءٍ إلى الإنسان ما اِمْتَنَعَ. فلما رأيتُ أنه لا بُدَّ من صُنْعاً⁴،
أُجِبْتُهُمْ وَإِنْ كُنْتُ لَا أَحْسَنُ صُنْعاً، ففَوَّقْتُ للشروع سَهْمَ الْعَزْمِ، وَأَطَرْتُ عن زنده شررِ
الْحَزْمِ، وَأَخْلَعْتُ على مُعَلِّ التَّوَانِي حرفَ الْجَزْمِ. ونهضتُ وأنا "أَحْيَرُ مِنْ صَبِّ"⁵، وَأَشْغَلُ
مِنْ صَبِّ. فرسمته في صحائفِ الوهم، وصقلتُ لمناولته صدأَ الفهم، وحبَّبَ لي أن أجعله
أَمَماً: نَزَحَ عَنْهُ تَقْصِيرَاتُ الشُّرُوحِ وإفراطها، تَمَسُّكاً بِقَوْلِ الْمُصْطَفَى: "خَيْرُ الْأُمُورِ
أَوْسَطُهَا"⁶. وجعلتُ الكلامَ على كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ مَنْحَصِراً في مَطَالِبٍ:
أولها: تَفْسِيرُ أَلْفَاظِهِ اللُّغَوِيَّةِ، وقمته لأن ذلك طريقٌ إلى تحصيلِ ما بعده.

1 - هذا مثل عربي أصله: "لَيْسَ هَذَا بِعَشْكَ فَادْرُجِي" (مجمع الأمثال 130/2).

2 - ورد البيت في الموشى 159.

3 - اقتباس من سورة الأنبياء 15/21.

4 - اقتباس من الرجز:

لَا بُدَّ مِنْ صُنْعَا وَإِنْ طَالَ السَّعِيرُ
وَإِنْ تَحَنَّى كُلُّ عَوْدٍ وَتَبَرَّرَ

يوجد الشطر الأول منه في لسان العرب (صنع).

5 - قال في مجمع الأمثال 1/ 237: "لأنه (أي الصب) إذا فارق جُحْرَهُ لم يهتد للرجوع إليه".

6 - لم يرد هذا الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ولا في كتب الحديث التي تيسر الاطلاع
عليها، ومنها الفائق للزمخشري. وفي الكامل 1/ 243: "ومن كلامهم: خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا". وصنّفه
المحقق مع الأمثال.

ثانيها: رفع القناع عن معنى التركيب، وتنزيل المعاني على الألفاظ، ونسق بعضها ببعض، حتى تكون من حيث المعنى كأنها سبيكة إبريز، تشهد لصانها بالتقّم في الصناعة والتبريز.

ثالثها: وشي حلل البيت بسلك المعاني ثم بجوهر البيان، ثم بواقيت البديع، وهذا أطف المطالب وأعلاها، وأغلاها، إذ هو مضمار ما يقع به التفاضل، وينعقد بين الأمل في شأنه التسابق والتناضل.

رابعها: الإعراب، الذي هو سبب لفهم فحوى الكلام وظهور لحن الخطاب.

وربما ألمع في خلال هذه المطالب بما رأيت له مماسّة بالمقام، مما تُثيره المناسبة ونقتضيه، وتميل إليه الفطر السليمة وترتضيه، من النظم الجزل، [في] الجد والهزل، ومستظرف الحكايات التي يحصل بها للناظر الإمتاع، ولا يعدها من سقط المتاع المبتاع. وقد قيل: إن الحكايات عروس، والمتكلم ماشطتها، والأخبار عقود، والأدب واسطتها. وما كان في ظني أن أنكر من تلك المطالب، إلا مالا مندوحة عنه للطالب، فتشابكت المسائل، وخرج الأمر كما قال القائل¹:

خَرَجَا عَلَى أَنْ الْمَقَامَ ثَلَاثَةً فَطَابَ لَنَا حَتَّى أَقْمَنَا بِهِ شَهْرًا.

¹ - في الحاشية بخط المؤلف: "هذا البيت رأيته في منطق الطير غير معزٍ، ووقفت عليه في مقطعة ذكرها الشريشي في الكبير ونسبها للحسن، ولعله ابن هاني، إلا أنه قال: "حتى أقمنا بها عشرة". وكما توقع المؤلف فالبيت للحسن بن هاني، أبي نواس، من قصيدة خمرية في ديوانه 244، مطلعها: وَفَتَيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَرَفَتْ مَطْيَهُمْ إِلَى بَيْتِ خَمَارٍ نَزَلْنَا بِهِ ظَهْرًا

ثم أقول كما قال الحريري: "يا رواة القريض، وأساة القول المريض، إن خلاصة الذهب تظهر بالسبك، ويد الحق تصدع رداء الشك. وها أنا قد عرضتُ خبيثتي للاختبار"¹، وعرضتُ حقيقتي على الاعتبار، فمن وجد فيه عثراً فليقل: لَعاً²، أو اطلع على سهو فليسدل عليه من حسن تأويلاته برقعاً. وإن لم يبلغني الناظر من إنصافه ما أرجوه، فعنري باد للعيون من وجوه.

أحدها أن هذا أول مجموع أبرزته في قالب التصنيف، وأفرغتُ جهدي فيما يحصلُ به لأذن سامعه التقريط والتستيف، مع كوني في إبان الحادثة³، التي الغالبُ على صاحبها ألا يميز الاثنين من الثلاثة، لم أبلغ من البلاغة أشدي، ولا ثبتَ عند قضاة الألبِ رشدي، فلا يجعل الزللَ ذريعةً للوقعة والسباب، وليتذكر⁴:

فَإِنْ يَكُ قَدْ أَسَاءَ الْقَوْلَ عَمَرُوا فَإِنْ مَظَنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

ثانيها: إقرارِي بجُرأتي على تعاطي هذا الفنّ، بل وسائر [الفن]ون، فهيهات أن أغوص في بحر البلاغة على ثرها المكنون. ومن أقرَّ على نفسه بأن بضاعته مُزجاة⁵، فهو عند الإنصاف من الاعتراض بمنجاة.

يَبْنِ تَأْلِيْدٍ فِي وَتَأْلِيْفٍ الْوَرَى قَنْرُ مَا يَبْنِ الثَّرِيَا وَالثَّرَى

¹ - انظر المقامة الحلوانية بحاشية الشريشي الكبير 35/1-39.

² - يقال للعائر: لَعَا لَكَ: أي أقامك الله من عثرتك.

³ - أنظر الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.

⁴ - البيت للناطقة في ديوانه 19 من مقطوعة ردّها على عامر بن الطفيل، وفيه:

فَإِنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ جَاءَ جَهْلًا...

⁵ - بضاعة مُزجاة: قليلة وريئة. وفي سورة يوسف 88/12: "يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجَنَّا بِيضَاعَةَ مُزَجَاةً".

ثالثها: عدم [تبيـ] سير الآلات، التي يَكَلُّ منها قمرُ التوشيح ببدائع الهالات، وتَتَوَّرُّ بها [في] حلّ المشكلاتِ المقالات. وإنما يوجدُ من ذلكَ ما لا يُغني شيئاً، ولا يمدُّ على الطالبِ في هَواجِرِ المُعضلاتِ ظيلاً ولا فيئاً.

رابعها: تقسيم الخاطرِ بأشجانِ الغربَةِ¹، الجالِبَةِ للمرءِ غايةَ الكُربةِ، وفي شُغلٍ شاغلٍ مَنْ تصرَّفت فيه أَيْدِي الدَّهْرِ بالإبعادِ والنَّأيِ، وفُرِّقَتْ مجموعَ شَمْلِهِ، فهو يَنْتَرِجِي أَنْ تُصْلَحَ ما أَفسَدَتْ: وإنْ بعدَ لأي. وكيفَ يَلْفِقُ بينَ كَلِمَتَيْنِ مَنْ تَمَهَّدَتْ ذَاتُهُ بَيْتاً، أو حُسِرَ مَنْ قَبِرَ حَرْبٍ²، واستوتَ على عرشِ صدرِهِ عروضُ الخطوبِ فأصِيبَ من الحوادثِ بكلِّ ضربٍ، أو كيفَ يَتَأَلَّقُ مع أشجانِ الوحشةِ عارضُ فِكرٍ، أو تَتَعَلَّقُ بالذهنِ مسألةٌ أو تَبْقَى لَهُ على نِكرٍ،

يَقُولُ النَّاسُ فِي مَثَلٍ تَنَكَّرَ غَايَةً تَرَةً³
فَمَا لِي لَا أَرَى بَلَدِي وَلَا أَنْسَى تَنَكُّرَةً

وكيفَ أَنْسَى تَنَكَارَ بَلَدِي، التي خانني على مفارقتها جَلَدِي. بِلَادِي التي لَا يَزِيدُهَا طَوْلُ المَدِيحِ الصَادِقِ رَفْعَةً قَدْرَ، فهي كَمَا قَالَ الأعرابي الذي⁴ ضَلَّتْ نَاقَتُهُ فِي مَدَحِ البَدْرِ⁵.

¹ - انظر: الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.

² - اقتباس من البيت المشهور:

وَقَبِرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

³ - البيتان في نفح الطيب 4/ 113، 160، 323. لأبي الطاهر إسماعيل الخُشَنِي الجباني المعروف بابن أبي ركب.

⁴ - في الأصل: التي، والمثبت عن (ب).

⁵ - كان الناسخ أخطأ قول الأعرابي، وإن كان اطلاع المؤلف على النسخة وتعليقه على الأبيات بعده يقلل من أهمية هذا الغموض.

أَحْنُ إِلَى الْحَمْرَاءِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ حَيْنَ مَشْوَقٍ لِلْعِنَاقِ وَاللِّضْمِ¹
وَمَذَلِكَ إِلَّا أَنْ جِسْمِي رَضِيعُهَا وَلَا بُدَّ مِنْ شَوْقِ الرِّضِيعِ إِلَى الْأُمِّ

نسأله سبحانه، أن يقلص ذيل الغربة فقد طال، ويعطف علينا قلب الدهر فقد دان بالميطال.

وإنما ذكرت هذه الأسباب، ليعزير الواقف على الخطأ، ويعلم السبب في عدم نوم القطا².
على أنني لو أرخصت درر نواذر القالي، لم أخلص من عدو قال، ولو أبخست شنور
الأمالي، لم أخل من حقود يعكس أمالي. فجدير بي أن أصعد أنفاسي وأتمثل بقول العلامة
الفاسي:

مَا شَأْنَهَا شَيْءٌ سِوَى أَنْ لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ نَقَّامَ عَنْدَهُ أَوْ مَشْرِقِ

والنفس مسرفة غاية السرف، [في تنقيص] ص الجديده ومدح القديم كما قال ابن شرف:³

أَغْرِي النَّاسُ بِأَمْدَاحِ الْقَدِيمِ وَبِنَمِّ الْحَدِيثِ غَيْرِ النَّمِيمِ
لَيْسَ إِلَّا أَنَّهُمْ حَسَنُوا الْحَيْنَ يَ وَرَقُّوا عَلَى الْعِظَامِ الرَّمِيمِ
آخر:

قُلْ لِمَنْ لَا يَرَى الْمُعَاصِرَ شَيْئًا وَيَرَى لِلْأَوَّلِ التَّقْدِيمَ

¹ - في الحاشية بخط المؤلف: "[البيتان] لأبي روح [الجزيري] [إلا أنه] قال: أحن إلى الخضراء،
[يعني جزيرة الأنـ]دلس". وما بين المعقوفين أكل أرضة.

وورد البيتان في نفح الطيب 93/2، وفيه: "ومنهم ابن أبي روح الجزيري، ومن شعره لما تغرب
بالمشرق....." البيتان.

² - مثل عربي أصله من مجمع الأمثال 123/2. "لو ترك القطا ليلا لنام".

³ - ورد البيتان غير معزوين في المرقصات والمطربات 6. وفي الأصل: نميم، بدون تعريف والمثبت
عن المصدر السابق.

إِنَّ ذَاكَ الْقَدِيمَ كَانَ جَدِيدًا وَسَيَّغُوا هَذَا الْجَدِيدَ قَدِيمًا
آخِرُ:

إِنْ كَانَ أَخْرَجِي دَهْرِي فَلَا عَجَبُ فَوَائِدُ الْعِلْمِ يُسْتَلْحَقْنَ فِي الطُّرَرِ
وَالنَّاسُ يُعَامِلُونَ فِعْلَ الْقَرِيبِ بِالْجَزْمِ، وَيَرْفَعُونَ أَمْرَ الْبَعِيدِ كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ:

لَا تَرَى عَالِمًا يَخْلُ بِقَوْمٍ فَيُحِلُّوهُ غَيْرَ دَارِ الْهَوَانِ
هَذِهِ مَكَّةُ الْمَنَيعَةِ بَيْنَ الْـ لَهَا يَسْعَى لِحَجَّهَا الثَّقَلَانِ
وَتَرَى أَزْهَدَ الْبَرِيَّةِ فِي الْحَجِّ حَجَّ بِهَا أَهْلَهَا لِقُرْبِ مَكَانِ

وقال ابن الجوزي:

عَذِيرِي مِنْ فِتْنَةٍ بِالْعِرَاقِ قُلُوبُهُمْ بِالْجَفَا قُلُوبُ
يَرُونَ الْعَجِيبَ كَلَامَ الْغَرِيبِ وَقَوْلُ الْقَرِيبِ فَلَا يُعْجِبُ
وَعُذْرُهُمْ عِنْدَ تَوْبِيخِهِمْ: مُغْنِيَةُ الْحَيِّ لَا تُطْرَبُ

وهذه سجية نفوس الأولئ من لزوم العرض للجوهر ألزم، "شَنْشَنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَم"¹.

¹ - شطر رجز لأبي أخزم الطائي وهو:

إِنْ بَنَيْ زَمَلُونِي بِالْـ
شَنْشَنَةَ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمِ
مَنْ يَلْقَ أَسَدَ الرِّجَالِ يَكَلِّمُ

والشَنْشَنَةُ: الطبيعة والسجية، ويضرب هذا المثل لمن أتى شيئاً يتوقع من مثله

(انظر لسان العرب: شنن، ومجمع الأمثال 1/361).

واعلم أيها الناظر، أن كتابي هذا ألفته، كما يقول الناس، "شحمة بفحمة، وثمرة بجمرة". ولعل ما تستخسبه، غيرك يستحسنه، وما تستقبه، غيرك يستملحه، فلا تغير منه ما سمالك بالارتياح، وإلا فأنت أجرأ من مجلحة الناب¹، وأنا قد جعلته مباحاً لمن طلبه من الطلبة، ومتاحاً لمن أرادته من الرادة، والله يحسن النية، ويخلص من كادورات الرياء خالص الطوية، ويعصمنا من الخطل في القول، فيبيده القوة والحوّل.

وترجمته لما أسرجت طريقته² لفارس النظر والجمته: المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل. وعن لي أن أقدم قبل الخوض في لجج معاني التوشيح مقمة تكون كالرعيل لجيش أبياته، وعلماً منشوراً على طلائع رايته، أضمتها التعريف بناحت ثمره المزخرفة، والمجري مياه الفصاحة خلال أزهار روضته الموقفة، مع إضافة ما هو أوقع في نفوس الأبناء من الولد في قلوب العقيم، والشفاء في وجع السقيم، ونكر نبذ في صناعة التواشيح، واختراعها، ومخترعها، وما يكون كالذيل لذلك مما تقف عليه في حاله، وتقتضي من نيته جنى مؤجله وحاله، فأنحصر القول في ذلك في سمطين.

¹ - من بيت لامرئ القيس في ديوانه (ط دار المعارف ص 97):

عصافير وذيان وذود وأجرأ من مجلحة الناب

أي؛ المصممة على الشيء، التي لا ترجع عما تريد" (نفسه)

² - الطرف: الكريم من الخيل (القاموس المحيط: طرف).

السمط الأول

في التعريف بابن سهل

هو إبراهيم بن أبي العيش بن سهل¹ الإشبيلي، نسبة لإشبيلية مدينة من أعظم مدن الأندلس. قيل لأحد من رأى مصر والشام: أهما أحسن أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل إشبيلية: "غابتها غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا تمساح". وفي نهرها المذكور يقول ابن سقر²:

شَقَّ النَّسِيمُ عَلَيْهِ جَيْبَ قَمِيصِهِ فَانْسَابَ مِنْ شَطْئِهِ يَطْلُبُ ثَارَهُ
فَقَضَّاحَكَتْ وَرَقُ الْحَمَائِمِ فَوْقَهُ عَجَباً، فَضَمَّ مِنَ الْحَيَاءِ إِزَارَهُ

وقال ابن سعيد³:

كَأَنَّمَا النَّهْرُ صَفْحَةً كَتَبَتْ أَسْطَرُهَا، وَالنَّسِيمُ يُنْشِئُهَا

¹ - اسم والد ابن سهل في كل المصادر: سهل، وانفرد الإفراني بنسبته إلى أبي العيش وجعل (سهل) جداً له، ويرجح الدكتور إحسان عباس أن كلمة (بن) الثانية دخيلة هنا، وأن (أبا العيش) هي الكنية التي عرف بها أبوه، بحيث نقرأ: إبراهيم بن أبي العيش سهل، وبذلك يتفق الإفراني مع سائر المصادر" (مقدمة ديوان ابن سهل 13).

وقد ترجم الدكتور إحسان عباس لابن سهل ترجمة وافية قدم بها طبعة بيروت 1967 لديوان الشاعر، ذكرهم مصادر ترجمته.

² - في الأصل: ابن سنقر، والصواب ما أثبتناه، فهو أبو عبد الله محمد بن سقر، ويكتب بالصاد كذلك، أديب من ناحية المرية، يسكن إشبيلية (انظر المغرب 2/212، والوافي 3/114 ونفع الطيب 157/). وفي الوافي: "قال في المد والجزر بوادي إشبيلية وأبدع فيه" البيتان. وورد البيتان مع ثالث قبلهما في رايات المبرزين 7. ورواية الثاني فيه:

فَقَضَّاحَكَتْ وَرَقُ الْحَمَامِ بِدُوْحِهِ هِزْءاً فَضَمَّ مِنَ الْحَيَاءِ إِزَارَهُ

³ - البيتان في نفع الطيب 2/271. وسيتحدث الإفراني عن ابن سعيد في الصفحة 32 من هذا الكتاب.

لَمَّا أَبَانَتْ عَنْ حُسْنِ مَنْظَرِهَا مَالَتْ عَلَيْهَا الْغُصُونُ تَقْرُؤُهَا

وقال صاحبُ مباحجِ الفكر¹: "هذه المدينةُ من أحسنِ مُدنِ الدنيا، بأهلِها يُضربُ المثلُ في الخلاعةِ وانتهازِ الفرصِ² الساعةَ بعدَ الساعةِ. ويعينُهُم على ذلكِ وادِيعا الفرجِ، ونادِيعا البهجِ، وهذا الوادي يأتِيها من قُرطبة"، انتهى. وأخبارُها طويلةٌ استوقاها الحِجاري وابنُ سعيد وغيرُهما من مَسْخِخَةِ مُؤرخي الأندلس. ونَكَرَ في نفحِ الطيب³ أنه وقعتْ مناظرةٌ بين يدي ملكِ المغربِ يعقوبَ المنصورِ، بينَ الفقيهِ القاضي أبي الوليدِ بنِ رشدٍ، وبينَ أبي بكرِ بنِ زهرٍ في تفضيلِ إشبيليةِ على قُرطبةِ، فقال ابنُ رشدٍ لابنِ زهرٍ: ما أدري ما تقولُ إلاَّ أنه إذا ماتَ عالمٌ بإشبيليةِ فأريدَ بِنَعِ كُتُبِهِ، حُمِلَتْ إلى قُرطبةِ حتَّى تَباعَ فيها، وإن ماتَ مُطربٌ بقُرطبةِ فأريدَ بِنَعِ آلاتِهِ، حُمِلَتْ إلى إشبيليةِ، انتهى. وإشبيليةُ تَسْمَى حمصاً لنزولِ جندِ حمصٍ بها. وفيها يقولُ ابنُ سهل⁴:

بَكَيْتُ عَلَى النَّهْرِ أَخْفَى الثُّمُوعِ فَعَرَضَتْهَا لَوُثُهَا لِلظُّهُورِ
إِذَا مَا سَرَى نَفْسِي فِي الشَّرَاعِ أَعَادَهُمْ نَحْوَ حِمَصِ زَقِيرِي

-
- ¹ - في كشف الظنون كتاب بهذا الاسم منسوب لمحمد بن عبد الله الأنصاري، وفي حرف النون منه أن الاسم الحقيقي له هو مباحج الفكر، بالنون، لجمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (ت718هـ)، وفي الأعلام للزركلي 187/6-188 أنه في الطبيعة والكمياء وأنه من ست مجلدات.
- قلت: ويوجد الجزآن الثالث والرابع منه بالخزانة العامة بالرباط برقم: 115 أ. وهما في النبات والحيوان، وهذه النسخة بخط المؤلف، ما عدا الجزء الأول، كما في الجزء 1/3 منها. وقد اعتمد الإفرائني في النص الذي أورده على نفح الطيب 159/1.
- ² - في نفح الطيب: فرص الزمن.
- ³ - نقل المقرئ هذه القصة في نفح الطيب 155/1 عن أبي الفضل التيفاشي، وفي ص 63/1 منه عن ابن سعيد مع بعض الاختصار.
- ⁴ - ديوان ابن سهل 46.

وفيهما الزيتون العجيب، وفيه يقول الإمام الخطيب، أبو محمد بن عبد الوهاب المنشي¹
مُنْبِلًا عَلَى بَيْتِي الشَّيْخَ أَبِي الْحَاجِّ يَوْسُفَ بْنِ الشَّيْخِ الْبُلُويِّ الْمَالِقِيِّ وَهُمَا²:

مَالِقَةٌ! حَيَّتْ يَا تَيْنَهَا الْفُلُكُ مِنْ أَجْلِكَ يَا تَيْنَهَا
نَهَى طَبِيبِي عَنْهُ فِي عِلَّتِي مَا لَطِيبِي عَنْ حَيَاتِي نَهَى
فقال أبو محمد:

وَحِمَصُ لَا تَسْ لَهَا تَيْنَهَا وَانْكُرْ مَعَ التَّيْنِ زَيَاتَيْنَهَا

وأبو الحاج³، صاحب البيتين، هو صاحب كتاب ألف باء⁴. وقفت عليه ورأيت البيتين
فيه. وهو كتاب عجيب الاصطلاح غريب النسخ، لا يكاد مطالعه يُحِيطُ علماً باصطلاحه.
قال في ديباجته إنه ألفه لولده عبد الرحيم⁵، وإنه وقع في نفسه احتقار الألف والباء، فألف هذا
الكتاب في تكفيرة ذلك. ونكر فيه أنه قرأ على أبي القاسم السهيلي⁶، وعلى الحافظ أبي

¹ - الأصل: المنسي، وفي نفع الطيب 1/ 151: "الإمام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب المنشي".

² - البيتان له في في أنوار التجلي 9/1، وفي نفع الطيب 151/1 مع تذييل أبي محمد بن عبد الوهاب
المنشي عليهما.

³ - هو يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى أبو الحاج البلوي المالقي، ويقال له ابن الشيخ، أديب لغوي
اشتهر بالزهد والمشاركة في الغزوات، توفي سنة 1207/604 (انظر أخباره في ألف باء).

⁴ - وألف باء، كتاب في الأدب واللغة يدور حول قصيدة من ثمانية وعشرين بيتاً مرتبة على حروف
المعجم، متضمنة جملة من الغرائب اللغوية. يشرحها كلمة كلمة مع مقلوبها، ويثير خلال ذلك حكايات
وأخباراً وقضايا أدبية. وهو مكون من جزأين في (553+592 صفحة)، (انظر منهجه في الصفحة 5/1
منه وما بعدها، وفهرس المخطوطات لعلوش والركراكي 54/2).

⁵ - انظر ألف باء 3/1، 9، 63، 64.

⁶ - هو عبد الرحمن بن عبد الله أبو زيد السهيلي، عالم باللغة والسير ضرير، وُلِدَ في مالقة وتوفي
بمراكش سنة 581هـ، وقبره من مزارات مراكش (المطرب 230 وما بعدها).

الطاهر السلفي¹، قال: ومن فوائد أبي الطاهر أني قرأت عليه يوماً بسنده عن أشياخه، عن الشافعي، قال: القول يزيد في الدماغ، والدماغ يزيد في العقل. فقلت له: كيف هذا ونحن نقول في بلادنا خلاف هذا؟ فقال: سألت عن هذا شيخنا فلاناً، فقلت له: كيف هذا وطبرستان أكثر بلاد الله فولاً وأهلها أخف الناس عقولاً؟ فقال: لولا القول لطاروا. قال أبو الطاهر: ويؤي قول الشافعي قول بعض الأطباء، إن الصبي يولد بغير دماغ، ولذا لا يقدر على القعود فضلاً عن غيره، فبمقدار ما يشتد دماغه يقوى، كالمركب في الماء لا يستتم استقراره حتى ييمّ وسفه، قال أبو الحجاج: فقلت له هذا بخلاف الرأس، هذا أسفل وذلك فوق، فقال: وحكمة الله لا تجري على قياس واحد، ألا ترى الأليتين هما في أسفل الإنس وبهما تمسك اللحية في الوجه، ولهذا كان الخصى لا لحية له، انتهى.

ومن نظم أبي الحجاج للحديث المشهور²:

النَّاسُ هُمْ ثَلَاثَةٌ	فَوَاحٍ ذُو دَرَقَةٍ
وَتَوْعَلُّومٍ دَارِسٌ	كُتْبُهُ وَوَرَقُهُ
وَمُنْفِقٍ فِي وَاجِبٍ	ذَهَبُهُ وَوَرَقُهُ
وَمَنْ سِوَاهُمْ هَمَجٌ	لَا وَتَكْ لَا مَرَقَهُ

وابن سهل هو شاعر إشبيلية وشأخها. قرأ على جماعة، منهم أبو علي الشلوبيني³ وابن الدباج⁴ وغيرهما. ومقطعاته نثلاً على أن له خبرة بفن العربية، كقوله⁵:

¹ - ذكر السلفي في ص 39/1 من الكتاب المذكور، ولم يورد قصة القول وعلاقته بالزيادة في الدماغ.

² - الأبيات في المحاضرات 48 غير منسوبة.

³ - هو أبو علي عمر الشلوبيني أو الشلوبين نسبة إلى شلوبينية، إنه سمي بذلك لأن أحد أجداده كان أبيض أشق، اشتهر بعلم النحو في إشبيلية، وتلمذ له كثير من أشهر الأدباء. (نفع الطيب 491/3، 523 وحاشيته، ومواضع أخرى منه).

⁴ - هو أبو الحسن علي بن جابر الدباج الإشبيلي، اشتهر بإقراء كتاب الكامل ونوادر القالي وكتاب سيبويه، (انظر نفع الطيب 87/3، 47، 523، ومواضع متفرقة).

⁵ - البيتان الثالث والرابع من مقطوعة في خمسة أبيات في ديوان ابن سهل 227.

أَمُوسَى أَيَا كُلِّي وَبَعْضِي حَقِيقَةً، وَلَيْسَ مَجَازاً قَوْلِي الْكُلَّ وَالْبَعْضُ بِهِ
خَفَضْتُ مَقَامِي إِذْ جَزَمْتَ وَسَائِلِي، فَكَيْفَ جَمَعْتَ الْجَزْمَ عِنْدِي وَأَخْفَضَا؟

فإنه نكث على أبي القاسم الزجاجي¹ حيث قال في جملة: وإنما قلنا بدل الكل والبعض مجازاً. ولابن الفخار وغيره من شروحه كلام في معنى ما أشار إليه أبو القاسم، فراجع حاشية ابن القاضي على الجرومية. قال في عنوان الإفادة²، بعد أن ذكر هذا التنكيث البديع: "وفي هذا دليل على أن يهود الأندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية، فإن ابن سهل قال هذين البيتين قبل إسلامه، والله أعلم"³.

وكان إبراهيم في أول أمره يهودياً، ثم من الله عليه بالدخول في الملة الحنيفية فأسلم، وحسن إسلامه. ويقال إنه أنشد هذين البيتين بعد إسلامه. واستدل بهما بعضهم على حسن سريره⁴:

تَسَلَّيْتُ عَنْ مُوسَى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ هُدَيْتُ، وَلَوْلَا اللَّهُ مَا كُنْتُ أَهْتَدِي
وَمَا عَنْ قَلِي قَدْ كَانَ ذَاكَ وَإِنَّمَا شَرِيعَةُ مُوسَى عَطَّلَتْ بِمُحَمَّدٍ

¹ - في الأصل الزجاج والصواب ما أثبتناه، انظر موضوع التنكيث في الجمل 37.

² - رجعت إلى عنوان الإفادة لإخوان الاستفادة، مخطوطة خ.ع. 1652 د لشمس الدين محمد ابن إسماعيل الراعي الأندلسي الغرناطي (782-853هـ) فلم أعر في باب البدل بالخصوص على ما ذكره الإفراني. وربما يكون الإفراني اعتمد على نفح الطيب 525/3 حيث ورد التعليق على البيتين والتعقيب عليه منسوباً للراعي (انظر ترجمته في نفح الطيب 2/ 694-689).

³ - انظر هذا الكلام في نفح الطيب 3/ 523 وفيه: إبراهيم بدل ابن سهل.

⁴ - قال ابن القاضي في درة الحجال 34/1: "ولابن سهل ما يدل على إسلامه"، ثم أورد البيتين. انظر كذلك نفح الطيب 524/3. والبيتان في ديوان ابن سهل 1116.

"وحدث أبو حيان عن قاضي القضاة أبي بكر محمد بن أبي [نص] الفتح بن علي الأنصاري الإشبيلي بغرناطة، أن إبراهيم بن سهل الشاعر، كان يهودياً ثم أسلم، ومدح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقصيدة طويلة بارعة. قال أبو حيان: وقفت عليها وهي من أبدع ما نظم في معناها"¹، انتهى. وقال العزفي في حقه ما صورته: "كان يتظاهر بالإسلام، ولا يخلو مع ذلك من قذح واتهام، انتهى"². "ونكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد الفهري، في رحلته الكبيرة القدر والجرم، المسماة بـ ملء الغيبة، فيما جمع بطول الغيبة، في الوجهة الوجهية إلى الحرمين، مكة وطيبة، خلافاً [في] إسلام ابن سهل باطنياً"، انتهى³. وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة، سيدي أبو عبد الله بن مرزوق ما نصه: صحح لنا من أدرناه من أشياخنا أنه مات على دين الإسلام". وقال العلامة أبو العباس المقرئ في النفح: "رأيت في بعض كتب الألب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أنس، فسألوه لما أخذت منه الراخ عن إسلامه، هل هو في الظاهر والباطن أم لا؟ فأجابهم بقوله: للناس ما ظهر، ولله ما استتر، انتهى"⁴. ثم رأيت في القدح المعلق، في التاريخ المعلق، للأديب أبي الحسن علي ابن سعيد القيسي ما نصه: كتبت إلى أبي إسحاق إبراهيم بن سهل أستدعيه إلى الأنس بثلاثة أبيات، فبلغته، وأجاب مُسرعا بأبيات آخرها، ونكر الخمر:

سَأَلَهَا إِنْ لَفَ الْعَتِيقَ كِتَابَهُ، وَلَا أَشْتَهِي وَرْدًا سِوَاهَا لَدَى الْحَشْرِ⁵

¹ - نفح الطيب 526/3، وتوجد هذه القصيدة في ديوان ابن سهل: 232-234، ويرى إحسان عباس أنها لاتحمل دلالة على إسلام ابن سهل. (انظر مقدمة الديوان ص: 35 وحاشية الصفحة 232 منه).

² - نفح الطيب 523/3.

³ - في نفح الطيب 523/3، مصدر هذا النص، وضعت كلمة (انتهى) في كلام ابن مرزوق اللاحق.

⁴ - نفح الطيب 523/3.

⁵ - في الأصل: الخمر والمثبت على القدح المعلق 73.

فَلَمَّا وَصَلَ أَظْهَرْتُ اسْتِحْسَانَ خُطَابِهِ، مَعَ سُرْعَةِ جَوَابِهِ. ثُمَّ أَنْكَرْتُ عَلَيْهِ مَنَزَعَ بَيْتِهِ
الْأَخِيرِ، وَلَدَغْتُهُ مِنَ الْمَلَامِ بِيَسِيرٍ، فَقَالَ: أَلَيْسَ فِي [الْجَنَاحِ] نَهْرُ الْخَمْرِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ:
ذَلِكَ حَسْبِي، لَا أَبْغِي بَدَلًا، وَلَا أُرِيدُ لَبْنًا وَلَا عَسَلًا. قُلْتُ: بِحَرَمَةٍ مَا بَيْنَنَا إِلَّا مَا أَزَلَّتْ عَنِّي
شَكُّ النَّاسِ فِيكَ، وَصَدَّ [قَتِي]، هَلْ أَنْتَ عَلَى دِينِ أَسْلَافِكَ أَوْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: "لِلنَّاسِ مَا
ظَهَرَ، وَلِلَّهِ مَا اسْتَتَرَ"¹،

وَأَيُّيَ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَقَاتُهُ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَيْمَا يُسَلِّمًا
وَأَقْبَاهُ فِي جَنَاتٍ عَنِّي مُنْعَا، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يَحُلَّ جَهَنَّمَا
انتهى.

وقال في عنوان الدراية²: سمعتُ شيخنا أبا الحسن بن سيمعت الأندلسي، رحمه الله،
يقول: شينان لا يصحان، إسلام ابن سهل وتوبة الزمخشري من الاعتزال. قال الراعي:
وهما في مروياتي، أما إسلام ابن سهل فيغلبُ على ظني صحته لعلمي بروايته، وأما الثاني،
وهو توبة الزمخشري من الاعتزال، فقد ذكر بعضهم أنه رأى رسماً بالبلاد المشرقية
محكوماً فيه [بصحّة] توبة الزمخشري، فقوى جانب الرواية، انتهى باختصار. وما صحّحه
من توبة الزمخشري عن اعتقاد الاعتزال نحاً منحاؤه أبو عبد الله المامون الحفصي، نسبةً
إلى بني حفص، ملوك إفريقية، كما رأيته بخطه، فقال عقب الأبيات التي تنسب للزمخشري،

¹ - ما بين الحاصرتين نص كلام القدح المعلى 74 مع زيادة بعض الحروف مثل: فقال بدل قال.

² - لعل قول الإفراني: "عنوان الدراية" سهو، إذ الكلام منسوب في نفع الطيب 524/3 للراعي صاحب
عنوان الإفادة (انظر الصفحة 66 الحاشية 2).

وهي¹:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبُعُوضِ جَنَاحَهَا

إلى آخرها: وبهذه الأبيات أُسْتُكِلَ على توبته من بدعيته المشهورة. انتهى.

ولَهَجَ المدرِّسون بهذا الاستدلال، وكان بعضُ مشايخي يُبالغُ في إنكاره، وهو جديرٌ بالإِثْكَارِ²، فإنَّ الرَّمْخِشِي نفسه أنشد الأبياتَ لغيره في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ"³، فقال، على ما يوجدُ في نُسخه [العتيقة⁴]: وأنشد لبعضِ العلويين، فَنَسِبْتُهَا لَهُ، مع ذلك غلطٌ فاحشٌ وقصورٌ واضحٌ. ولو سلمنا أنها له فليس فيها دليل، إذ الورطاتُ وما كان منه زَمَنَ العُفُوفِ يُحْتَمَلُ أنها غيرُ اعتقادِ الاعتزال، فإنه ليسَ عنده ذنباً حتى يستعفي منه وَيَسْتَغْفِرَ. ولو قلنا: إن التوبةَ إنما كانتَ منه، أبطلَ ذلك مجيئه بعد [إنشاء] الأبياتِ بالترهاتِ والأوهامِ الزائغةِ خلالَ الكتاب. ويكفيكَ أنه تجرأ على أهل السنة في مواضع عديدة، وسَمَّاهم المُجَبِّرة. قال الشيخُ الإمامُ أبو عبد الله بنُ غازي⁵ في

¹ - في أزهار الرياض 297/3: "وأنشد في كتابه الكشف لبعضهم:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبُعُوضِ جَنَاحَهَا	فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَكْبَلِ
وَيَرَى غُرُوقَ نِيَاطِهَا فِي نَحْرِهَا	وَالْمُخَّ فِي تَلَكُ الْعِظَامِ النُّحْلِ
اغْفِرْ لِعَبْدٍ تَابَ عَنْ فَرَطَاتِهِ	مَا كَانَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

² - في الحاشية: "هذا الذي قاله الشيخ، هو الذي كنت أقول به ولم أزل، قاله [خرم]"، ما بين المعقوفين أكل أرضة والزيادة مني.

³ - سورة البقرة 25/2.

⁴ - غير واضحة في الأصل وهي هكذا في (ب)، (ج).

⁵ - هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي أبو عبد الله فقيه، مؤرخ مشارك في شتى المعارف، له تأليف عديدة منها فهرس بعنوان: "التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد". اشتهر كأستاذ لأجيال من الفقهاء والأدباء والمؤرخين، كما يظهر جلياً في فهرس المنجور وغيره.

تقييد له خاطب به الإمام أبا العباس الوئشريسي¹، وسمّاه بالإشارات الحسان، المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان²: "وإنما سمّي الزمخشري³ أهل السنة مجبراً لاعتقاد قرب مذهبهم من مذهب الجبرية، سيما وقد قال بعض أئمة السنة: وبإلجبر أقول⁴. وقد حدثنا شيخنا الأستاذ سيدي أبو عبد الله الكبير، عن شيخه أبي عبد الله العكرمي، وكان لسنّا، أنه كان كثيراً ما يقول: إمامان عظيمان قالاً بالجبر من أئمتنا: القاضي أبو بكر بن العربي، والفخر بن الخطيب الرازي⁵، كما أن إمامين عظيمين من أئمتنا، نسب إليهما القول بالجهة، وهما أبو محمد بن أبي زيد، وأبو عمر بن عبد البر، وجنح لذلك ابن المرباط في تفسير البخاري⁶ انتهى

لطيفة

أفانني بعض أصحابنا أن الفقيه الدراكة أبا العباس سيدي أحمد بن الحاج الفاسي⁷ كان

== ولد بمكناسة سنة 858هـ ومات بفاس سنة 919هـ (انظر ترجمته في مواضع مختلفة من فهرس المنجور، وجدوة الاقتباس 20/1 320/1 ودوحة الناشر (45-46).

¹ - هو أحمد بن يحيى بن محمد الوئشريسي أبو العباس، فقيه مالكي من أهل تلمسان، هاجر إلى فاس، واستقر بها، واشتغل، على الخصوص، بتدريس الفقه حتى مات سنة 914هـ. من كتبه المعيار المغرب، عن فتاوي إفريقيا والمغرب. وسنعرض له حين ذكره، (انظر ترجمته في جدوة الاقتباس 156/1-157، ودوحة الناشر 47 وأخباره متفرقة في فهرس المنجور).

² - وردت هذه الرسالة في كتاب أزهار الرياض 66/3 وما بعدها، وهي رد على مجموعة من الأسئلة وجهها الوئشريسي إلى ابن غازي، ومن بينها: هل ألف أحد في التعريف برجال أهل السنة والمعتزلة؟

³ - "الزمخشري" زيادة في المسلك.

⁴ - في الإشارات الحسان، زيادة قوله: "والله المستعان".

⁵ - "الرازي" زيادة في المسلك السهل.

⁶ - أزهار الرياض 85/3.

⁷ - هو أحمد بن العربي بن محمد بن الحاج الفاسي أبو العباس، فقيه ذو شهرة، أسندت إليه كراسي علمية بالقرويين، ثم تولى القضاء بفاس. وممن درسوا عليه عبد السلام جسوس وابن زاكور وابن المسناوي

يَسْتَدِلُّ عَلَى تَوْبَةِ الزَّمْخَشَرِيِّ مِنَ الْآيَاتِ بِقَوْلِهِ:

وَيَرَى نَيْاطَ عُرُوقِهَا...¹ الخ.

لأنَّ الْمُعْتَرِلةَ عَلَى أَنَّ عِلْمَهُ، تَعَالَى، لَا يَتَعَلَّقُ بِالْجُزْئِيَّاتِ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي خِلَافِهِ. وَهُوَ مَعْتَقِدُ الْأَشْعَارَةِ. وَفِي الْإِسْتِدْلَالِ وَقْفَةً، لِأَنَّهُ لَا يُلْزَمُ مِنْ رُجُوعِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ رُجُوعُهُ فِي سَائِرِ الْمَسَائِلِ الْإِعْزَالِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْغَالِبُ. وَإِنْ رُمِيَ اسْتِيفَاءُ الْكَلَامِ فِي تَرْجُمَةِ الزَّمْخَشَرِيِّ فَتَطْلُبُهُ مِنْ تَقْيِيدِنَا الْمَقْتَضِ مِنْ كِتَابِ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ فِي مَنَاقِبِ عِيَاضِ، الْمَتَرَجِمِ بِطَلْعَةِ الْمُشْتَرِيِّ فِي التَّعْرِيفِ بِمَحْمُودِ الزَّمْخَشَرِيِّ². وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ طِرَازِ أَعْلَامِ الزَّمَنِ، فِي طَبَقَاتِ أَعْيَانِ الْيَمَنِ لِلشَّمْسِ أَبِي الْحَسَنِ الْخَزَرَجِيِّ، وَهُوَ كِتَابٌ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي تَوَارِيخِ الْإِسْلَامِ، مَا نَصَّهُ: "إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَهْلٍ الْيَهُودِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ، وَكَانَ شَاعِرَ زَمَانِهِ، أَسْلَمَ بَعْدَ يَهُودِيَّتِهِ، وَمَدَحَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقَصِيدَةٍ بَدِيعَةٍ. مَاتَ فِي الْبَحْرِ غَرِيقًا سَنَةَ 659هـ"³ نَكَرَ هَذَا فِي مَقْدِمَةِ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ، وَهِيَ فِي مَجْلَدٍ ضَخْمَةٍ، ضَمَّتْهَا وَفَاةُ الْأَعْيَانِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي التَّعْرِيفِ بِأَعْلَامِ الْيَمَنِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ. وَمَا نَكَرَ مِنْ أَنَّهُ غَرِقَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ: كَانَ ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ نَحْوِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَقِيلَ إِنَّهُ جَاوَزَ الْأَرْبَعِينَ⁴.

== وابن عبد السلام بناني. مات بغاس سنة 1109هـ/1697م (التقاط الدرر 263/2، والصفوة 223، ونشر المثاني 161/2، وفهرس الفهارس 79/1-80.

¹ - في أزهار الرياض 297/3: عروق نياطها. ولعله الصواب، إذ النياط هو الفؤاد، أو عرق غليظ نيظ به القلب إلى اللوتين..

² - لاندري ما مصير هذا التقيد، وفي أزهار الرياض 282/3-302 كثير من الأخبار والأشعار التي أثارتها أفكار الزمخشري الاعتزالية وتحليلاته البلاغية في كتابه الكشف إذ أعجب الفقهاء بالثانية واشمازوا من الأولى، واعتبروها تراثاً وضللاً، يقول المقرئ في ترجمته له: "ولابد من الإمام ببعض أحوال هذا الرجل، اختلفت في أمره الآراء وأنس بجانب البيان والنحو نارا، وأنكر الحق وقد وضع نهرا" (أزهار الرياض 282/3).

³ - تضاربت الآراء في تحديد سنة وفاة ابن سهل. (انظر هذه القضية في مقدمة الديوان 28-42).

⁴ - انظر نفح الطيب 526/3.

ولما غرق قال فيه بعضُ الأكابر، عاد الدرُّ إلى وطنه. قلتُ: وكانَ هذا البعضُ من الأكابر
اقتبسَ من قول صاعدٍ لما غرقَ كتابه الفُصوص، فقال فيه بعضُ الحسدة¹:

قَدْ غَاصَ فِي النَّهْرِ² كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ

فأجابَه صاعد:

عَادَ إِلَى مَعْنِيهِ، إِنَّمَا تُوْخِذُ مِنْ قَعْرِ الْبَحَارِ الْفُصُوصُ

وسبب تغريق كتاب الفُصوص شهيرٌ لا داعي للتطويل به.

ثم وقفتُ على تاج المَفرق، في تحليّة علماء المشرق لأبي البقاء بن عيسى البلوي³،
فرايتُ فيه ما صورته: أخبرني الشيخُ الأديبُ أبو العباس الأنصاري المعروفُ بالرُصافي،
قال: أخبرني بمدينة سبته شَيْخِي أَبُو الْحَكَمِ مَالِكُ بْنُ الْمُرَحَّلِ⁴، قال: كان

¹ - البيتان والقصة في نفح الطيب 77/3-78، وملخصها أن صاعداً كان كثيرَ الادعاء، فأوعز خصومه
إلى المنصور بن أبي عامر "بتجريد كراريس بيض تزال جدتها حتى توهم القدم" ونسبتها لأحد الأقدمين،
فما كاد صاعد يرى الكراريس حتى أخذ يقبلها مدعياً أنه قرأها على أحد الشيوخ، فسأله المنصور عن
محتواها قبل فتحها، فقال: إنها تحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر، فغضب المنصور وأمر
أن يقدف كتاب الفصوص بالنهر. وكان صاعد أراد أن يتحدى به "النوادر" لأبي علي القالي.

² - في الأصل: البحر، والصواب، عن نفح الطيب: النهر.

³ - خالد بن عيسى البلوي الأندلسي المتوفى سنة 765هـ/1364م تولى القضاء بالأندلس ورحل حاجاً
إلى الشرق، فألف رحلته "تاج المفرق.." وقد طبعت هذه الرحلة مؤخراً بتحقيق وتقديم الحسن السايح.

(ترجمته في جدوة الاقتباس 186/1-192 ونفح الطيب 532/2-534 ومقدمة محقق تاج المفرق).

⁴ - مالك بن عبد الرحمان أبو الحكم وأبو المجد، المعروف بابن المرحل السبتي الدار، المالقي النجار،
سكن سبته طويلاً ثم انتقل إلى فاس. قال فيه ابن القاضي في درة الحجال 327/1: "شاعر رقيق مطبوع،
سريع البديهة، رشيق الألفاظ، ذاكر للأدب واللغة.. ولي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها، كان
حسن الكتابة، والشعر أغلب عليه". وله ديوان شعر متنوع. توفي سنة 699هـ/1300م. (جدوة الاقتباس
327/1-333 درة الحجال 327/1، سلوة الأنفاس 99/3، النبوغ المغربي 235/1-236).

معنا أبو إسحق إبراهيم بن سهل، وقد حسن إسلامه، ولازمت الجماعة صلواته، ولزم القراءة، واشتغل بها، ونظر في الأدب فنبغ في الشعر. وكان من جملة كتاب أبي علي بن خلاص، صاحب سبته، إلى أن عين ابن خلاص ولده رسولاً إلى المستنصر ملك تونس، ووجه ابن سهل معه، فركبا في البحر، في غراب، وسار إلى أن هاج البحر¹، فغرقا معاً، هما وكل من ركب معهما. ولم يخرج منهم أحد. ولما بلغت المستنصر وفاة ابن سهل في البحر قال: عاد الدر إلى وطنه²، انتهى. ثم رأيت هذا الكلام المنقول عن الرضا في ترجمته من درة الحجال لأبي العباس بن القاضي³.

وكان ابن سهل ممن انتحل صناعة القريض فافتن فيها وتصرف، وعني بعلم الأدب فوعى ورصف، إلى أن بلغ الغاية في الشعر، وصار فيه أوحّد، لا يُنعت ولا يُحد، فهو فارس المضممار، وحامي ذلك النمار. وبطل الرّعل، وأسد ذلك الغيل، نسق المعجزات، وسبق في العضلات الموجزات. تحلّت بنظمه الصحائف والمهاريق، وما تخلّت عنه المغرب ولا المشارق. وقد سئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم ابن سهل فقال: "لأنه اجتمع فيه ذلّان: ذلّ العشق، وذلّ اليهودية"⁴.

وله ديوان شعر مشهور، وقفت عليه، في غاية الجودة. يتأوله العموم والخصوص، وتتعاقد على تقديمه، على سائر الدواوين، الأقيسة والنصوص. وقد أثبت من شعره

¹ - في الأصل وتاج المفرق 97/2: مال، وقدما ما في درة الحجال 33/1.

² - تاج المفرق 97/2-98 بتصرف قليل.

³ - درة الحجال 33/1-34، وفيها النص بتمامه.

⁴ - نص كلام نفح الطيب 523/3.

ما يرخّص الثّرر، ويكونُ في سوادِ هذه الأسطرِ بمثابة الغرر، فمن ذلك قوله¹:

مَضَى الْوَصْلُ إِلَّا مُنِيَّةً تَبَعْتُ الْأَسَى، أَدَارِي بِهَا هَمِّي إِذَا اللَّيْلُ عَسَسَا
أَتَانِي حَدِيثُ الْوَصْلِ زُوراً عَلَى النَّوَى، أَعِدْ ذَلِكَ الزُّورَ اللَّئِيذَ الْمُؤَنَسَا
وَيَا أَيُّهَا الشَّقُّوُ الَّذِي جَاءَ زَائِراً، أَصَبَّتِ الْأَمَانِي، خُذْ قُلُوباً وَ أَنْفَسَا
كَسَانِي مُوسَى مِنْ سَقَامِ جُفُونِهِ، رِدَاءً، وَسَقَانِي مِنَ الْحُبِّ أَكُوسَا

وموسى هذا، كان أبو إسحاق يشبّب به في أشعاره. ويَحْتَمِلُ أن يكونَ معشوقاً له كان بإشبيلية أو غيرها، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ نبيَّ الله موسى بن عمران، على نبينا وعليه الصلاة والسلام². وهذا ما تدلُّ عليه التَّسْلِيَةُ السَّالِفَةُ في البيتين³. وقد وقع نحوه لجماعة من عظماء علماء الإسلام، والله أعلم. ذكرتُ هنا قولَ الجمالِ بن نباتة في مליحِ اسمه موسى⁴:

رَأَيْتُ فِي جَلْقٍ غَزَالاً تَحَارُّ فِي حُسْنِهِ الْعُيُونُ
فَقُلْتُ: مَا الْأِسْمُ؟ قَالَ: مُوسَى قُلْتُ: هُنَا تَحَلَّقُ الذُّقُونُ

وفيه التوريةُ بالموسى آلةَ الحلق. وأنكرتِي لفظةَ الموسى ما ذكره ابنُ [الأبَر] في تحفة القادم، أن أبا المطرّف بن عُميرةَ حضرَ بقصرِ الإمارة من بلنسية في صبيحةِ بعضِ الجُمع، فأعطى أميرُها السيّدُ أبو زيد⁵ حجاماً، وحرّمَ شاعراً، فقال أبو المطرّف

¹ - ديوان ابن سهل 261 من قصيدة لم ترد في أصول الديوان، ووردتُ الأبياتُ الأربعة منها في نفح الطيب 523/3.

² - يبدو الاحتمال الثاني ضعيفاً، والباعث عليه هو استغلال ابن سهل قصة موسى النبي في تصوير غرامه بمحبوب له معروف، (انظر مقدمة ديوان ابن سهل للدكتور إحسان عباس ص: 37، 46).

³ - انظر البيتين في الصفحة 13 من هذا الكتاب، والمقصود قوله: "تسليت عن موسى.."

⁴ - البيتان في ديوان ابن نباتة 531-532.

⁵ - وردت هذه القصة في نفح الطيب 316/1 نقلاً عن تحفة القادم، وفيه: أن ابن الأبر كان حاضراً، وأن المحلوق أخذ أصحابه، وذلك بقصر الإمارة من بلنسية، وفي النفح 487/3 - 488، أن المحلوق هو

أَرَى مَنْ جَاءَ بِالْمُوسَى مُوَسَّى
وَرَأَحَةَ ذِي الْقَرْبَضِ تَرْوُحُ صَفْرَا
فَهَذَا مُنْجِحٌ أَنْ قَصَّ شَعْرَا
وَهَذَا مُخْفِقٌ أَنْ نَصَّ شِعْرَا

وقال ابن سهل من موشحة¹:

يَا لِحَظَّاتِ الْفَتَنِ!
تَرْمِي وَكُلِّي مَقْتَلْ،
فِي كَرَّهَا أَوْقَى نَصِيبْ
وَكُلَّهَا سَهْمٌ مُصِيبْ

وأخذه من قول ابن الرومي²:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ عَضُّوا وَاحِدًا
هُوَ مِنْكَ سَهْمٌ، وَهُوَ مِنِّي مَقْتَلٌ

إلا أنه أفرغه في قالبٍ بديع. فهو كما قال ابن المرزبان: "سَرَقَ سَاجًا، وَرَدَّ عَاجًا، وَنَقَلَ قَطِيفَةً، وَرَدَّ دِيْبَاجًا". فإنَّ بيتَ ابنِ الرومي لا يخلو من مُسَامَحَةٍ. وقد دارَ بين الصلاح الصفدي والجمال ابن نباتة فيه كلامٌ أوجب أن قال الصلاح³: ما تعجبُ منه ليس من العجب في شيء، إذ هو بمثابة قولك: يا عجباً من إنسان كيف يقتل إنساناً؟ ولو

"ملك شرق الأندلس زيان ابن مردنیش" وكان ابن الأبار كتب للسيد أبي زيد ثم لابن مردنیش قبل أن يرحل إلى تونس. (انظر كذلك المغرب 364/2 وفيه البيتان مع خلاف في الرواية).

¹ - قفل موشح في الديوان 292.

² - ورد هذا البيت منسوباً لابن الرومي في الغيث المسجم، ولم نجده في الطبعة المعتمدة لدينا من الديوان.

³ - خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب ومترجم، كثير التأليف، ولد في صفد بفلسطين، وتعلم بدمشق. تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب. مات بدمشق سنة 864/1363م مخلفاً زهاء مائتي مؤلف، من أشهرها الغيث المسجم في شرح لامية العجم، والوافي بالوفيات (انظر الدرر الكامنة 186/2 والنقد في القرن الثامن).

كَانَ الْغُضُو الْوَاحِدُ سَهْمًا وَمَقْتَلًا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، جَاءَ¹ الْعَجَبُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ ذَلِكَ، فَلَا بَدَّ مِنْ فَتْحِ بَابِ الْمَجَازِ وَسَدِّ بَابِ الْحَقِيقَةِ. أَيُّ هُوَ مِنْكَ سَهْمٌ وَهُوَ مِنِّي سَبَبٌ مَقْتَلِي². وَيَضَارِعُ قَوْلُ ابْنِ سَهْلٍ قَوْلَ ابْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ³:

مَا لَحَظَهُ سَهْمٌ وَقَلْبِي مَقْتَلٌ، بَلْ كُلُّهَا سَهْمٌ وَكُلِّي مَقْتَلٌ

وَمِنْ رَقِيقِ غَزَلِ ابْنِ سَهْلٍ⁴ قَوْلُهُ:

نَظَرْتُ جَرَى قَلْبِي عَلَى أَثَارِهِ، نَظَرْتُ جَرَى قَلْبِي عَلَى أَثَارِهِ،
يَا وَجَدًا! شَأْنُكَ وَالْفُؤَادُ وَخَلَّيِي، يَا وَجَدًا! شَأْنُكَ وَالْفُؤَادُ وَخَلَّيِي،
نَدِيفٌ يَغِيبُ عَنِ الطَّيِّبِ مَكَانُهُ، نَدِيفٌ يَغِيبُ عَنِ الطَّيِّبِ مَكَانُهُ،
لِلدَّمْعِ خَطٌّ فَوْقَ صُفْرَةٍ وَجْهِهِ، لِلدَّمْعِ خَطٌّ فَوْقَ صُفْرَةٍ وَجْهِهِ،
هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الضُّلُوعِ⁵ فُؤَادُهُ هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الضُّلُوعِ⁶ فُؤَادُهُ
مَنْ لِي بِهِ، يَرْضَى وَيَغْضَبُ مِثْلَمَا مَنْ لِي بِهِ، يَرْضَى وَيَغْضَبُ مِثْلَمَا
نَسْتَوْنُ يَعْثُرُ فِي الْحَدِيثِ لِسَانُهُ نَسْتَوْنُ يَعْثُرُ فِي الْحَدِيثِ لِسَانُهُ
وَالْخَالُ يَعْجَقُ فِي صَحِيفَةِ خَدِّهِ وَالْخَالُ يَعْجَقُ فِي صَحِيفَةِ خَدِّهِ
قَالُوا: سَيَسْلِيكَ الْعِذَارُ سَقَاهُمَةً، قَالُوا: سَيَسْلِيكَ الْعِذَارُ سَقَاهُمَةً،
لِنْ لَمْ أَمُتْ قَبْلَ الْعِذَارِ، فَعِنْدَمَا لِنْ لَمْ أَمُتْ قَبْلَ الْعِذَارِ، فَعِنْدَمَا

¹ - هكذا في الأصل، والأولى: جاز العجب.

² - أورد الصفدي هذه القصة في كتابه الغيث المسجم: 13/2. وبعبس ما يقوله الإفرائي فإن الصفدي يرى أن الأمر واضح إذ أبقى على ظاهره ولم يفتح باب المجاز.

³ - من قصيدة غزلية في ديوان ابن سناء الملك. 571. وفيه: لحظه، كله.

⁴ - من قصيدة في ديوان ابن سهل: 154-155 ترتيبها فيها: 1، 5، 9، 12، 6، 8، 13، 18.

⁵ - في الديوان 154: مأخوذاً، وهذا لا يسير المعنى الذي يقتضي النفي، لا التساؤل والاستفهام.

⁶ - في الديوان 154: السلو، وعلى رواية الأصل يكون فواده كالطائر الذي منع من العودة إلى وكره.

مِثْلُ الْغَرِيقِ نَجَا فَوَلَّيَ سَاحِلًا
 لِنَّ الْعِذَارَ صَفِيحَةً تَتَأَلَوْنَا
 مُوسَى تَنْبَأَ بِالْجَمَالِ، وَإِنَّمَا
 لِنَّ قُلْتُ فِيهِ: هُوَ الْكَلِيمُ، فَخَذُّهُ
 رَوْضٌ حُرِمْتُ ثِمَارُهُ، وَقَصَائِدِي
 يَا مَشْرِقِيَا غَرَّتْ فِي بَفْرِ نَدْوِهِ!
 أَيْسَتْ بِنَارِ الشُّوقِ فِيكَ جَوَانِحِي،
 أَحْرَقَتْ قَلْبِي فَاسْتَرْحْتُ مِنَ الْمُنَى،
 فَلِذَا الْأَسْوَدُ رَوَابِضًا¹ بِجَوَارِهِ
 مَا كُنَّ صَنَانِ الْحُسْنِ مِنْ أَسْرَارِهِ
 هَارُوتُ لَا هَارُونُ مِنْ أَنْصَارِهِ
 يَهْنِيكَ مُعْجِزَةُ الْخَلِيلِ بِنَارِهِ
 مِنْ وَرْقِهِ، وَالْأَسُ نَبْتُ عِذَارِهِ
 وَتَسَيَّتُ مَا فِي خَدِّهِ وَغِرَارِهِ
 وَالزُّنْدُ لَا يَشْكُو بِحَرِّ شَرَارِهِ
 كَمْ مِنْ رِضَى فِي طَيِّ كُرِهِ الْكَارِهِ

وقال أيضاً، ونسبها الشريف الغرناطي لصفوان ابن إدريس:²

بِتَنَا نَشْعُشُغُ، وَالْعَفَافُ نَتِيمُنَا،
 صَافِحَتُهُ، وَاللَّيْلُ يُنْكَي تَحْتَنَا
 وَضَمَمَتُهُ ضَمَّ الْبَخِيلِ لِمَالِهِ،
 أَوْثَقَتُهُ فِي سَاعِدِي، لِأَنَّهُ
 وَالْقَلْبُ يَرْغَبُ أَنْ يَصِيرَ سَاعِدًا
 عَزَمَ الْغَرَامُ عَلَيَّ فِي تَقْبِيلِهِ
 وَأَبَى عَفَافِي أَنْ أَقْبَلَ ثَغْرَهُ،
 فَاعْجَبَ لِمُلْتَهَبِ الْجَوَانِحِ غُلَّةً،
 خَمَرَيْنِ مِنْ غَزَلِي وَمِنْ كَلِمَاتِهِ
 نَارَيْنِ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ وَجَنَاتِهِ
 يَحْتَوُ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ
 ظَنِّي خَشِيْتُ عَلَيْهِ مِنْ نَفَرَاتِهِ
 لِيَفُوزَ بِالْأَمَالِ مِنْ ضَمَّاتِهِ
 فَخَلَعْتُ أَيْدِي الطُّوْعِ عَنْ عَزَمَاتِهِ³
 وَالْقَلْبُ مَطْوِيٌّ عَلَى جَمَرَاتِهِ
 يَشْكُو الظَّمَا، وَالْمَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ!

1 - في الديوان 154: روابض.

2 - قال في الديوان 339: «وأورد له صاحب المسلك السهل: 18، ونسبها الشريف الغرناطي في شرح المقصورة 99/1 لأبي البحر صفوان بن إدريس».

3 - في الديوان 349: "فجعلت أبدى الطوع"، وهو نقيض ما في المسلك السهل.

وقال أيضا¹:

رُثُوا عَلَى طَرْقِي النَّوْمَ الَّذِي سُلِّيًا
عَلِمْتُ، لَمَّا رَضِيتُ الْخُبَّ مَنْزِلَةً،
فَقُلْتُ: وَاحْرَبَا، وَالصَّمْتُ أَجْدَرُ بِي،
وَلَيْسَ ثَارِي عَلَى مُوسَى، وَحُرْمَتِهِ،
إِنِّي لَهُ عَنْ نَمِي الْمَسْقُوكِ مُعْتَزِرٌ،
مَنْ صَاغَهُ اللَّهُ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ فَقَدْ
نَفْسِي تَلَذُّ الْأَسَى فِيهِ وَتَأَلَّفُهُ،
قَالُوا: عَهْدُكَ مِنْ أَهْلِ الرِّشَادِ، فَمَا
يَاغَايِبَا، مَقْلَتِي تَهْمِي لِفِرْقَتِهِ
أَلْقَى بِمِرَاةٍ فِكْرِي شَمْسَ صُورَتِهِ
كَمْ لَيْلَةً بَتَّهَا، وَالنَّجْمُ يَشْهَدُ لِي
مُرْتَدًّا فِي النَّجَى: لَهْفِي! وَلَوْ طَقْتُ
هَلْ تَسْتَفِي مِنْكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاطِرُهَا؟
مَاذَا تَرَى فِي مُحِبٍّ! مَا تَكْرَرْتُ لَهُ
يَرَى خَيْالِكَ فِي الْمَاءِ الزُّلَالِ إِذَا

وقال أيضا²:

خَضَعْتُ وَأَمْرُكَ الْأَمْرُ الْمُطَاعُ، وَذَاعَ السَّرُّ وَلَتَكَشَفَ الْقَنَاعُ

¹ - في الديوان 74-76: "وقال يتغزل في معشوقه موسى، وكان شابا وسيما قد أهب الله على محياه من الحسن نسيمًا".

² - الديوان 230-231.

وَهَلْ يَخْفَى لِيذِي وَجْدٍ حَدِيثُ
أَشَاعُوا أَنِّي عَبْدٌ لِمُوسَى
وَقَدْ سَكَتَ الْوُشَاةُ الْيَوْمَ عَنِّي،
عَبَدْتُ هَوَاكَ فَاسْتَهْوَى عَفَافِي،
بَعَثْتُ وَسِيلَةً لَكَ مِنْ وِدَائِي
هَلَكْتُ بِمَا رَجَوْتُ بِهِ خَلَاصِي،
نَفَى سُهْدِي الْخَيْالَ، فَهَلْ رُقَادُ
لَقَدْ أَرَبَى هَوَاكَ عَنْ عَذَابِي
أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ أَشْكُوكَ بَنِي
وَأِنْ عَبَّرْتُ عَنْ شَوْقِي بِكُتُبِ

وقال أيضاً: 4

أَتَخْفَى النَّارُ يَحْمِلُهَا الْيَفَاعُ
نَعَمْ، صَنَقُوا عَلَيَّ بِمَا أَشَاعُوا
أَقْرَّ الْخَصَمُ فَارْتَفَعَ النَّزَاعُ
كَأَنَّ الْوُدَّ وَدًّا أَوْ سُـوَاعُ²
فَصَافَحَ وَقَدْ هَمَّا مِنْكَ الضَّيَاعُ
وَقَدْ يُرْذِي سَقِينَتَهُ الشَّرَاعُ
يُعَارُ لَطِيفٌ وَصْلِكَ أَوْ يُبَاعُ!
كَمَا أَرَبَى³ عَنِ الْأَدَبِ الطَّبَاعُ
مُشَافَهَةً فَيُخْجِلُكَ السَّمَاعُ
تَلَهَّبَ فِي أَنَامِلِي الْيَرَاعُ

وَذَاكَ خَدَّكَ مَصْبُوغًا بِعَذَمِهِ
رَامَ غَزَا مَقْلَتِي صَبَّ بِأَسْهُمِهِ
وَحَظُّ مُغْرَمِهِ، إِرْجَاءُ مَغْرَمِهِ
لَوْ يَقْبَلُ الْوَصْلَ رَأْيًا مِنْ مُعْلَمِهِ

ظُلُمًا خَصَمْتُ شَهِيدَ الْحُبِّ عَنْ نَمِهِ
يَصْبُو لِأَحَاطِمْ مُوسَى الْقَلْبُ، وَاعْجَبَا!
نَصِيبُ عَاشِقِهِ مِنْ حُبِّهِ نَصَابُ
عَلَّمَتْهُ الْفَتَاكَ فِي قَلْبِي بِنَاطِرِهِ،

وقال أيضاً: 5

- 1 - اليفاع: التل المشرف، أوكل ما ارتفع من الأرض.
- 2 - ود وسواع: صنمان. وفي القرآن: "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا..." سورة نوح 23/71.
- 3 - في الأصل: أربى، وفي الديوان: أربت.
- 4 - ديوان ابن سهل 196.
- 5 - ديوان ابن سهل 228-229، وفي حاشيته: "لم ترد في نسخة الديوان، ووردت في المسلك السهل...".

صَرَخَ بِمَا عِنْدِي وَلَوْ مَلَأَ الْقَضَا
لِي شَائِنَ صَادَ الْأَسْوَدَ بِمَقْلَعَةٍ،
غَصَنَ مَنَابِتُهُ الْقُلُوبُ وَكَوْكَبٌ
مَا طَالَ لَيْلِي بَعْدَهُ، بَلْ نَاطِرِي
أَبْكِي وَيَضْحَكُ رَاضِياً بِصَبَابَتِي
لَا تَلْقَ أَنْفَاسِي بِثَغْرِكَ، إِنَّهُ
طَارَ الْكَرَى لَكِنْ وَجَدِي قَصٌّ فِي
يَصْبُو² إِلَى قِصَصِ الْكَلِيمِ وَقَوْمِهِ،
أَشْكُو إِلَى الْحَقِّ الْمِرَاضِ، وَضَلَّةِ
بَلَوَى عَلَى الْقَلْبِ الْمُعَذِّبِ جَرَّهَا

وقال أيضاً³:

مَالِي وَلِلتَّعْرِيضِ فِيمَنْ عَرَضَا
أَلْقَى الْكَمِي لَهَا الذُّوَابِلَ مُعْرِضَا
مَا نَوَّهَ إِلَّا الْمَدَامِغُ فَيُضَا
يَأْتِي الصَّبَاحُ فَلَا يَرَاهُ أَبْيَضَا
وَالصَّبُّ يَجْنِي السُّخْطَ مِنْ ذَلِكَ الرِّضَا
بَرْدٌ، أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ جَمْرِ الْغَضَا
وَكُرِّ الضُّلُوعِ، فَلَمْ يُطِقْ أَنْ يَنْهَضَا
قَصِداً لِيُذَكِّرَكَ عِنْدَهَا، وَتَعْرِضَا
أَنْ يَشْتَكِيَ هَدَفَ إِلَى سَهْمٍ مَضَى
لَخِطِ الظُّلُومِ، وَلَخِطِ مُوسَى وَالْقَضَا

وَدَادِي، وَأَعِذَارِي إِلَيْكَ ذُنُوبِي
وَقَاطَعْتُ مِنْ قَوْمِي أَعَزَّ حَبِيبِ
وَلُبِّي وَسَلَوَانِي لِغَيْرِ مُثِيبِ
وَحَابٍ، وَلَا عَنَبَ عَلَيْكَ⁴، نَصِيدِي
تَتَاقَضَ وَصُفَا عَاشِقٍ وَلَبِيبِ
وَلَكِنْ فِرَاقَ السَّيْفِ كَفَّ شَبِيبِ⁵

¹ - في الأصل و (ب): مات، وفي الديوان: يأتي، مع الإشارة في الحاشية إلى مافي الأصل.

² - في الديوان 228: أصبو.

³ - ديوان ابن سهل 77.

⁴ - في الديوان: عليه.

⁵ - إشارة إلى قول المتنبي:

وقال أيضا¹:

يَقُولُونَ: لَوْ قَبَّلْتَهُ لَأَسْتَقَى الْجَوَى،
وَلَوْ غَفَلَ الْوَاشِي لَقَبَلْتُ نَعْلَهُ،
وَمَنْ لِي بِوَعْدٍ مِنْهُ أَشْكُو بِخَلْفِهِ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَحْمِلُ الرِّيحَ شَوْقَهُ،
يَقُولُ لِي اللَّاحِي، وَقَدْ جَدَّ بِي الْهَوَى
أَلَمْ تَرَوْ قَطُّ: اصْبِرْ لِكُلِّ مُلِمَّةٍ؟
إِذَا جَاءَتِ الْعُدَالُ فِيهِ بِسِحْرِهَا

أَلْطَمَعُ فِي التَّقْيِيلِ مَنْ يَعْتَشِقُ الْبَذْرَا؟
أَنْزَهُهُ أَنْ أَكْثَرَ النَّخْرَ وَالْثَغْرَا
وَمَنْ لِي بِوَعْدٍ مِنْهُ أَشْكُو بِهِ الْغَدْرَا
أَغَارُ حِفَاطًا أَنْ لُبُوحَ لَهُ سِرًّا
لِللَّهِمَّنِي فِي سُوءِ تَخْيِيلِهِ الصَّبْرَا:
فَقُلْتُ: أَمَا تَرَوْنِي: لَعَلَّ لَهُ عُنْرَا
فَقِي لَحْظِ مُوسَى آيَةً تُبْطِلُ السَّحْرَا

وقال أيضا⁴:

سَلِ النَّوْمَ يَا مُوسَى، وَهَنَنْتَ طَيْبَهُ،
وَطَالَ تَقَّيِّي أَنْ أَصَابَ بِفِتْنَةٍ،
نَظَرْتَ بِبَيْتِكَ الْعَيْنِ نَظْرَةً قَاتِلٍ،
أَيَا مُعْرِضًا أَعْلَقْتَ مِنْ حُبِّهِ يَدِي
أَبْرَهِنْ عِنْدَ النَّفْسِ بَاطِلَ عُنْرِهِ،
أَعَزَّيْتَنِي مِنْ ثَوْبٍ وَصَلَّكَ بَعْدَمَا

مَتَى عَهْدُهُ مِنْ عَيْنِ مَهْجُورِكَ الشَّقِي؟
لَقَدْ جَلَبَتَ عَيْنَاكَ مَا كُنْتَ أَتْقِي
فَهَلْ عِنْدَهَا، إِذْ⁶ مِتُّ، نَظْرَةٌ مُشْنِقٍ!
بِمِثْلِ شُعَاعِ الْبَارِقِ الْمُتَالِقِ
وَأَقْنَعُ مِنْهُ بِالْوَدَلِ الْمُلْفَقِ
كَسَوْتِ الضَّنَى⁷ عِطْفِي وَالشَّيْبَ مَقْرِقِي

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يلتقيان

(شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمان البرقوقي 4/473)، وفي حاشيته أن شبيبا هذا هو شبيب بن جرير العقيلي، من قوم من القرامطة كانوا مع سيف الدولة. ولي معرة النعمان طويلاً ثم ثار مع قوم من الأعراب، وانتهى نهاية مأساوية.

¹ - ديوان ابن سهل 159.

² - في ديوان ابن سهل بعهد، وهو أنسب.

³ - في ديوان ابن سهل: سره، وفيه أبيح، بدل أبوح، وهما أنسب في نظرنا.

⁴ - ديوان ابن سهل 256.

أَخَذْتُ مَعَ الْأَشْجَانِ أَكْرَمَ مَوْثِقٍ
تَلَذُّ وَهُوناً يُشْبِهُ الْعِزَّ فَاغْشَقِ

وَيَا سَلَوْتِي، لَا أَعْرِفُ الْغَدْرَ¹، إِنِّي
وَيَا صَاحٍ، إِنْ لَمْ تَذَرِ أَنْ شَقَاوَةً

وقال أيضاً:²

فَمَنْ بِيَمِي إِنْ حُمَّ فِيكَ حِمَامِي!
عَصَاماً إِلَى الْعَلْيَاءِ نَفْسُ عِصَامٍ³

سَأَلَزِمُ نَفْسِي فِيكَ نَنْبَ غَرَامِي،
وَنَفْسِي دَعَتْنِي لِلشَّقَاءِ كَمَا دَعَتِ

وقال يهجو ابن القصير:⁴

عَلَى وَجَنَاتِهِ طَفَلُ الْمَسَاءِ
فَلَسْتُ بِدَاخِلٍ تَحْتَ اللَّوَاءِ⁶

أَيَا مُتَطَفِّلاً فِي الشَّعْرِ يَبْنُو
إِذَا الضُّلَيْلُ⁵ يَوْمَ الْحَشْرِ وَأَفَى

وقال في أرمـد:⁵

¹ في الديوان: العذر. وفي بعض مصادره: الغدر.

² -ديوان ابن سهل: 201.

³ - إشارة إلى قول الشاعر (عن لسان العرب: عصم):

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامَا

وَصَيَّرَتْهُ مَلَكاً هُمَامَا

وَعَلَّمَتْهُ الْكُرَّ وَالْإِقْدَامَا

⁴ في الأصل: ابن القصي، والمثبت عن ديوان ابن سهل 65. وابن القصير من كبار فقهاء الأندلس في القرن السادس الهجري. (أزهار الرياض 14/3-16 وأماكن أخرى من هذا الجزء والجزء الرابع).

⁵ - الضليل: امرؤ القيس، وفي البيت إشارة إلى الحديث "امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار". (مسند أحمد 228/2).

⁶ - في الأصل: الثنا، والصواب ما أثبتناه عن ديوان ابن سهل.

⁷ - ديوان ابن سهل 279 وفي الحاشية: "لم ترد في نسخ الديوان ونقلناها عن المسلك السهل: 22".

ما عَابَ سَاحِرَ طَرَفِهِ رَمَذِ بِهِ،
لَا تَأْمَنُ فَتَكَاتِ لَحْظِ أَرْمَدِ
وَقَالَ¹:

كَأَنَّ السُّقْمَ وَالسُّلُوفَانَ ذَهْنُ،
يَحُومُ عَلَيْهِ مَعْنَى مُسْتَحِيلُ
وَقَالَ، مَهْنًا بِمَوْلُودِ²:

هِيَ طَلَعَةُ السَّعْدِ الْأَعْرَفِ فَمَرْحَبَا،
فَرَعُ أَزَاهِرِهِ الْمَنَاقِبِ ثَابِتْ
اللَّهُ خَوْلَ مِنْهُ أَجَامِ الرَّبِيِّ³
هَشَّتْ لِمَطْلَعِهِ الْأَسِيرَةُ وَالْأَسِنَّةُ
لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الْمُهُودِ فَإِنَّهُ
[وَلْتَقَطِمُوهُ عَنِ اللَّبَانِ فَإِنَّهُ]

وَمِنْ قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي أُولَاهَا⁵:

رُغِبَ بِجَيْشِ اللَّذَاتِ سِرْبِ الشُّجُونِ
لَا تَرُنَّنْ بِالْتَّنَصُّلِ نَصْلِ اللَّحْمِ
وَاخُذِ الْكَأْسَ رَايَةً بِالْيَمِينِ
وَمِنْ، وَقَلْبَ لَهُ مَجَنِّ الْمُجُونِ

¹ - البيت 15 من قصيدة في 19 بيتا في ديوان ابن سهل 173-174. وفيه: كَانَ الْقَلْبُ.

² - ديوان ابن سهل 85.

³ - في الديوان: الْعَلَا.

⁴ - زيادة من الديوان 75. سَهَا الْإِفْرَانِي بِسَبَبِ وَجُودِ كَلِمَةِ (لِيرِي) فِي أَوَّلِ الشُّطْرَيْنِ. انظر ص 25 ح 9.

⁵ - الأبيات 1، 2، 9، 20 من قصيدة في 22 بيتا في ديوان ابن سهل 211-213.

كَمْ نَهَانِي عَنْ حُبِّ مُوسَى نَاسٍ، عَذْلُونِي، فَلِذَا بَدَا حَسَنُونِي
أَكْبَرُوهُ وَلَمْ تَقْطَعْ أَكْفًا، بِمُدَى، بَلْ قُلُوبُهُمْ بِجُفُونِ

وقال ابن سهل في أصفر:²

كَانَ مُحَدِّثًا لَهْ بِهَجَجَةً حَتَّى إِذَا جَاعَكَ مَاحِي الْجَمَالِ
أَصْبَحْتَ كَالشَّمْعَةِ لَمَّا خَبَا مِنْهَا الضِّيَاءُ، اسْوَدَّ مِنْهَا الذُّبَالُ

وأما نظمه في التوجيه: باصطلاح النُّحَاة، فقال الثعالبي في الأنوار³: ابن سهل أكثرُ
الناس استعمالاً للقواعد العربية في شعره. وسيأتي بيان معنى التوجيه في مواضع من

1 - يشير إلى الآية:

"فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ وَقَطَعْتَ أَيْبَهُنَّ".

(سورة يوسف 31/12)

2 - ديوان ابن سهل 179.

3 - الثعالبي هو: أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم الثعالبي الفاسي الجزائري، ترجم له ابن القاضي في
جنوة الاقتباس، وسماه عبد الله بن أبي القاسم بن محمد التغلبي الفاسي، وجعل وفاته سنة 987هـ، وهو
خطأ صححه محقق المنزوع البديع، وجعل وفاته حوالي سنة 789هـ.

أخذ عن منديل ابن أجروم، والأستاذ ابن حياتي، وأبي علي الحسن الونشريسي، وكان مؤلفا وشاعرا.
وكتابه أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلبي، شرح مستفيض لقصيدة الحلبي البديعية المشهورة،
اعتمده الإفراني في كتابه المسلك السهل في الدرجة الثانية بعد خزنة الأدب لابن حجة.
(جنوة الاقتباس 626/2 وأنور التجلي 242/2 - 397 ومواضع أخرى منه، ونفح الطيب 279/7.
والمنزوع البديع: مقدمة المحقق 49/1-50).

التوشيح، إن شاء ربنا الكريم، عند شروعا في اقتصار ظبيات ذلك الصريم¹. فمن قوله في التوجيه²:

لَقَدْ كُنْتُ لَرَجُوءٍ أَنْ تَكُونَ مُوَاصِلِي فَأَسْقَيْتَنِي بِالْبُعْدِ فَاتِحَةَ الرَّغْدِ³
فَبَالَهُ بَرْدٌ مَا بَقِيَ مِنَ الْجَوَى بِفَاتِحَةِ الْأَعْرَافِ⁴ مِنْ رِيْقِكَ الشَّهْدِي
وَلَهُ⁵:

إِذَا كَانَ نَصْرُ اللَّهِ وَقْأً عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ الْعِدَّاءَ التَّوْبِينَ، يَحْتَفُهُ الْوَقْفُ
وَلَهُ⁶:

وَقَرْنَا بَابَ الْمُضَافِ عِنَاءً وَحَقَّقْنَا الرَّهْبَ كَالْتَّنْوِينِ
وَلَهُ⁷:

إِذَا الْيَأْسُ نَاجَى النَّفْسَ مِنْكَ بَلَنَ وَلَا أَجَابَتْ ظُنُونِي: رَبِّمَا وَعَسَانِي
وَلَهُ⁸:

¹ - الصريم: القطعة من معظم الرمل. (القاموس المحيط: صرم).

² - ديوان ابن سهل 117.

³ - فاتحة الرعد هي: "الف، لام، ميم، راء". (سورة الرعد 1/3). وهي تؤولف كلمة: المر.

⁴ - فاتحة سورة الأعراف هي: "الف، لام، ميم، صاد" (الأعراف 1/7). وهي تؤولف كلمة: المص.

⁵ - بيت مفرد في ديوان ابن سهل نقلا عن المسلك.

⁶ - البيت 22 والآخر من قصيدة في الخمر والغزل في ديوان ابن سهل 213.

⁷ - البيت 8 من قصيدة في عشرين بيتا، في ديوان ابن سهل 214.

⁸ - البيت الأخير من مقطوعة في ديوان ابن سهل 82.

صَحَّخْتُ يَأْسِي مِنْ وَصَالِكَ مِثْلَمَا قَدْ صَحَّ يَأْسُ الْحَرْفِ مِنْ إِعْرَابِهِ

قال الثعالبي: وهذه القواعد التي أشار لها ابن سهل معروفة في العربية، تدلُّ على قوة باعه فيها¹.

وقال ابن سهل²:

مَهْ لَأَمِّي عَنْ مَلَمِّي مَهْلًا بِقَلْبِي مَهْلًا
تُبْ، لَا نَلْمُ ذَا غَرَامٍ إِنْ لَمْ تَتُبْ سَوْفَ تُبْلَى

وقال³:

قَدْ كَتَبَ الْحُسْنُ عَلَى خَدِّهِ، إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا⁴
يَا قَلْبُ، إِنْ مِلْتَ إِلَى غَيْرِهِ مَا أَنْتَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ⁵

قلت وهذا الذي ارتكبه من محرَّم الاقتباس. قال ابن حجة في بديعيته⁶: الاقتباس ثلاثة أقسام؛ مقبول، ومباح، ومردود. فالأول ما كان في الخطب والمواعظ [والعهود]⁷،

¹ - انظر أنور التجلي 129/1.

² - في ديوان ابن سهل 279 نقلا عن المسلك السهل.

³ - ديوان ابن سهل 225، نقلا عن المسلك.

⁴ - اقتباس من الآية: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ.." (سورة الفتح 1/48).

⁵ - اقتباس من الآية: "إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ". (يس 47/36). وتكرر هنا التعبير في آيات أخرى.

⁶ - ابن حجة، هو أبو بكر بن علي الحموي المتوفى سنة 1433/837م. شاعرٌ ومنشئ، كان له اتصال واسع بعلماء عصره في الشام ومصر. جمع الكثير من شعر الغصنور المتأخرة في كتابه خزانة الأدب، الذي هو بالأساس شرح لبديعية له. اعتمد عليه الإفرائي كثيرا في القضايا البديعية وشواهدا (ترجمته في الضوء اللامع 53/11، وشذرات الذهب 219/7). والنص المنقول هنا عن خزانة الأدب 539 مع بعض التصرف. وهو أكثر مطابقة لنص عقود الجمان 168 التي يشير إليها المؤلف في هذه الصفحة.

⁷ - زيادة من خزانة الأدب وعقود الجمان.

والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصاص، والثالث على ضربين: أحدهما ما نسبته الله إلى نفسه، نعوذ بالله ممن نسبته إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مَظْلَمَةٍ¹ فيها شكاية [من]² عماله: "إِنَّا إِلَيْنَا يَأْتِبُهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ"³ ثانيهما، تضمين آية في معنى هزل، انتهى.

قال في عقود الجمان وهذا التقسيم حسن جداً⁴، وقد كنت جرت في حكم الاقتباس كراسة لطيفة⁵ يطلب تحرير هذا المطلب منها.

وقال ابن سهل⁶:

أَبُو طَالِبٍ فِي كَفِّهِ، وَبَخَدِّهِ أَبُو لَهَبٍ، وَالْقَلْبُ مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ
وَبَيْنَنَا شُعَيْبٌ مُقَاتَلَاهُ، وَخَالَهُ إِلَى الصُّدُغِ، مُوسَى قَدْ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ⁷

وفي هذين البيتين الجناس المعنوي، وهو من لطائف الأدب التي لا يجوس حولها إلا فحول الرجال. وقول الصفدي في الغيث، وفي جنان⁸ الجناس: هذا النوع عندي باطل،

¹ - في المصدرين السابقين: مظلمة.

² - زيادة من خزانة الأدب 539.

³ - سورة الغاشية 26/88.

⁴ - انظر عقود الجمان 168.

⁵ - لم يحصل لنا علم بمصير هذه الكراسة.

⁶ - الديوان 181 نقلاً عن المسلك السهل. قلت: وورداً، كذلك، في تزيين الأسواق 473 غير معزوين.

⁷ - اقتباس من سورة القصص 24/23/28: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ، وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ، قَالَ: مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا: لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ".

⁸ - في الأصل جناس الجناس وهو، خطأ. انظر الرأي المشار إليه في جنان الجناس للصفدي ط القسطنطينية 1299 هـ ص 34-35.

دليل على أنه عجز عن نظمه. واستدلّاه بعد بيت المتنبي¹ شاهد على أنه لم يفهمه، فكيف ينظمه؟! نعم، الجنس من حيث هو، قال في العمدة²: "من أنواع الفراغ وقلة الفائدة، ومما لا يشك في تكلفه. وقد كثّر منه هؤلاء الساقّة المتعقّبون في نظمهم ونثرهم حتى برّد ورك". وقال أبو بكر الحموي³: لم يجنح له إلا من قصرت همته عن اختراع المعاني التي هي كالنجوم للزاهرة في لُقى الألفاظ، وإذا خلت بيوت الألفاظ من سكان المعاني تنزّلت منزلة الأطلال البالية. وما أحلى قول الفاضل⁴:

إنّما الدلّ، قبل بالسكّان، ثمّ بعد السكّان بالجيران
فإذا ما الأرواح شرّدها الحنّ ف، فماذا يُراد بالأبّـدـن

ابن الوردي⁵:

إذا أحييت نظم الشعر فاختر ولا تقصد مجانسة ومكن
إنظمك كل سهل ذا امتّاع قوافيه وكله إلى الطّباع

1 - المقصود قول المتنبي في ديوانه 99:

حاولن تقريبي وخفن مراقبا فوضعن أيديهن فوق ترائيا

وفي الرواية المعتمدة عند الصّفي: "تفديتي" بدل "تقريبي"، فهو يفترض أن الكلمة الغائبة هي "الأفئدة"، حيث استبدلها الشاعر بـ "ترائيا" للضرورة.

وما ذكره الإفرائي هو رأي ابن حجة في خزنة الأدب 52 واستشهد ببيت المتنبي.

2 - النص في العمدة 328/1 مع بعض التصرف أيضا. وهو مطابق لنص خزنة الأدب 25 المنقول عن العمدة. وقد عمم الإفرائي هذا الحكم على الجنس "من حيث هو"، بينما أصدره صاحب العمدة على ما أحدثه المولدون من تجانس منفصل يظهر في الخط.

3 - في خزنة الأدب 25 بتصريف.

4 - البيتان في خزنة الأدب 25.

5 - البيتان في المصدر السابق 27.

ابن ممتي¹:

طَبَعُ الْمُجَنِّسِ فِيهِ نَوْعٌ قِيَادَةٌ أَوْ مَا تَرَاهُ مُؤَلَّفًا لِلْأَخْرِفِ

والصفدي ممن تهافت على الجناس. ونُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ الْجَمَالُ بْنُ نَبَاتَةَ عَلَى تَأْلِيفِهِ الْمُسَمَّى بِجَنَانٍ² الْجَنَاسِ قَرَأَهُ: جِنَاسُ الْخَنَاسِ³. وَجَرَى بَيْنَهُمَا بِسَبَبِ ذَلِكَ مَا يَطُولُ شَرْحُهُ.

ومن أحسن الجناس المعنوي قولُ ابن عَنَبُون، وقد اصطبَحَ بخمرة فترك بعضها إلى الليلِ فصارَ خَلًّا:

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَأْسُ مُدَلَمَةٍ لَتَتَنَّا بِطَعْمِ عَهْدِهِ غَيْرُ ثَابِتٍ
حَكَتْ بِنْتُ بَسْطَامٍ بِنَ قَيْسٍ صَبِيحَةً وَأَمْسَتْ كَجِسْمِ الشَّنْفَرِيِّ بَعْدَ ثَابِتٍ

بنتُ بسطام: اسمُها الصَّهْبَاءُ. وثابت: اسمُ تَأْبَطِ شَرَّاءَ، ولما قَتَلَهُ بَنُو هَذِيلِ قَالَ الشَّنْفَرِيُّ:

فَأَسْقَيْتُهَا أَيْ سَوَادَ بَنٍ عَمْرٍو، إِنَّ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ خَالِي لَخَلٌّ

والخلُّ كناية عن الجسم النحيل المهزول، واختلف في قوله: خالي، فقيل: بعد قتل خالي، وقيل: اختيالي، والحال: الهوى. وتروى الأبيات لخلف الأحمر⁴.

والذي يظهرُ في بيتي ابن سهلٍ أَنَّهُ أَرَادَ بِأَبِي طَالِبٍ مَا فِي كَفِّهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَاللَّبُونَةِ لِلطَّالِبَةِ لِلْسَّالِي أَنْ يَعْشُقَ، أَوْ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ، وَهُوَ الْوَصْلُ طَوْعَ يَدَيْهِ، كناية عن كونه أن

¹ - البيت في خزانة الأدب 27. وفيه: الأسعد بن ممتي. (انظر ترجمته في الوفيات 189/1 - 192،

طبعة 1948م. والأدب العربي في مصر 307).

² - في الأصل: جناس، وهو خطأ زكما تقدم.

³ - في الأصل جنان الجنان.

⁴ - انظر هذه القصة وما يتعلق بها من شعر في أنوار التجلي 24/1 - 25.

أَرَادَهُ وَقَعَ.

وأبو لهب: حمرة الخدود، فكأنها جَنوة نار. وأبو جهل: قساوة قلبه عن سماع الحق، ولم يُرد أسماءهم، فإن أبا طالب اسمُه عبد مناف على المشهور، وأكثر المنتقمين، كما قال الحاكم، على أن اسمه كنيته. نكره ابن حجر في الإصابة. وأبو لهب: عبد العزى، ولهذا عُذِلَ في القرآن لِكُنْيَتِهِ. وأبو جهل: الحكم. وبننا شعيب، أشار إلى قوله تعالى: "تَنُودَانِ"¹. والخال من تحت [ظل] العذار، كموسى في فيء الجدار.

ورأيت بخط الإمام أبي العباس المقرئ ما نصه²: حضر إبراهيم بن سهل يوما مع الأئيب الشهير أبي الحسن علي بن سعيد بموضع بإشبيلية، فاتفق جواز وزير الوالي عليهما، وكان أفلح، أي مشقوق الشفة، فقال ابن سهل مُعَرَّضاً:

وَزَيْرُ وَالَيْنَا الرُّضَى أَفْلَحُ³

فقال ابن سعيد:

فَهَلْ تَرَانَا بَعْدَهُ نَفْلَحُ!

فقال ابن سهل:

يَقْرَأُ رَاجِيهِ عَلَى فِيهِ: لَا

فقال ابن سعيد:

¹ - انظر الحاشية 87 في الصفحة 7.

² - انظر هذه القصة في اختصار القدح المعلى: 140-141.

³ - في اختصار القدح 140:

وَزَيْرُنَا، يَا وَيْحَنَا، أَفْلَحُ

فَحَاجَةُ الْمَسْكِينِ لَا تَتَجَحُّ

وقال ابن سعيد في ديوان شعره الذي ألفه على حروف المعجم ما نصه: خرجت مرة مع أبي إسحق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي إلى مرج القضة بنهر إشبيلية، فتشاركنا في هذا الشعر¹:

وَيَمُدُّ رَاحَتَهُ لِغَيْرِ الرَّاحِ	غَيْرِي يَمِيلُ إِلَى كَلَامِ اللَّاحِي
وَيَمِيلُ عَطْفَ الشَّارِبِ الْمُرتَّاحِ	لَأَسِيمًا وَالْغُصْنُ يُزْهِرُ زَهْرَهُ
مِنْ كُلِّ مَا أَشْكُوهُ لَيْسَ بِصَاحِ	وَقَدْ اسْتَطَارَ الْقَلْبُ سَاجِعُ أَيَّكَةِ
مِنْ جَانِحِ الْعَجْزِ ² حَلْفِ جُنَاحِ	قَدْ بَانَ عَنْهُ جَنَاحُهُ ² ، عَجَبًا لَهُ
وَتَخَالُهُ قَدْ ظَلَّ فِي أَفْرَاحِ	بَيْنَ الرِّيَاضِ وَقَدْ غَدَا فِي مَأْتَمِ،
قَصْفِ تَزَجَّيْهِ يَدُ الْأُرُوحِ	وَالْغُصْنُ يَمْرُحُ تَحْتَهُ وَالنَّهْرُ فِي
أَعْلَامِ خَزَفٍ فَوْقَ سُمْرِ رِمَاحِ	وَكَأَنَّمَا الْأَنْشَامُ ³ فَوْقَ جَنَابِهِ ⁴
لَمَّا رَأَتْهُ مُدْرَعًا لِكِفَاحِ	لَا غُرُو أَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ أَسْطُرًا
مَالَتْ عَلَيْهِ فَظَلَّ حَلْفَ صُدَاحِ	فَإِذَا تَتَابَعَ مَوْجُهُ لِإِفَاعِهِ

وابن سعيد، هو أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد من ذرية عمّار بن ياسر، رضي

¹ - انظر نص هذا الكلام والقصيدة في نفح الطيب 307/2-308، والقصيدة في ديوان ابن سهل 92.

² - في ديوان ابن سهل: قرينه.

³ - الأنشام: شجر للقيسي، مفردا نشم محرّكة.

⁴ - هكذا في الميسك وديوان ابن سهل، وفي نفح الطيب: جناحه.

الله عنه، ذكره في الإحاطة، وأُطالَ في نفح الطيب في ترجمته¹. ارتحل للمشرق، ولما
خلَ للقاهرة صنَّعَ له ألباؤها فرجةً في ظاهرها، فكان فيهم أبو الحسن الجزلر يدوسُ
النرجسَ برجله، فقال أبو الحسن:

يَا وَاطِئَ النَّرْجِسِ، مَا تَسْتَحْيِي لَنْ تَطَأَ الْأَغْيَنَ بِالْأَرْجُلِ!

فتهافتوا على إجازته، فقال ابنُ أبي الإصْبَعِ:

دَعَيْ فَائِي لَمْ أَزَلْ مُحَقَّقاً عَلَى لِحَاطِ الرِّشَاءِ الْأَكْحَلِ

ثم طلبوا أبا الحسن أن يُجِيرَ فقال:

قَابِلْ جُفُوناً بِجُفُونٍ، وَلَا تَبْتَذِلِ الْأَرْقَعَ بِالْأَسْقَلِ

"ثم استدعاه سيفُ الدين بنُ سابقٍ إلى مجلسٍ بصفةٍ للنيلِ مفروشٍ بالوردِ، وقد قامت
حوله شَمَامَاتٌ، فقال:

مَنْ فَضَّلَ النَّرْجِسَ فَهُوَ الَّذِي يَرْضَى بِحُكْمِ الْوَرْدِ إِذْ يَرِئُ
أَمَا تَرَى الْوَرْدَ غَدًا قَاعِداً وَقَامَ فِي خِدْمَتِهِ النَّرْجِسُ

ووافق ذلك ممالكُ التركِ وقوفاً في الخدمة، فطربَ لها الحاضرون². وملَّحُ ابنِ سعيدٍ
كثيرةً.

¹ - نفح الطيب 262/2-350.

² - تصرف الإفراني في الجزء الأول من نص نفح الطيب 271/2-272، واحتفظ بما حصرناه منه.

مسك ختام

يسفر عن وجوه مخدرات البدائع اللثام.

لما جرى ذكر إبراهيم بن سهل، وأجزينا من سوابق محاسنه التي تتألقها الركبان في الحزن والسهل، ورصعنا لبات الأفاظ بجواهر أغراضه الثمينة، ورصفنا دُرر قصائده التي هي من الرخص في أسواق الألب أمينة، مع كونه نشأ في أمة لا ينطق من يقاف العجمة لسانها، ولا تمسك إلا بيد الهجنة أرسائها، حسن أن نذيلة بمن كان على شاكلته من اليهود، ولرتوى من عيون القريض الغزيرة، وطلع كالسهي الخفي بين كواكب أنباء الإسلام من أهل الجزيرة. لأن ذلك مما رأته ملقحة للفكر، والشيء بالشيء يذكر.

فمنهم¹: إبراهيم بن الفخار، و"كان قد تمكن عند الأنفثش ملك طليطلة النصراني، وصيَّره سفيراً بينه وبين ملوك المغرب. وكان عارفاً بالمنطق والشعر. قال ابن سعيد: لثنتني لنفسه يخاطب أديباً مسلماً كان يعرفه قبل أن تلو رتبته"²، ويعود سفيراً بين الملوك، ولم يزد، بعد ما حصل له من الرئاسة على ما كان يعامله به من الإذلال والصغار، فضاق ذرعاً ابن الفخار، وكتب إليه:

لِأَجَاعِلًا أَمْرَيْنِ شِبْهَيْنِ مَا لَهُ	مَنْ الْعَقْلُ إِحْسَاسٌ بِهِ يَتَفَقَّدُ
جَعَلَتْ الْغِنَى وَالْفَقْرَ وَالذُّلَّ وَالْعُلَا	سَوَاءٌ فَمَا تَتَفَكُّ تَشْقَى وَتَجْهَدُ
وَهَلْ يَسْتَوِي فِي الْأَرْضِ نَجْدٌ وَتَلْعَةٌ؟	فَتَطْلُبُ تَسْهِيلًا وَسَيْرُكَ مُصْعَدُ
وَمَا كُنْتَ ذَا مَيِّزٍ لِمَنْ كُنْتَ طَالِبًا	بِمَا كُنْتَ فِي حَالِ الْفَرَاغِ تُعَوِّدُ

¹ - اعتمد الإفراني فيما أورده عن الشعراء اليهود على نفع الطيب 522/3-530. وانظر ترجمة ابن

الفخار في المغرب في حلى المغرب 32/2.

² - تصرف الإفراني في باقي نص نفع الطيب 527/3، ولذلك لم نحصره كله.

وقدْ حَالَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَاغِلٌ، فَلَا تَطْلُبْنِي بِالَّذِي كُنْتَ تَعْهَدُ
فَإِنْ كُنْتَ تَأْتِي غَيْرَ إِقْدَامِ جَاهِلٍ، فَأَنْتَ لَا تَنْفَكُ تُلْحِي وَتُطْرَدُ
أَلَا فَاتٌ فِي أَبْوَابِهِ كُلِّ مَسْأَلِكٍ، وَلَا تَكُ كَلًّا حَيْثُمَا قُمْتَ تَقْعُدُ

قال ابن سعيد: وأنشئني لنفسه:

وَلَمَّا دَجَا لَيْلُ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ، تَيَقَّنْتُ أَنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى وَأَسْتَرُ
وَأَصْبَحَ عُذَّالِي يَقُولُونَ: صَاحِبٌ، فَأَخْلَوْا بِهِ جَهْرًا وَلَا اتَّسَّرُ

وقال يمدح الأنفُس، لعنه الله:

حَضْرَةُ الْأَنْفُسِ لَا بَرِحَتْ غَاذَةً، أَيَّامُهَا عُرْسُ
فَاخْلَعْ النُّعْلَيْنِ تَكْرِمَةً فِي ثَرَاهَا، إِنَّهَا قُنُسُ

قال: وأدخلوني إلى بستان الخليفة المستنصر، فوجنته في غاية الحسن، كأنه الجنة، ورأيت على بابه بواباً في غاية القبح، فلما سألتني الوزير عن حال فرحتي، قلت: رأيت الجنة إلا أنني سمعت أن الجنة يكون بوابها رضوان، وهذه بوابها² مالك، فضحك الوزير وأخبر الخليفة المستنصر³ بذلك، فقال له: إنا قصدنا ذلك، فلو كان رضوان عليها بواباً لخشنا أن يردّه عنها، ويقول له: ليس هذا موضعك، ولما كان مالكا أدخله لها وهو لا يدري ما وراءه ويتخيل أنها جهنم. قال: فلما أعلمني الوزير بذلك قلت⁴ «الله أعلم حيث يجعل

١ - في نفح الطيب 528/3: فعلا، والأحسن ما في المسلك السهل، إذ في الكلمة إشارة إلى الآية "وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه". (سورة النحل 76/16).

٢ - في نفح الطيب 528/3، مصدر النص: على بابها.

٣ - نفح الطيب: فضحك وأخبر الخليفة بما جرى.

٤ - في نفح الطيب: قلت له.

رِسَالَاتِهِ¹، انتهى.

نَكَرْتُ بِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ النَّادِرَةِ، الَّتِي تَنْشُطُ لِقَائِ الْمَفَاخِرِ الْأَفْكَارِ السَّادَةِ، مَا رَأَيْتُهُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ، أَنَّ الْخَلِيلِيَّ الْمَأَقِيمَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ رَسُولًا إِلَى سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ أَبِي عَنَانَ فَارِسِ ابْنِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمُرِينِيِّ أَنْشَدَ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ كَالْمُقْتَضِرِ بِيْلَادِ الْأَنْدَلُسِ أَيْبَاتِ ابْنِ خَفَاجَةَ²؛ وَهِيَ³:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ لِلَّهِ تَرَكُّكُمْ مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ
مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي بَيْارِكُمْ وَهَذِهِ كُنْتُ، لَوْ خَيْرْتُ، أَخْتَارُ
لَا تَحْسَبُوا فِي غَدٍ أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

فَقَالَ أَبُو عَنَانَ: كَتَبَ هَذَا الشَّاعِرُ! يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ جَعَلَهَا جَنَّةَ الْخُلْدِ، وَلَوْ خَيْرٌ لاختارها عَلَى مَا فِي الْآخِرَةِ. وَهَذِهِ خُرُوجٌ عَنْ رِبْقَةِ الدِّينِ وَلَا أَقْلَ مِنَ الْكُنْبِ وَالْإِغْرَاقِ، وَإِنْ جَرَتْ عَادَةُ الشُّعْرَاءِ بِتِلْكَ. فَقَالَ الْخَلِيلِيُّ: يَا مَوْلَانَا، بَلْ صَنَعَ الشَّاعِرُ، لِأَنَّهَا مَوْطِنُ جِهَادٍ، وَمَقَارِعَةُ لِلْعَوُوِّ وَجِلَادٍ، وَالنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرَّحِيمِ الرَّؤُوفِ، يَقُولُ: الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ⁴. فَاسْتَحْسَنَ مِنْهُ هَذَا الْكَلَامَ، وَرَفَعَ عَنْ قَائِلِ هَذِهِ الْأَيْبَاتِ الْمَلَامَ، وَأَجْزَلَ صِلَتَهُ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ. وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا الْجَوَابَ جَدِيرٌ بِالصَّوَابِ. وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رِسْلُ الْمُلُوكِ فِي الْإِقْتِنَانِ. رَوَّحَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْجَمِيعِ فِي الْجِنَانِ⁵.

وَمِنْهُمْ: الْيَاسُ مُدَوِّرُ الطَّيِّبِ⁶، نَكَرَهُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ، قَالَ: وَكَانَ فِي زَمَانِهِ طَبِيبٌ آخَرُ،

¹ - سورة الأنعام 124/6.

² - نص نفح الطيب 681/1.

³ - الأبيات في ديوان ابن خفاجة 301، ونفح الطيب 680/1.

⁴ - صحيح البخاري 22/4 (ط1314).

⁵ - نفح الطيب 681/1، بتصرف.

⁶ - اسمه عند ابن سعيد في المغرب 1/336: "إليس بن صدود اليهودي الطيب"

كان يجري بينهما من المحاسبة ما يجري بين مشتركين في صناعة، فأصلح الناس بينهما مراراً، ثم ظهر لإلياس ما ينفّر الناس منه¹، فكتب إلياس إليه:

لَا تُخْذَعَنَّ فَمَا تَكُونُ مَوَدَّةً مَا بَيْنَ مُشْتَرَكَيْنِ أَمْراً وَاحِداً
نَظُرٌ إِلَى الْقَمَرَيْنِ حِينَ تَشَارَكَا بَسَاتُهُمَا كَانَ التَّلَاقِي وَاحِداً

وكان إلياس طبيباً ماهراً. له خبرة بمسائل العلاج. وهو من رندة بالراء المهمة. وهي في متوسط بلاد الأندلس.

ومنهم: بَسَلَمُ بْنُ شَمْعُون، ذكره في النفع أيضاً، وأثبت له رسالة وجه بها إليه أيوب بن سليمان المرواني، رأيت رقمها هنا لا يسر الناظرين².

ومنهم حنين الإسرائيلي، وكانت له مشاركة في الهندسة، ومن عجائبه أنه نقل حمام الأندلس كلها إلى طليطلة في يوم واحد. وهو الذي احتال في قلع إحدى البيلتين³ فاخذت حكمتهما. والبيلتان من غرائب الدنيا، وكانتا بطليطلة، صنعتهما عبد الرحمن الناصر، لما سمع بخبر الطاسم الذي بمدينة أرين من أرض الهند، وقد ذكره المسعودي، وأنه يدور بإصبعه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوف⁴ في جوف النهر الأعظم، في الموضع المعروف بباب الدباغين. ومن عجبهما أنهما تملئان وتنحسران مع زيادة القمر ونقصانه، وذلك أن أول الهلال يخرج

¹ - في نفع الطيب 528/3: من ذلك الرجل الطبيب.

² - هذه الرسالة في نفع الطيب 529/3: دعوة إلى جلسة لهو.

³ - في الأصل: أحد، وتتراوح بقية النص بين التذكير والتأنيث، والذي في نفع الطيب 206/1-207، مصدر النص، هو التأنيث، فوحدنا الضمائر على هذا الأساس. ولم يلتزم الإفراني النص حرفياً.

والبيلتان، مفردهما بيلة، وهي حوض النافورة، وقد تعني "خصة" وهي بالإسبانية والإيطالية Pila كما قال الدكتور إحسان عباس في حاشية نفع الطيب.

⁴ - في الأصل: بجوف، وأثبتنا ما في نفع الطيب 206/1.

فيهما¹ سُبُعُهُما من الماء، فإذا كان آخرُ النهارِ كَمَلَّ فيهما نصفُ سُبُعٍ، ولا يزالُ كذلكَ بينَ اليومِ والليلةِ² حتى يكملَ امتلاؤُهُما بكمالِ القمرِ. فإذا كان في ليلةٍ خمسةَ عشرَ، وأخذَ القمرُ في النقصانِ نقصتَا بنقصانِ القمرِ كلَّ ليلةٍ ويومٍ نصفَ سبعٍ حتى يَبُتَّ القمرُ واحداً وعشرينَ يوماً، فينقصُ منهما نصفُهُما، ولا يزالُ كذلكَ ينقصُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ نصفَ سُبُعٍ، فإذا كان تسعةً وعشرونَ من الشهرِ لا يبقى فيهما شيءٌ من الماء. وإذا تكلَّفَ أحدٌ حينَ تنقصانِ أن يملأَهُما وجلبَ ماءَ الدنيا ابتلعنا ذلكَ من جانبِ بهما³ حتى لا يَبْقَى فيهما إلا ما كان في تلكَ الساعةِ. وكذا لو تكلَّفَ عند امتلائِهِما إفراغَهُما ولم يَبْقَ فيهما شيئاً ثم رفعَ يدهُ عنهما، خرجَ فيهما من الماءِ ما يملؤُهُما في الحينِ وهما أعظمُ من طُلُسمِ الهند. لأن ذلكَ في نقطةِ الاعتدالِ، حيث لا يزيدُ الليلُ على النهارِ، أما هاتانِ فليستا في مكانِ الاعتدالِ. ولم تَرَ الا في بيتٍ واحدٍ حتى ملكَ النصراني، بمرَّهمُ الله، طليطلةً، فأرادَ أنْفَنَشُ أن يكشفَ عن حركةِ البيليتينِ، فقال له حُنينٌ: أنا أَقْلَعُهُما وأردُهُما أحسنَ مما كانتا. فلما قُلعتْ لم يَقْدِرْ على رَدِّها⁴. وقيلَ إنه قَلَعَ واحدةً يسرقُ منها النظرَ والصنعةَ فبطلتْ، ولم تزلِ الأخرى تُعطي حركَتَها. وحُنينُ هو الذي أعلمَ الفَنَشَ أنه سيَنخلُ قرطبةً ويملُكُها.

ومنهم: قَسْمُونَةُ الشاعرةُ بنتُ إسماعيلَ الإسرائيلي⁵. وكان أبوها شاعراً فاعتنى بتأليها، وربما صنعَ من المؤشحةِ قسماً فتأتي هي بالقسمِ الآخر. قال أبوها يوماً: أجزيني لي صاحبٌ نو بهجةً⁶ قَدْ بَدَّلَتْ صُنْعاً بظُلْمٍ، واستَحَلَّتْ جُرْمَهَا

¹ - في نفح الطيب 206/1 زيادة: "يسير ماء فإذا أصبح كان فيهما ربع....".

² - في نفح الطيب زيادة: "نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما، ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة".

³ - في نفح الطيب: من حينهما.

⁴ - هكذا في الأصل وفي نفح الطيب.

⁵ - عن نفح الطيب 530/3 بتصرف.

⁶ - في نفح الطيب "نو مهجة، وأشار في الحاشية إلى أنها في الأصول: نو بهجة".

ففكرت غير كثير وقالت:

كَالْشَّمْسِ مِنْهَا الْبَذْرُ يَقْبَسُ نُورَهُ أَبْدَأُ، وَيَكْسِفُ، بَعْدَ ذَلِكَ، جِرْمَهَا

فَقَامَ كَالْمُخْتَبِلِ، وَضَمَّهَا إِلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقْبَلُ رَأْسَهَا وَيَقُولُ: أَنْتِ وَالْعَشْرُ كَلِمَاتٍ أَشْعُرُ مِنْي¹.
وَنَظَرْتُ يَوْمًا فِي الْمَرَأَةِ فَرَأْتُ جَمَالَهَا، وَقَدْ بَلَغَتْ أَوَّلَ التَّرْوِيجِ وَلَمْ تَتَزَوَّجْ، فَقَالَتْ:

أَرَى رَوْضَةً قَدْ حَانَ مِنْهَا قِطَافُهَا وَلَسْتُ أَرَى جَانٍ يَمُدُّ لَهَا يَدًا
فَوَا أَسَفًا! يَمْضِي الشَّبَابُ مُضِيْعًا وَيَبْقَى الَّذِي مَا إِنَّ أَسْمِيَهُ مُفْرَدًا

فَسَمِعَ: أَبُوهَا فَظَرَ فِي تَرْوِيجِهَا، فَتَزَوَّجَتْ سَرِيعًا. وَقَالَتْ فِي ظَبِيَةِ عِنْدَهَا:

يَا ظَبِيَّةَ تَرَعَى بِرَوْضٍ دَائِمًا، إِنِّي حَكِيْمٌ فِي التَّوَحُّشِ وَالْحَوَرِ
لَمْسَى كِلَانًا مُفْرَدًا مِنْ صَاحِبٍ فَلَنْصَطِرَ أَبَدًا عَلَى حُكْمِ الْقَدَرِ

وَمِنْهُمْ: نَسِيمٌ، ذَكَرَهُ الْحَجَارِيُّ فِي الْمُسْهَبِ. وَمِنْ شَعْرِهِ:

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ طَيْرًا أَطِيرُ رُحًى إِلَى أَرَاكِ
بِمَنْ² تَبَلَّلْتَ غَيْرِي أَوْ لِمَ تَحُلُّ عَنْ هَوَاكِ

¹ - لعله يريد بها الوصايا العشر عند النصارى، وهي في نفس الوقت عدد كلمات البيت عدا الحروف والضمائر.

² - في الأصل: لمن. والمثبت عن نفع الطيب 522/3.

السمط الثاني

في معنى التوشيح لغةً وعرفاً، ونكر أول من ابتكره

واتشبق من أزهاره عرقاً، وجلب ما يكون لذلك

مؤالياً من رقيق الأرجال والثوبيت والمؤالياً.

لا يخفى على فرسان البراعة أن هذا الصنف مما يحسن إبراجه في سبط¹ شرح هذا التوشيح، ويعذب إيرادَه في هذا المقام. وهو من الأمور التي ينبغي للمتأدب أن يودعها تأموره²، ويوسعها جرب قلبه. والعجب أنه مع كونه من شدة الحاجة إليه بهذه المرتبة لم يتزكوا لضبط قواعده كل التنزيل، ولم يُسهلوا من أمره ما هو في غاية الحاجة للتسهيل، ويبسطوا من مسائله ما يصعب.

ولم أر من تعرض لشيء من ذلك ولم به إلا الشيخ الحافظ أعجوبة المؤرخين ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي³، رحمه الله، فإنه عقد الموشحات ترجمة ختم بها مقدمته العجيبة، وعليه جل اعتماد في هذا السمط.

فأقول: للتوشيح لغة مأخوذ من الوشاح، قال في الأتوار: "الوشاح خرز ينظم بجواهر وأحجار نفيسة، نظمين مختلفين، تتقلد بهما المرأة، يلتقيان عند صدرها، وبين كنفها كحامل السيف. ومنه التوشيح الذي في الحديث، وهو أن يخالف الرجل بين طرفي الثوب، أخذاً لهما

¹ - السبط: وعاء كالقفة تضع فيه المرأة أدواتها.

² - التأمر: القلب.

³ - اعتمد ابن خلدون على ابن سعيد في كتابه: المقطف من أزهار الطرف. طبع هذا الكتاب بعد تحقيق المسلك السهل من طرف الهيئة المصرية 1984. وقد نقل عنه ابن خلدون بأمانة ثم نقل المقري عن ابن خلدون أغلب ما أورده في هذا الباب في نفح الطيب 5/7 وما بعدها، وأزهار الرياض 208/2 وما بعدها.

من تحت إبطيه، عاقداً لهما على رقبته¹، انتهى. ومن هذا التوشيح عند أهل البديع، ومخترعه قدامة² وهو: "أن يكون معنى أول الكلام دالاً على لفظ آخره³، ولهذا سموه توشيحاً، فإنه ينزل المعنى فيه بمنزلة الوشاح، وينزل [أول⁴] الكلام وآخره منزلة [الوشاح من⁵] العاتق والكشح للذين يجول عليهما الوشاح". ومن غريب التوشيح البديعي، ما ذكر أن عدي [بن⁶] الرقاع أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جريب والفرزدق قصيدته التي أولها:

عَرَفَ الدَّيَّارَ تَوْهُمَا فَاعْتَادَهَا

حتى انتهى إلى قوله:

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ لِرَبِّهِ رَوْقَهُ

ثم شغل الوليد عن الاستماع، فقطع عدي الإنشاد، فقال الفرزدق: إنه سيقول:

قَلَّمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَا مِدَادَهَا

فلما عاد الوليد للاستماع، وعاد عدي للإنشاد، قال:

¹ - أنوار التجلي 36/1.

² - في خزانة الأدب 126، وعليها اعتماد الإفراني: "وهذا النوع مما فرعه قدامة". وعرف قدامة التوشيح بقوله: "وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته، ومعناها متعلقاً به، حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره، وبانت له قافيته". (نقد الشعر 99. و ص 191 ط 1963).

³ - هذه الزيادات من خزانة الأدب 126.

⁴ - من المصدر السابق 36/1.

⁵ - نفسه.

⁶ - سقطت (ابن) من الأصل.

قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: وَاللَّهِ لَمَا سَمِعْتُ صَدْرَ بَيْتِهِ رَحِمَتْهُ، فَلَمَّا أَنْشَدَ عَجُزَهُ انْقَلَبَتْ الرَّحْمَةُ حَسَدًا¹. وَقَالَ الشَّرِيفُ الْغُرْنَاطِيُّ فِي شَرْحِ الْمَقْصُورَةِ لَمَّا أَنْشَدَ أَبْيَاتَ ابْنِ الزَّرْقَاقِ، وَمِنْهَا²:

عَلَى عَائِقِي مَنْ سَاعَيْتَهَا حَمَائِلُ وَفِي خَصَرِهَا مِنْ سَاعِدَيَّ وَشَاخُ:

اسْتَعْمَلَ ابْنُ الزَّرْقَاقِ الْوَشَّاحَ فِي مَعْنَى النَّطَاقِ، وَهُوَ مَا تُكْرِهُهُ الْمَرْأَةُ عَلَى خَصَرِهَا. وَالْوَشَّاحُ مَا تَنْقُلُهُ عَلَى عَائِقِهَا، "فَيَكُونُ" مِنْهَا فِي مَوْضِعِ حَمَائِلِ السَّيْفِ مِنَ الرَّجْلِ، وَقَدْ خُطِئَ أَبُو تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ³:

مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِلَ صُوِّرَتْ لَهَا وَشَحًا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ

اسْتَعْمَلَ الْوَشَّاحَ فِي الْحَقَابِ. وَإِنَّمَا وَصَفُوا الْوَشَّاحَ بِالْقَلَقِ وَالْحَرَكَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى رِقَّةِ الْخَصَرِ وَضُمُورِ الْبَطْنِ⁴.

وَسُمِّيَ التَّوَشِيحُ تَوْشِيحًا أَخْذًا مِنْ وَشَّحَ بِمَعْنَى زَيَّنَ. قَالَ النُّعْلَبِيُّ عَلَى قَوْلِ الْحُلِيِّ:

مَا رَوْضَةٌ وَشَّحَ الْوَسْمِيُّ بُرْنَتَهَا

¹ - وردت هذه القصة في خزانة الأدب 126-127، وبرواية مغيرة في الشريشي الكبير 224/2.

² - البيت له ضمن أربعة أبيات في المطرب 104.

³ - شرح ديوان أبي تمام ص 469. وفيه: وشماً

⁴ - رفع الحجب 58/1. وقد اختصر الإفراني أول الكلام، وساق آخره بنصه فحصرناه بين حاصرتين.

ما نصّه: وشحّ هو من التوشيح وهو التزيين. يقال: وشحت الشيء إذا زينته، ومنه
لوشاح، انتهى.

وأما التوشيح عرفاً، فقال ابن خلدون: "إنّ أهل الأندلس لما كثّر الشعر في قطرهم
وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التميّز فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه
بالموشح، ينظمونه أسنماً أسنماً، وأغصاناً أغصاناً، يكثرّون منها ومن أعاريضها
المختلفة، ويسمّون المتعدّد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها
متتالياً فيما بعد، إلى آخر القطعة. وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كلّ بيت
على أغصان عدّها بحسب الأغراض والمذاهب. وينسبون فيها ويمدحون، كما يفعل في
القصيد"¹. انتهى. ولم يلتزموا في أوزانه بحراً من البحور الخمسة عشر، بل صنعوا على
كل بحر منها. وربما استعملوه في الألحان المولدة، والطبوع المختارة، وللنغمات المستحدثة
الخارجة عن أوزان العرب رأساً. وهذا الاستعمال أغلب عليهم.

ثم قال ابن خلدون: "وأول من اخترع التوشيح في جزيرة الأندلس مقّم بن معافي
القبري² من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواتي³، وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربّه⁴،
صاحب كتاب العقد. ولم يظهر لهما مع المتأخّرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، فكان أول

¹ - مقمة ابن خلدون 1137-1138.

² - الأصل: معافر التبريزي. وفي بعض نسخ مقمة ابن خلدون: معافر القبري. وأثبتنا ما قدمه محققو
أزهار الرياض 207/2، ونفع الطيب 6/7. (انظر موشحات مغربية 47، ح 82، وموسيقى الشعر 220).

³ - في أزهار الرياض 207/2 للحاشية 2: "وهو شاعر معروف في أيام عبد الرحمان الناصر أيضاً".

⁴ - في الأصل عبد الله بن عبد ربّه، وفي مقمة ابن خلدون: أبو عبد الله أحمد بن عبد ربّه. وفي أزهار
الرياض ونفع الطيب: ابن عبد ربّه.

وابن عبد ربّه صاحب العقد هو أحمد بن محمد أبو عمر. (وفيات الأعيان 92/1 - 94 ط 1984 م).

منبرع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز¹ شاعر المعتصم بن صمداح صاحب المريّة، وقد نكر الأعلم البطلانيوسي أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول: الوشاحون كلهم عيال على عبادة فيما اتفق له من قوله:

بَذَرْتُمْ شَمْسُ ضُحَى غَصْنُ نَقَا مِسْكُ شَم
مَا لَمْ مَا أَوْضَحَا مَا أَوْزَقَا مَا لَمْ
لَا جَرَمَ مَنْ لَمَحَا قَدْ عَشِقَا قَدْ حُرِمَ

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف. وجاء من بعده جماعة² منهم ابن أرفع رأسه³، شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة. قالوا: وقد أحسن في ابتداء موشحته التي طارت له حيث يقول:

لِلْعُودِ قَدْ تَرَنَّمُ بِأَبْدَعِ نَلْجِينِ وَشَقَّتِ الْمَذَانِبُ رِيَاضَ الْبَسَاتِينِ

وفي انتهائها حيث يقول:

تَخْطِرُ وَلَا تُسَلِّمُ عَسَاكَ الْمَأْمُونُ مَرْوَعُ الْكَتَائِبِ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ

¹ - في أزهار الرياض 207/2 نقلا عن ابن خلدون: عبادة القزاز، وفي ص 252/2 منها نقلا عن ابن خاتمة في "مزية المريّة": محمد بن عبادة، يكنى أبا بكر، ويعرف بالقزاز. وفي ص 253/2 نقلا عن ابن سعيد في (المقتطف): عبادة بن القزاز. (انظر الذخيرة القسم الأول من المجلد الثاني 299، والمغرب 137-134/2 ونفح الطيب، وفي أماكن متعددة).

² - في المقدمة والأزهار والنفح: وجاء مصليا خلفه منهم..

³ - أبو بكر بن أرفع رأسه، وفي مقدمة ابن خلدون 1138: رافع رأس هو وشاح من أهل طليطلة، قال في المغرب: له موشحات مشهورة يغنى بها في في بلاد المغرب. وسماه في توسيع التوشيح: أبو عبد الله محمد بن رافع رأسه. (انظر المغرب 18/2، وتوسيع التوشيح 31).

⁴ - في المقدمة والأزهار: سقت، بالمهمل.

ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة¹ الملتمين، فظهرت لهم البدائع. ومن فرسان حلبتهم الأعمى التُّطيلي، ويحیی بن بقي، ومن موشحات الأعمى²:

كَيْفَ السَّيْلُ إِلَى صَبْرِي وَفِي الْمَعَالِمِ أَشْجَانُ
وَالرُّكْبُ وَسَطَ الْفَلَاحِ بِالْخُرْدِ النَّوَاعِمِ قَدْ بَانُوا

ونكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأنطلس ينكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا بمجلس في اشبيلية، وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها، فتقدم الأعمى التُّطيلي³، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضَاكِكُ عَنْ جُمَانٍ سَافِرٌ عَنْ بَذْرِ
ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ وَحَوَاهُ صَدْرِي

خرقَ ابنُ بقي موشحته، وتبعه الباقيون.

ونكر الأعمى البطلانيوسي أنه سمع ابن زهر يقول: ما حسنت قط وشاحاً على قول إلا ابن بقي حين وقع له⁴:

أَمَّا تَرَى أَحْمَدَ فِي مَجْدِهِ الْعَالِي لَا يَلْحَقُ
أُطْلَعُهُ الْمَغْرِبُ⁵ فَلَرْنَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقَ

¹ - في المقدمة: دولة الملتمين، وهي الدولة المرابطية بالمغرب.

² - في المقدمة والأزهار والنفح: وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله: إلخ. انظر هذا الموشح في ديوان الأعمى التطيلي 272.

³ - في المصادر السابقة زيادة: للإشاد. والموشحة المنشودة في ديوان التطيلي 253.

⁴ - نسب هذا الموشح للأعمى التطيلي في ديوانه 270-272، والراجح أنه لابن بقي بمدح فيه بني القاسم قضاة سلا الذين تخصص في مدحهم (انظر دار الطراز 86 الحاشية 17).

⁵ - في الأصل ودار الطراز وأزهار الرياض: الغرب، وفي نفح الطيب 7/7: المغرب، وهو أنسب لتحقيق توازن بين المقاطع (6-6) وملاءمة كلمة مشرق بعده.

وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر الأبيض، وكان في عصرهما¹
أيضاً للحكيم أبو بكر ابن باجة صاحب التلحين المعروفة.

ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدمه ابن تيفلويت صاحب سراقسة
فألقي على بعض قبياته مؤشحة:

جَرَّ الذِّلَّ أَيْمًا جَرًّا وَصَلِ السُّكْرَ مِنْكَ بِالسُّكْرِ

فطرب الممدوح لذلك، فلما ختمها بقوله:

عَقَدَ اللَّهُ رِيَّةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعُلَا أَبِي بَكْرٍ

فلما² طرَق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت، صَاحَ: واطرباه! وشقَّ ثيابه، وقال: ما أحسن
ما بدلت، وما ختمت، وحلف بالأيمان المغلظة لا يمشي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب.
فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه.

ونكر أبو الخطاب بن زهير أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهير نكر أبي بكر
الأبيض الوشاح المتقَّم الذكر، فغض منه أحد الحاضرين، فقال: كيف تغضُّ ممن يقول:

مَا لَذَّ شُرْبُ رَاخٍ عَلَى رِيَاضِ الْأَقْبَاحِ
لَوْ لَا هُضِيمُ الْوِشَاحِ إِذَا انْتَشَى فِي الصَّبَّاحِ

¹ - في الأصل: عصرهم، والتصويب من المقدمة.

² - فلما: زيادة في المسلك وهي حشو. وفي مقدمة ابن خلدون: وطرق، عطفاً على (لَمَّا) السابقة في قوله:
"فلما ختمها بقوله".

لَوْ فِي الْأَصِيلِ أَضْحَى يَقُولُ مَا لِلشُّمُولِ لَطَمَتْ خَدَيَّ
وَالشُّمَالِ هَبَّتْ فَمَالِ غُصْنُ اعْدَالِ ضَمَّهُ بُرْدِي

مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا يَمْشِي لَنَا مُسْتَرِيبَا
يَا لِحَظَّةِ زِدْ نُنُوبَا¹ وَيَا لَمَاءِ الشَّنِيبَا

بَرْدٌ غَالِلٌ صَبٌّ عَلِيلٌ لَا يَسْتَحِيلُ فِيهِ عَنْ عَهْدِي
وَلَا يَزَالُ فِي كُلِّ حَالٍ يَرْجُو الْوَصَالَ وَهُوَ فِي الصَّدِّ

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين، محمد بن أبي الفضل بن شرف². قال
الحسن بن دريد³: رأيت حاتم بن سعيد على هذا الافتتاح:

شَمْسٌ قَارَنْتَ بَنْرًا رَاحَ وَنَدِيمُ

وابن هردوس⁴ الذي له:

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَالسُّعُودِ بِاللَّهِ عُودِي

¹ - هكذا في الأصل، وفي المقدمة: يالحظه رد نوبا.

² - هو أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل جعفر بن شرف، شاعر فيلسوف من أحفاد ابن شرف القيرواني، اغتبط شابا. (المغرب 2/ 232-234).

³ - في المقدمة: دُوَيْرِدَة.

⁴ - هو أبو الحكم أحمد بن هردوس، وفي بعض المصادر: ابن هردوس من أهل الأندلس. توفي بمراكش سنة 572هـ. قال في المطرب 240: "لقيت الوزير الأعلى أحمد بن هردوس مؤثني حُلل الموشحات وموشع حبر القصائد المستملحات، وهو القاتل في السيد أبي السعيد:

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَالسُّعُودِ بِاللَّهِ عُودِي".

انظر مناقشة اسمه ونسبه في نفع الطيب 8/7 الحاشية 2 و 201/4 الحاشية 1. وأزهار الرياض 209/2 الحاشية 4، وفي المغرب 215/2 موشحة له في عثمان بن عبد المؤمن.

ولبن مؤهل¹ الذي له:

مَا الْعِيدُ فِي حَلَّةٍ وَطَاقٍ وَشَمَّ طَيِّبٍ
إِنَّمَا الْعِيدُ فِي التَّلَاقِي مَعَ الْحَبِيبِ

وأبو إسحق الدويني².

قال ابن سعيد: سمعتُ أبا الحسن سهل بن مالك يقول: إنه دخل على ابن زهر، وقد أسنَّ، وعليه زي البادية، إذ كان يسكنُ بخصن استنبه³، فلم يعرفه، فجلسَ حيث انتهى به المجلسُ وجرتِ المحاضرةُ أن أنشدَ لنفسه موشحةً وقع فيها:

كُحِّلُ الدُّجَى يَجْرِي مِنْ مَقْلَةٍ الْفَجْرِ عَلَى الصَّبَّاحِ
وَمِغْصَمُ النَّهْرِ فِي حُلِّ خُضْرِ مِنَ الْبَطَّاحِ

فَحَرَّكَ ابنُ زهرٍ، وقال: أنت تقولُ هذا؟ قال: اختبر، قال: ومن تكون؟ فعرَّقه، فقال: ارتفع، فولله ما عرفك.

قال ابن سعيد: وسابقُ الحَلْبَةِ التي أدركتُ هؤلاء⁴ هو أبو بكر بن زهر، وقد شرَّعت موشحاته وغرَّبت. قال: سمعتُ أبا الحسن سهل بن مالك يقول: قيل لابن زهر لو قيل لك: ما أبدعُ ما وقع لك في التوشيح؟ قال كنتُ أقول:

¹ - ذكره في المغرب 390/2 باسم: موهَّد الشاطبي. سكن مُرسية ومدح ابن مردنیش. وأورد له موشحة.

² - هكذا في الأصل وفي أزهار الرياض 210/2. وأثبت المحقق في نفح الطيب 8/7: الزويلي، نقلًا عن المقتطف. وفي المقدمة: الرديني.

³ - كذا في أزهار الرياض 210/2، وهي من أعمال إشبيلية. وفي المقدمة: استنبه، وفي نفح الطيب 9/7 سبته، وهو تحريف.

⁴ - هكذا في الأصل والمقدمة وأزهار الرياض 210/2، وفي نفح الطيب 9/7: "وسابق الحلبه التي أدركتُ هو أبو بكر..".

مَا لِلْمُؤَلَّهِ مِنْ سُكْرِهِ لَا يَفِيْقُ يَالَهُ سَكْرَانٌ¹

قال في نفح الطيب: "هذا مطلع موشح يستعمله أهل المغرب إلى الآن، ويرون أنه من أحسن الموشحات"². قلت: وأبو بكر بن زهر، هو أول من عصر سلافة التواشيح لأهل عصره، ولذلك قال فيه تلميذه أبو الخطاب بن ححية في كتابه: المطرب من أشعار أهل المغرب: والذي انفرد به شيخنا الموشحات، وهي زبدة الشعر وخلاصته وهي³ من الفنون التي أغرب فيها أهل المغرب على أهل المشرق. وكان شيخنا الوزير أبو بكر من اللغة بمكان مكين، ومورد من الطلب عذب معين، مع سمو النسب، وكثرة النشأ. ومن شعره:

وَمَسْنُونٍ⁴ عَلَى الْأُكْفِ خُدُودُهُمْ قَدْ غَالَهُمْ نَوْمُ الصَّبَاحِ وَغَالَنِي
مَازَلْتُ أَسْقِيهِمْ وَأَشْرَبُ فَضْلَهُمْ حَتَّى سَكِرْتُ، وَنَالَهُمْ مَا نَالَنِي
وَالْخَمْرُ تَعْلَمُ كَيْفَ تَأْخُذُ ثَارَهَا، إِنِّي أَمَلْتُ إِنْءَاهَا فَأَمَالَنِي

أخذه من قول الزبير بن أبي غالب عبد الله بن هبة [الله]⁵:

عَاقَرْتُهُمْ مَشْمُولَةً لَوْ سَالَمْتَ شَرَّابَهَا مَا سُمِّيتَ بِعُقَارِ

¹ - مقدمة ابن خلدون: 1138-1143. وهنا انتهى كلام ابن خلدون الذي ابتدأ في الصفحة 40، ومطلع موشحة ابن زهر في المغرب 271/1.

² - نفح الطيب 250/2.

³ - زيادة من المطرب 204 ونفح الطيب 250/2 نقلا عنه.

⁴ - في المطرب 206، ونفح الطيب 247/2: وموسدين. ونُسب البيتان الأولان من هذه القصيدة في فوات الوفيات 161/1 لإدريس بن عبد الله العبدري.

⁵ - زيادة من نفح الطيب 248/2، وفي حاشيته: "عبيد الله بن هبة الله بن صاعد، وفي بعض النسخ: الاصباغي".

ذَكَرْتُ حَقَائِدَهَا الْقَدِيمَةَ إِذْ غَنَتُ صَرَغَى تُدَسُّ بِأَرْجُلِ الْعَصَّارِ
لَأَنْتَ لَهُمْ حَتَّى انْتَشَرُوا وَتَمَكَّنْتَ مِنْهُمْ، وَصَاحَتْ فِيهِمْ بِالْأَثَارِ

ومن شعره يشوق ولدا له صغيراً بإشبيلية، وهو بمراكش:

وَلِي وَاحِدٌ مِثْلُ فَرْخِ الْقَطَاةِ صَغِيرٌ، تَخَلَّفَتْ قَلْبِي لَدَيْهِ
وَأَقْرَبْتُ عَنْهُ فَيَا وَحْشَتِي لِذَاكَ الشُّخَيْصِ وَذَاكَ الْوَجِيهِ
تَشَوَّقُنِي وَتَشَوَّقْتُهُ فَيَبْكِي عَلَيَّ وَأَبْكِي عَلَيْهِ
وَقَدْ تَعَبَ الشُّوقُ مَا بَيْنَنَا فَمِنْهُ إِلَيَّ وَمِنِّْي إِلَيْهِ

ولما سمع أمير المؤمنين يعقوب المنصور الأبيات أرسل المهندسين إلى إشبيلية، وأمرهم أن يحيطوا علماً ببيوت ابن زهر وحارته، ثم بينوا مثلها بمراكش. ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدة، وفرشها بمثل فرشها. ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه إلى تلك الدار. ثم احتال عليه حتى جاء ذلك الموضع، فرآه أشبه شيء ببيته وحارته، فحار لذلك، وظن أنه نائم، وأن تلك أحلام. فدخل فإذا ولده الذي تشوق إليه يلعب في البيت، فحصل له من السرور ما لا يعبر عنه¹. ومن شعره:

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ قَدْ جُلِيَتْ فَأَنْكَرْتُ مَقَلَّتَايَ كُلَّ مَا رَأَتَا
رَأَيْتُ فِيهَا شُوبَخاً لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ الْفَتَى
فَقُلْتُ: أَيْنَ الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ هُنَا؟ مَتَى تَرَحَّلَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ؟ مَتَى؟
فَاسْتَضْحَكْتُ ثُمَّ قَالَتْ، وَهِيَ مُعْجَبَةٌ: إِنَّ الَّذِي أَنْكَرْتَهُ مَقَلَّتَاكَ أَتَى
كَأَنَّ سُلَيْمَى تُتَادِي: يَا أَخِي، وَقَدْ صَارَتْ سُلَيْمَى تُتَادِي الْيَوْمَ: يَا أَبَتَا

¹ - انظر هذه القصة والأبيات اللاحقة في نفع الطيب 2/294.

ولد سنة سبع وخمسمائة، وتوفي..¹

قال ابن خلدون: واشتهر بعد ابن زهر ابن حيون²، والمهر بن الفرس³ بغرناطة.

قال ابن سعيد: ولما سمع ابن زهر قوله:

لِلَّهِ مَا كَانَ مِنْ يَوْمٍ بِهِيْجُ بِنَهْرٍ حِمَصٍ عَلَى تِلْكَ الْمُرُوجِ

ثُمَّ انْعَطَفْنَا عَلَى فَمِ الْخَيْجِ

نَفْضُ مِسْكَ الْخِتَامِ عَنْ عَسَجَدِي الْمُدَامِ
وَرِدَاءُ الْأَصْيَلِ تَطْوِيهِ كَفِّ الظَّلَامِ⁴

قال: أَيْنَ كُنَّا عَنْ هَذَا الرِّدَاءِ؟ وَكَانَ مَعَهُ فِي بَلَدِهِ مَطْرَفٌ⁵. أَخْبَرَ ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ وَالِدِهِ أَنَّ مَطْرَفًا هَذَا دَخَلَ عَلَى ابْنِ الْفَرَسِ، فَقَامَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَقَالَ ابْنُ الْفَرَسِ: كَيْفَ لَا أَقُومُ لِمَنْ يَقُولُ:

¹ - بياض بالأصل، وفي المطرب: "وبلغتني وفاته آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة".

² - أسقط الإفرائي بعض شعر ابن حيون الوارد في المقدمة 1144.

³ - عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن الفرس. من علماء الأندلس. ويعرف بالمهر. خرج على الدولة المرابطية بمراكش، وأعلن دعوته بكزولة، فقتل وحمل رأسه إلى مراكش. من شعره:

قُولُوا لِأَبْنَاءِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بَنِي عَلِيٍّ تَأْهَبُوا لَوُقُوعِ الْحَادِثِ الْجَلِيلِ
قَدْ جَاءَ سَيِّدُ قَطْمَانَ وَعَالَمُهَا وَمُنْتَهَى الْقَوْلِ وَالْقِلَابِ لِلدُّوَلِ

(المغرب 2/111، تاريخ ابن خلدون المجلد السادس 250 بدون ذكر تاريخ ومكان الطبع).

⁴ - الأرجح أن ما ورد هنا هو جزء من موشح له في المغرب 2/122. والبيت الأخير وحده في نفح الطيب 3/204.

⁵ - في المغرب 2/120: مطرف بن مطرف.

قُلُوبٌ تَصَابَتْ بِالْحَاطِظِ تُصِيبُ فَقُلْ: كَيْفَ نَبْقَى بِلا وَجْدٍ؟

وبعد هؤلاء ابنُ حزمون¹ بمُرسية. ذكرَ ابنُ الرئيس أن يحيى الخزرجي دخلَ عليه في مجلسٍ، فأتشدّه موشحةً لنفسه، فقال له ابنُ حزمون: ما الموشحُ بموشحٍ حتى يكونَ عارياً عن التكلفِ قال: على مثلِ ماذا؟ قال: على مثلِ قولي:

يا هاجري هلْ إلى الوصالِ مِنْكَ سَبِيلُ
أو هلْ يُرى عَنْ هَوَاكَ سَالِي قَلْبُ الْعَلِيلِ

وأبو الحسن سهلُ بنُ مالكٍ بغرناطة، قال ابنُ سعيدٍ: كانَ والدي يُعجبُ بقوله:

إِنْ سَئِلَ الصَّبَّاحَ بِالشَّرْقِ عَادَ سَيْلاً فِي أَجْمَعَ الْأَفْقِ
فَتَدَاعَتْ نَوَالِبُ الْوُرُقِ أَتَرَاهَا خَافَتْ مِنَ الْغُرُقِ

فَبَكَتْ سُخْرَةً عَلَى الْوُرُقِ

واشتهرَ بإشبيليةَ لذلك العهدِ أبو الحسنِ ابنُ الفضلِ. قال ابنُ سعيدٍ عن والده: سمعتُ سهلَ بنَ مالكٍ يقول: يا ابنَ الفضلِ، لكَ على الوشاحينَ الفضلُ بقولك:

أَوْأَ حَسَرْتَآ لِيَزْمَانَ مَضَى!
وَأُفْرِنْتُ بِالرَّغْمِ لَا بِالرُّضَى،
عَشِيَّةَ بَانَ الْهَوَى وَأَنْقَضَى
وَأَلْتُمُ بِالْوَهْمِ تِلْكَ الرُّسُومُ

¹ - أبو الحسن علي بن حزمون، شاعر هجاء من مُرسية (انظر المغرب 2/214، والهاشية، وله موشحات في الصفحات 147، 217-219 منه، ونفح الطيب 465/2-466).

² - في مقدمة ابن خلدون 1/1145 وأزهار الرياض 2/211 ونفح الطيب 7/10: أعانق.

قال: سمعتُ أبا بكرٍ بنَ الصَّابُونِي يُنشِدُ الأَسْتَادَ أبا الحسنِ الدُّبَّاجَ موشحاتَه غيرَ ما مرَّة،
فما سمعته¹ يقول: لِلَّهِ دَرْكُ! إِلَّا فِي قَوْلِهِ:

قَسَمًا بِالْهَوَى لِيَذِي جُجْرٍ مَا لِلَّيْلِ الْمَشُوقِ مِنْ فَجْرٍ

جَمَدَ الصَّبْحِ لَيْسَ يَطْرُدُ

مَا لِلَّيْلِ، فِيمَا أَظُنُّ، غَدُ

صَحَّ يَا لَيْلُ أَنْكَ الْأَبْدُ

أَوْ فَقُصِّتْ قَوْلًا لِمِ النَّسْرِ فَجُومُ اللَّيْلِ لَا تَسْرِي

ومن² موشحاتِ ابنِ الصَّابُونِي:

مَا حَالُ صَبٍّ ذِي ضَنْئٍ وَكِتَابٍ	أَمْرَضَهُ، يَا وَلَتَّاهُ! الطَّبِيبُ
عَامَلَهُ مَحْبُوبُهُ بِاجْتِنَابٍ	ثُمَّ اقْتَدَى فِيهِ الْكَرَى بِالْحَبِيبِ
جَفَا جُفُونِي النَّوْمُ لَكِنِّي	لَمْ أَبْكِهِ إِلَّا لِفَقْدِ الْخِيَالِ
وَذَا الْوِصَالِ الْيَوْمَ قَدْ غَرَّيَ	مِنْهُ كَمَا شَاءَ وَشَاءَ الْوِصَالِ
فَلَسْتُ بِاللَّائِمِ مَنْ صَدَّقِي	بِصُورَةِ الْحَقِّ وَلَا بِالْمَحَالِ

واشتهرَ بِبِرِّ الْعَنُوةِ ابْنُ خَلْفِ الْجَزَائِرِيِّ صَاحِبُ الْمَوْشَحَةِ الْمَشْهُورَةِ:

يَذُ الْإِصْبَاحَ قَدْ قَنَحَتْ زِنَادَ الْأَنْوَارِ بِمَجَامِرِ الزَّهْرِ

¹ - في الأصل: سمعه، وأثبتنا ما في المصادر السابقة. وزاد في المقدمة: له (يقول له).

² - في المقدمة: ومن محاسن.

وابنُ خَزَرِ البجائي¹.

قال ابنُ خلدون: موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية من أحسن الموشحات²، وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات، ومن أحسن ما وقع لهم في تلك موشحة ابن سناء الملك المصري [التي] اشتهر [ت]³ شرقاً وغرباً، وأولها:

[يا] حبيبي⁴ ارفع حجابَ النورِ عَنِ العِذارِ
تَنْظُرُ لِمَسكِ عَلَى كَأْفُورِ فِي جَنَّارِ

كَلِّلي يا سُحْبُ تَيْجَانَ الرَّبِّي بِـ الحلي
واجعلي سِوَارَهَا مُنْعَطَفَ الجَنُولِ⁵

ومن أحسن موشحات المشاركة، موشحة عبد العزيز بن سرايا الحلبي وهو⁶:

شَقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَّاحِ أَيُّهَا السَّاقُونَ

وله:

جَرَدَ الْأَفْقُ صَارِمَ الْفَجْرِ مِنْ جُفُونِ الْغَسَقِ

"ولما شاع فنُ التوشيح في أهل الأندلس وأعجب به الجمهورُ لسلاسيته وتمييز كلامه

¹ - المصدر السابق: 1144-1146.

² - المصدر السابق: 1174 بتصرف.

³ - [التي] و[ت] زيادة من المصدر السابق.

⁴ - في نفع الطيب 14/7: يا حبيبي.

⁵ - مقدمة ابن خلدون 1153.

⁶ - مطلع موشح في ديوان صفى الدين الحلبي (ط. دار صادر) ص 125. ولم يرد فيه البيت اللاحق.

وترصيع أجزائه، نسجتِ العالمةُ من أهلِ الأمصارِ على منواله، بلغتِهم الحضريّة، من غيرِ أن يلمّزوا فيه إعراباً. واستحدثوا فناً سموه بالزّجل، فجاءوا فيه بالغرائب¹. ولؤلؤ من اخترعها² أبو بكر بن قرمان، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، إلا أنه أظهر حلاوتها. وكان على عهد الملثمين

قال ابن سعيّد: رأيتُ لزجاله مرويّةً بيغداداً أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب³. ومن لزجال ابن قرمان قوله، وقد "جلسوا تحت عريشٍ وأمامهم تمثالٌ لُسدٍ من رُخام، يصبُ الماءُ من فيه على صفائحٍ من الحجر مُندرجة:

وَعَرِيْشٌ قَدْ قَامَ عَلَى تَكَانٍ	بِحَالِ رُؤُوفٍ
وَأُسْدٌ قَدْ لَبَّتْ لَغْثُغَبَانٍ	مِنْ غَلْظِ سَاقٍ
وَفَتْخٌ فَمُوْ بَحَالٍ لِنَسَانٍ	بِهِ الْفُوقِ
وَنَظْلَقُ مِنْ ثَمٍّ عَلَى الصَّقَاخِ	وَالْقَى الصُّيَاخِ ⁴

ولم تزل هذه الطريقةُ في علماة الأندلس ينظمون فيها في سائر البحور الخمسة عشر، بلغتِهم العامية، ويسمونه الشعرَ الزّجلي⁵.

ثم استحدث أهل⁶ الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر، في أعاريض مزدوجة كالמושح فظموا فيه بلغتِهم الحضريّة أيضاً، وسموه عروض البلد، وكان أول من

¹ - مقامة ابن خلدون 1153-1154.

² - في المصدر السابق ونفع الطيب: "أبدع في هذه الطريقة" بذل اخترعها، وهو أنسب.

³ - مقامة ابن خلدون 1153.

⁴ - مقامة ابن خلدون 1154.

⁵ - المصدر السابق 1157.

⁶ - زيادة من المصدر السابق: 1160.

استحدثه رجلٌ من أهل الأندلس، نزل بفاس يُعرف بابن عمير¹ فاستحسنه أهل فاس وولعوا به، وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم، ونوعوه إلى المزوج، والكازي، والملعبة، واختلفت أسماؤها باختلاف [أزواجها وملاحظاتهم فيها]². ومن المزوج قول أبي شجاع:

لَمَالُ زَيْنَةِ الثُّنْيَا وَعِزُّ النُّفُوسِ يَنْهِي وَجُوهَ لَيْسَ هِيَ بِأَهْيَا
فَهَا³ مَنْ هُوَ كَثِيرُ الْفُلُوسِ أَلْوَةُ الْكَلَامِ وَالرُّثْيَا الْعَالِيَا

"وأما أهل تونس، فاستحدثوا [فنَّ المَلْعَبَةِ]⁴ على لغتهم الحضرية، إلا أن أكثره رديء، ولم يتعلق بمحفوظي منه شيء لرداعته⁵."

وكان لعامة بغداد أيضاً من الشعر، يسمونه المواليا، وتحتة فنون كثيرة، وغالبها مزوج من أربعة أغصان، وتبعهم في ذلك المصريون، فأتوا بالغرائب⁶. ومنه الكان وكان⁷، وهو على قافية واحدة، وأوزان مختلفة في أشطاره، والشطر الأول من البيت أطول من الشطر الثاني، ولا تكون قافيته إلا مرذقة بحرف العلة⁸. وذكر صفى الدين الحلبي في ديوانه⁹ أن المواليا من بحر البسيط. وأنه من مخترعات أهل واسط. قال وهو نو أربعة أغصان، وأربع قوافٍ. ومنه:

¹ - المصدر السابق.

² - زيادة من المصدر السابق: 1162 وأزهار الرياض 221/2 تصرف الإفرائي في هذا النص بالحذف.

³ - في الأصل: منها، والمثبت عن المصدرين السابقين.

⁴ - زيادة من المصدرين السابقين.

⁵ - مقدمة ابن خلدون 1166.

⁶ - المصدر السابق بتصرف.

⁷ - إضافة من المصدر السابق.

⁸ - المصدر السابق وأزهار الرياض 225/2-226.

⁹ - ورد ما ذكره ابن خلدون هنا (المقدمة 1166) في العاقل الحالي للصفى الحلبي ص 105.

يَا حَادِيَّ الْعِيسِ يَزْجُرُ بِالْمَطَايَا زَجْرُ أَوْقِفْ عَلَى مَنْزِلِ أَحْبَابِي قَتِيلَ الْفَجْرِ
وَصَبِّحْ فِي حَيِّهِمْ: يَا مَنْ يُرِيدُ الْأَجْرَ يَنْهَضُ يُصَلِّي عَلَى مَيِّتِ قَتِيلِ الْهَجْرِ

وأما الدُّوبِيَّت فلم يذكره ابن خلدون¹. قال ابنُ غازي في الإمداد: "أبو عنزة هو شيخُ الجماعة أبو الحكم مالكُ بن المرحل"²، انتهى. قلتُ، عبارة ابن مرزوق³: "وقد اخترع المُحدِّثون نوعاً من الشعر، يُسمَّى الدُّوبِيَّة، وأكثرُوا منه لغُوبيَّة، حتَّى أخلُّوا فيه بالوزن، ووضعَ له ابنُ المرحلِ السَّبْتيُّ ميزاناً يُرجع إليه، ونكرَ أنه مُثَمَّنٌ مِنْ:"

فعلُن (بإسكان العين)، متفاعِلن، فعولن، فعلُن (بتحريك العين)، على هذا الترتيب، [ومثلها]، وجعلَ له خمسَ أعاريضَ وسبعةَ ضُرُوبٍ"، انتهى. فكلامُهُ يَقْتَضِي أن ابنَ المَرْحَلِ إنما اخترعَ له أوزاناً يضبطُ بها⁴ لا أنه أولُ من اخترعَه، خلافَ ما قاله ابنُ غازي. والله أعلم.

¹ - بل ذكره في تفصيل أنواع المَوالِيَا فقال: "وكان لعامة بغداد أيضاً فنٌ من الشعر يسمونه المَوالِيَا، وتحتَه فنون كثيرة يسمون منها: القوما، وكان وكان، ومنه مفرد ومنه في بيتين، ويسمونه دوبيت". (المقدمة 1166).

² - الإمداد: 105 ظ. و"يقال فلان أبو عنزة فلانة، إذا كان افترعها وافتضها، وأبو عنزرتها". (اللسان العرب: عنزة).

³ - المفاتيح المرزوقية 169 ظ: "ومثلها": زيادة منه.

⁴ - في الأصل: به، ولا يطابق (أوزاناً) التي يعود عليها.

خاتمة

قد ذكرنا ما سمح به الوقت، وناسب إيرادُه، من رقيقِ الموشحات، ورائقِ المقطوعات، وأتينا من رجالِ هذا الشأنِ بفتةِ أعظم، حازوا السَّيْقَ في مِضمَارِ البلاغةِ بشهادةِ كلِ ناظرٍ وناظِم. وتركنا أناساً آخرين لم يصلوا إلى تلكِ الطبقةِ، ميلاً إلى الاختصارِ.

وقد ألَّف أبو الحسن عليّ البُلَنسِي كتاباً في رجالِ التوشيحِ بالأندلس، قال في اختصارِ القُرطاس: وعِدَّة ما ذُكر في هذا الكتابِ عشرون رجلاً¹، وانتهتِ الرئاسةُ في التوشيحِ لابنِ سهل، وبذهابِ عِيْنِه اندثر² آثارُها، وغرِبَت شُمُوسُها، وتقلَّصَت أفيأُؤها. ولا شك أن شأوه في ذلك لا يلحق، كما لا يخفى على من اتصف بالإصاف، وتقع بالحق، وكفى شاهداً على ذلك موشحته هذه، فإنها حالقةُ اللَّحَى، لمن انتحلَ معارضتها وانتحى. وقد تصدَّى لمعارضتها أقوامٌ، فكانوا كمن تطلَّب رُجوعَ ما مضى من أعوام. وممن نسجَ على مِوالِها نو الوزارتينِ لسانُ الدينِ ابنِ الخطيب، رحمه الله، حيث يقول³:

¹ - وفي حاشية الورقة 18 ظ من الأصل: "المشتهرون بصناعة التوشيح في الجزيرة كثيرون، وذكر صاحب اختصار الأنيس المطرب القرطاس أن أبا الحسن البُلَنسِي ألف في الوشاحين من أهل الأندلس، فكانوا عشرين رجلاً".

أقول: رجعتُ إلى الأنيس المطرب بروض القرطاس المنسوب لابن أبي زرع، ورجعت إلى المعرب المبين، عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرین لابن زاکور، وهو اختصار للأنيس المطرب وروضة النسرین، فلم أعثَر على ذكر لأبي الحسن البُلَنسِي.

وهو أبو الحسن علي بن سعيد الخير البُلَنسِي، كان متصدراً للتدريس ببُلَنسِيَة أيام المنصور. وكتابه المقصود هو: نزهة الأنفس، وروضة التأنس في توشيح الأندلس، ضمَّته عشرين وشاحاً، (انظر المغرب 317/2 وأزهار الرياض 253/2 وموشحات مغربية 122 الحاشية 296).

² - في الأصل وب: اندثر، وأضفنا التاء لمطابقة الفعل للفاعل "آثارها" في التأنيت.

³ - انظرها في الديوان بتحقيق محمد مفتاح 792/2 و نفح الطيب 11/7-14.

جَلَاكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى
لَمْ يَكُنْ أَنْسُكَ إِلَّا حُلُمًا،
لِذِيقُودِ الذَّهْرِ أَشْتَاتِ الْمُنَى
زُمَرًا بَيْنَ فُرْلَايَ وَثَنَى،
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الْأَرْضَ سَنَى
وَرَوَى النُّعْمَانُ عَنِ مَاءِ السَّمَاءِ،
وَكَسَاهُ الْقَطَرُ ثَوْبًا مُعْلَمًا
فِي لَيْالٍ كَتَمْتَ سِرَّ الْهَوَى
مَلَّ نَجْمُ الْكَاسِ فِيهَا وَهَوَى
زَمَنَ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى
حَيْثُ لَذَّ الْأَنْسُ فِيهِ أَوْ كَمَا
غَارَتْ لِلشَّهْبِ بِنَا أَوْ رُبَّمَا
أَيُّ شَيْءٍ لَامَرِي قَدْ خَلَصَا
تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ فِيهِ الْفُرْصَا،
وَإِذَا الْمَاءُ تَنَاجَى وَالْحَصَا
تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بَرِمَا
وَتَرَى الْأَسَّ لِيَبِيبَا فَهَمَا
يَا أَهْلَ الْحَيِّ مِنْ وَلَدِي الْغَضَا،
ضَاقَ مِنْ شَوْقِي لَكُمْ رَحْبُ الْفَضَا

يَا زَمَانَ الْأَنْسِ بِالْأَنْدَالِيسِ
فِي الْكَرَى، أَوْ خِلْسَةَ الْمُخْتَالِيسِ
يَنْقُلُ الْخَطُوعَ عَلَى مَا يُرْسَمُ
مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوُقُودَ الْمَوْسِمُ
وَتُغَوِّرُ الزَّهْرَ مِنْهَا تَبْسِمُ
كَيْفَ يَرَوِي مَالِكٌ عَنْ أَنْسِ
يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ
فِي الثُّجَيِّ لَوْلَا شُمُوسُ الْغُرْرِ
مُسْتَقِيمِ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَحِ الْبَصَرِ
هَجَمَ الصَّبْحُ هُجُومَ الْحَرَسِ
أَثَرَتْ فِينَا عُيُونُ النَّرْجِسِ
فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مُكِّنَ فِيهِ
أَمْنٌ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَتَّقِيهِ
وَحَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي
يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأَذْنِي فَرَسِ
وَيَقْلِبِي مَسْكَنَ أَنْتُمْ بِهِ
لَا أَحَاشِي² شَرْقَهُ عَنْ غَرْبِهِ

¹ - في نفع الطيب: الروض .. فتغور .. منه.

² - في نفع الطيب: أباي.

فَاعْبُدُوا عَهْدَ نَفْسٍ قَدْ مَضَى
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخِذُوا مَغْرَمًا
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا
وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مَقْتَرَبَ
قَمَرٍ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ
قَدْ تَسْلَوِي مُخْسِنٌ أَوْ مُذْنِبٌ
سَاحِرُ الْمُقْلَةِ مَغْسُولٌ لِلْمَى
فَوْقَ السَّهْمِ قَسَمَى وَرَمَى
إِنْ يَكُنْ جَارٌ وَخَابَ الْأَمَلُ
فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوْ
أَمْرُهُ مُعْتَمَدٌ مُمْتَنِلٌ
حَكَمَ لِلْخُظْبَاهَا فَاخْتَكَمَا
مُتَصِفٌ لِلْمَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَا
مَا إِلْقَيْتُ كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا
جَلَبَ لَهُمُ لَهُ وَالْوَصْبَا،
لَا عِجَّ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرَمَا^١
لَمْ يَدْعُ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا نَمَا
سَلِّمِي يَا نَفْسُ فِي حُكْمِ الْقَضَا

تَنَقَّلُوا عَلَيْكُمْ مِنْ كُرْبِهِ
يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ
فَتَرْضَوْنَ خَرَابَ الْحُبِّ
بِأَحْلَاسِ الْمُنَى وَهُوَ بَعِيدٌ
شِقْوَةُ الْمُضْنَى بِهِ، وَهُوَ سَعِيدٌ
فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَغْدٍ وَوَعِيدٍ
جَالٍ فِي النَّفْسِ مَجَالِ النَّفْسِ
فَقَوْلَايَ نَهْبَةً الْمُفْتَرَسِ
وَقَوْلَا الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَنْوِبُ
لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِمَحْبُوبٍ نُوْبُ
فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبُ
لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ
وَمُجَازِي الْبَرِّ مِنْهَا وَالْمُسِي
عِلَاةُ عَيْدٍ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ
قَوْلُهُ: "إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"
فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَاهِدُ
فَهُوَ نَارٌ فِي هَشِيمِ يَبَسِ
كَنَمَاءٍ^٢ اللَّيْلِ بَعْدَ الْغَلَسِ^٣
وَاعْمُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعَى وَمَتَابِ

^١ - في أزهار الرياض ونفح الطيب: اليبس.

^٢ - النماء: البقية (في القاموس المحيط (نم) "النماء: البقية"، وفي أزهار الرياض ونفح الطيب: كبقاء.

^٣ - الغلس: ظلمة آخر الليل.

دَعَاكَ مِنْ ذِكْرِي زَمَانٍ قَدْ مَضَى
وَلَصِرْفِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرِّضَا
الْكَرِيمِ الْمُنتَهَى وَالْمُنْتَمَى
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا
مُصْطَفَى الْمَلِكِ² صَفِي الْمُصْطَفَى
مَنْ إِذَا مَا عَقَدَ الْعَهْدَ وَفَى
مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَكَفَى
حَيْثُ بَيْتُ الْمَجْدِ مَحْمِيّ الْحَمَى
وَالْهَوَى ظِلُّ ظَلِيلٍ خِيَمَا،
هَا كَهَا يَا بَذْرَ أَفَاقِ الْعُلَا
غَاذَةً أَلْبَسَهَا الْحُسْنَ حُلَى
عَارِضَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى وَحُلَى
هَلْ تَرَى ظَنِّي الْحَمَى أَنْ قَدْ حَمَى
فَهُوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقٍ مِثْلَمَا

بَيْنَ عُنْبَى قَدْ تَقَضَّتْ وَعَتَابُ
مُلْهِمِ التَّوْقِيقِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ
أَسَدِ السَّرْحِ¹ وَبَذْرِ الْمَجْلِسِ
يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدْسِ
الْغَنِيِّ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ
وَإِذَا مَا أَخْصَبَ الْفَتْحُ عَقْدُ³
حَيْثُ بَيْتُ الْمَجْدِ مَرْفُوعُ الْعَمَدِ
وَجَنَى الْفَضْلِ زَكِيّ الْغَرَسِ
وَالنَّدَى هَبَّ إِلَى الْمُغْتَرِسِ⁴
وَالَّذِي إِنْ عَثَرَ الدَّهْرُ أَقَالَ
تَبَهَّرَ الْعَيْنَ جَلَاءً وَصِقَالَ
قَوْلَ مَنْ أَنْطَقَهُ الْخُبُّ فَقَالَ:
قَلْبٌ صَبَّ حَلَّةً عَنْ مَكْنِيسِ
لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

وقد وقعت على أزيد من اثني عشر موشحاً مما عُرِضَ به توشيح ابن سهل، وأحسنها معارضة ابن الخطيب، ولذلك أثبتناها ونبتنا غيرها مخافة التّطويل.

1 - السرح: شجر عظام، أو كل شجر لا شوك له، وفي نفح الطيب: السرح، ولم نر له وجهاً.

2 - في نفح الطيب: الله

3 - في نفح الطيب:

مَنْ إِذَا مَا عَقَدَ الْعَهْدَ وَفَى وَإِذَا مَا فَتَحَ الْخَطْبُ عَقْدَ

4 - في الأصل:

وَالْمَنَى ظِلُّ ظَلِيلٍ مِثْلَمَا وَالنَّدَى نَهَبَ إِلَى الْمُخْتَلَسِ

وقد متنا ما في نفح الطيب. 8.

نفحة الريحان

في نكر الطُبوع والأحان

لما كان لهذا التوشيح، عند أصحاب التلاحين، وأهل الصنائع، ومهرة الموسيقى، سوقاً نافذاً، وسابق استحسان واختيار، كثر نشيدهم له، وترنمهم بمطرب ألفاظه، فاستحدثوا له من النغمات والطُبوع طرائق ازداد بها حلاوة. وإذا كانت الأحن يعذب بها ما هو غير مُستعذب، ويُطرب بها ما ليس بمطرب، فما بالك بما كان مُستعذباً قبلها. وقد جعل الله تعالى، في النفوس انفعالاً غريباً بالغناء، وتأثيراً عجيباً، وانتعاشاً للأرواح الآلمية، وغيرها من الحيوانات العُجم. وما أحسن ما قال كشاجم:

إِنْ كُنْتَ تَتَكَرَّرُ أَنْ فِي الْـ	أَلْحَانِ فَائِدَةٌ وَنَفْعَا
فَانْظُرْ إِلَى الْإِبْلِ الَّتِي	لَا شَكَّ أَغْلَظَ مِنْكَ طَبْعَا
تَصْنَعِي لِأَصْوَاتِ الْخُدَاةِ	فَتَقْطَعُ الْفُلُوتِ قَطْعَا

وقال مجير الدين ابن تميم:

قَالُوا: رَأَيْتَكَ كُلَّ يَوْمٍ	تَهَيِّمُ بِالشُّرْبِ وَالْغِنَاءِ
فَقُلْتُ: إِنِّي فَتَى مَنُوعٍ	أَعِشُ بِالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ

وقال آخر¹:

زِيَادَةُ حُسْنِ الصَّوْتِ فِي الْخَلْقِ زِينَةٌ	يَرَوْقُ بِهَا لَحْنُ الْقَرِيضِ الْمُحَبَّرِ
وَمَنْ لَمْ يَحْرِكْهُ السَّمَاعُ بِطَيْبِهِ،	فَلَنْكَ أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى التَّصَوُّرِ

¹ - وردت تسعة أبيات من هذه القصيدة في الحائك 16 منسوبة "لأبي محمد الصباغ".

تُصَيِّحُ إِلَى الْحَادِي الْجَمَالُ لَوَاغِيَا
وَلَّاهُ فِي الْأَرْوَاحِ عِنْدَ لَرْتِيَا حَهَا
وَكُلُّ أَمْرِي عَابَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
وَأَهْلُ الْحَجَا أَهْلُ الْحَجَارِ وَكُلُّهُمْ
وَهَامَ بِهِ أَهْلُ التَّصَوُّفِ، رَغْبَةً
وَلَنْ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قَالَ: زَيَّنُوا
وَزَانَتْ لِدَاوُدَ النَّبِيَّ زُبُورَهُ
وَفِي الْخُلْدِ إِسْرَافِيلُ يُسْمِعُ أَهْلَهُ
فَإِنْ أَكَّ مُغْرَى بِالسَّمَاعِ وَحُسْنِهِ

ومن بدائع عزِّ الدين الموصلي قوله مضمناً:

نَاثَمْتُ قَوْمًا لَا خَلَقَ لَهُمْ وَلَا
يَسْتَقِظُونَ إِلَى نَهْيِ حِمَارِهِمْ
مِثْلَ إِلَى طَرْبٍ وَلَا أَسْمَارٍ
وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ
آخر¹:

وَعِغَاءٍ أَرْقُ مِنْ نَمْعَةِ الصَّ
صَافِحَ السَّمْعِ بِالَّذِي يَسْتَهْيِيهِ
بَّ وَشَكْوَى الْمُحِبِّ وَالْمَهْجُورِ
وَأَذَاقَ النَّفْسِ طَعْمَ السُّرُورِ

ومِمَّا يَنْخَرِطُ فِي سَبِيلِكِ مَا نَكَرْنَاهُ مِنْ أَنْ الْأَلْحَانَ تَرِيدُ الْقَرِيضَ تَحْيِيرًا مَا كَتَبَهُ ابْنُ جَابِرٍ
لِلصَّفَدِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ²:

¹ - البيتان هما الأول والثالث من أربعة أبيات في زهر الآداب 610/2 منسوبة لأبي بكر الصولي.

² - قال في نفح الطيب 684/2: وهي طويلة. وأعاد العبارة نفسها في جواب الصفدي.

لِنَ الْبَرَاْعَةِ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ بَدِيعٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ
نَشْدًا نَظْمِيكَ أَشْهَى عِنْدَ سَامِعِهِ مِنْ نَظْمِ غَيْرِكَ لَوْ اسْتَحَاقُ غَنَاهُ

فاجابه للصدّدي:

يَا فَاضِلًا كَرُمْتَ فِينَا سَجَايَاهُ، وَخَصَّنَا بِاللَّالِي فِي هَدَايَاهُ
خَصَصْتَنِي بِقَرِيضٍ شَبَّ جَوْهَرُهُ لَمَّا تَأَلَّقَ مِنْهُ نُورُ مَعْنَاهُ
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ مَبَانِيهِ مُشَيَّدَةٌ، كَمْ مِنْ خَيَابَا مَعَانٍ فِي زَوَايَاهُ

ونحنُ نذكرُ أسماءَ الطُّبُوعِ وألقابها، عندَ أربابِ هذه الصنّاعة¹، ونرجعُ لما يستعملُ عليه التوشيحُ منها، فنقول: نَكرُوا أن سائرَ التّلاحينِ والنغماتِ، على اختلافِها وتباينِ أشكالِها راجعٌ إلى خمسةِ أصولٍ، عنها تنفرُغُ الطُّبُوعُ الأربعةُ والعشرونُ، الدائرةُ اليومَ بينَ أهلِ الموسيقى. فأما الأصولُ فالنَّيْلُ، والزَّيْدَانُ والمَايةُ، والمَزْمُومُ، والغَرِيبَةُ المُحرَّرَةُ. فينفرُغُ عن النَّيْلِ سِتَّةٌ وهي: رَمْلُ النَّيْلِ، وعِراقُ عَرَبٍ، وعِراقُ العَجَمِ، ومُجَنَّبُ النَّيْلِ، ورِصْدُ النَّيْلِ، واستَهْلَالُ النَّيْلِ. وعن الزَّيْدَانِ سِتَّةٌ وهي: الحِجَازُ الكَبِيرُ، والحِجَازُ المَشْرِقِيُّ، والعِشَاقُ، والحِصَارُ، والاصْبِهانُ، والزورِكنَدُ²، وعن المَايةِ أربعةٌ وهي: رَمْلُ المَايةِ، وانقلابُ الرَّمْلِ، والحِسينُ، والمَشْرِقِيُّ، وحمدانُ. فهذه تسعةُ عشرَ. وتصيرُ بزيادةِ الأصولِ الأربعةِ ثلاثةَ وعشرينَ، فإذا أضفتَ إليها الأصلَ الخامسَ، قالوا: ولا ينفِرُغُ عنه شيءٌ، بلغَ العددُ أربعةَ

¹ - قلت عند تحقيق الكتاب في السبعينات: "الراجع أن الإفراني اعتمد في جل ما أورده في هذا الفصل على الأنيس المطرب للعلمي (ص174-184) الذي اعتمد على محمد البوعصامي أبي عبد الله وهو صديق الإفراني". و أقول الآن 1997: وقد طبع أخيراً كتاب للبوعصامي بعنوان إيقاد الشموع ضمن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1995، وهو يؤكد ما ذهبنا إليه .

² - في الأصل الزوركنَد والمثبت عن الروضة الغناء 3، 4، والحاك ص 27.

وعشرين¹. [وقد نظم هذه] الط[بوع الإمام الأ]ريب[أبو] محمد عبد الواحد[د] الونشريسي[ي
في أبيات تركتها [طولها]².

فإذا كنت على بصيرة في الطبوع، وأحطت بأصولها وفروعها، فالذي يجري عليه
استعمال التوشيح المذكور بين أرباب الموسيقى، حسب ما أخبرني به بعض أهل الفن، وإنما
يسأل عن كل فن أربابه، الحسين وهو أشهر ما يستعمل عليه التوشيح عندهم. وقد استنبط له
الإمام الشهير أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي³ صنعة على رصد النيل.

واعلم أن لهذه الأصول وما تفرع منها تعلقاً تاماً بالطبائع الأربع: النارية، والمائية،
والريحية، والترابية. فالغالب على صاحب النارية، الصفراء، ويحركها من الطبوع المزموم
وفروعه، والغريبة المحررة، التي هي أصل بلا فرع. والغالب على صاحب المائية، البلغم،
وصاحبه يحركه الزيدان وفروعه. والغالب على صاحب الريحية الدم، وصاحبها يتحرك
بالمائية وفروعها. والغالب على صاحب الترابية السوداء، وصاحبها يحركه النيل
وفروعه⁴.

¹ - في الحاشية: "زاد بعض أكابر هذا الفن لهذا (خرم) فرعاً آخر سماه صبكة، وهو إسم لمن استنبط طبع
العراقي". انظر الحائك وفيه: سبكة، والسبكة (ص 19، 32 منه).

² - انظر منظومة الونشريسي المذكورة في الروضة الغناء 4، والحائك 18-19.

³ - عبد الرحمان بن عبد القادر، أبوزيد الفاسي الفهري. عالم متنوع الثقافة، كثير التأليف في الفقه
والتاريخ والأدب حتى لقب بسيوطي زمانه، توفي سنة 1685/1096م. (انظر ترجمته في التقاط الدرر
222/2 وفهرس الفهارس 133/2-134).

وفي موضع قوله: "الحسين... رصد النيل" بياض سطرين في الأصل تركه الناسخ، ثم أضيف هذا القول
في موضع البياض بخط المؤلف.

⁴ - نص كلام الأنيس المطرب. 174-184.

قال في المقتبس¹: جَعَلَ أَهْلُ الْمَوْسِقَى فِي الْعُودِ أَرْبَعَةَ أَوْتَارٍ، وَصَبَّغُوهُ عَلَى خِلَافٍ. وَغَرَضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ مُقَابِلَةَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ. فَلِذَلِكَ صَبَّغُوا الزَّرِيرَ أَصْفَرَ لِلْوَنِّ، وَجَعَلُوا فِي الْعُودِ بِمَثَابَةِ الصَّغَرَاءِ فِي الْجَسَدِ. وَصَبَّغَ الْوَتْرَ الثَّانِي أَحْمَرَ، وَهُوَ مَكَانُ الدَّمِ مِنَ الْجَسَدِ، وَهُوَ مِنْ الْغِلَظِ ضَعْفُ الزَّرِيرِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ مُثْنًى. وَصَبَّغَ الْوَتْرَ الرَّابِعَ أَسْوَدَ²، وَجَعَلَ ضِعْفَ الْمُثْنَى فِي الْغِلَظِ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْمُثْلَثُ. فَهَذِهِ الْأَوْتَارُ الْأَرْبَعَةُ مُقَابِلَةُ لِلطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ تَقْضِي³ طِبَائِعُهَا بِالْإِعْتِدَالِ. فَالْبَيْمُ حَارٌّ يَابِسٌ يُقَابَلُ الْمُثْنَى، وَهُوَ حَارٌّ رَطْبٌ، وَعَلَيْهِ تَسْوِيتُهُ⁴. وَالزَّرِيرُ حَارٌّ يَابِسٌ يُقَابَلُ الْمُثْلَثِ، وَهُوَ حَارٌّ رَطْبٌ. قَوْلُ كُلِّ طَبِيعٍ بِضَدِّهِ، حَتَّى اعْتَدَلَ وَاسْتَوَى، كَاسْتَوَاءِ الْجِسْمِ بِأَخْلَاطِهِ، إِلَّا أَنَّهُ عَطِلَ مِنَ النَّفْسِ، وَالنَّفْسُ مَقْرُونَةٌ بِالذَّمِّ. وَلَمَّا رَأَى هَذَا زُرِيَابُ، اخْتَرَعَ وَتَرًا خَاصًّا أَحْمَرَ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْوَتْرِ الْأَوْسَطِ الدَّمَوِيِّ، وَوَضَعَهُ تَحْتَ الْمُثْلَثِ وَفَوْقَ الْمُثْنَى، فَكَمَلَ فِي عَوْدِهِ قُوَى الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ. وَأَقَامَ الْخَامِسَ الْمَزِيدَ مَقَامَ النَّفْسِ فِي الْجَسَدِ. انتهى.

وزريراب المذكور، إمام صناعة المغنين، والمجتهد في فن الموسيقى، والمتقدم فيه على غيره. وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة بالحانها، وهذا العدد من الألحان غاية ما ذكره بطليموس، واضع هذه العلوم ومبتكرها. ونكر أن زرياباً ادعى أن الجن تعلمه كل ليلة ما

¹ - أصل الكلام التالي موجود في نفح الطيب 196/3 نقلاً عن المقتبس، فإن لم يكن الإفرائي اعتمد أصلاً على نفح الطيب، فقد اطلع عليه، ففي الحاشية بخطه: "... (بياض) الرابع، والله أعلم، وكذا بنفح الطيب".

² - في نفح الطيب: "وجعل من العود مكان السوداء من الجسد وسمي البيم، وهو أعلى أوتار العود، وهو ضعف المثلث الذي عطل من الطبع، وترك أبيض اللون، وهو من العود بمنزلة البلمغ من الجسد".

³ - في الأصل: يقتضي، والمثبت عن نفح الطيب.

⁴ - في الأصل: سويته، والمثبت عن نفح الطيب.

بين نوبة إلى صوت واحد، فكان يهْبُ من نومه سريعاً، ويلقيهِ على قَيْنَاتِهِ ويعودُ لمضجَعِهِ.
وحكايتُهُ في ارتحاله عن هارون الرشيد، واتصاله بالحكم المرواني، بالجزيرة، مشهورة¹.

وفي زرياب قال ابن حبيب الفقيه²:

بُلُوغُ أَمْرِي وَالَّذِي أَبْتَغِي هَيِّنْ عَلَى الرَّحْمَانِ فِي قَبْضَتِهِ
أَلْفَ مِنَ الْحُمْرِ وَأَقْلِيلَ بِهَا لِعَالَمِ أَرْبَى عَلَى بُغْيَتِهِ
زِرْيَابُ قَدْ أُعْطِيَهَا جُمْلَةً، وَحَرَقْتِي أَشْرَفَ مِنْ حَرَقَتِهِ

واسمه علي بن نافع، ولقب زرياباً، لسواد لونه، وفصاحة لسانه، ولطافة شمائله، شبهه
بطائر أسود غرد عندهم، وفيه قال عبد الرحمن بن الشَّمر³ منجم الأمير عبد الرحمن
الأموي:

يَا عَلِيُّ بْنُ نَافِعٍ يَا عَلِيُّ، أَنْتَ، أَنْتَ الْمُهَنْدُبُ لِلْوَدْعِيِّ
أَنْتَ فِي الْأَصْلِ حِينَ يُسْأَلُ عَنْهُ هَاشِمِيٌّ، وَفِي الْهَوَى عَبْسَمِيٌّ

وممن أخذ عن زرياب، واشتهر بعده مصابيح جارية للكاتب أبي حفص عمر [بن]⁴
قُلهيل. وينكر أن ابن عبد ربّه، صاحب العقد، مرّاً بدار أبي حفص، والجارية تُغني، فوقف
يستمع، فأشار أبو حفص لها فسكتت، فكتب له ابن عبد ربّه بهنئين البينتين:

يَا مَنْ يَضِنُّ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ هَذَا الضَّنَّ مِنْ أَحَدٍ
لَوْ أَنَّ أَسْمَاعَ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً أَصْنَعْتُ إِلَى الصَّوْتِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ

¹ - انظرها في نفح الطيب 125/3-126.

² - الأبيات في نفح الطيب 7/2 مع اختلاف في الرواية.

³ - في الأصل: السمر، مهلة. والمثبت عن العقد الفريد 364/2، 255/5، ونفح الطيب 130/3.

⁴ - الزيادة من المطرب 250 ونفح الطيب 131/3، والقصة مفصلة أكثر بالمطرب.

فخرج أبو حفص حافياً، وأدخله إلى مجلسه، وتمتع من سماعها.

ولا بأس بإيراد جملة مما قيل في العود، فقال ابن الوردي¹:

جَاءَتْ بِعُودٍ كُلَّمَا لَعِنَ [ت] بِهِ لَعِنَتْ بِي الْأَشْوَاقُ وَالتَّبَرُّيحُ
غَنَّتْ فَجَلَوْبَهَا، وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يُنُوحُ

وقال الصّدي:

لَقَدْ تَنَّا بِعُودٍ حَرَكْتُهُ بِأَنْمُلٍ هِيَ الْمَاءُ لُطْفًا فِي اتِّبَاعِ الْأَنْشِيدِ
فَكَانَتْ، وَقَدْ جَسَتْ مَنَازِلُهُ، تَكْتَسِي بِأَوْرَاقِهِ، لَمَّا جَرَى الْمَاءُ فِي الْعُودِ

ابن تميم²:

وَمَهَاةٍ قَدْ رَاضَتْ الْعُودَ حَتَّى عَادَ بَعْدَ الْجَمَاحِ وَهُوَ ذَلُولُ
خَافَ مِنْ عَرِكٍ لَأَنَّهُ إِنْ عَصَاهَا فَلِهَذَا كَمَا تَقُولُ يَقُولُ

آخر³:

وَمَلِيحَةٍ بَلَّاتَتْ تُدْغِدُ عُودَهَا بِفَصَاحَةٍ، حَتَّى تَغْنَّى الْعُودُ
فَكَانَهَا لَمْ عَلَيْهِ شَقِيقَةٌ، وَكَأَنَّهُ فِي حِجْرِهَا، مَوْلُودُ

آخر في مَغْنِيَةٍ:

¹ - نسبهما في تزيين الأسواق 506 لابن تميم. وقال في الأنيس المطرب 182: "لابن تميم أو ابن الوردي".

² - البيتان في حلبة الكميت 202، وديوان الصبابة 237.

³ - البيتان في الأنيس المطرب للعلمي 192.

وَنَائِحَةً لَهَا وَجْهَةً
فَبَاكِئَةً عَلَى الْمَوْتَى
بِهِ فَتَنَّتْ بَيْتِي الدُّنْيَا
وَضَاحِكَةً عَلَى الْأَحْيَا
آخِر¹:

مَاهِرٌ فِي غَنَائِهِ يَنْشُرُ الدُّ
لَوْ تَغْنَى لِمُتَدَفِّ بَعَثَ اللَّهُ
رٌ، فَيَمْلَأُ مَسَامِعَ النُّمَاءِ
لَهُ إِلَيْهِ مِنْ وَقْتِهِ بِالشَّفَاءِ
الْقِيرَاطِي²:

غَنَى عَلَى الْعُودِ شَادٍ، سَهْمٌ نَاطِرُهُ
رَنَا إِلَيَّ، وَجَسَتْ كَفُّهُ وَتَرَأَ
أَمْسَى بِهِ جَسَدِي الْمُضْنَى عَلَى خَطَرِ
فَرَاخَتِ الرُّوحُ بَيْنَ الْجِسْمِ وَالْوَتَرِ
وَلَهُ فِي هَجْوٍ مُغْنٍ³:

عَوَائِكُمْ مَنْطِقُهُ خَارِجٌ⁴
وَعُودُهُ فِي الْكَفِّ، مِنْ قُبْحِهِ
وَضَرْبُهُ ضَرْبٌ مِنَ الْحَيْنِ
مَازَالَ مِثْلَ الْعُودِ فِي الْعَيْنِ

وما أحسن قول ابن الوردي على طريق التورية⁵:

غَنَى لَنَا يَوْمَ حَرٍّ فَمَاتَ بَسْرُ دَارِ فَاقِي

¹ - المصدر السابق 192.

² - إبراهيم بن عبد الله الطائي، برهان الدين القيراطي. شاعرٌ وفقيةٌ من أهل القاهرة. له ديوان شعر سماه: مطلع النيرين. توفي سنة 1379/781م. (انظر الدرر الكامنة 32/1 وشذرات الذهب 269/6).

³ - البيتان في الأنيس المطرب 182.

⁴ - هكذا في الأصل وفي الأنيس المطرب 183، والأولى أن يكون: جَارِجٌ.

⁵ - المصدر السابق.

يَا لَيْتَنَا فِي حِجَازٍ لَمَّا شَدَا فِي عِرَاقٍ

آخِرُ^١:

مُغْنِيَةً سُوءَ أَلْفَافِهَا
مُقَبَّحَةَ الْوَجْهِ مَفْلُوجَةً
يُمِيتُ السُّرُورَ وَيُحْيِي الْكُورَبُ
فَلَا لِلزَّيْنَاءِ وَلَا لِلطَّرَبِ

آخِرُ^٢:

رَأَيْتُ زَيْدًا قَاعِدًا لِلْغِنَا
لَأَنَّهُ يَنْبَحُ مِنْ عَوْدِهِ
وَيَحْسِبُ النَّوْمَانُ فِي حَلْقِهِ
مَا عَجَبِي مِنْهُ، وَلَكِنِّي
فَقَمْتُ مِنْ مَجْلِسِهِ أَهْرُبُ
جَرُوءٍ وَمِنْ أَوْتَارِهِ أَكْلِبُ
نَجَاجَةً يَخْنُقُهَا ثَعْلَبُ
مِنَ الَّذِي يُطْرِبُهُ أَعْجَبُ

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِي ضَرْبِ عَوَادٍ:

وَأَعْمَى بَصِيرٌ بِالْمَثَالِثِ كَفُّهُ
بِرَاهُ إِلَهُ الْخَلْقِ سَتْرًا لِعَاشِقٍ
أَجَلْنَا بِهِ لِلْأَنْسِ فِي رَوْضَةِ طَرْفَا^٣
فَاطْرَبَهُ كَفًّا، وَكَفَّا لَهُ طَرْفَا

^١ - نفسه.

^٢ - نفسه.

^٣ - الطَّرْفُ: الكريم من الخيل (القاموس المحيط: طرف).

جُمْلَةٌ كَافِيَةٌ

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّوْشِيحِ مِنَ الْعُرُوضِ وَالْقَافِيَةِ

لا يخفى على مُعَانِي صِنَاعَةِ الْقَرِيضِ أَنَّ قِيَامَ النِّظَامِ وَاسْتِحْكَامَ الشَّعْرِ، إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ
 اتَّقَنَ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ، وَتَمَهَّرَ فِيهِمَا. فَقَدْ وَقَعَ لَجْمَاعَةٌ كَأَبِي تَمَامٍ وَابْحَثَرِي وَغَيْرُهُمْ¹ الْخَطْلُ فِي
 الْوِزْنِ، وَالتَّبَسُّتِ عَلَيْهِمُ الْبُحُورُ، وَتَدَاخَلَتْ عَلَيْهِمُ التَّفَاعِيلُ. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِعَمِّ الدَّرَايَةِ بِهَذَا الْفَنِّ.
 وَهَلْ عِلْمُ الْعُرُوضِ لِلشَّعْرِ إِلَّا بِمِثَابَةِ عِلْمِ الْإِعْرَابِ لِلْكَلَامِ. وَكَمَا أَنَّ النِّحْوَ وَضَعَ لِيَعَصِمَ
 اللِّسَانَ مِنَ اللَّحَنِ، فَكَذَلِكَ الْعُرُوضُ وَضَعَ لِيُعَافِيَ بِهِ الشَّعْرُ مِنْ خَلَلِ الْوِزْنِ، فَلَوْلَا هُ لَاخْتَلَفَتْ
 الْأَحْكَانُ، وَانْحَرَفَتْ عَنِ الصَّوَابِ انْحِرَافَ الْأَلْسِنَةِ عَنِ الْإِعْرَابِ. وَلَا يُلْتَفَتُ لِمَا وَقَعَ لَجْمَاعَةٌ
 مِنْ اسْتِثْنَائِهِ وَالحَطِّ مِنْهُ، وَأَنَّ النَّاظِمَ، إِنْ كَانَ سَلِيْقِيًّا، فَلَا حَاجَةَ لَهُ بِالْعُرُوضِ، كَمَا لَمْ يَحْتَجْ
 إِلَيْهِ مِنْ سَبْقِ الْخَلِيلِ مِنَ الْعَرَبِ. وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَطْبُوعٍ، فَلَا يَتَأَتَّى لَهُ الشَّعْرُ إِلَّا بِكُفَّةٍ، كَمَا
 قَالَ أَبُو فَرَّاسٍ الْهَمْدَانِيُّ²:

تَنَاهَضَ النَّاسُ لِلْمَعَالِي لَمَّا رَأَوْا نَحْوَهَا نُهَوِضِي
 تَكَافَوْا الْمَكْرُمَاتِ كَدًّا تَكْلَفُ النَّظْمَ بِالْعُرُوضِ

وَقَالَ بِهِاءُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ:

إِذَا كُنْتَ ذَا فِكْرٍ سَلِيمٍ، فَلَا تَمِلْ لِعِلْمِ عُرُوضٍ، يُوَقِّعُ الْقَلْبَ فِي كَرْبٍ
 فَكُلُّ أَمْرٍ عَنَى الْعُرُوضِ فَإِنَّمَا تَعَرَّضُ لِلتَّقْطِيعِ، وَاسْتَقْلَقَ لِلضَّرْبِ

¹ - الأولى أن يكون: غيرهما.

² - ديوان أبي فراس الحمداني 178.

قالوا: وتقطعُ الأبياتُ يُخرجُ بديعَ الألفاظِ، ورائقَ السُّبُكِ، إلى استيْزِلِ وركاكِةٍ. وحنثَ الأصمعي أن أعرابياً كان يُجالسُ الألباءَ، ما دلموا يتناشدونَ الأبياتَ، فإذا أخذوا في العروضِ وتقطعِ الأبياتِ ولَّى عنهم وهو يُنشدُ¹:

قد كان إنشادُهم للشَّعرِ يُعجِبُنِي حَتَّى تَعَاطُوا كَلَامَ الزَّنَجِ والبُومِ
ولَيتُ مُقَالِياً، واللَّهَ يَعْصِمُنِي مِنْ التَّقَحُّمِ فِي تِلْكَ الْجَرَائِمِ

وربما لوقع التقطعُ المرءَ في الزَّلَلِ والخَلَلِ، كما في مُدَاعِبَةِ أَبِي نُوَاسٍ وعنانِ جاريةٍ للناطفي² حينَ قالتَ له: إن كنتَ تحسنُ النظرَ في العروضِ، فقطعَ هذا البيتَ:

حوَلُوا عَنَّا كَنِيستَكُم يَا بَيْي حَمَالَةَ الحَطَبِ

فخرجَ له: ناكبي، فقالت: من؟ وضحكتُ منه. فقال لها: قطعي أنتِ قولَه:

أَكَلْتُ الخَرَنَالَ النَّا مِي³ فِي صَفْحَةِ خَبَّازِ

فخرجَ لها: أكلتُ الخَر، فضحكَ منها، قال في الغيثِ⁴: وعندي أن هذه الحكايةَ موضوعةٌ، وإن نكرَها صاحبُ العقدِ⁵ وغيرُه.

¹ - في بهجة المجالس 14: "كان أبو مُسلم، مؤدبُ عبدِ الملكِ بنِ مروان، قد نظرَ في النحو، فلما أحدثَ الناسُ التصريفَ لم يُحسنه، فأنكره وهجا أصحابه، فقال:

فَإِنْ كَانَ أَخَذَهُمُ لِلنَّحْوِ يُعْجِبُنِي حَتَّى تَعَاطُوا كَلَامَ الزَّنَجِ والبُومِ
لَمَّا سَمِعْتُ كَلَاماً لَسْتُ أَغْرِفُهُ، كَأَنَّهُ زَجَلُ الغُرَبَانِ والبُومِ،
تَرَكْتُ نَحْوَهُم، واللَّهَ يَعْصِمُنِي مِنْ التَّقَحُّمِ فِي تِلْكَ الْجَرَائِمِ

² - في الأصل: الناطفي، والصوابُ من الأغاني 101/10، 76/20، والعقدُ الفريد 63/7، 64، 137/8.

³ - هكذا في الأصل، وفي العقدُ الفريد 65/7: الشامي.

⁴ - الغيثُ المسجَم 31/1 يتصرف.

⁵ - العقدُ الفريد 65/7.

وإذا تبين شدة الحاجة لهذه الصناعة تعين أن نلّم بشيء منها، على سبيل الإيجاز، فنقول: هذا التوشيح من بحر الرمل، ونكر ابن بري في شرح عروض ابن السقاط، أقوالاً في تسميته بذلك، فقال الزجاج: من سرعة السير، وقال الخليل: تشبيهاً له برمل الحَصير، وقيل لأن الرمل، الذي هو نوع من الغناء، يخرج على هذا الوزن، قال الصفاقصي: وهو أبعدُها. انتهى. والظا[هر] أنه أقربُها، فإن أهل الموسيقى متهافون على الرمل تهافت الذباب على العسل. ولعل لهذا أكب على هذا التوشيح كبار تلك الطبقة، لأنه "وافق شئ طبقة"¹. ثم إنه لا يستعمل إلا محذوف العروض، والحذف عندهم، هو حذف السبب الخفيف، من آخر الجزء، مثاله: فعولن، يحذف سببه الخفيف فيبقى: فعو. والرمل له عروضان، محذوفة ومجزوءة وستة أضرب. وهذا التوشيح من عروضه الأولى المحذوفة، ومن ضربها الثالث، الذي هو محذوف كالعروض، وبيته:

قَالَتِ الْخَنَسَاءُ، لَمَّا جِئْتَهَا: شَابَ بَعْدِي رَأْسُ هَذَا وَاشْتَهَبَ

والرمل مثنو الأجزاء، يتركب من:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن، ومثلها. وهو من الدائرة الثالثة، وتسمى دائرة المُجَنَّبِ، على مذهب الجمهور، وسماها الخزرجي دائرة المُشْتَبِه. ولنوضح ذلك ببيت من التوشيح، وهو:

هَلْ نَرَى ظَنِّيُ الْحَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهْ عَنْ مَكْنَسِ

نقطيعه:

هَلْ نَرَى ظَبٍّ / يُلْحِمِي أَنْ / قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ بِنَ / حَلَّهْ عَنْ / مَكْنَسِ

¹ - مثل عربي مشهور (انظر مجمع الأمثال 2/359).

تفعيُّله:

فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلن فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلن

اسمه:

سالم، سالم، محذوف سالم، سالم، محذوف

وعلى هذا فقس. وأحرف التقطيع يجمعها قولك: "لمعت سيوفنا". وما أحسن قول البرهان القيراطي:

وَمَلِجْ، عِلْمَ الْخَالِلِ يُعَانِي، لَيْتَهُ لَوْ غَدًا خَالِلاً خَالِيعِي
رُمْتُ وَصَلًا بِهِ فَقَالَ: لِحَاطِي نَاطِقَاتٍ بِأَحْرَفِ التَّقْطِيعِ
وَيُشَبِّهُهُ قَوْلُ شَهَابِ الدِّينِ²:

وَبِي عَرُوضِي سَرِيعُ الْجَفَا³ وَجَدِي بِهِ، مِثْلُ جَفَا، طَوِيلُ
قُلْتُ لَهُ: قَطَعْتَ قَلْبِي أَسَى فَقَالَ لِي: التَّقْطِيعُ دَابُّ الْخَالِلِ

وَتَنَكَّرْتُ أَيْضاً، هُنَا، قَوْلَ أَبِي جَعْفَرٍ رَفِيقِ ابْنِ جَابِرٍ، عَلَى مَذْهَبِ الْخَالِلِ⁴:

خَلَّ الْأَنَامَ، وَلَا تَلَاخِظْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَوْ أَصْقَى إِلَيْكَ ضَمَائِرَ

¹ - في الأصل: لوعزا، والمثبت عن (ج).

² - المقصود شهاب الدين بن صارو البعلي. (انظر نفح الطيب 679/2). وفي معاهد التنصيص 151/3: ابن سارة. وابن صارة ويكتب بالسين، هو أبو محمد عبد الله الشنتريني توفي سنة 517هـ، وسيرد ذكره في الصفحات: 70، 217، 267، 268 من هذا الكتاب. (ترجمته في المغرب 419/1، والمطرب 78).

³ - في الأصل: الحيا، والمثبت عن نفح الطيب، ومعاهد التنصيص، وهو الصواب.

⁴ - البيتان في نفح الطيب: 678/2، وفيه: ولا تخالط.

إِنَّ الْمُؤَقَّ مَنْ يَكُونُ كَأَنَّهُ مُتَقَارِبٌ، فَهُوَ الْوَحِيدُ بِدَائِرَةِ

وله على مذهب الأخفش¹:

إِنَّ الْخَلَاصَ مِنَ الْأَنَامِ لِرَاحَةٍ، لَكِنَّهُ مَا نَالَ ذَلِكَ سَالِكٌ
أَضْحَى بِدَائِرَةِ لَهُ مُتَقَارِبٌ يَرْجُو الْخَلَاصَ، فَعَاقَهُ مُتَدَارِكٌ

وله²:

دَائِرَةُ الْحُسْنِ قَدْ تَنَاهَتْ، فَمَا لَهَا فِي الْهَوَا مَزِيدُ
فَبَخْرُ شَوْقِي بِهَا طَوِيلٌ، وَبَخْرُ تَمَعِي بِهَا مَلِيدُ
وَلَنْ وَجْدِي بِهَا بَسِيطٌ، فَلْيَعْمَلِ الْحُسْنُ مَا يُرِيدُ

ومن هذا النمط قولُ شهاب الدين بن صار³:

وَبِي عَرُوضِي سَرِيعُ الْجَفَا، يَغَارُ غُصْنُ الْبَانِ مِنْ عَطْفِهِ
الْوَرْدُ مِنْ وَجْنَتِهِ وَافِرٌ، لَكِنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ قَطْفِهِ

وتَكَرَّرَتْ بِالتَّوْرِيَةِ بِالْقَطْفِ مَا وَقَعَ [لبعض] أَصْحَابِنَا فِي آيَاتِ كَتَبَ بِهَا إِلَيَّ يُعَاتِبُنِي وَقَدْ
تَخَلَّفَتْ عَنْ زِيَارَتِهِ، وَهِيَ:

مَا لِلْخَلِيلِ لَوْعَدِهِ قَدْ أَخْلَفَا وَغَدَا لِسَنِّهِمْ مَلَامِنَا مُسْتَهْدَفَا؟
إِنَّا، وَحَقٌّ وَدَلِيلُهُ، لَنْ نَصْرِفَا

¹ - البيتان في نفح الطيب: 678/2.

² - البيتان في المصدر السابق 679/2.

³ - في الأصل: صار، والتصويب من نفح الطيب 679/2. وانظر ص: 65 الحاشية: 2.

قَدْ كَانَ يَرَوِي وَدَّهَ عَنْ ثَابِتٍ¹ وَالْيَوْمَ قَلَدَ عَازِبًا وَمُطَرَفًا²
عَهْدِي بِهِ يَأْتِي لِكُلِّ عَرُوبَةٍ³ وَحَيْثُ يَرَوِي الْغَرِيبَ مُصَنَّفًا
فَإِذَا تَنَكَّبَ وَصَلْنَا لِجَنَابَةٍ فَالْحَرُّ يَخْمِلُ خِلَّةً إِنْ أَجْحَفَ
وَقِيَّتُهُ مِنِّي صُوعَ مَوَدَّةٍ وَأَرَاهُ فِي سُوقِ الْوَقَاءِ مُطَفِّفًا
وَلَقَدْ عَهِدْتُ جَوَادَهُ فِيمَا مَضَى يَطْوِي الْبَسِيطَ لَنَا، فَكَفَّ وَأَقْطَفَا
تَاللَّهِ إِنْ لَمْ يَشْفِينْ كَلِفًا بِهِ، لَعَلِمْتُ أَنَّ الْوُدَّ كَانَ تَكَلَّفًا
فَإِنْ لَدَعَى لِيَطْلَلَ مَا أَلْزَمْتُهُ يُقْضَى عَلَيْهِ لِتُهْمَةٍ إِنْ يَخْلِفَا
يُقْضَى عَلَيْهِ لِتُهْمَةٍ أَنْ يَخْلِفَ لَوْلَا بِنِ جَابِرِ الْأَعْمَى:

إِنْ صَدَّ عَنِّي فَأِنِّي لَا أَعَاتِبُهُ فَمَا التَّافَرُ فِي الْغَزَلَانِ تَقْقِصُ
شَوْقِي مَنِيْدٌ وَوَجْدِي كَامِلٌ أَبَدًا⁴ لِأَجْلِ ذَلِكَ قَلْبِي فِيهِ مَوْقُوصُ
وله:

عَالِمٌ بِالْعَرُوضِ يَخْبِنُ⁵ قَلْبِي فِي مَنِيْدِ الْهَوَى بِلُخْظٍ سَرِيعِ
عِنْدَهُ وَافِرٌ مِنَ الرِّقْفِ يَبْنُو، وَخَفِيفٌ مِنْ خَصْرَةِ الْمَقْطُوعِ

¹ - وَرَأَى بَابِي حِمَزَةً، ثَابِتُ بْنُ دِينَارٍ الْأَزْدِيُّ. مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ الثَّقَاةِ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ، وَرَوَى عَنْهُ بَعْضُ أَهْلِ السَّنَةِ. (الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ 81/2).

² - يَقْصِدُ، عَلَى مَا يَبْدُو، مُطَرَفُ بْنُ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، كَانَ الْحَاجَّاجُ وَلَاءَهُ عَلَى الْمَدَائِنِ لِنُبْلَاهُ. وَلَكِنْ شَيْبَةُ بْنُ زَيْدٍ الْخَارِجِيُّ أَقْنَعَهُ بِمَذْمُومِهِ، فَخَلَعَ عَنْهُ بَيْعَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْحَاجَّاجِ، وَقَاتَلَ الْأُمَوِيِّينَ فِي صُفُوفِ الْخَوَارِجِ حَتَّى قُتِلَ سَنَةَ 77هـ/696م.

(الطبري 258/7-263، الكامل لابن الأثير 62/4-63).

³ - الْعَرُوبَةُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ. (الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ: عَرَبٌ).

⁴ - فِي الْأَصْلِ مَعْقُوصٌ، وَالْمَثْبُتُ عَنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ 679/2، وَالْوَقْصُ: حَذَفَ ثَانِي التَّفْعِلَةِ مَتَى كَانَ مَتَحَرِّكًا وَثَانِي سَبَبٍ، وَهُوَ مِمَّا يَجُوزُ فِي حَشْوِ الْمَدِيدِ.

⁵ - فِي الْأَصْلِ: حَرٌّ، بَدُونَ نَقْطٍ وَفِي (ج) يَحْرِقُ، وَالْمَثْبُتُ عَنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ 679/2. وَالْخَبْنُ حَذَفَ الثَّانِي مَتَى كَانَ سَاكِنًا وَثَانِي سَبَبٍ، وَهُوَ مِمَّا يَجُوزُ فِي حَشْوِ الْمَدِيدِ.

ولله¹:

سَبَبٌ خَفِيفٌ خَصَرُهَا وَوَرَاءَهُ مِنْ رِقِّهَا سَبَبٌ ثَقِيلٌ ظَاهِرٌ
لَمْ يُجْمَعْ النَّوعَانِ فِي تَرْكِيبِهَا إِلَّا لِأَنَّ الْحُسْنَ فِيهَا وَافِرٌ

وهذه المقطعات، أنشدَهَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّعِينِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ² الْمُتَقَدِّمُ لابنِ جَابِرٍ رَفِيقَهُ فِي شَرْحِ
بَدِيعَتَيْهَا الْمَسْمَاةِ بِدِيعَةِ الْعَمِيَانِ، وَإِلَيْهِمَا يَنْسَبُ شَرْحُ الْخُلَاصَةِ الْمُتَرَجِّمُ بِشَرْحِ الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرِ، وَالْأَعْمَى هُوَ ابْنُ جَابِرٍ الْهُوَارِيُّ³، وَالْبَصِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّعِينِيُّ⁴، وَهُمَا مِمَّنْ جَالَ
فِي مَنَازِلِ الْأَرْضِ، وَضُرِبَ أَكْبَادُ الْإِبِلِ فِي الْبِلَادِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ. قَالَ أَبُو حَيَّانَ:
وَالسَّبَبُ فِي خُرُوجِ ابْنِ صَابِرٍ⁵ مِنَ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ الظَّاهِرِيَّةِ، فَكَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ
فِي الصَّلَاةِ، مَا صَحَّ فِي الْحَدِيثِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ السُّلْطَانُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَحْمَرِ، فَتَوَعَّدَهُ بِقَطْعِ

¹ - البیتان فی نفع الطیب 680/2.

² فی الأصل: أَبُو جَعْفَرِ ابْنِ الزَّبِيرِ الْأَنْدَلُسِيُّ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ، فَإِنَّ رَفِيقَ ابْنِ جَابِرٍ هُوَ: أَحْمَدُ بْنُ
يُوسُفَ بْنِ مَالِكِ الرَّعِينِيِّ الْغُرْنَاطِيِّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُتَوَفَى سَنَةَ 779هـ/1378م.

وَهُوَ أَدِيبٌ، رَافَقَ ابْنَ جَابِرٍ فِي رَحْلَتِهِ إِلَى الشَّرْقِ، فَعَرَفَا بِالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ. وَشَرَحَ الرَّعِينِيُّ بِدِيعَةَ زَمِيلِهِ
الْمَسْمَاةِ: الْحَلَّةِ السَّيْرَا فِي مَدْحِ خَيْرِ الْوَرَى، أَوْ بِدِيعَةِ الْعَمِيَانِ. وَاسْمُ شَرْحِهِ طِرَازُ الْحَلَّةِ وَشَفَاءُ
الْغَلَّةِ. (انظر ترجمته في الدرر الكامنة 361/1، ودرة الحجال 52/1-53، ونفع الطيب 675/2-690).

أَمَّا ابْنُ جَابِرٍ فَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَابِرِ الْأَنْدَلُسِيِّ الْهُوَارِيِّ، مُؤَلِّفٌ وَنَاضِمٌ، تَوَفَى سَنَةَ 780هـ/1378م
(انظر ترجمته في الدرر الكامنة 339/3، ونفع الطيب 664/2-675). وَالسَّبَبُ فِي خَطَأِ الْإِفْرَانِيِّ هُوَ
خَطْأُهُ بَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ صَابِرٍ الْقَيْسِيِّ رَفِيقِ أَبِي جَعْفَرِ ابْنِ الزَّبِيرِ وَبَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ جَابِرِ
الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُتَقَدِّمِ. (انظر ترجمة ابن صابر في المنهل الصافي 299/1 ونفع الطيب 655/2).

³ - فِي الْأَصْلِ: الْقَيْسِيُّ وَذَلِكَ خَطَأً. كَمَا بَيَّنَّا.

⁴ - فِي الْأَصْلِ: ابْنُ الزَّبِيرِ وَهُوَ خَطَأً كَمَا سَلَفَ.

⁵ - فِي الْأَصْلِ: ابْنُ جَابِرٍ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ. وَهَذَا الْكَلَامُ الْمُنْسُوبُ لِأَبِي حَيَّانَ، وَتَعْلِيقُ صَاحِبِ النَّفْحِ
عَلَيْهِ، مُوجُودٌ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ 655/2، وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِابْنِ صَابِرٍ وَلَيْسَ بِابْنِ جَابِرٍ.

يده، فَضَحَّ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِقْلِيمٌ تُمَاتُ فِيهِ السَّنَةُ وَيَتَوَعَّدُ فَاعْلَاهَا، جَدِيرٌ أَنْ يُرْحَلَ عَنْهُ فَخْرَجَ.
وَمِنْ شَعْرِهِ:

فَلَا تَعْجَبَا مِمَّنْ عَوَى خَلْفَ ذِي عُلَى لِكُلِّ عَلِيٍّ فِي الْأَنَامِ مُعَاوِيَةً
قَالَ فِي النَفْحِ: وَفِيهِ مَا لَا يَخْفَى مِنْ عَدَمِ التَّأَنُّبِ مَعَ الصَّاحِبَةِ. وَلِلَّهِ قَوْلٌ مَنْ قَالَ فِي
رَجَزٍ:

وَمَنْ يَكُنْ يَقْدَحُ فِي مُعَاوِيَةٍ
فَذَاكَ كَلْبٌ مِنْ كِلَابِ عَاوِيَةٍ

وَمِنْ فَوَائِدِ أَبِي جَعْفَرِ الرُّعَيْنِيِّ^١ الرِّفِيقِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

غَزَالَ قَدْ غَزَا قَلْبِي	بِأَلْحَاطٍ وَأَحْذَاقٍ
لَهُ الثُّلُثَانِ مِنْ قَلْبِي	وَلِلثُلُثِ الْبَاقِي
وَلِثُلَا ثُلُثٍ مَا بَقِيَ	وَبِاقِي الثُّلُثِ لِلسَّاقِي
وَبَقِيَ أَسْهُهُمْ سِتٌّ	تُقَسَّمُ بَيْنَ عُشَّاقِي

فَقَالَ: "هَذَا الشَّاعِرُ قَسَمَ قَلْبَهُ إِلَى وَاحِدٍ وَثَمَانِينَ سَهْمًا، فَجَعَلَ لِمَحْبُوبِهِ مِنْهَا الثَّلَاثِينَ: أَرْبَعًا وَخَمْسِينَ، وَبَقِيَ الثَّلَاثُ: سَبْعٌ وَعَشْرُونَ، فَزَادَهُ ثُلَاثِيَّةٌ: ثَمَانِيَةَ عَشَرَ، لِيَتَحَصَّلَ لَهُ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ، يَبْقَى ثَلَاثُ الثَّلَاثِ، وَهُوَ تِسْعَةٌ، زَادَهُ مِنْهَا ثُلَاثِيَّةٌ وَهُوَ اثْنَانِ، وَبَقِيَ مِنَ الثَّلَاثِ

^١ - فِي الْأَصْلِ: ابْنُ الزَّبِيرِ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَاهُ.

واحد، أعطاهُ للسّاقِي، فبقي من التسعة ستة، قسمها بين العشاق. فاجتمع لمحبوبه أربع وسبعون، وللسّاقِي سَهْمٌ واحد، وللعشاق ستة، والجملةُ واحدٌ وثمانون¹.

ونكرتُ بالدائرة أيضاً، قولَ القائل ملغزاً في السّاقية²:

يَا أَيُّهَا الْحَبْرُ الَّذِي عِلْمُ الْعَرُوضِ بِهِ امْتَرَجَ
أَبْنُ لَنَا دَائِرَةً فِيهَا بَسِيطٌ وَهَزَجٌ

وتنكرتُ، والشّيءُ بالشّيءِ ينكرُ، قولَ السّراج الوراق على وجهِ التورية العروضية³:

مَالِي وَتَنَظَّمُ الشُّعْرُ، بَانَتْ صَبَوَتِي وَالنَّاسُ قَدَرَا غَيُّوا عَنِ الْأَدَابِ
أَقُولُهُ عَبَثاً بِلا سَبَبٍ لَهُ؟ وَالشُّعْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَسْبَابِ

ومثله لابن نباتة⁴:

مَنْ مُتْصِفِي مِنْ أَنْاسٍ فِيهِمْ تَحَيَّرَ ذَهَبِي
لَا يَرَهُمْ أَوْ زُنُوهُ وَحَلَوْا الشُّعْرَ مِنِّي
وَهَلْ سَمِعْتُمْ بِشُعْرٍ يَأْتِي عَلَى غَيْرِ وَزْنٍ

ويناسبُ هذه الجملة قولُ ابنِ صارة⁵:

¹ - نص كلام نفع الطيب 681/2.

² - البيتان في الغيث المسجم 33/1 و قبلهما: "أنشد بعضُ الأصحاب" وهما كذلك في حلبة الكميت 291.

³ - الغيث المسجم 33/1.

⁴ - في الغيث المسجم 33/1: "أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين بن نباتة.. الأبيات". والأبيات في ديوان ابن نباتة 530.

⁵ - ورد البيتان غير معزوين في الشريشي الكبير 52/2-53.

لَيْلُ الْبَرَاعِيثِ وَالْبَعُوضِ لَيْلُ طَوِيلِ بِلَا غُمُوضٍ
فَذَلِكَ يَنْزُو¹ بِلَا سُرُورٍ وَذَا يُغْنِي بِلَا عَرُوضٍ

كذا أنشد هذين البيتين أبو جعفر الفهرري في كتابه المسمى برفع التلبيس في حقيقة
التجنيس²، وهو كتابٌ وحيدٌ في بابهِ، وقفتُ عليه واعتمدتُ عليه. وأنشدَ بعدَ البيتينِ لابنِ
رشيقي³:

يَا رَبُّ لَا أَقْوَى عَلَى نَفْعِ الْأَذَى وَبِكَ اسْتَعَنْتُ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُؤَذَى
مَالِي بَعَثْتَ إِلَيَّ أَلْفَ بَعُوضَةٍ وَبَعَثْتَ وَاحِدَةً إِلَى النَّمْرُودِ

أما الكلام عن القافية

دامت لنا ولكم العافية

فقال الدماميني صاحبُ العيونِ الغامزة: عِلْمُ القوافي وإن كانَ كالجِزءِ من فنِّ العروضِ
لكنَّهُ أُنْقُ وألطفُ منه⁴. فلذا لوَحنا لشيءٍ منه. فالقافية لغةٌ اشتقاقُها من قَفَوْتُ أثره: تبعته.
كانَ الشاعرُ يَبْنِي عليها قصيدةً فهي فاعلةٌ بمعنى مفعولة. وتُطْلَقُ على القصيدةِ وهو كثيرٌ.
واصطلاحاً، أحسنُ ما قِيلَ فيها، قولُ الخليل: إنها من آخرِ حرفٍ في البيتِ إلى أولِ ساكنٍ
يليه مع حركةِ الحرفِ الذي قبله. وشرحُ ذلك يُطلب من مِطَانِهِ. ومن لطيفِ القوافي ما
رأيناهُ في الراياتِ السَّمَهريةِ للشيخِ بركاتِ القسطنوني أن أبا نواسٍ أنشدَ أبياتاً وجعلَ قافيتها

¹ - في الأصل: ينزي، والتصويب عن الشريشي الكبير. ونزا ينزو نزوا: وثب.

² - لم يحصل لنا علم بمصير هذا الكتاب.

³ - ديوان ابن رشيقي 71.

⁴ - نسب الدماميني هذا الكلام لابن جني. (العيون الغامزة 91).

إشارة برأسه لمعانيها، وهي¹:

وَلَقَدْ قُلْتُ لِلْمَلِيحَةِ قَوْلًا مِنْ بَعِيدٍ لِمَنْ يُحِبُّكَ (فأشار) فَبَلَّه
فَأَشَارَتْ بِمِعْصَمٍ ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا الْعَاشِقُ الْمُتَيَّمُ، (فأشار) لَا، لَا
فَتَنَفَّسْتُ سَاعَةً ثُمَّ إِنِّي قُلْتُ لِلنَّعْلِ، عِنْدَكَ ذَاكَ (فأشار) إِمْسِ

وأنشدني من لفظه لنفسه صاحبنا الأديب أبو عبد الله الطيب المريني²، كَلَاهُ اللَّهُ، بيتاً له
خمس قوافٍ، يتفرغ إلى ثمانية وثمانين، وخمسة وعشرين ألف نوع، وهو:

يَا شَامِخَ الْقَدْرِ الْجَلِيلِ الْمَجِيدِ يَا بَاذِخَ الْفَخْرِ الْأَثِيلِ السَّعِيدِ

المنيف العظيم الخطير العجيب

وبيان ذلك حسبما أوضحه الفقيه الحجة العلامة الدَّرَاكَةُ شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد
ابن حمدون بناني³، رعاه الله، أن البيت له مصراعان، أحدهما مبدوء بشامخ، والآخر
بباذخ. والأول يليه إما القدرُ أو الفخرُ، وفي كلٍّ منهما إما أن يكون ثالثه الجليلُ أو المجيدُ أو
الأثيلُ أو السعيدُ أو المنيفُ أو العظيمُ أو الخطيرُ أو العجيبُ. فهذه الثمانية أنواع مضمروبة
في النوعين المذكورين بستة عشر، وكلُّ منها يتنوع إلى سبعة أنواع، لأن ثالث المصراع،
مثلاً، إن كان لفظ الجليلِ فرابعه، الذي هو ختامه، إما المجيدُ أو الأثيلُ، أو السعيدُ أو المنيفُ

¹ - لم ترد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس، وفي اتجاهات الشعر للدكتور مصطفى هدارة 548-549
أنها في العمدة 212/1. ولم أعر عليها بعد البحث.

² - في الأنيس المطرب 45، بيت آخر للمريني من الكامل يتفرغ إلى سبعين وعشرين وجهاً، وهو:
بُشْرَى لَنَا، يَا سَعْدَنَا، بَنِينَا حَقَّ الْهَنَاءِ، وَجَبَ الْغَنَاءُ..

مما يدل على شغفه بهذا النوع من التصنيع. (الأنيس المطرب 38-51 والتقاط الدرر 341/2).

³ - محمد بن حمدون بناني (ت 1140هـ) أحد كبار المدرسين والمفتين الحذاق بفاس. له شرح على خطبة
ألفية ابن مالك. (التقاط الدرر 325/2).

أو العظيم، أو الخطير، أو العجيب. وإن كان ثالث المصراع لفظ المجيد فابعه: الجليل، أو السعيد، أو المنيف، أو العظيم، أو الخطير، أو الأثيل. وهكذا مع كل من الثمانية فإذا ضربت سبعة في ستة عشر، كان الخارج مائة نوع، واثنى عشر نوعاً، ستة وخمسون منها أركان ثاني البيت: القدر، وستة وخمسون أركان الفخر. ومثل هذا في المصراع الثاني المبدوء بباذخ، فإن جعلت كل نوع من أنواع المصراع الأول المبدوء بشامخ مع غيره من أنواع المصراع الثاني المبدوء بباذخ، كان الخارج أربعة وأربعين وخمسمائة واثنى عشر ألف نوع، قامت من ضرب أنواع المصراع الأول في أنواع المصراع الثاني، وهي مائة نوع واثنى عشر نوعاً المذكورة، فإن اعتبرت تقديماً المصراع الأول على المصراع الثاني، والعكس، بأن جعلت الأول هو الثاني، والثاني هو الأول كان الخارج ثمانية وثمانين نوعاً، وخمسة وعشرين ألفاً، قامت من ضرب هاتين الحالتين في الأنواع المذكورة.

هذا كله إن كان البيت من السريع، فإن كان من مجزوء الكامل¹ تنوع إلى أنواع أخر، وهي خمسمائة واثنى عشر. بيأنها أن كلاً من المصراعين فيه ثلاثة ألفاظ، فإن كان اللفظ الأول: يا شامخ، فاللفظ الذي يليه إما القدر، أو الفخر. فهاتان صورتان، وكل منهما إما أن يكون بعده الجليل أو واحد من الألفاظ الثمانية. فهذه ثمانية تضرب في اثنين بستة عشر، وكذا المصراع الثاني، وإن ركبت كل صورة من صور المصراع الأول، مع كل صورة من صور المصراع الثاني، تفرع من ذلك ستة وخمسون ومئتان. فإن اعتبرت تقديماً أحد

¹ - في الحاشية: "لا يكون من البحر الكامل إلا إذا أسقطنا الجليل والأثيل والمجيد والسعيد، ولعله هو المقصود عنده، وبعد هذا فمن حقه أن يزيد المرفل. قاله: (خرم)". قلت وحتى في هذه الحالة لا يكون منه.

للمصراعين على الآخر وتأخيرُهُ، خرجَ من ذلكَ خمسمائةٍ واثنا عشرَ. وجعلَ لهذهِ الصورِ
كلُّها جنولاً، انتهى¹.

¹ - في نص الأتيس المطرب 46 نقص بالنسبة لما ورد في المسلك السهل. مما يشكك في اعتماد الإفراني عليه، ويمكن أن يكون الإفراني نقل عن نسخة أكمل من المطبوع.

في الرد على من عاتبَ في التوشيح أو غَض

كأنِّي بمتعسفٍ، ممثلي الصدر بالأضغان والإحن، يُنكرُ إكبابي على إيضاح مُغفلِ هذه الموشحة، ويحتجُّ بأنها مشتملةٌ على وصفِ الخلود والقنود، والمبالغة في وصفِ الراح. وكلُّ ذلك مما هو حرامٌ في الشريعة، فكيف تضربُ في أرضها بقَمٍّ، أو تقطعُ¹ برهةً دهرٍ فيما هو كالعَمِّ؟! فأقولُ كما قال ابن الوردي، وهو القائلُ المحقُّ: إنَّ الصحابةَ كانوا ينثرون ويُسْعرون ونعوذُ بالله من قومٍ لا يشعرون². وهذه المسألةُ شهيرةٌ النزاعِ بين السلف والخلف، كثيرةُ الخلافِ بين الأوائلِ والأواخرِ. والحقُّ الذي تلقيناهُ من أفواه الشيوخ، وقيدناه عن أهلِ الإتيانِ والرسوخِ، أن التغرُّلَ بنكرِ رِشاقةِ القدِّ، واحمرارِ الخدِّ، إن كان فيما [يملِكُهُ] الإنسانُ أو في غيرِ معينٍ فلا وجهَ لحرمةِ ذلك، وإن كان فيما لا يملكُهُ من المعينِ، فوجهُ الحرمةِ لا يفتقرُ لإيضاح. قال في المعيار³، نقلاً عن ابنِ رُشيدٍ

¹ - في الأصل: يقطع، وأصلحناه لملاءمة: تضربُ، قبله.

² - يظهر أن الإفرائي نقل كلام ابن الوردي عن النواجي في حلبة الكميت 6، حيث أوردَهُ هذا الأخير في تبرير مضمون كتابه.

³ - المعيار المغرب، والجامع المغرب، عن فتاوي أهل إريقية والأندلس والمغرب. كتاب ضخم يتكون من اثني عشر جزءاً، مطبوع. ومؤلفه هو أحمد بن يحيى الونشريسي المترجم في الصفحة؟ الحاشية؟. (انظر ظروف تأليف هذا الكتاب في فهرس أحمد المنجور 51-52).

والكتاب يحتوي على مادةٍ أوليةٍ خصبةٍ لدراسة اجتماعية عن العصور التي يسجل نوازلها، والحاجة ماسة إلى دراسته.

والفتوى المعنية هنا، توجد في الجزء 11 ص 39.

الفهري ما نصه: اختلف العلماء [في]¹ الرخصة للشاعر في وصف الخدود والقنود والنهود، فمن محرّم ومبيح. وقال حجة الإسلام الطوسي: إن التشبّه بوصف الخدود ونحوها من أوصاف النساء الصحيح لا يحرم. وما قاله صحيح، إذا كان في من يملكه الإنسان، أو غير مُعَيَّن، وفي وصف النساء أجوز، وأما² في المعين الظاهر التحريم، لأنه يبعث الهوى. ولو نوى به التفنن في الكلام والتمرن بالنظم، أو الشخص الجميل من حيث هو، لا نكر ولا أنثى، فإن كان بلفظ الذكر فالظاهر الجواز، ولا يخلو من الكراهة. وقد سلكه الأفاضل والأماثل، وعفوا الله وراء ذلك كله، والأعمال بالنيات³. وقال ابن يونس ما نصه، ومن المدونة قال ابن القاسم: أكره الإجازة على تعليم الشعر والنوح، وكتابة ذلك، أو إجازة كتاب فيه. عياض: ومعنى النوح، أناشيد المتصوفة، على طريق النوح والبكاء. قال ابن حبيب: وأكره شعر الخمر والخنى والهجاء، انتهى. وقال ابن عرفة: كراهة شعر الخمر وما معه على التحريم. وانظر هذا، مع تروية كثير من الأشياخ كتاب مقامات الحريري، مع فحش بعض ألفاظها. وقد أخبرنا[نا] أن أبا محمد بن البراء كان يقرئ المقامات بؤيرة جامع الزيتونة، فإذا كنّى القارئ على ألفاظ الفحش قال له: صرّح، فكذا رويناه عن الجدّ أبي القاسم بن البراء. وعكس هذا، أن بعض الفضلاء كتب كتاباً من الألب، فيبّض فيه مواضع، فكُشف عنها، فإذا هي ألفاظ فحشية، انتهى.

وإذ أنجزنا القول إلى ما يحرم من التشبّه والنسيب، فننبّه الكلام على ما يحرم من الرثاء وما يجوز تكميلاً للفائدة.

والمراثي نكر أوصاف الميت، الباعثة على تهيج الحزن، وتجديد اللوعة. وهي⁴

1 - في الأصل: للرخصة، والزيادة من المعيار و(ج).

2 - في المعيار ص 39/11: "وأما في الذكر ففي المعين الظاهر التحريم"، وفي كلامه تحديد ضروري.

3 - نهاية كلام المعيار 39/11، بتصرف.

4 - في الأصل: هو.

أقسام ثلاثة: مباح، ومندوب، ومحرم. قال القرافي: فالمحرم ما تضمن التغالي في أوصاف الميت، بجماله وشجاعته وبراعته وإقامته بالضيف، وضربه بالسيف، والدب عن الحريم والجار، إلى غير ذلك من صفات الميت التي تقتضي لمثله ألا يموت، فإن بموته تنقطع هذه المصالح، والحكمة تقتضي بقاءه وتطويل عمره ليكثر مثل ذلك، انتهى¹. قال في الأنوار: ومن المحرم: "ما وقع في عصر عز الدين بن عبد السلام أن بعض الشعراء رثى الخليفة في بغداد، أيام الملك الصالح، وذلك بمحفل غص بالأكابر، فقال من قصيد كبير:

مَاتَ مَنْ كَانَ بَعْضُ أَجْدَادِهِ الْمَوْتُ تَ، وَمَنْ كَانَ يَخْشِيهِ الْقَضَاءُ

فسمعه ابن عبد السلام، وكان من جملة من حضر بالحفل، فأمر بتأديبه وحبسه، وغلظ في الإنكار عليه، وبالغ في تقييح رثائه. وبقي في السجن مدة، ثم استتابه بعد شفاعة الأمراء والرؤساء، وأمره أن ينظم قصيدة ويثني فيها على الله تعالى، تكون مكفرة لما تضمنه شعره في التعرض للقضاء². والمندوب كل ما صبر و وعظ. ومنه أنه لما مات العباس بن عبد المطلب، هاب الناس تعزية ولده، حتى أتى أعرابي، فدل عليه فاتاه، وسلم عليه وأنشده:

إصْبِرْ نَكُنْ بِكَ صَابِرِينَ فَإِنَّمَا صَبِرَ الرَّعِيَّةَ عِنْدَ صَبْرِ الرَّأْسِ
خَيْرٌ مِنَ الْعَبَّاسِ أَجْرُكَ بَعْدَهُ، وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ لِلْعَبَّاسِ

فسرّي عنه، واسترسل الناس في تعزيته. والمباح، ما كان خالياً من الألفاظ المحرمة، انتهى³. ورأيت في كتاب الفضل المبين عند فقهاء البنات والبنين، للإمام المحدث محمد بن يوسف التمشقي الصالحي ما نصه: ما اعتيد من إنشاد المراثي فأطلق الروياني كراهته. وروى أحمد وابن ماجه والحاكم، وصححه عن ابن أبي أوفى، قال: "نهى رسول الله، صلى

¹ - أنوار التجلي 100/1 بتصرف.

² - المصدر السابق.

³ - عن أنوار التجلي 100/1-111 بتصرف.

الله عليه وسلم، عن المراثي¹. وصرَّح بعضُ أئمةِ الحنابلةِ أن ما يهيجُ المصيبةَ، من وعظٍ وإنشادِ شعرٍ من النياحةِ فيحرمُ. ونحوهما نقلهُ القرافي المالكي عن شيخه سلطانِ [علماء] ابن عبد السلام الشافعي أنه كان يقول: إن بعضَ المراثي كالنوحِ، لما فيه من التبرُّمِ بالقضاءِ، انتهى.

نُكْتة

قال الصلاح الصفدي: الغزلُ يستعملُ في التشبُّبِ بالنساءِ، والنسيبُ في التشبُّبِ بالذكورِ، انتهى. أقول: إن كان ما ذكره اصطلاحاً نشأ بينَ أربابِ الأدبِ فلا مُشاحَّةَ في الاصطلاحِ، ولكلُّ أن يصطَلَحَ على ما شاء، وإنَّ أرادَ أنه في اللغةِ كذلكَ ففيه نظرٌ، ففي القاموسِ، نَسَبَ بالمرأةِ شَبَّبَ بها في الشعرِ. وقال في الغزلِ: ومحادثةُ النساءِ مغازلتُهُنَّ، والاسمُ الغزلُ، انتهى².

ولنمسك الزَّمامَ، فإن المطلوبَ بالذاتِ أمام. ولعلنا إن أطلنا، فقد أطبنا، وإن بسطنا فقد بسطنا. والغزُّ في الإطالةِ أنا رأينا كَتَبَ الأدبُ، إذا لم توشَّحْ بنوايرِ وأخبارِ، لم تَقَعْ في العقولِ مواقعَ القبولِ، إذ الأدبُ كُلُّهُ فُكاهَةٌ، وأحسنهُ الغريبُ الطَّوُّ المساقِ. وما هذا الكتابُ، إن شاء اللهُ تمامه، إلا كما قال ابنُ حَجَلَة:

هَذَا الْكِتَابُ نَكَرْتُ فِيهِ عَجَائِبَ تُغْنِي النَّدَامَى عَنِ الْمُدَامَةِ وَالطَّرَبِ
يَهْتَزُّ سَامِعُهَا لِطَيِّبِ حَدِيثِهَا إِلَّا حَسُوداً لَيْسَ يُعْجِبُهُ الْعَجَبُ

ولما كانتِ البِسْمَلَةُ فاتحةَ كلِّ كتابٍ مُنْزَلٍ، وطالعةُ لكلِّ كلامٍ له بال، كما صحتُ بذلكِ

¹ - سنن ابن ماجه . كتاب ماجاء في الجنائز رقم 1581 . ومسند أحمد . مسند الكوفيين رقم

الحديث 18351 ، 18602 .

² - القاموس المحيط (نسب غزل)، بتصرف.

الآثار، حسن أن نجعل البسملة دليلاً لهذا التوشيح، فإنه من الأمور التي يهتم بها، لما تضمنه من رقيق الاستعارات والتشبيهات البليغة، التي يستحسنها الأديب، ويتمثل بها الأريب. وقد نصّ في عقود الجمان، على أن أشعار المولدين يجوز الاستشهاد بها في علم المعاني، وسبيلها في ذلك سبيل كلام العرب. على أن ابتداء الأشعار بالبسملة فيه خلاف مشهور، ذكره الحافظ بن حجر وغيره كما في الحطاب. والمعتمد في ذلك أن حكمها على وفق ما ابتدأ بها إن جائز فجائز وإلا فلا. وقد أقمنا الحجة آنفاً على جواز تعاطي هذا التوشيح، وما هو على شاكلته. فنقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

وقد كان بعض الفضلاء من أشياخي، قدس الله سرهم يقول: حتم على كل من صنف في فن من الفنون ألا يخلط به غيره من الأقانيم والتعاليم، كما هو صنيع الأقدمين، وإنما اللائق مذاقاً، والأحسن مساقاً، أن يتكلم في كل علم بما هو من قواعده. وذكر ما ليس من العلم في² العلم تشغيب على السامعين وجناية على الناظرين. وأنا على رأي هذا الشيخ، في هذه المسألة، فإن تكلمت على البسملة بفن العربية عدّ الناظر مني ذلك تمسداً، وإن أتيت بغيرها من الفنون لم يعذب موقعه هنا، فرأيت لذلك أن أنكر على البسملة ما يليق بهذا الفن الذي خضنا في بحاره، فنقول: رأيت في كتاب منطق الطير لابن أبي حجلة ما نصّه: وفي كتابي نشر البردة في شرح القصيدة البردة ما نصّه: قال البوصيري، أبو عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي³: "بلغني أن بليغاً من النصارى انتصر لدينه، وانتزع من البسملة [ملة]

¹ - في الأصل: في. وهو سهو.

² - في الأصل من. وهو سهو.

³ - خصص ابن أبي حجلة فصلاً من كتابه منطق الطير، لا يراذ أبرز وأغرب القضايا والحوادث التي وردت في كتبه الأخرى، فأثبت فيه من كتابه نشر البردة في شرح القصيدة البردة، قضية البسملة هذه، (منطق الطير 50-51).

الشريفة دليلاً على تقوية اعتقاده في المسيح، وصحة يقينه فيه، فقلب حروفها، ونكّر معروفها، وفرّق مألوفها، وقدم فيها وآخر، و"فَكَرَّ وَقَدَّرَ، فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ"¹. فقال: قد انتظم من البسملة: المسيح ابنُ الله المَحَرَّر، وظنَّ أنَّ ذاك سرٌّ في قلب البسملة مُضمَر، وعلى جبين الكتاب العزيز مُسطر². فنظرتُ إلى ما عزاه للبسملة، واستخرجه من حروفها المُستعملة والمُهملَة، فإذا هو: لا، ما المسيح ابنُ الله مُحَرَّر. فسقط في يديه، ونكّص على عَينَيْهِ³، وقامت حُجَّتُه من لسانه عليه. ثم قال: قالت البسملة بلسانِ حالها: إنما الله ربُّ المسيح راحمٌ، وزعمتُ أنه ربُّك، فقالت: حُرِّم من لا ربَّ له إلا المسيح، فقلت: إنه طعن بالحربة مُسمراً. فقالت: من رأى المسيح أَلَمَ الحربة؟ وقلت: إنه إله يُحَلَّلُ ويُحَرِّم، فقالت: سل ابنَ مريم، أَلَلَّ له الحرام! وإن [قُلْتُ]: إنه رسولُ صَدَقْتِكَ. وقالت: إيكُ أرسلَ الرحمة من بلحم، إيكُ: لسمِّ من أسماءِ الله في كتبهم، وبلحم: بيتُ لحم الذي ولد فيه المسيح. وقلت: إنه ركبَ الحمارة فقالت: سلَّم أن الربَّ لا يحملُه حمارة، وقالت: من حُرِّم الإسلام لا ربحَ له. [وقالت: لا راحة⁴] لمُحاربِ المُسلمين"، انتهى.

قال ابنُ أبي حَبَلَة: وفي قولِ النصراني تأملٌ لإسقاطِ الميم فليُنظر، انتهى.

ويعجبني في الرد على النَّصارى⁵ قولُ المعري⁶:

عَجَباً لِلْمَسِيحِ بَيْنَ النَّصَارَى، وَإِلَى أَيِّ وَالِدٍ نَسَبُوهُ

¹ - اقتباس من سورة المدثر 18-19.

² - في الأصل، وفي منطق الطير 50: مُضمراً، مُسطراً. ولم نر وجه صوابه.

³ - اقتباس من الآيتين: "وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا..." الآية.

(الأعراف 149/7). و"قَلَمَّا تَرَاعَتِ الْفِتَنَاتُ، نَكَّصَ عَلَى عَينَيْهِ، وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ". (الأنفال 48/8).

⁴ - زيادة من منطق الطير 51.

⁵ - في الأصل: النصراني.

⁶ - لم نجد هذه الأبيات في شرح سقط الزند، ولا في لزوم مالا يلزم.

أَسْلَمُوهُ إِلَى الْيَهُودِ، فَقَالُوا:
 فَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُونَ حَقًّا
 فَإِذَا كَانَ رَاضِيًا بِقَضَائِهِمْ،
 وَإِذَا كَانَ سَاخِطًا لِأَذَاهُمْ،
 إِنَّهُمْ، بَعْدَ قَتْلِهِ، صَا بُوَّةَ
 فَاسْأَلُوهُمْ فِي: أَيْنَ كَانَ أَبُوهُ؟
 فَاسْأَلُوهُمْ: لِأَجْلِ مَا عَذَّبُوهُ؟
 فَاعْبُدُوهُمْ، لِأَنَّهُمْ غَلَبُوا

ثم لنشرع في التنزه في روض التوشيح، ما بين اقتطاف وردٍ وردٍ، وعرارٍ وشيح.

شرح أبيات الموشح

هَلْ نَرَى ظَبْيِي الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّ عَنْ مَكْنَسِ

اللغة.

نَرَى: عِلِمَ. قال الجوهري²: "نَرَيْتُهُ وَنَرَيْتُ بِهِ دَرِيًّا وَدَرِيَّةً وَدَرِيَّةً، أَيِ عِلِمْتُ بِهِ، وَأَدْرَيْتُهُ: أَعْلَمْتُهُ".

و الظَّبْيُ: الغزال، والجمع ظبياء وظبيات وظبْيٌ، والأُنثى ظبيَّة، قال ابن سيده³: وبكر الكمال التميمي⁴ أن الظباء أصناف ثلاثة: الأرام، وهي بيض خالصة البياض، مساكنها الرمال، ويقال إنها ضأنُ الظباء لأنها أكثر لحوماً وشحوماً. والعقرُ وهي مُحمرَّة اللون، قصارُ الأعناق، أضعفُ الظباءِ عدواً، تألفُ الأماكن المرتفعة، والمواضع الصلبة. قال الكمي⁵:

وَكُنَّا إِذَا جَبَّارُ قَوْمٍ أَرَلَنْتَ⁵ بِكَيْدٍ، حَمَلْنَاهُ عَلَى رَأْسِ أَقْرَا

وكانت الأسنة فيما مضى من القرون. وَ الأُنْثَى، وهي طوالُ الأعناق والقوائم، بيضُ البطون، انتهى.

¹ - ديون بن سهل 283.

² - الصحاح (درى)، مع بعض الحذف.

³ - لعل الإفراتي تصرف في النص فخلط بين جمع الظبي والظبية، فلذا في المخصص، عن أبي زيد: وَالْجَمْعُ (أي جمع الظبي) لظب وظباء وظبْيٌ، والأُنثى ظبيَّة، والجمع ظبيات وظبياء (المخصص للمجلد 2 لسفر 8 ص 22).

⁴ - حياة الحيوان 102-103.

⁵ - في الأصل: لبلنا، وهو تصحيف، والمثبت عن حياة الحيوان 103، وفيه: "يعني نقله ونحمل رأسه على السنن".

قلت: ما نكره في العفر مخالِف لقول القاموس: "الأعفر من الأطباء ما تعلو بياضه حمرة، أو الذي في سرائه حمرة"¹. فتأمل.

فائدة

رأيتُ في حلية المحاضرة للرئيس أبي علي بن المظفر الحاتمي²، أن امرأ القيس أول من شبه النساء بالطباء والأرام والمهَي والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصا، وفرق بين النسيب وما سواه، وأجاد في الاستعارة والتشبيه، وتبعه الناس، انتهى. ونقل هذا أيضاً الشريف الغرناطي في شرح الحازمية³ حكاه عن الأصمعي⁴.

والحمى بالقصر، ويمد: ما حمى من شيء. وأحمى المكان: جعله حمى لا يقرب، وكانت الملوك تحمي موضعاً فلا يدخله أحد. وأول من فعله، كما قال العسكري⁵، النعمان ابن المنذر ملك الحيرة. وحمى الشيء كرضي أحماء: اشتدَّ حرُّه، وسخنه، حمياً وحمياً، وحمى، وصريح القاموس⁶ أن حمى من باب (فعل) بكسر العين، لا (فعل) كما في البيت، وسيأتي تمام القول في ذلك.

والقلب: الفؤاد، أو أخص منه. والصب: من صبب، كقنع، يصب صباية، وهي الشوق أو رفته أو رقة الهوى. وحل المكان وبه: نزل.

¹ - القاموس المحيط (عفر).

² - بعض هذا الكلام في حلية المحاضرة 2/ 243 لأبي علي الحاتمي. تحقيق جعفر الكتاني ط وزارة الثقافة العراقية.

³ - رفع الحجب 125/2.

⁴ - نظر طبقت فحول الشعراء لابن سلام 55.

⁵ - لم أجد هذا الخبر في كتاب الأوائل للعسكري تحقيق محمد المصري ووليد قصاب.

⁶ - نظر القاموس المحيط. (حمى).

والكنس: اسمُ مكانٍ، من كَنَسَ الظَّنِّي يَكْنُسُ: دَخَلَ فِي كِنَاسِهِ، وَهُوَ مُسْتَرْتَهٌ فِي الشَّجَرِ، لِأَنَّهُ يَكْنُسُ الرَّمْلَ حَتَّى يَصَلَ. وَمِنْهُ "الْجَوَارِي الْكُنُس"¹، أَيْ الْخَنَسُ، لِأَنَّهُا تَكْنُسُ فِي الْمَغِيبِ كَالظُّبَاءِ فِي الْكُنُسِ.

المعنى

هَلْ عِلْمٌ مَحْبُوبِي الَّذِي هُوَ كَالْغَزَالَةِ فِي حُسْنِ الْخَلْقَةِ، وَكَمَالِ الرُّوْقِ، وَجَمَالِ الْمُحْيَا، بِمَا فَعَلَ بِقَلْبِي الَّذِي أَحْرَقَهُ بِتَجَنِّيهِ عَلَيَّ، وَأَضْرَمَهُ نَاراً تَلْظِي، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ اتَّخَذَهُ مَسْكناً وَجَعَلَهُ لَهُ قَرَاراً؟ وَهَذَا اسْتَفْهَامٌ عَلَى أَصْلِهِ مِنْ طَلَبِ حُصُولِ الْعِلْمِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ، قَصْدُ بِهِ إِنْكَارِ فَعْلِهِ عَلَيْهِ، وَتَقْيِيحِهِ لَدَيْهِ لِيُقْلَعَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَيَرْجَعَ إِلَى الْوَصَالِ. وَإِيضاً مُحَلٌّ الْإِنْكَارِ مِنْهُ أَنَّهُ لَمَّا أَلْفَ فُؤَادَهُ، وَصَيَّرَهُ مِهَادَهُ، فَالْتَمَقَ لَهُ أَنْ يُقْصِرَ مِنْ إِحْمَائِهِ، لِأَنَّهُ مَسْكَنُهُ، وَيُبْرِدُ حَرَارَتَهُ بِوَصْلِهِ لِنَزُولِهِ فِيهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا مُحْرَقاً بِالنَّارِ وَجْهَ مُحَبِّهِ مَهْلاً فَإِنْ مَدَامَعِي تُطْفِئُهُ
أَحْرَقَ بِهَا جَسَدِي وَكُلَّ جَوَارِحِي وَاحْتَرَتْ عَلَى قَلْبِي لِأَنَّكَ فِيهِ

وَاللَّبِيتُ حِكَايَةٌ مَسَاقُهَا مِنْ مَرَاتِعِ الْغَزْلَانِ لِلشَّمْسِ النَّوَاجِي²، أَنَّ مُجِيرَ الدِّينِ الْخِيَّاطَ التَّمَشْقِيَّ كَانَ يَتَعَشَّقُ غُلَاماً تُرْكِيّاً، فَسَكَرَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، وَخَرَجَ فَوْقَ فِي الطَّرِيقِ، فَمَرَّ بِهِ مَحْبُوبُهُ فَرَأَاهُ مَطْرُوحاً فَعَرَفَهُ، وَنَزَلَ عَلَى فَرَسِهِ، وَأَوْقَدَ شَمْعَةً وَأَقْعَدَهُ وَمَسَحَ وَجْهَهُ، فَنَقَطَتِ الشَّمْعَةُ عَلَى خَدِّهِ، وَأَحْسَّ بِالْحَرَارَةِ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَرَأَى مَحْبُوبَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَاسْتَيْقَظَ مِنْ سَكْرَتِهِ، وَأَنْشَدَ فِي الْحَالِ، الْبَيْتَيْنِ، أَنْتَهَى. وَأَنَّهُ لَا يَحْسُنُ أَنْ يُجَازِيَهُ، وَهُوَ يَدِينُ بِحَبِّهِ

¹ - سورة التَّكْوِيمِ 81/16، وَصَلَتُهُ: "قَلَّ أَهْمُهُ بِالْخَنَسِ، الْجَوَارِي الْكُنُسِ".

² - فِي الْأَصْلِ الْحَجَازِي، وَلَمْ نَجِدْ كِتَاباً بِهَذَا الْعُنْوَانِ لِلشَّهْبِ الْحَجَازِيِّ. وَلِلمَقْصُودِ هُوَ كِتَابُ شَمْسِ الدِّينِ النَّوَاجِي: مَرَاتِعُ الْغَزْلَانِ فِي وَصْفِ الْحَسَنِ مِنَ الْعُلَمَاءِ. (تَوْجَدُ مَخْطُوطَةٌ مِنْهُ بِالْمَكْتَبَةِ الْوُطْنِيَّةِ بِبَارِيسَ تَحْتَ رَقْمِ 3402).

وَيُقَاسِي مِنْ لَوَاعِجِ هَوَاهُ مَا يَقَاسِي، بِإِحْرَاقِ أَحْشَائِهِ، وَتَأْجِيجِهَا نَاراً، فَإِنَّ هَذَا فَعْلُ الْعَدُوِّ بِالْعَدُوِّ.

وَقَدْ أَفْصَحَ بِهَذَا الْمَعْنَى الْمَظْفَرُ بْنُ عُمَرَ الْأَمَدِيُّ فِي قَوْلِهِ¹:

قُلْ لِلَّذِينَ جَفَوْنِي إِذْ كَلَفْتُ بِهِمْ تُونَ الْأَنَامِ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ:
أَحْيُكُمْ، وَتَلَافِي فِي مَحَبَّتِكُمْ، كَعَابِدِ النَّارِ يَهْوَاهَا وَهِيَ تُحْرِقُهُ

وَقَالَ آخَرُ²:

أَحْبَبْنَا، لِمَ³ تَجَرَّخُونَ بِهَجْرِكُمْ فُؤَاداً يَبِيتُ الدَّهْرَ بِالْهَمِّ مُكَمِّدَا؟
إِذَا رُمْتُمْ قَتْلِي، وَأَنْتُمْ أَحَبَّتِي، فَمَاذَا الَّذِي أَخْشَى إِذَا كُنْتُمْ عِدَا؟

وَفَائِدَةُ الْإِسْتِفْهَامِ أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِمَا فَعَلَ بِالْعَاشِقِ الْمُسْتَهَامِ، وَرَضِيَ بِهِ، فَإِنَّ الْعَاشِقَ يَتَرَوَّحُ بِرِضَاهُ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا انْطَوَى عَلَيْهِ كِبْدُهُ، لِأَنَّهُ قَضَاهُ، وَيَقُولُ:

فَمَا لِحُجْرٍ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ⁴.

وَأِنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا يَتَجَرَّعُ حَصَلَ الْمَقْصُودُ، وَعَجَلَ بِالْوِصَالِ وَأَسْرَعَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِبَنَاقِ لَذَّةِ الْعَاشِقِ عَذَاباً، وَفَتْحَ لِلْأَسْقَامِ وَالْأَوْجَاعِ بَاباً. وَهَذَا أَصْعَبُ شَيْءٍ، فَإِنَّ الْحَبِيبَ لَوْ كُنَّ لَدَيْهِ عِلْمٌ بِبَعْضِ الْحَالِ، رُبَّمَا رَجَا عَوْدَهُ، وَحَيْثُ كَانَ خَالِي الذَّهْنِ مِمَّا اعْتَرَاهُ، كَانَ نَمَةً هَدِراً.

¹ - البيهقي في تزيين الأسواق 487. لشرط لثاني من البيت لثاني مختل، ويستقيم بحذف "ها" من "يهوها".

² - البيهقي 6، 5 من قصيدة محبة للأرجاني في ديوانه 97.

³ - في الأصل: لا. والتصويب عن النبلون.

⁴ - عجز بيت المتنبي من قصيدة له في ديوانه 324، وصدره:

إِنْ كُنْ سِرْكُ مَا قَالِ حَسَنًا.

نُكْتةُ إضافةِ الطبيِّ للحمى التتويهُ بأمره، وتعظيمُ قدره لأنَّ طباءَ الأحميةِ أجملُ منْ طباءِ سواها، لما هي عليه من الأمنِ في سربها، وسكونِ بآلها من غلبةِ غائلٍ ومكيدةِ صائدٍ، وطيبِ مكانها ونضارةِ أحوالها، وهذه كلها أمورٌ موجبةٌ لنعومةِ البدنِ، فلا جرمَ كانتْ طباءُ الأحميةِ أبهى من غيرها. وفي المثلِّ "آمنُ منْ ظنيِّ الحرِّمِ"¹.

فإنْ قلتَ: "أل" في "الحمى" جنسيةٌ أو عهديةٌ؟ قلتُ: عهديةٌ، أرادَ به المكانَ الذي ثوى بهم محبوبه كما يقالُ: ظنيُّ الحمى، ويرادُ به ساكنُ سَلْعٍ² أو غيره، وذلك على حسبِ القائلِ، والمقولِ فيه.

البيان

ظنيُّ الحمى، هو من بابِ الاستعارةِ التصريحيةِ، وضابطُها عند السكاكي "أنْ يكونَ الطرفُ المنكورُ من طرفي التشبيهِ هو المشبهُ به"³. فاستعارَ الطبيُّ للمحبوبِ بجامعِ الجمالِ الذاتي، والحسنِ الخُلقي، فحذفَ المشبَّهَ وأثبتَ لفظَ المستعارِ تشبيهاً بليغاً. ورشَّحَ بنكرِ الكناسِ. والترشيحُ، أنْ يُذكرَ ما يلائمُ المستعارَ منه. والقرينةُ لهذه الاستعارةِ قوله: "هَلْ نَرَى؟" كما لا يخفى. والتعبيرُ عمَّا يجدهُ الوالدُ في رَوْعِهِ من الوجدِ بالحميةِ مجازاً في المسندِ، ولكونه مجازاً عقلياً اغتنى عن التصريحِ معه بقرينة. وكذلك التعبيرُ عن انتقاشِهِ في مرآةِ العقلِ، وتخييلِ الذهنِ لصورته، وارتسامِهِ فيه، بالحلولِ مجازاً كالسَّالفِ. ونسبةُ الحمايةِ له مجازٌ أيضاً. إلاَّ إنْ حُمِلَ على أنه السببُ فيها حقيقةً. وهذه الألفاظُ صارتْ عند الشعراءِ حقائقَ عُرْفيةً، وإنْ كانتْ في الأصلِ مجازاً. قال الصَّلاحُ الصَّدي: لكثرةِ دوراتها في

¹ - في مجمع الأمثال 90/1: "آمنُ منْ ظنيِّ الحرِّمِ، ومن الطبيِّ بالحرِّمِ".

² - سلع: جبل بالمدينة. (لقاموس المحيط: سلع).

³ - مفتاح العلوم 373. ونظر شرح التلخيص 150-151.

كلامهم وتعاطيهم استعمالها، فالفوا ذلك من تدولها على مسامعهم، كالورد إذا أطلقوه، فهموا منه الوجنة. والكتيب الرف، والريحان العذار، والراخ الرقيق، إلى غير ذلك. والشعر إنما يستطاب بهذه اللطائف، ويستطرف لأمثال هذه المجازات. فلولا أنه جعل سكنى الحبيب في خاطره، وأن قلبه مملى ناراً وهو ساكنه، ما هزّ للبراعة عطفاً، ولا هصر من غصن البلاغة قطفاً. وعلى قدر التفاوت في التخيلات تتفاوت رتب الكلام. وقد بالغ الشعراء في احتراق الجوانح والتهابها، حتى إن أنفاسه¹ تحرق ما سامتها². وما أحسن قول ابن إسرائيل في مليح بوجهه كي:

لَا تَحْسِبُوا الْكَيَّ عَلَى زَنْدِهِ أَثَرَهَا³ النَّارُ بِقِرْطَاسِهِ
وَلَيْتَ مَا قَبَّلَهَا عَاشِقٌ، فَاحْتَرَقَتْ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِهِ

والطف ما ذكره النواجي⁴ في مراتبه، أن أديباً بإفريقية كان يهوى غلاماً، وهو كثير الإعراض، فسكر ذات ليلة، فخطر بباله أن يأخذ قيساً يحرق به دار الغلام، فقام وفعل. فانفق لن رآه بعض الجيران، فأطفا النار، وأعلم القاضي بالأديب. فأمر به، فأحضر بين يديه وقال: لأي شيء أحرقت باب الغلام؟ فأنشأ الأديب يقول:

لَمَّا تَمَادَى عَلَى بَعَادِي، وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فُؤَادِي
وَلَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بُدَاً، وَلَا مُعِيناً عَلَى السُّهَادِ
حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وَقُوفِي بِبَابِهِ حَمَلَةَ الْجَوَادِ
فَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارِ قَلْبِي أَكْثَرُ فِي الْوَصْفِ مِنْ زِنَادِ

¹ - أنفاسه: أي نفس العاشق.

² - سلمته: قلبه، وسلمته: قصده نحوه. (القلموس المحيط: سمت).

³ - أثرها، أثرت الضمير على معنى الكلية.

⁴ - في الأصل الحجازي. والمقصود النواجي. (نظر الصفحة 155، الحاشية 2). ووردت هذه القصة، كذلك، مع ما يتصل بها من شعر في خزنة الأديب 225 نقلاً عن روضة الجليس.

فَاخْتَرَقَ الْبَابَ ثُونٌ عِلْمِي وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مُرَادِي

وما ألقى قول ابن سرايا الحلي¹:

لَا غَرَوْ أَنْ يُصَلَّى الْفُؤَادُ بِحُبِّكُمْ نَارًا، تُؤَجِّجُهَا يَدُ التَّنْكَارِ
قَلْبِي إِذَا غِيْتُمْ يُصَوِّرُ شَخْصَكُمْ فِيهِ، وَكُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ

البديع

فيه الجنسُ بين الحمى وحمى. وهو قسمان مركب ومطلق². والواقع في البيت الثاني. وهو أنواع، منها التام، ومنه التركيب. وقد اختلفت عباراتهم في التام، فمنهم من يسميه بالمتماثل، ومنهم من يسميه المستوفى. قال الأستاذ أبو محمد بن أبي القاسم الثعالبي، في أنوار التجلي على ما تضمنته بديعة الحلي ما نصه³: الجنسُ المتماثلُ على قسمين، قسمٌ اتحدت الكلمات فيه بالاسمية والفعلية، وقسمٌ اختلفت. فمن الأول قوله تعالى: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ: مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ"⁴. قال الصقي الحلي: لم يقع في القرآن إلا هنا. ومنه قول شيخنا الإمام منديل ابن الأستاذ أجروم⁵:

¹ - ديوان صفي الدين الحلي 317.

² - نظر تفصيل الكلام على الجنس المركب والمطلق في خزنة الألب 25-31 وأنوار التجلي 17/1-19.

³ - أنوار لتجلي 17/1-18.

⁴ - سورة الروم 55/30.

⁵ - منديل بن محمد بن محمد بن دلود بن أجروم الصنهاجي، أبو المكارم، أبوه هو مؤلف المقدمة الأجرومية المشهورة في النحو. واشتهر منديل بالاستكناية بجمع القرويين، تلمذ له الكثير من النباه مثل اسماعيل بن الأحمر، الذي قال فيه: "شيخنا الفقيه الأستاذ لنحوي المقرئ المصنف". وتردنت أخباره، وتناثرت أشعاره في كتاب أنوار التجلي لتلميذه الثعالبي. وهي تدل على تمكنه من اللغة وقدرته على التنظيم، ومحكاة نماذج الغير، ومن قصائده ذات الشهرة تلك التي وصف فيها منتزهات بلب القروح ومطلعيها:

ليها العارفون قنر الصبوح جئتوا أنسا بلب القروح

يَا غَايَا سَلَبْتَنِي الْأَنْسَ طَلَعَتْهُ،
دَعَاكَ أَنْكَ فِي قَلْبِي، يُعَارِضُهَا
كَيْفَ اصْطَبَارِي وَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُمَا؟
شَوْقِي إِلَيْكَ، فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟
ومنه¹:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا، فَلَمْ يَكُنْ
إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ
ومنه²:

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمَلَهَا،
وَلِنْ أَقْرَأَ عَلَى رَقٍّ أَنْمِلَهُ،
أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِي هَزَّ عَامِلَهُ
أَقْرَأَ بِالرَّقِّ كُتَّابُ الْأَنَامِ لَهُ
ومن الثاني قوله³:

أُوَارِي أُوَارِي، وَاللُّمُوعُ تُبِينُهُ،
فَمَا تَعْنُرُوا مَنْ بَاتَ بِيَكِي حَبِيبُهُ،
وَمَنْ يَقْوَا إِطْفَاءَ اللَّهَيْبِ وَقَدْ وَقَدْ
وَمَنْ فَقَدَ الْأَحْبَابَ مِثْلِي فَقَدْ فَقَدَ
وفي البيتِ التشبيهُ كما بيناهُ. وقد اختلفت عباراتهم فيه. فمن قائل: هو العقدُ على أن أحدَ

= توفي في الرابع من شهر جمادى الأولى سنة 773 هـ أو 772 هـ. (نشر الجمان 453، 456-457)، نُور التجلي 18/1، 138-139. 2/ 242 ومواضع أخرى.

وفيات لונشريسسي ولقط الفرقد المطبوعان ضمن ألف سنة من الوفيات 126، 215، ونفح الطيب 7/123-125. (418/5).

¹ - في نُور التجلي: "ومثل اختلافهما في الاسمِية قول الشاعر". وورد البيتُ وآخرُ بعده في خزنة الألب 37، ونسبه في معاهده للتصحيح 208/3 لمحمد بن عبد الله بن كناسة الأسدي.

² - نسب البيهقي في معاهد التصحيح 222/3 لأبي الفتح البستي.

³ - البيتان في نُور التجلي 19/1، والشاهد فيه لحن (غلط) في قوله: ومن يقو. والصحيح أن تكون يقو. وفي قوله: فما تعنروا، والصحيح أن تكون: فما تعنرون، ويضطرب وزن الشعر بتصحيح هذا اللحن.

لَمَرِينَ سَدْ مَسَدَّ الْآخِرِ، وَمَنْ قَاتَلَ صَفَةً الشَّيْءِ بِمَا شَاكَهُ مِنْ جِهَاتٍ أَوْ جِهَةٍ، لَا مِنْ جَمِيعِ
الْجِهَاتِ، وَإِلَّا كَانَ إِيَّاهُ. (ولهُ نَكْتٌ كَثِيرَةٌ أَعْرَضْنَا عَنْهَا خَوْفَ السَّامَةِ). وفيهِ الْمَسَاوَاةُ. وَهِيَ،
كَمَا قَالَ التَّنْفِاشِيُّ، التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْإِجَازِ وَالْإِسْهَابِ. وَعَرَّفَهَا قَدَامَةُ مُخْتَرَعُهَا¹ بِأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ
مُسَاوِيًا لِلْمَعْنَى حَتَّى لَا يَزِيدَ وَلَا يَنْقُصَ. وَلَا يَعْسُرُ إِيضَاحُهَا فِي الْبَيْتِ. وفيهِ الْإِحْتِرَاسُ
بِقَوْلِهِ: عَنْ مَكْنَسٍ. قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ²: وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ بِالْمَدْحِ أَوْ غَيْرِهِ بِكَلَامٍ فَيَرَاهُ
مَخْوَلًا بَعِيبٍ، فَيُرِيفُهُ بِمَا يَصُونُهُ. وَنَكَتُ أَنْهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى "حَلَّةٍ" فَرُبَّمَا تَوَهَّمُ أَنَّهُ لَهُ كُنَاسٌ
غَيْرُهُ، فَدَفَعَهُ بِهِ فَإِنْ قَلَّتْ: مَارَقَعَ بِهِ الْإِبْهَامَ غَيْرُ رَافِعٍ لَهُ، بَلْ هُوَ مَعَهُ بَاقٍ. قُلْتُ: وَجْهُ الرِّفْعِ
أَنْ "عَنْ" لِلْبَدَلِ. وَالْمُرَادُ أَنَّهُ اسْتَوَظَنَهُ بَدَلًا عَنْ كُنَاسِهِ. وَمِنْ عَادَةِ الظَّنِّ أَنْهُ إِنْ تَرَكَ ظِلَّهُ لَا
يَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَدًا. وَفِي الْمَثَلِ: "تَرَكَ تَرَكَ الظَّنِّي لَظْلَهُ". أَيُّ مَا يَسْتَظِلُّ بِهِ مِنَ الْحَرِّ. فَلَوْلَا مَا
زَادَهُ احْتِمَالُ حُلُولِهِ فِيهِ مَعَ غَيْرِهِ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِالْمَقَامِ.

الإعراب

هَلْ: كَلِمَةٌ اسْتِفْهَامٌ، مَوْضُوعَةٌ لَطَلْبِ التَّصْدِيقِ فَحَسَبَ. وَهِيَ بَسِيطَةٌ وَمَرْكِبَةٌ. فَإِنْ قُلْتُ:
وَمِنْ إِيَّاهُمَا الْوَاقِعَةُ فِي الْبَيْتِ؟ قُلْتُ: ضَابِطُ الْبَسَاطَةِ الَّذِي هُوَ طَلْبُ وَجُودِ شَيْءٍ أَوْ لَا وَجُودِهِ
يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا، فَهِيَ مِنْهُ. وَيَنْحَلُّ التَّرْكِيبُ إِلَى قَوْلِنَا: هَلْ عَلِمَ أَمْ لَمْ يَعْلَمْ وَدَرَى: فَعَلٌ مَاضٍ
يُعِيدُ فِي الْخَبَرِ يَقِينًا، فَيَنْصَبُ الْجَزَائِنَ. وَالْأَكْثَرُ فِيهِ أَنْ يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هُنَا
مِنَ الْأَكْثَرِ، فَحَذَفَتِ الْبَاءُ، لِأَنَّهُ يَطْرُدُ مَعَ (أَنْ). وَيُحْتَمَلُ أَنْ لَا، فَيَكُونُ عَلَى الْكَثِيرِ. وَمُرَادُهُ
بِالْعِلْمِ الْمَعْنَى الْأَخْصَ، مُقَابِلَ الظَّنِّ وَمَا تَحْتَهُ. وَظَنِّي الْحَمَى: فَاعِلٌ، وَمُضَافٌ إِلَيْهِ. وَأَنْ:
مُخَفَّفَةٌ مِنَ النَّقِيلَةِ³. اسْمُهَا: ضَمِيرٌ فِيهَا. وَقَدْ وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ: خَبَرُهَا وَجُمْلَةٌ (أَنْ) وَخَبَرُهَا

¹ - نَظَرَ نَقْدَ الشَّعْرِ 171-172. وَفِي خَزَانَةِ الْأُيُومِ 561، وَلَوْ لَوَّلَ التَّجْلِي 474/2: "وَهُوَ مِمَّا فَرَعَهُ قَدَامَةُ...".

² - نَظَرَ كَلَامَ صَاحِبِ الْمَصْبَاحِ فِي لَوَّلِ التَّجْلِي 466/2، نَظَرَ كُنْكَالَ خَزَانَةِ الْأُيُومِ 559.

³ - فِي الْأَصْلِ وَ(ب): مِنْ لَتَقِيلَ، وَالْمُثَبِّتُ عَنْ (ج).

سَادَّةُ مَسَدِّ الْجُزْأَيْنِ لِـ (نَرَى)، نَحْوُ عَلِمْتُ أَنْ زَيْدًا قَائِمٌ. وَلِلرَّضِيِّ فِي شَرْحِ الْحَاجِبِيَةِ قَيْدُ كَلَامٍ لَمْ يَحْضُرْنِي الْآنَ، فَرَاغَهُ¹.

وَقَدْ تَقَنَّمُ فِي تَفْسِيرِ الْمَفْرَدَاتِ أَنْ "حَمِيَّ" مِنْ بَابِ رَضِيَ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ عَلَى (فَعَلٍ) بِالْفَتْحِ. وَالْجَوَابُ عَنْهُ، أَنْ (فَعَلٍ) فِي لُغَةِ طِيَّاءٍ تَبْدُلُ الْكَسْرَةَ فِيهِ فَتَحَةً وَالْيَاءُ أَلْفًا، فَتَقُولُ فِي خَفِيٍّ: خَفَى، وَفِي رَضِيٍّ: رَضَى. قَالَ فِي التَّسْهِيلِ: وَفَتْحُ مَا قَبْلَ الْيَاءِ الْكَائِنَةِ لَامًا مَكْسُورًا مَا قَبْلَهَا وَجَعَلَهُ أَلْفًا لُغَةُ طِيَّاءٍ. وَقَالَ فِي الْكَافِيَةِ:

وَالْكَسْرَ فَتَحًا رُدُّ وَالْيَا أَلْفًا لَطِيَّاءٍ كَخَفِيٍّ أُرْتَدُّ خَفَى

وَارْتَكَبَ لِمُنَاسِبَةٍ (نَرَى).

¹ - أُلْفُضَ لِلرَّضِيِّ فِي مَنْقُشَةِ أَحْوَالِ اسْتِعْمَالِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ فِي شَرْحِ الْكَافِيَةِ 286/2.

فَهُوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقٍ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

اللغة

الحرُّ: ضدُّ البرد، كالحرور بالضم والحرارة، والحرور بالفتح: النار، و[حرارة¹] الشمس، والحرُّ الدائم، والريحُ الحارة بالليل، وقد يكونُ بالنهار، كذا في القاموس. زاد الغريزي في الغريب: والسَّمومُ: عكسُ الحرور، تكونُ بالنهار وتكونُ بالليل. والخَفَقُ: الاضطراب، يقال: خَفَقَتِ الرَايَةُ تَخْفُقُ خَفْقًا وَخَفْقَانًا مُحَرَكَةً: اضطربت وتحركت. وتحريكُ الفاءِ وقعَ لرؤية ضرورة². واللَّعْبُ: ضدُّ الجدِّ، ولَعِبَ الرِّيحُ بالغصونِ: عبارةٌ عن إمالتها إياها. والريِّحُ: معروفٌ، جمعه أرواحٌ وأرياحٌ ورياحٌ. وقال الحريري في ذرة الغواص: إنَّ جمعه بالياء لحن³، وذلك لأنَّ المفردَ، وهو الرِّيحُ، أصله رَوْحٌ لاشتقاقه منه⁴، فوقعَتِ الواوُ ساكنةً إثرَ كسرةٍ، فقلبتْ ياءً. فكذا في الجمع⁵، بخلاف أرواحٍ في رَوْحٍ فلا وَجَهَ للقلب لسكونِ ما قبلها. قال ذو الرُّمَّة⁶:

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ أَهْلُ مَيٍّ، هَاجَ قَلْبِي هُبُوبُهَا
هَوَى تَذْرِفُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ، وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا

¹ - الزيادة من القاموس المحيط (حرر).

² - في قوله: مُشْتَبِهُ الْأَعْلَامِ لِمَاغِ الْخَفَقِ

أورده في القاموس المحيط (خفق). انظر ضرائر الشعر 17.

³ - الجمعُ المقصود هو أرياح، لا مطلق الجمع بالياء. (ذرة الغواص 23-24).

⁴ - في ذرة الغواص 23: من الروح.

⁵ - المقصود الجمع على رياح.

⁶ - ديوان شعر ذي الرمة 66-67.

وقد رُدَّ ما ذكره الحريري بأنَّ الأرياح¹ ليسَ بلحنٍ كما زعمَ، بل هو مسموعٌ، قالَ في شرح الكافية: رُبما أبْدَلَتِ الواوُ ياءً لدفع اللبسِ²، كأرياحٍ في جمع رِيحٍ لئلا يَلْتَبِسَ بجمع رُوحٍ، والقياسُ أرواحٌ وهو الأَفْصحُ، انتهى. وقال الجـ[ع]ـدي: الرِيحُ: الهوَاءُ المتحركُ، وهي مؤنثةٌ وأصلُها الواوُ لروِيحَةٍ³، قُلِبَتِ الواوُ لسكونها وانكسارِ ما قبلها، وفي الجمع لانكسارِ ما قبلها. واقتُصرَ على فِعَالٍ لئلا يَلْبَسَ أفعالٌ، انتهى. ونحوه للصقائسي.

والصَّبَا رِيحٌ مَهْبُها من مَطْلِعِ الثُّرَيَّا إلى بناتِ نعشٍ⁴. ونُشِّي: صَبَوَانٍ وصَبَيَانٍ. والجَمْعُ: أَصْبٍ وصَبَوَاتٌ. وصَبَّتْ: هَبَّتْ⁵. قلتُ: رأيتُ في تاريخ أبي مروان عبد الملك بن الكردبوس المسمى بالاكْتفاء في [تاريخ] الخُلفاء⁶، أن الخليفةَ المُعتصمَ سألَ الشَّعْبِيَّ عن مَهَابِّ الجنوبِ والشمالِ والديورِ والصَّبَا. فأجابهُ بأن الجنوبَ مَهْبُها من مَطْلِعِ سُهَيْلٍ إلى مَطْلِعِ الثُّرَيَّا. والشمالُ مَهْبُها من مَطْلِعِ الشمسِ إلى مسقطِ النسرِ الطائرِ. والديورُ مَهْبُها يُقَابِلُ مَهَبَّ الصَّبَا. وذكرَ البدرُ الدَّمَامِينِي عن ابنِ هشامٍ أنه قالَ ما نصه: سألتُ سائِلٌ من أين تَهْبُ الصَّبَا: فَأَنشَدْتُهُ:

¹ - في الأصل: أرياح، وهو خطأ، إذ الرياح ليست موضع خلاف: الإشكال في الأرياح كما سيتضح.

² - في الأصل و(ب): ألباس، والمثبت عن (ج).

³ - أي لقولهم: رُوِيحَةٌ في التصغير.

⁴ - بنات نعش الكبرى: سبعة كواكب، ومثلها بنات نعش الصغرى. (القاموس المحيط: نعش).

⁵ - نقل من القاموس المحيط (صبو) بتصرف.

⁶ - توجد نسختان مخطوطتان من هذا الكتاب في خ م بالرباط رقم 8539، 6709. والزيادة منهما وطبع الجزء المتعلق منه بالأندلس وغيره بعناية أحمد مختار العبادي تحت عنوان: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط. مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1971. وقد بحثت عن هذا الخبر فلم أعر عليه في هذا الكتاب، وهو باطل إذا كان المقصود بالشعبي عامر بن سراحيل أبو عمرو الراوية المشهور، فهذا كان رسولا لعبد الملك بن مروان إلى ملك الروم وتوفي سنة 103هـ، بينما توفي المعتصم العباسي محمد بن هرون سنة 227هـ. (انظر الوفيات 244/1 والشرشي 245/2، وابن الأثير 265/5، والطبري 6/11).

لَمْ تَعْلَمِي، يَا عَمْرُكَ اللَّهُ، أَنِّي كَرِيمٌ، عَلَى حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلٌ
وَأَنِّي لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ سَخِيٌّ، وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلٌ

ووجه استخراج الجواب منها، والله أعلم، أنه نبّهه بهما على البيت الآخر المساوي
لهذين في إعراب اسم الزمان المبهم المضاف للجملة الإسمية، وهو قول الشاعر:

إِذَا قُلْتُ هَذَا، حِينَ أَسْلُو، يَهْجُزْنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ مَا يَطْلُعُ الْفَجْرُ

فائدة

قال أبو الحجاج بن الشيخ في كتابه المسمى ألف باء: روى أبو عبيد عن يونس بن
حبيب، أن لبيد بن ربيعة الشاعر، نذر أن يطعم الناس كلما هبت ريح الصبا. فدامت أياماً
متوالية، حتى أضر به. فبلغ خبره الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو أمير الكوفة من قبل
عثمان، رضي الله عنه، وكان أخاه لأمه، فوجه إليه بنوق ودراهم، وكتب إليه:

أَرَى الْجَزَارَ يَشْحَذُ مُنْتَنِيَهُ، إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ
طَوِيلُ الْبَاعِ أَرْوَعُ جَعْفَرِيٍّ، كَرِيمُ الْجَدِّ، كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ²

فلما وصل ذلك إلى لبيد شكره، وقال: كيف لي³ بأن أجيبه وقد نذرتُ بالأقول شعراً؟
فقلتُ بنيةً له صغيرةً كانت تروي شعره: أنا أحسنُ بأن أجيبه، أفتأذن لي؟ فقال: قل لي ما
عندك. فقالت⁴:

¹ - في الأصل: أبي، وفي (ب): أبا، والمثبت عن (ج) والأغاني 97/14.

² - في الأغاني:

أَشْمُ الْأَنْفِ أَعْيَدُ عَامِرِيٍّ طَوِيلُ الْبَاعِ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

³ - زيادة من (ج).

⁴ - ورد البيتان الأولان في ذيل ديوان لبيد 233 ضمن ما نسب إليه خطأ في بعض المصادر.

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتْهَا الْوَلِيدَا
طَوِيلُ الْبَاعِ أَرْوَعُ عِبْشَمِيٍّ، أَعَانَ عَلَى مُرُوعَةٍ لَبِيدَا
أَبَا وَهَبٍ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، نَحَرْنَاها، وَأَطَعْنَا التَّرِيدَا
فَعُدَّ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعْلَدٌ، وَظَنِّي يَا ابْنَ أَرْوَى أَنْ تَعُودَا

فقال لها: أحسنت لولا أنك استرديته في شعرك. فقالت: إن الأمراء لا يستحيى من سؤالهم. فقال: أنت في هذا القول أشعر¹، انتهى. وقوله: نذرت ألا أقول شعراً، يقال إنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً وهو²:

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي حَتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرِّيَالَا
ويقال إن قبله³:

بَانَ الشَّبَابُ فَلَمْ أَحْقِلْ بِهِ بَالَاً، وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ إِقْبَالَاً
ويقال إنه قال أيضاً⁴:

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ، وَالْمَرْءُ يَصْلِحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ
وقوله بالقبس، القبس: شعلة من نار، كذا في تفسير الغزئوي والقاموس⁵. والجنوة⁶:
مثلثة: قطعة غليظة من الحطب فيها نار بلا لهب، قاله العريزي.

¹ - انظر هذه القصة مع زيادات في الأغاني 97-98.

² - في ذيل ديوان لبيد 236: "هذا البيت نسب للبيد في كثير من المصادر، والصواب أنه لفروة ابن نفاثة السلولي. (راجع معجم المرزباني 339)".

³ - لم يرد في ديوان لبيد.

⁴ - ذيل ديوان لبيد 222.

⁵ - القاموس المحيط (قبس).

⁶ - هذا من توسع الإفراني، إذ لم ترد كلمة جنوة في البيت المشروح.

المعنى

أن قلبه بسبب حمية الحبيب له، وإيقاده به نار الصبابة، هو في حرارة واحترق، وأنه يضطرب ويتحرك. فالنار مستعرة بتحريكه، لأنه كالنافخ لها. فحالته في ذلك كحالة المقياس إذا صادفته ريح فهي تقلبه ذات اليمين وذات الشمال. فأخبر أن قلبه يكابد غصص أمرين، الحرارة، والخفوق. فأما الحرارة فقد كثرت النشيد فيها، وتوفرت الدواعي على الشكاية منها، وسلف بعض ذلك. وقد هنم عليهم ذلك المعنى من قال:

وَلَوْ أَنَّ لِي قَلْبًا شَكَيْتُ احْتِرَاقَهُ وَلَوْ أَنَّ لِي فِكْرًا فَضَحْتُ الْهَوَاجِسَا
وَلَكِنْ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ تَفَكُّرٌ وَقَلْبٌ لِمَنْ يَهْوَى الظُّبَاءَ الْكَوَانِسَا

وقول الأرجاني¹:

عُوجًا عَلَيْهَا أَيُّهَا الرُّكْبُ، لَأَعَارَ أَنْ يَتَسَاعَدَ الصَّخْبُ
قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ وَلَا أَلَمٌ، وَالْيَوْمَ لِي أَلَمٌ وَلَا قَلْبُ

وقول الصفي الحلبي:

سَأَلْتُهَا عَنْ فُؤَادِي، أَيْنَ مَسْكَنُهُ؟ فَإِنَّهُ ضَلَّ مِنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا
قَالَتْ: لَدَيَّ قُلُوبٌ جَمَّةٌ جُمِعَتْ، فَأَيُّهَا أَنْتَ تَعْنِي؟ قُلْتُ: أَشْقَاهَا

وقول ابن سهل²:

وَمَنْ لِي بِجِسْمٍ أَشْتَكِي مِنْهُ بِالضَّنَى وَقَلْبٍ فَأَشْكُو مِنْهُ بِالْخَفَقَانِ

¹ - البيتان من قصيدة مدحية في ديوان الأرجاني 134.

² - ديوان ابن سهل 214.

وَمَا عَشْتُ حَتَّى الْآنَ إِلَّا لِأَنْزِي خَفِيتُ، فَمَا يَنْوِي الْجَمَامُ مَكَازِي

وبذلك ملح¹ من أجاب عن بيتي الشمس محمد بن التلمساني، وهما²:

يَا سَاكِنَا قَلْبِي الْمُعْنَى وَلَيْسَ فِيهِ سِوَاكَ ثَاذِي
لَأَيِّ مُعْنَى كَسَرْتُ قَلْبِي وَمَا النَّقَى فِيهِ سَاكِنَانِ؟

بقوله:

كَسَرْتُهُ حِينَ قَلَبْتُ: قَلْبِي وَلَمْ تُضِفْهُ إِلَى فُلَانٍ
هَلْ لِلْمُعْنَى بِالْخَبِّ قَلْبٌ³ يَا جَاهِلَ اللَّفْظِ وَالْمَعَانِي!

قلت: وللصلاح الصفدي على معنى البيتين مؤاخذه، محصولها أن الكسرة لأحد الساكنين غير القلب، والكسر في البيتين للقلب، انتهى⁴. واستملح المؤاخذه ابن حجة، فقال: أمّا البيتان ففي غاية اللطف، ولكن أورد عليهما إيراد حسن، وهو أن الساكنين إذا اجتمعا كسر أحدهما وهو الأول، وكلامه في البيتين يؤدي أن المكسور غير الاثنين، انتهى. وفيه نظر، لأن إيقاع الكسر على القلب من إسناد ما للحال للمحل، وهو ذائع في كلامهم. على أن مثل هذا المعنى ريحانة شئ ولا تترك. ومن هذا المعنى قول ابن شرف في رجل عجز عن اقتضا عرسه⁵:

كَمْ ذَكَرَ فِي الْوَرَى وَأُنْثَى أَوْلَى مِنْ اثْنَيْنِ بِاثْنَتَيْنِ

¹ - في الأصل و(ب): ملح، ولم نر له وجها، والمثبت عن (ج).

² - البيتان في ديوان الشاب الظريف 67، والغيث المسجم 13/2، وأنوار التجلي 19/1 وغيرهما.

³ - هذا الشطر مضطرب الوزن، ولم نهتد إلى تصويبه.

⁴ - انظر الغيث المسجم 13/2.

⁵ - البيتان والتقديم لهما في المصدر السابق.

أَرَى اللَّيَالِي أَتَتْ بِأَخْنٍ لَجَمْعِهَا بَيْنَ سَاكِنَيْنِ

وَأَمَّا الْخَفَّانُ فَسَبَبُهُ مَهَابَةٌ لِلْعَاشِقِ لِلْمَعشُوقِ وَإِجْلَالُهُ إِيَّاهُ، فَصَارَ يَنْتَفِضُ لِرُؤْيَيْهِ بِبَصَرِهِ أَوْ
بَصِيرَتِهِ، كَمَا يَنْتَفِضُ الْقَلْبُ الْخَائِفُ. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمَكُودِي¹:

يَزْدَادُ خَفَقَ فُؤَادِي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ مِنْ بَعْدِ مَا مَالَ عَنهُ الْقَلْبُ وَانْتَرَكَا
كَالطَّيْرِ أَفْلَتَ مِنْ أَشْرَاكِ مُقْتَنِصٍ، فَصَارَ يُرْعِدُ مَهْمَا أَبْصَرَ الشَّرْكََا

وَمِمَّا اشْتَهَرَ فِي خَفَقِ الْفُؤَادِ قَوْلُ ابْنِ بَقِي²:

عَاطِيَتُهُ، وَاللَّيْلُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ، صَهْبَاءُ كَالْمِسْكِ الْفَتِيْقِ لِنَاشِقِ
وَتَوَابَتَاهُ حَمَائِلٌ فِي عَاتِقِي وَضَمَمْتُهُ ضَمَّ الْكَمِيِّ لِسَيْتِقِهِ،
حَتَّى إِذَا مَالَتْ بِهِ سَنَةُ الْكَرَى زَحَزَحْتُهُ شَيْئًا فَكَانَ مُعَانِقِي
بَاعَدْتُهُ عَنْ أَضْلَعِ تَشْتَاقُهُ كَيْ لَا يَنَامَ عَلَى وَسَادٍ خَافِقِ

وَقَدْ اعْتَرَضَ عُلَمَاءُ الْفَنِّ عَلَيْهِ بِأَمْرَيْنِ. الْأَوَّلُ، قَالَ الشَّرِيفُ الْغُرْنَاطِي³: ذَكَرَ أَنَّ أَبَا
الْقَاسِمِ الطَّيِّبِ الْمَعْرُوفَ بِالْغَطِّي⁴ قَالَ لِابْنِ بَقِي، وَقَدْ أُنْشِدَهُ الْأَبْيَاتَ: يَا هَذَا، كَيْفَ تَكُونُ
وِسَادًا⁵ لَهُ، أَمْ كَيْفَ يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ؟ فَأَصْلَحَهُ إِلَى وَسَادٍ. وَالثَّانِي مَا فِي قَوْلِهِ: بَاعَدْتُهُ، مِنْ

¹ - البيتان في أنوار التجلي 29/1.

² - اشتهرت هذه الأبيات، وكثير معارضوها. انظر المطرب 198، ورفع الحجب 58/1، والغيث المسجم 176/1، وحلبة الكميت 118، وديوان الصبابة 90، ونفع الطيب 209/3.

³ - نقل الإفراني أغلب عبارة رفع الحجب 850/1 في هذا الموضوع.

⁴ - في رفع الحجب 58/1 القطي، ولم نقف على ترجمته.

⁵ - هكذا في الأصل و(رفع الحجب) ولعل الصواب: المهاد، ويؤيد ذلك ما جاء في (ج). (انظر الحاشية 4).

⁶ - في (ج): يا هذا كيف يكون المهاد وساداً له، أم كيف يتصور ذلك؟ وهذا أنسب.

الجفوة وبادي البلادة، فلا يليقُ بالعاشق، وهو في رجاءٍ قُرْبِهِ منذ أحيانٍ، أن يُباعدَهُ. وقال الصفدي في الردِّ عليه¹:

أُبَعِّدْتُهُ مِنْ بَعْدِ مَا زَحَزَخْتَهُ! مَا أَنْتَ عِنْدَ نَوِي الْغَرَامِ بِعَاشِقٍ
هَذَا يَكِلُ النَّاسَ مِنْكَ عَلَى الْجَفَا، إِذْ لَيْسَ هَذَا فِعْلٌ صَبًّا وَآمِقٌ
إِنْ شِئْتَ قُلْ: أُبَعِّدْتُهُ عَنْ أَضْلَعِي² لِيَكُونَ فِعْلُ الْمُسْتَهَامِ الصَّادِقِ
أَوْ قُلْ: فَبَاتَ عَلَى اضْطِرَابِ جَوَانِحِي كَالطُّفْلِ، مُضْطَجِعاً لِمَهْدٍ خَافِقِ

انتهى. والحقُّ أنَّ أبياتَ ابنِ بقي في غايةِ الجزالةِ والحُسْنِ، لكنْ جرتْ عادةُ الصِّلاحِ بالمناقشةِ، فلا تراه يسامحُ في شيءٍ. ومعاني الألبِ محمولةٌ على الإغضاء:

فَسَامِحٌ وَلَا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ، وَأَغْضُ، فَلَمْ يَسْتَوْفِ قَطُّ كَرِيمُ

ولأجلِ الاعتراضِ فضّلوا على قولِ ابنِ بقي قولَ الحكمِ بنِ عيالٍ³:

إِنْ كَانَ لِأَبَدٍ مِنْ رُقَادٍ، فَأَضْلَعِي هَاكَ عَنْ وَسَادِ
وَتَمَّ عَلَى خَفَقِهَا هُنُوءاً كَالطُّفْلِ فِي نَهْهِ الْوَسَادِ

وقول ابنِ سناءِ الملكِ⁴:

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا خَوْفُ سُخْطِكَ لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلْقَى بِرَهْطِكَ

¹ - انظر الغيث المسجم 196/1.

² - في الغيث المسجم: "إِنْ شِئْتَ قُلْ: أُبَعِّدْتُ عَنْهُ أَضْلَعِي"، وهو أنسب لتلافي النقد الموجه لابن بقي.

³ - هكذا في الأصل، وفي الغيث المسجم 176/1: الحكيم بن عيال، وفي ديوان الصبابة 90: "ابن الحكم جعفر بن عنان"، وفي نفع الطيب 564/3، 51/7: أبو الوليد بن عيال. وقد يكون الحكيم بن دانيال المترجم في فوات الوفيات 330/3.

⁴ - لم يرد البيتان في ديوان ابن سناء الملك، ووردا في الغيث المسجم 245/1، وديوان الصبابة 90.

وَأَيْسَ هُمَا سِوَى قَلْبِي وَقُرْطُكَ

فَتَنَّتِ الْخَافِقِينَ فَهَتَّ عَجَبًا

وقال معين الدين¹:

حَذَرًا عَلَيْهِ مِنَ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
أَرَأَيْتَ، عُمْرُكَ، سَاكِنًا فِي خَافِقِ

لَمْ أَنْسَهُ إِذْ قَالَ: أَيْنَ تُحِلُّنِي؟
فَأَجَبْتُهُ: قَلْبِي فَقَالَ تَعَجُّبًا:

أخذه من قول الآخر²:

يَا سَاكِنًا، فِي غَيْرِ سَاكِنِ

وَسَكَنْتَ قَلْبًا خَافِقًا،

وقال ابن العطار:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ نَازِلٌ فِي رَاحِلِ
وَسَكَنْتُهُ، وَالنَّارُ مَثْوَى الْقَاتِلِ

يَا نَازِلًا مِنِّي فُؤَادًا رَاحِلًا،
لُضْرِمْتَ قَلْبَ مُتَيْمٍ أَهْلَكَتَهُ

وقال ابن الوردي:

خَافِقٌ، مِنْ أَلِيمٍ صَدٌّ وَبَيْنِ
أَصْبَحَتْ وَهِيَ تَمْلِكُ الْخَافِقِينَ

قُرْطُهَا خَافِقٌ، وَقَابِي أَيْضًا
فَاعْذِرُوهَا فِي الْعُجْبِ فَهِيَ فَتَاةٌ

وتلطف الوراق³:

قَدْ زِلْتَ مَا تَسْتَهِيهِ؟
خَفَقَ بِهِ يَغْتَرِيهِ

يقول لي، حينَ وأفى:
فَمَا لِقَلْبِكَ قَدَمًا

¹ - نُسب البيتان في الغيث المسجم 246/1 لمعين الدين بن لؤلؤ ووردا كذلك في ديوان الصبابة 90.

² - البيت في ديوان الصبابة 90.

³ - الأبيات للوراق الخطيري في الغيث المسجم 246/1، وديوان الصبابة 88، ومعاهد التنصيص 80/3.

فَقُلْتُ: وَصَلَّكَ عُرْسٌ، وَالْقَلْبُ يَرْقُصُ فِيهِ

وقال البهاء زهير في مجزوء الكامل المرقل¹:

لَا تُتَكْرَرُوا خَفَقَانَ قَلْبِي، جَاءَ الْحَيِيبُ إِلَيْهِ زَائِرُ
مَا الْقَلْبُ إِلَّا دَارُهُ ضُرِبَتْ لَهُ فِيهَا الْبَشَائِرُ

المعنى

نُكْتُة العطف بالفاء الإشارة إلى أن ما بعدها تسبب عما قبلها. وأتى بالجُملة اسمية لاستفادة الدوام، أي ما هو عليه دائم لثنيه. ونكر المجرور بفي وما عطف عليه لغرض التخصيم. وتوئها للتعظيم على وزان "وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ"² كما في المفتاح. وعطف الخفق بالواو لتفصيل المسند مع اختصار. وأضاف الريح للصبا لإفادة التخصيص. وخص الصبا لأنها أئمن الأرواح وأبركها، ولذلك قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "تُصِرْتُ بِالصَّبَا وَهَلَكْتُ عَادًا بِالنَّبُورِ"³. والشعراء مكيون على إرساليها وانتشاق أريج هبوبها، لأنها أغلب ما تكون في الأسحار. قال الشاعر⁴:

لَا تَبْعَثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةٍ مَا لَذَّ فِي سَمْعِي حَدِيثُ سِوَاهَا
حَفِظْتُ أَحَادِيثَ الصَّبَا وَتَضَوَّعْتُ نَشْرًا، فَيَا لَلَّهِ مَا أَنْكَاهَا!

ولمجير الدين بن تميم:

¹ - البيتان من قصيدة في ديوان البهاء زهير 156.

² - البقرة 7/2. وتمام الآية: "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ". يقصد الكافرين.

³ - مسند أحمد 223/1، 228 والبخاري 132/4، وفيه: وَأَهْلِكْتُ.

⁴ - البيتان في حلبة الكميت 318.

لَا تَبْعُثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةٍ مِنْ أَرْضِيهَا، فَلَهَا عَلَيَّ جَمِيلٌ
[هَبَّتْ] لُمُوعَ الْعَاشِقِينَ وَعَرَّجَتْ عَنْهُمْ إِلَيَّ، وَثَوَّبَهَا مَبْلُولٌ

وما أحسن قول عز الدين الموصلي¹:

إِنْ كَانَتْ الْعُشَّاقُ مِنْ أَشْوَاقِهِمْ جَعَلُوا النَّسِيمَ إِلَى الْحَبِيبِ رَسُولًا
فَأَنَا الَّذِي أَتْلُو لَهُمْ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا²

ومن هذا ما كتبه القاضي فتح الدين لوالده محي³ الدين بن عبد الظاهر:

إِنْ شِئْتُ تَبْصِرُنِي وَتُبْصِرُ حَالَتِي قَابِلٌ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ قَبُولًا
تَلْقَاهُ مِثْلِي رِقَّةً وَنَحَافَةً، وَلَا جُلَّ قَلْبِكَ لَا أَقُولُ عَلَيْهِ لَا
فَهُوَ الرَّسُولُ إِلَيْكَ مِنِّي، لَيْتَنِي كُنْتُ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا

وعرّف القبس بلام الحقيقة وأراد به الواحد باعتبار عهديته في الذهن، لإقيام القرينة على أن ليس القصد إلى نفس الحقيقة من حيث هي، بل من حيث وجودها في ضمن بعض الأفراد لا كلها، والقرينة هنا (لَعِبَتْ).

فإن قلت: ما وجه العدول للإتيان بالظرف في قوله: فهو في حرٍّ وخفقٍ. وهلاً

¹ - نسب هذان البيتان في ديوان الصبابة 114، ومعاهد التنصيص 144/4 لمحي الدين بن عبد الظاهر، وقال في ديوان الصبابة: "وكان القاضي محي الدين بن عبد الظاهر يحب شاباً مغنياً اسمه نسيم".

² - اقتباس من: "وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ، يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا". (الفرقان 27/25)

³ - في الأصل: لوالده مجير الدين. وهو خطأ وسيرد ذكر مجير الدين في الصفحة 258 من هذا الكتاب. وفي خزنة الأدب 254: إلى ولده القاضي محي الدين. ونعتقد أن الصواب هو: لوالده محي الدين، إذ الأب هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، محي الدين قاض أديب مؤرخ مصري. توفي سنة 1293/692م. والابن هو: محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، فتح الدين، ولد بالقاهرة ومات بدمشق سنة 1292/691 (فوات الوفيات 2/179-191 للأول، والوافي 3/366-668 للثاني).

قال: حارٌّ وخافقٌ؟ قلتُ: وجهه مراعاةُ الأبلغية، ولا خفاءُ أن قولك فلانٌ في حزنٍ، أبلغُ من حازنٍ، وفي سرورٍ، أبلغُ من مسرورٍ، وسببها واضحٌ، فتأمل. وهذه لطيفةٌ استفدتُها من المشافِ في غير [ما] موضع.

البيان

فيه التشبيهُ لحرارةِ القلبِ بشعلةِ النار، ولخفوقِ الجوانحِ بالريح. وتشبيهُ لعبهما¹ بلعبهما

فالأولُ بحسبِ العرض، والثاني بحسبِ العرض². ويضاهي هذا التشبيهَ قولُ بعضهم في الثريا³:

تَحْكِي الثُّرَيَّا الثُّرَيَّا فِي تَأْنُقِهَا وَقَدْ لَوَاهَا نَسِيمٌ وَهِيَ تَتَّقِدُ
كَأَنَّهَا لِنُورِ الْإِيمَانِ أَفْئِدَةٌ، مِنْ التَّخَشُّعِ خَوْفَ اللَّهِ تَرْتَعِدُ

وقوله في السراج⁴:

نَظُرٌ إِلَى سُرُجٍ فِي اللَّيْلِ مُشْرِقَةٌ مِنَ الزُّجَاجِ حَوَاهَا وَهِيَ تَلْتَهَبُ
كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الْحَيَاتِ بَارِزَةٌ عِنْدَ الْهَجِيرِ، فَمَا تَتَفَكُّ تَضْطَرِبُ

وعلى ذكرِ الثريا فحكى الراويةُ أبو عبد الله محمدُ بنُ رُشيدٍ الفهري السبتي الفاسي في

¹ - في (ب): لعبهما بلعبها.

² - هكذا في الأصل و(ج).

³ - البيتان لأبي تمام غالب بن رباح الحجام في نفح الطيب 415/3-416، وفيه: تألقها (بدل تأنقها)، وهو أنسب. وترجم له ابن سعيد في المغرب 40/2.

⁴ - البيتان للحجام السالف الذكر في نفح الطيب 416/3.

فهرسته¹ قال: «كنتُ مع الفقيه الأستاذ أبي القاسم المزياتي² تحت إيقادِ جامع القرويين من فاس بعد صلاة المغرب، وإذا برجلٍ أقبلَ وأخبرَ أبا القاسم بقوم الأستاذ ابنِ عبدون، وأنه ببابِ المسجد، فقال لنا أبو القاسم: قوموا بنا إلى لقائه، فالتقينا وهو داخلٌ إلى المسجد، فسلمنا عليه، فاستقبلتنا الثريا وهي مسروجة، فقال ابنُ عبدون مُرتجلاً:

انْظُرْ إِلَى ثُرَيَّةٍ نُورُهَا يَصْنَدَعُ بِالْأَلَاءِ سُجْفَ الْغَسَقِ

فقال أبو القاسم:

كَأَنَّهَا فِي شَكْلِهَا رَبْوَةٌ انْتَضَمَ النُّورُ بِهَا فَاتَّسَقَ

ثم اجتمعتُ صبيحةً تلك الليلة مع الأديب مالك بن المرحّل، وأخبرته³، فقال: لو كنتُ معهما لقلتُ:

أَعِذُّهَا مِنْ سُوءٍ مَا يُتَّقَى مِنْ فَجَاءَةِ الْعَيْنِ بِرَبِّ الْفَلَقِ⁴

كذا ساقَ هذه الحكاية الثعالبي في الأنوار، ونقلها أبو العباس ابنُ القاضي في كتابه المنتقى المقصور⁵، وزاد على ذلك ما نصّه: «وقال محمد بن خلف:

بَاهَى بِهَا الْإِسْلَامَ مَا أَشْرَقَتْ كَأَسَاطِيرُهَا عِنْدَ مَغْرِبِ [الد] شَفَ [ق]"

انتهى من خطّه.

¹ - وردت هذه القصة كذلك في أنوار التجلي 237/2، والمنتقى المقصور 145، وفي جذوة الاقتباس 69-70 مع بعض الخلاف.

² - أبو القاسم المزياتي فقيه أستاذ مقرئ بالقرويين، له شرح على كتاب الجمل. توفي يوم 22 من جمادى الأخيرة سنة 665هـ (انظر المصادر السابقة والذخيرة السنية 114 ونفع الطيب 584/2).

³ - في أنوار التجلي 237/2: "وأعلمته بما وقع بين الأستاذين".

⁴ - هنا ينتهي نص كلام الثعالبي في الأنوار 237/2.

⁵ - المنتقى المقصور 145.

فيه التمثيل، وحقيقته أن يمثل المتكلم شيئاً بشيء فيه إشارة. وقيل هو تشبيه حال بحال.
ومبتكره الضليل¹ في قوله:

وَمَا ذَرَقْتَ عَيْكَ إِلَّا لِنَقَحِي² بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ
وقال ابن المعتز³:

إصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْحَسُو دَفَانٍ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِزْ مَا تَأْكُلُهُ

وقول الآخر⁴:

إِيَّاكَ مِنْ زَلَلِ الْكَلَامِ فَإِنَّمَا عَقْلُ الْفَتَى مِنْ لَفْظِهِ الْمَسْمُوعِ
فَالْمَرْءُ يَخْتَبِرُ الْإِتَاءَ بِنَقَرِهِ فَيَرَى الصَّحِيحَ بِهِ مِنَ الْمَصْنُوعِ

وفيه الطباق بين الريح والقبس، إذ المراد به النار، وهما ضدان. والطباق الإتيان بلفظين
متضادين كقول ابن رشيقي⁵:

وَقَدْ أَطْفَأُوا شَمْسَ النَّهَارِ وَأَوْقَدُوا نُجُومَ الْعَوَالِي فِي سَمَاءِ عَجَاجِ

¹ - الضليل، لقب الشاعر امرئ القيس، عرف به. (انظر أخباره في الأغاني 62/8-76).

² - في شرح ديوان امرئ القيس 38: لتضربي، وهو المشهور.

³ - ديوان ابن المعتز 344.

⁴ - البيتان لأبي بكر بن الجزار السرقسطي في نفع الطبيب 598/3.

⁵ - بيت مفرد في ديوان ابن رشيقي 52.

رَمَى الْحَثْبَانِ نِسْوََةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمَنْ لَّهُ سُمْوَدَا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُوْدَا

الإعراب

الفاء للعطف، ولها معانٍ، منها: التعقيب؛ أن يكون المعطوفُ بها متصلاً بـلا مُهلة. وما أظرف قول النور الإسعدي² مداعباً:

وَأَعْنُ، كَمْ فِي جَفْنِهِ مِنْ قَاضِيٍّ، وَقَوَامُهُ فِي لَبْنِهِ كَقَضِيٍّ
لَأَقْبِيئُهُ مُبْتَسِماً مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كُنْتُ لَا أَلْقَاهُ غَيْرَ قَطُوبٍ
أَسْقِيئُهُ رَاحِي، فَنَامَ، فَنَكْتُهُ، وَالْفَاءُ فِي الْحَالِئِينَ لِلتَّعْقِيْبِ

وليس التعقيبُ بلائقٍ هنا. ومنها السببية، وهو أكثرُ ما تقتضيه الفاء، وهو الموافقُ لها في البيت، أي هو³ بسبب حمية قلبه في حرٍّ وخفقٍ. فإن قلت: تسبب الحرارة عن الحمية، في السبب ما يعطيه، وأما الخفق فليس فيه ما ينتجه، قلت: ينتجُه لفظُ الصب⁴، [فإن الصباية يُلْازِمُهَا الْخَفُوقُ. فإن قلت: وما نُكْتَةُ التصريح بهذا اللازم؟ قلت: "إزادة الفطاعة لحاليه، والمبالغة في عظم ما يلاقيه. فإن الخفوق يزيد النار تسعيراً فيشتد التهابها، وهو بمثابة النفخ فيها. قال⁵ الشاعر:

¹ - في العمدة 6/2 وزهر الآداب 1/405 والشريشي الكبير 1/189: لـ "عبد الله بن الزبير الأسدي".
ونُسباً في معجم الشعراء 177: لفضالة بن شريك. وسمن: قمن متحيرات، (لسان العرب: سمد).
² - هو نور الدين بن محمد أبو بكر الإسعدي (ت 656/1258) شاعر فيه مجانة (الوافي بالوفيات 188/1، ط 1948).

³ - هو، غير مثبت في (ج).

⁴ - سقطت ورقة كاملة من الأصل ابتداءً من هذا الموضع، واعتمدنا في تعويضها على النسخة (ب).

⁵ - في (ب): بها، والمثبت عن (ج).

وَكَيْفَ لَرَجُو نَطْفَاءَ نَارٍ مُسْتَعْرَةٍ يَزِيدُ خَفَقُ فُؤَادِي حَرَّهَا لَهَبًا

وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ مَحِي الدِّينِ بْنِ قُرْنَاءٍ فِي مَلِيحٍ مُشَبِّبٍ¹:

عَلَّقْتُهُ مُشَبِّبًا مَهْفَهَفًا، أَخْضَعُ فِي حَبِّي لَهُ فَيَشْمَخُ
لَا عَرَوْا أَنْ تَشُبَّ مِنْ تَشْبِيبِهِ نَارُ الْهَوَى، أَلَا تَرَاهُ يَنْفُخُ؟

ومن هذا ما حكاه النواجي في الحلبية أن السلطان الأشرف كان له مملوكٌ بديعُ الجمال فكلف به رجلٌ فقيه²، فصارَ يجلسُ في طريقِ الملكِ ليرى المملوكَ مع السلطان، فانتبه لذلك الأميرُ، فمنعَ للمملوكِ من الركوبِ معه، فمرضَ الفقيهُ بسببِ ذلك، فرثى له الملكُ وبعثَ المملوكَ وحده لزيارته، فجلسَ عندَ رأسِ الفقيهِ، وجعلَ يروِّحُ عليه بمروحةٍ، فرفعَ إليه الفقيهُ طرقه ونشده:

رَوَّحَنِي عَائِدٌ فَقَلْتُ لَهُ أَلَا تَرِثُنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ؟
لَمَّا تَرَى النَّارَ كُلَّمَا خَمِنْتَ عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ تَنْقُودُ

ومنها لفاء الفصيحة، وهي التي يكونُ العطفُ معها على مُقَدَّرٍ. قال في المفتاح: وهي في القرآنِ كثيرةٌ من جملةِ فصاحتهِ، ولهذا سُميتْ بalfاءِ الفصيحةِ. وهذا المعنى لا يُناسبُ هنا أيضاً.

وهو: مُبْدَأٌ، والظرفُ المُسْتَقَرُّ³: خبره، ومعاده القلبُ لا الظبي. والولوُ في قوله: وَحَرٌّ، للعطف. وقد أكثرُوا⁴ في تشبيهِ الولوِ ولاسيما ولوُ عَمَرُو، قال أبو نواسٍ في أشجعَ السَّلَمي:

¹ - البيتان في الغيث المسج 171/1، وحلبة الكميت 197.

² - نقل هذه القصة محمد بن الطيب العلمي في الأنيس المطرب 236-237 مما حدثه به محمد بن سليمان أثناء رحلته إلى الشمال.

³ - نرى أنه يعني أن الخبر مُقَدَّرٌ بـ (مُسْتَقَر)، أي: فهو مُسْتَقَرٌّ في حر.

⁴ - في (ب): أكثر.

قُلْ لِمَنْ يَدْعِي سَلِيمًا¹ سَفَاهًا لَسْتُ مِنْهَا وَلَا قِلَامةَ ظَفَرٍ
إِنَّمَا أَنْتَ فِي سَلِيمٍ كَوَلٍ ألْحَقْتُ فِي الْهَجَاءِ ظُلْمًا بَعْمُرٍ

حُكِيَ أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى² أَظْفَرِهِ وَاوَاءَ فَقَصَّهَا لِعَابِرٍ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ
دَعِي فِي نَسَبِكَ. وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتَيْنِ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الرَّسْتُمِيُّ³:

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُعْطَى ثَلَاثُونَ شَاعِرًا وَيُحْرَمَ مَا تُؤْنِ الرُّضَى شَاعِرٌ مِثْلِي!
كَمَا سَامَحُوا عَمْرًا بِوَلَوِ مَزِيدَةٍ وَضَوِّقَ "بِسْمِ اللَّهِ" فِي أَلْفِ الْوَصْلِ

ومِثْلُ: منصوبٌ على المفعولية المطلقة من مقدرٍ، أي يلعب لعباً مثل لعب الخ..

لَوْ عَلَى الْحَالِ، وَمَا: زائدة للتأكيد. ولعب: فعلٌ ماضٍ. وريحُ الصَّبَا: فاعله، وريحٌ:
مضافٌ، والصَّبَا مضافٌ إليه، والإضافة على معنى اللام.

وعلى ذكرِ الإضافة فما أحلى قول ابنِ نباتة⁴:

يَا مَلِكًا يَجْبُرُ قُصَّادَهُ جَبْرًا، لَهُ اللَّهُ مُكَافٍ عَالِيهِ
شُكْرًا لَهَا فِي الْجُودِ مَخْفِيَةً يَبْسُطُ ضَيْفُ الْبَابِ فِيهَا يَدِيهِ
إِذَا أَتَتْهُ وَهُوَ فِي صَحْبِهِ صَارَ مُضَافًا وَمُضَافًا إِلَيْهِ

وقول ابنِ سناء الملك⁵:

¹ - في (ب): سليمي، والتصويب عن ديوان أبي نواس 335.

² - في (ب): عن، والمثبت من (ج) والغيث المسجم 641/1 وهو الصواب.

³ - ورد البيتان مع بعض الخلاف في الغيث 41/1.

⁴ - الأبيات في ديوان ابن نباتة 575، والغيث المسجم 165/1.

وفي (ج): مالكا. وفي (ب): ضيف اليد فيها لديه، والتصويب عن الديوان والغيث.

⁵ - ديوان ابن سناء الملك 613، والغيث 165. وفي (ب): يحفظهم، والتصويب عن الديوان والغيث.

فَيَغْمُرُهُمْ بِرُّهُ الشَّامِلُ
وَيَرْقَعُهُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ

تَجِيءُ الْمُلُوكُ لِأَبْوَابِهِ
وَيَخْفِضُهُمْ أَنَّهُمْ كَالْمُضَافِ

وقول محاسن الشَّوَاء¹:

على رَغْمِ الْحَسُودِ بِغَيْرِ آفَةٍ
حَبِيبِي لَا تُفَارِقُهُ الْإِضَافَةُ

وَكُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ فِي التَّيَّامِ
فَقَدْ أَصْبَحَتْ تَتَوَيْنَا وَأُضْحَى

¹ - يوسف بن إسماعيل، أبو المحاسن، شهاب الدين المعروف بالشَّوَاء. شاعر أديب، كان صديقاً لابن خلكان. ولد بحلب ومات بها سنة 635هـ/1237م. (الوفيات 411/2).

يَا بُدْرُ أَقَلَّتْ¹ يَوْمَ النَّوَى غُرّاً تَسْلُكُ فِي نَهْجِ الْغُرَى

اللغة

البُدر: الأهلة، واحدها بدرٌ، وهو الكوكبُ المعروف. والشُعراء تارةً يعبرونَ بالبدر وتارةً بالقمر، وتارةً بالهلال، وهي كلها ألفاظٌ متباعدة. قال ابنُ عابدٍ في تفسيره: اختلف اللغويون متى يُسمَّى الشهرُ هلالاً، فقال الجمهورُ: لليلتين، وقيل لثلاث، ثم يكون قمرًا. وقال أبو الهيثم: يُقالُ له هلالٌ لليلتين من أولِ الشهر، ولليلتين² [من] آخره، و[م]ا بينهما قمرٌ. قال الأصمعي: هلالٌ إلى أن يُحجَّرَ، وتَحجِيرُهُ، أن يستديرَ له كالخيطِ الرقيق، فيقالُ له: بدرٌ من الثانية عشره إلى الرابعة عشره. وقيل يُسمَّى هلالاً إلى أن يشهرَ ضوؤه سوادَ الليل، وذلك إنما يكونُ في سبعِ ليالٍ، انتهى. وفي القاموس: الهلالُ: "غُرَّةُ القمرِ، أو لليلتين أو إلى ثلاثٍ أو إلى سبعٍ، ولليلتين من آخرِ الشهر، ستِ وعشرين، وسبعِ وعشرين، وفي غير ذلك قمرٌ"³، "والقمرُ، يكونُ في الليلةِ الثالثة"⁴، "والبدرُ، القمرُ المملى"⁵، انتهى. وبهذا تعلمُ أن ما اعترضَ به الحافظُ بنُ حجرٍ الهيثمي على صاحبِ الهزمية، حينَ ذكرَ أن البدرَ انشقَّ له، عليه السلام، بأنه يحتاجُ إلى نصٍّ أنه كانَ في اللَّيالي البيضِ، فإنه فيها البدرُ، اعترضَ ببعضِ الأقوالِ، وليسَ بلاقٍ.

¹ - في ديوان ابن سهل 283: أطلعت.

² - نهاية ما أخذ عن (ب)، بسبب سقوط ورقة كاملة من الأصل.

³ - القاموس المحيط (هلال).

⁴ - المصدر السابق (قمر).

⁵ - المصدر السابق (بدر).

الذي تلقيناه من الأشياخ، أن البرّ نورُه مستمدّ من نورِ الشمس، ونونَ النجوم، كما هو مصرّحٌ به، قال البيضاوي في الطوالع، في باب معرفة الجواهر والجسم، وقسمَ الجواهر إلى أنواع، منها الكواكب، وقال: هي بسيطةٌ غيرُ مركبة، مركوزة في الأفلاك، مُضيئةٌ إلا القمرُ فإنّ ضوءه مُستفادٌ من الشمس، انتهى¹. ويظهرُ من شارح المنفرجة لابن النحوي²، حيث قال في قولها:

وِظْلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سُورُجٌ حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السُّرُجِ

أنّ ضياءَ النجوم مستفادٌ من صورِ الشمس أيضاً، ونصّه: السُّرُجُ، هي النجوم، وأبو السرج، هي الشمس، لأن أنوارها مُستفادةٌ من الشمس، فيما نُكر، انتهى. وعلى نُكر أن الشمس تُمدُّ القمرُ بالأضواءِ فما أحسن قول ابن التلمساني³:

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ صَاحِباً شَكِيساً تُسْعِفُهُ النَّفْسُ⁴، وَهُوَ يَعْصِفُهَا
فَاحْنُ كَالشَّمْسِ وَالْهَيْلَالِ مَعاً، تُكْسِبُهُ النُّورَ، وَهُوَ يَكْسِفُهَا

¹ - طوالع الأنوار، (عن مطالع الأنظار 265).

² - المقصود هو كتاب الأضواء المبهجة، في إيراد دقائق المنفرجة، لذكرياء بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي، منه مخطوطة خ م 2984. وما نقله الإفراني موجودٌ في الورقة 2ظ منها. وناظم المنفرجة التي مطلعها:

إِشْتَدَى أَزْمَةٌ تَنْفَرُجِي

وهو يوسف بن محمد بن يوسف، أبو الفضل المعروف بابن النحوي، من قلعة بني حمّاد، وأصله من تَوَزَّرَ. دخل سلجماساً وفاساً، ثم عاد إلى القلعة فمات بها سنة 513هـ. وهو فقيه مجتهد، وقف ضدّ إحراق الإحياء للغزالي. (انظر جذوة الاقتباس 552/2-553 وشرف الطالب ضمن ألف سنة من الوفيات 60).

³ - في الغيث المسجم 149/2: "وقال ابن التلميذ:".

⁴ - في الأصل و(ب): الشمس، والمثبت عن الغيث المسجم 149/2.

وقول البستي¹:

لَئِنْ كَسَفُونَا بِلَا عِلَّةٍ، وَقَازَتْ قِدَاخُهُمْ بِالْظَّفَرِ
فَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مَنْ ثَوْنُهُ كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ ضَوْءَ الْقَمَرِ

وقوله: أَفَلَتَ: غَرَبْتَ، يُقَالُ: أَفَلَ، كَضَرَبَ وَنَصَرَ وَعَلِمَ، أَفُولًا: غَابَ.

[وَالْيَوْمُ، مع] رُوفٌ. ويطلقُ بِلِزَاءِ أَرْبَعَةِ مَعَانٍ ذَكَرَهَا ابْنُ هِشَامٍ فِي شَرْحِ الْكَعْبِيَّةِ².

وَالنَّوَى: الْبُعْدُ وَالْفِرَاقُ، وَالتَّحَوُّلُ مِنْ مَكَانٍ لِآخَرَ، وَهِيَ مَقْصُورَةٌ، وَتُمَدُّ لِلضَّرُورَةِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ مُؤَرِّيًا³:

مَا لِلنَّوَى مُلَّتْ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَتِي بِهَا مَقْصُورَةٌ!
إِنَّ الْخَالِيلَ وَإِنْ دَعَتْهُ ضَرُورَةٌ لَمْ يَرْضَ ذَلِكَ، فَكَيْفَ ثَوْنٌ ضَرُورَةٌ

وقد أكثر الشعراء من استعماله في قصائدهم، فنذكر أن الأصمعي قال لمن أنشده:

فَمَا لِلنَّوَى، جَدَّ النَّوَى، قَطَعَ النَّوَى كَذَلِكَ النَّوَى قَطَاعَةً لَوْصَالٍ:

لَوْ سَلَطَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ شَاةً، لَأَكَلَتْ هَذَا النَّوَى كُلَّهُ⁴.

¹ - الغيث المسجم 2/ 148.

² - يقصد قصيدة كعب بن زهير المشهورة ببانت سعاد. شرحها جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، وهذا الشرح مطبوع بمصر سنة 1321هـ، وبهامشه حاشية الأسعاد على بانة سعاد لإبراهيم الباجوري. والشاهد في الصفحة 9 من شرح ابن هشام.

³ - البيتان مما ينسب لأبي عبد الله محمد بن هاني اللخمي السبتي في نفح الطيب 6/ 247.

⁴ - الغيث المسجم 1/ 113.

وَعُرّاً: جمع غُرّة، من "عُرَّ وجهه يَغُرُّ، بالفتح، غُرّاً مُحَرَكَةً، وَغُرَّةٌ بِالضَّمِّ، وَغُرَارَةٌ بِالْفَتْحِ، صَارَ ذَا غُرَّةٍ"¹. والغرة: بياضٌ في الجبهة، واستُعِيرَ لَكُلِّ وَاضِحٍ مَعْرُوفٍ. والغَرِيرُ: الحسنُ الخَلْقِ"².

وَتَسْلُكُ: من سَلَكَ المَكَانَ يَسْلُكُهُ وَفِيهِ يَسْلُكُهُ غَيْرُهُ وَفِيهِ يَسْلُكُهُ: مرَّ فِيهِ³، وَقَطَعَهُ.

"وَالنَّهْجُ: الطَّرِيقُ الواضِحُ كَالْمَنْهَجِ وَالْمِنْهَاجِ⁴. وَابْنُ الشَّاطِئِ مَجْنَساً بِهِ⁵:

إِنِّي سَلَكْتُ مِنْ أَنْقِاضِي مَسْلَكاً، وَجَرَيْتُ مِنْ صَمْتِي عَلَى مِنْهَاجٍ
وَتَرَكْتُ أَقْوَالَ الْبَرِيَّةِ جَانِباً كَي لَا أُمَيِّزَ مَالِحاً مِنْ هَاجِي

وَالْغَرَرُ: قَالَ فِي الْقَامُوسِ: "غَرَّرَ بِنَفْسِهِ تَغَريراً، وَتَغَرَّةً: عَرَضَهَا لِلْهَلَاكَةِ، وَالْإِسْمُ الْغَرَرُ"⁶.

المعنى

كان في البيتين قبله في مقام الغيبة، فتضاعف وجده إلى إن استغرق في أوصاف جمال محبوبه، وفي في مشاهدة حسنه، فصار حاضراً لديه، مخاطباً له، فهو يحاوره، ويطارحه بما قاساه من هواه، ويقول: يا أيها القمر، الذي كان طالعاً في فلك القرب، حاضراً في سماء

¹ - القاموس المحيط (غرر).

² - في المصدر السابق: "الغريز كأمير: الخلق الحسن"، وما في المسلك أنسب في تقديرنا.

³ - عبارة القاموس المحيط (سلك): "سَلَكَ المَكَانَ سَلَكاً وَسَلُوكاً، وَسَلَكَهُ غَيْرُهُ وَفِيهِ وَأَسْلَكَهُ إِيَّاهُ وَفِيهِ وَعَلَيْهِ، وَيَذَهُ فِي الْجَبِيبِ، وَأَسْلَكَهَا: أَدْخَلَهَا فِيهِ".

⁴ - القاموس المحيط (نهج).

⁵ - قال في رفع الحجب 14/1: "وقد أنشدني شيخنا الإمام الأوحْدُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الشَّاطِئِ".

⁶ - القاموس المحيط (غرر).

القلب، أنظرُ إليه ثم غاب عني، وتَحَجَّبَ بالبُعدِ والفراقِ، فسلكَ لهجراته سبيلاً [عرض] فيها عاشقيه للتَهْلُكَةِ، إذْ بَغِيَّةٌ سواده عن سوادهم، تَغِيْبُ أرواحهم عن أجسادهم، فتَهْلِكُ نفوسهم، ويقوى بؤسهم، ويعيلُ صبرهم، فإنَّ الفراقَ، عذابٌ لا يُطاق، كما قيل¹:

لَوْ أَنَّ مَلَكًا عَالِمٌ بِجَوَى الْهَوَى وَمَحَلِّهِ مِنْ أَضْلَعِ الْعُشَّاقِ
مَا عَذَّبَ الْكُفَّارَ إِلَّا بِالْهَوَى وَإِذَا اسْتَعَاثُوا أَغَاثَهُمْ بِفِرَاقِ

وقد أكثروا في الشكاية من النوى، ولولا خوفُ السَّامةِ لَجَلَبْنَا مِنْ ذَلِكَ²، وما ألقى قول ابن حويان³:

مِتُّ فِي عِشْقٍ، وَمَعْسُوقِي أَنَا، ففؤادي مِنْ فِرَاقِي فِي عَنَا
غَبْتُ عَنِّي، فَمَتَى أَجْمَعُنِي؟ أَنَا مِنْ وَجْدِي مِنِّي فِي فَنَا
لِيهَا السَّامِعُ، تَذْرِي مَا الَّذِي قُلْتُ؟ وَاللَّهِ، وَلَا أَذْرِي أَنَا

وقول أبي الطيب⁴:

¹ - البيتان في تزيين الأسواق 487.

وفي الأصل و(ب): عالما، والمثبت عن (ج)، وفيه: لو أن مالكا عالم..
وعلق في الحاشية بقوله: "لو قال:

لو أن سلطانا درى بجوى الهوى الخ..

كان أسلس وأوزن". وفي تزيين الأسواق 487:

لو كان مالك عالما بدوي الهوى

وفي البيتين إشارة إلى العبارة القرآنية: "وَأَنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءِ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ". (الكهف 29/18).

² - في الحاشية: "خذ: لَمَعْنَا ببعض ذلك".

³ - في الغيث المسجم 106/1: "أمين الدين الجباني".

⁴ - آخر أربعة أبيات ارتجلها في الفراق، في ديوانه 187.

مَنْ خَصَّ بِالنَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئاً يُحْمَدُ

هذا ما يلوح من المعنى على وجوه تلك الألفاظ، ويُحتمل أن يفسر "غرراً تسلك" إلخ.. بتفسير آخر، وهو أن تجعل غرراً بدلاً من مدخول أداة النداء، والمراد: يا أيتها الغرر التي تسلك بعشاقها طريق التهلكة، لكفهم بطراز جمالها المعلم، فمن عاين رونقها منهم علق بها معتقداً سهولة وصلها، والظفر بها، وأن عنوان جمالها ليل على جميل فعلها. وما نرى أن الصاب في العسل، والسّم نافع في سنان الأسل. فهي غارة من هذه الجهة.

المعنى

نكتة ندائه الحرص على إقبال المُخاطب، وإحضاره [ذه]نه، لفهم ما يلقي عليه، كأنه أمرٌ بعيد، كقوله تعالى: "يا موسى أقبل"¹. فإن قلت: كيف أتى بـ "يا" التي للبعد والمُخاطبُ حالٌ في سويداء فؤاده؟ قلت: التنبيه على عظم الأمر، وعلو شأنه، وأن المُخاطب² مع تهالكه على الامتثال، كأنه غافل عنه بعيد، كـ "يا أيها الرسول بلغ"³، ولما تقـ [حم] أيضاً. وعبر بصيغة الجمع للتعظيم، فهو من باب "قال: ربّ أرجعون"⁴، على أحد الوجهين. وقال المفسرون في آية "يسألونك عن الأهلّة"⁵: إنه جمع باعتبار اختلاف أزمائه.

وأول (النوى) عوض عن كناية، أي نواها. وهذا كله يُفيد، مع جعل اليوم بمعنى الوقت. لن رحيلها علة في غيبتها⁶. وأبدل على الاحتمال الثاني، لزيادة التقرير، لما فيه من

¹ - صلة الآية: "يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين". (سورة القصص 31/18).

² - في الأصل و(ب): المخا، وسقطت عبارة: "وأن الجامع تهالكه على الامتثال" من (ج).

³ - سورة المائدة 67/5.

⁴ - سورة المؤمنون 99/23.

⁵ - سورة البقرة 189/2.

⁶ - عبارة: "أن رحيلها علة في غيبتها"، ساقطة من (ج).

التكرير. فإن قلت: في جانب الغرر، عبر بالمضارع وصفاً، وفي الدور عبر بالماضي، فقال: أقلت، فما سره؟ قلت: قصد الاستمرار في الثاني مبالغةً، والموضوع يُقصدُ به ذلك كثيراً عكس الأول. والإضافة في "تهج الغرر" من إضافة الأعم للأخص.

البيان

فيه الاستعارة، حيث أطلق لفظ البدر، وأراد به محبوبه. والأقول مما يلائم المستعار منه، فهي نصريحية، وملانمها ترشيحها. وشاع عندهم تشبيه المحبوب بالبدر. وأفسد عليهم هذا التشبيه القائل:

قَدْ قُلْتُ لِلْبَدْرِ، وَاسْتَعْبَرْتُ حِينَ بَدَأَ: يَا بَدْرُ، مَا فِيكَ لِي مِنْ وَجْهٍ خَلْفُ
تَبْنُو لَنَا كُلَّمَا شِئْنَا مَحَاسِنَهَا، وَأَنْتَ تَنْقُصُ أَخْيَاناً وَتَنْكَسِفُ

وقال آخر:

حَسَيْتُ جَمَالَهُ بَدْرًا مُنِيرًا وَأَيْنَ الْبَدْرِ مِنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ

ومن هذا قول الحلي في مطلع قصيدته النبوية¹:

كَفَى الْبَدْرَ حُسْنًا أَنْ يُقَالَ: نَظِيرُهَا، فَيَرْهَى، وَلَكِنَّا بِذَلِكَ نَضِيرُهَا

وهي قصيدة بديعة، قرأت في بعض الدفاتر بالسند المتصل إلى ناظمها، أنه لما أنشدتها عند قبر رسول الله، صلى الله عليه، كشف عن بصره، فرأى الملائكة يطوفون بالحجرة النبوية، فقال في ذلك:

¹ - انظرها في ديوان الحلي ص 73 وما بعدها.

وَأَحْسَنُ شَيْءٍ أَنْبِي قَدْ جَلَوْتُهَا وَأَمْلَأُ أَفَاقَ السَّمَاءِ حُضُورُهَا
فَلَمَّا وَصَلَ قَوْلُهُ:

وَقَابِلُ نَّهَاهَا بِالْقَبُولِ، فَإِنَّهَا عَرَّائِسُ فِكْرِ، [وَالْقَبُولُ مُهُورُهَا
سَمِعَ [مِنْ] الْحَجَرَةِ: قَبَلْنَاهَا، ثَلَاثًا¹.

وَجَعَلَ لِلغُرِّ طَرِيقًا مَجَازًا. وَكَذَلِكَ أَسْنَدَ السُّ[لُوكِ] لِلغُرِّ.

البديع

فِيهِ الْجِنَاسُ بَيْنَ الْغُرِّ وَغُرِّ. وَقُدَامَةُ يُسَمَّى مَثَلٌ هَذَا بِالطَّبَاقِ. قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْقُرَشِيُّ²:
قُلْتُ لَعَلِي بَنَ سُلَيْمَانَ، الْأَخْفَشِ الصَّغِيرِ، وَكَانَ أَعْلَمَ مِنْ رَأْيَانِهِ بِالشَّعْرِ: إِنَّ طَائِفَةً يَزْعُمُونَ
أَنْ قَوْلَ زِيَادٍ الْأَعْجَمِ:

يَا لَيْتَهُمْ يَسْتَبْصِرُونَ بِكَاهِلٍ فَالْؤُمُ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ

¹ - وردت هذه القصة وما يتعلق بها من شعر في آخر الجزء الأول من أنوار التجلي 259/2، مع زيادة:
"والحلي المذكور هو ناظم هذه القصيدة المكتوبة هذه الحكاية في آخر ورقة من الجزء الأول من شرحها
لسيدي عبيد، رحم الله جميعهم ونفعنا بهم..".

ولعل هذه المقدمة بما فيها هذا التعليق من تدبيح الناسخ.

² - نسب هذا الخبر في الشريشي الكبير 321/1 لـ "علي بن الحسين"، فيكون المقصود هو: علي بن
الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي أبو الفرج الأصبهاني، صاحب كتاب
الأغاني، المتوفى سنة 356هـ.

[طباقي]¹، فكاهل قبيلة وعُصو، فقال: من قال هذا؟ قلت: قدامة الكاتب². فقال يا بني، هذا تجنيس، فمن ادعى أنه طباق، فقد خالف الخليل والأصمعي، فقلت: أو كنا يعرفان هذا؟ فقال: سبحان الله! وهل غيرهما في الشعر، وتمييز حسنه من غيره، أعلم منهما! انتهى.

وفيه مراعاة النظر بين البُور وقوله: أفلت، وهو، كما قال الحلي: جَمْعُ الشَّيْءِ إِلَى مَا يَنَاسِبُهُ مِنْ أَحَدِ الْوُجُوهِ، لَا عَلَى وَجْهِ التَّضَادِّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ"³، فَإِنَّ النَّجْمَ مَا لَا سَاقَ لَهُ مِنَ النَّبَاتِ، وَالشَّجَرُ مَا لَهُ. ومنه قول أحمد بن عبد المَنَّان في شفاء عياض⁴:

¹ - زيادة ضرورية. ولكي يتضح المعنى ننقل من الشريشي الكبير 321/1: طائفة "تزعّم أن الطباقي هو ذكرُ الشيء وضده، فيجمعها اللفظ لا المعنى، وطائفة تقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد، مثل قول زياد الأعجم"، ووردت هذه القصة أيضا في أنوار التجلي 31/1.

² - انظر قوله في نقد الشعر 185-186 (ط 1963)، وفيه:

ونبتهم يستتصرون.. وللؤم..

³ - سورة الرحمن 5-6.

⁴ - ورد له هذا البيت في أنوار التجلي 142/1، وابن عبد المَنَّان هو: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المَنَّان، أبو العباس الخزرجي الأنصاري (.....-792هـ)، من كتّاب السلطان أبي عنان المريني، وعدد من السلاطين بعده. قال في نثر الجمان 314: "رأيتُه وصحبته، ويعرف بابن عبد المَنَّان، ومسقط رأسه مدينة مكناسة". وأثنى على شاعريته وطول باعه في القريض، كما وصفه في نفع الطيب 117/7، بالشاعر المفلق.

والواقع أن القصائد الأربع التي أوردها له ابن الأحمر في نثر الجمان 317-353 كافية وحدها للدلالة على طول نفس هذا الشاعر. (مجموع أبياتها 337 بيتا: 102-87، 56، 92 بيتا)، قال الدكتور محمد رضوان الداية في مقصورة ابن عبد المَنَّان التي وصف فيها قتل الأسد بين يدي السلطان أبي عنان ومطلعها:

أَلِفَ الْجَوَى مُذْ بَانَ سُكَّانُ اللَّوَى صَبَّ يَهِيحُ غَرَامَهُ نَفْسُ الصَّبَا

"هذا وصفٌ طريف، ما أظنه ورد فيما بين أيدينا من آثار أندلسية أو مغربية". (حاشية نثر فرائد الجمان 350). و(انظر ترجمته في نثر الجمان 314-353، ونثر فرائد الجمان 348-356، وجذوة الاقتباس 124/1، ودرة الحجال 53-54).

كُلُّهُمْ عَالَجُ السَّقَامِ، وَلَكِنْ مَا أَتَى بِالشِّقَاءِ إِلَّا عِيَاضُ

وقول ابن جرير:

خُذْ مِنْ¹ حَبِثِ تَوَلَّهِي وَتَوَلَّعِي خَبِراً صَحِيحاً، أَيْسَ بِالْمَوْضُوعِ
يَرْوِيهِ خَدِّي مُسْنِداً عَنِ الْأُمْعِي عَنْ مَقْلَتِي عَنْ قَلْبِي الْمَفْجُوعِ

ومن مُرَاعَاةِ النُّظَيْرِ قولُ بعضهم للوزيرِ المهلبِي: "أَنْتَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ، إِسْمَاعِيلِيُّ الْوَعْدِ، شُعَيْبِيُّ التَّوْفِيقِ، يَوْسُفِيُّ الْعَقْرِ، مُحَمَّدِي الْخَلْقِ. أَشَارَ فِي إِسْمَاعِيلَ إِلَى قَوْلِهِ: "وَكَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ"². وشُعَيْبَ لِقَوْلِهِ: "وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ"³، وَيَوْسُفَ: "لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ"⁴ الْآيَةَ، وَمُحَمَّدَ: "إِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ"⁵ وهذا من الإغراقِ والغلو. وفيهِ الاشتقاقُ، وهو أن يُشْتَقَّ من علمٍ معْنَى في نمٍ أو مدحٍ، كقوله في رجلٍ اسمُهُ [ابنُ]⁷ خُلُونِ، يدَّعي الشعرَ:

يَا شَاعِراً يَتَسَامَى وَجَدُهُ خُلُونُ
لَمْ يَكْفِ أَنَّكَ خُلٌ حَتَّى بِأَنَّكَ [دُونُ]

¹ - في نفع الطيب 533/5: أو من، ولا يستقيم معه المعنى. وزاد قبلهما البيهقي التالين:

مِنْ أَيِّ أَشْجَانِي الَّتِي جَفَّتِ النَّوَى أَشْكَو الْعَذَابَ وَهُنَّ فِي تَتْوِيْعٍ
مِنْ وَصَلِي الْمَوْقُوفِ، أَوْ مِنْ هَجْرِي الـ مَوْصُولِ، أَوْ مِنْ نَوْمِي الْمَقْطُوعِ
والغالب أن الإفراني اعتمد على أنوار التجلي 142/1.

² - سورة مريم 54/19.

³ - سورة هود 88/11.

⁴ - سورة يوسف 92/12.

⁵ - سورة القلم 4/68.

⁶ - نص كلام أنوار التجلي 141/1.

⁷ - زيادة من أنوار التجلي 244/1 يؤيدها قوله في البيت بعده: وجده خُلُونِ.

وقول الآخر:

إلى مَنْ مِنَ النَّاسِ أَشْكُو الْحَبِييَا؟ سَبَانِي بِقَدْ يَقْدُ الْقُلُوبَا
عَصَيْتُ الْعَوَائِلَ فِي حُبِّهِ، فَخَالَفَنِي وَأَطَاعَ الرَّقِيبَا¹
وَسَالِفَةَ أَسْلَفَتَنِي الْجَوَى، وَعَيْنِ أَعَانَتْ عَلَيَّ الْخُطُوبَا

والغرر في البيت، من الغرر².

وفيه الالتفات، يقال له الإعراضُ والانصرافُ، حيث خاطبه بعدَ تحنُّنه عن غيبته، وهو التعبيرُ عن معنى بطريق الغيبةِ أو التكلُّمِ أو الخطاب، ثم يعبرُ عنه مرةً أخرى بواحدٍ من مقابله. قال الزمخشري: واستحسنَ لما فيه من إنشاطِ السامعِ وإيقاظه للإصغاء. وقال الصلاحُ الصفدي: أربابُ البلاغةِ يسمونَ الالتفاتَ شجاعةَ العربية، وإنكارُ ابنِ الأثيرِ أن يكونَ منه الرجوعُ للخطابِ عن الغيبةِ والعكسُ مردودٌ، وأمثلته شهيرةٌ، ولذا تركناها.

الإعراب

يا: حرفُ نداءٍ.

وبدوراً: منادى منصوبٌ لأنه نكرةٌ غيرُ مقصودةٍ.

وجملة: قُلْتُ، في محلِّ نصبٍ نعتٍ للمنادى.

والظرف، متعلقٌ بالقُلْتُ وهو ظرفٌ لغوٍ.

والنوى: مضافٌ للظرفِ.

¹ - تأخر هذا البيت عن الذي بعده في (ج)، وأنوار التجلي 245، وهو حسن.

² - هذه العبارة جاءت في غير موضعها، فقد سبق أن شرح كلمة الغرر.

وقوله: غرراً، على المعنى الأول، فهو منصوبٌ على الحال، وعلى الثاني فهو بدلٌ.

وجملةُ [تَسْلُكُ]: نعتٌ له.

وفي نهجِ الغررِ: خافِضٌ ومَخْفُوضٌ.

مَا لِقَلْبِي فِي الْهَوَى نَنْبَ سَوَى مِنْكُمُ الْحُسْنُ وَمِنْ عَيْيِ النَّظَرِ¹

اللغة

القلب: نَقَمَ، وفي بعض النسخ: "مَا لِنَفْسِي وَحَدَّهَا"، والنفس: الروح.

والهوى: العشق، يكون في الخير والشر، قاله في القاموس² قلت: ما ذكره من مرادفة الهوى للعشق، صرح الصقدي بأنه التحقيق، وإن الصواب أنه أعم من الهوى وسائر ما تسمعه. وقال صاحب الريحان والريعان: الحب أوله الهوى، ثم العلاقة، ثم الكلف، ثم الوجد، ثم العشق، وهو مقرون بالشهوة، والحب والمقة في الله تعالى³، ثم الشغف، ثم التئيم، ثم التبل، والهيام، وهو شبيه الجنون⁴. والعشق عند الأطباء من أنواع الماخونيا، والمراد بها تغيير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد⁵. ورسوموا العشق بأنه مرض وسواسي جابه المرء إلى نفسه، بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل⁶. وقال أرسطو: هو عماية العاشق عن عيوب المحبوب⁷.

¹ - ديوان ابن سهل 283.

² - القاموس المحيط (هوى).

³ - زاد في ريحان الألباب: قال تعالى: "يَقُومُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ".

⁴ - نهاية كلام ريحان الألباب 34 باختصار.

⁵ - ديوان الصبابة 19 بقليل من التصرف.

⁶ - المصدر نفسه 12.

⁷ - المصدر نفسه 12.

واعلم أن قول الأطباء: جلبه المرء إلى نفسه، ليس بصحيح، لأن الغالب في العشاق، أنهم اضطروا إلى محبة من يهوونه، ولهذا قال الفضيل بن عياض: "لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت بها أن يغفر للعشاق، لأن حركتهم اضطرابية، لا اختيارية"¹، كذا قال الصفدي، والصواب أن العشق في أول أمره اختياري، ثم يصير اضطرابياً، وعليه قول العباس بن الأحنف²:

الحُبُّ أَوَّلَ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ، تَأْتِي بِهِ وَتَسْوَقُهُ الْأَقْدَارُ
حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ
آخر³:

الحُبُّ أَوَّلَ مَا يَكُونُ مَجَانَّةً فَإِذَا تَحَكَّمَ صَارَ شُغْلًا شَاغِلًا
قال ابن قيم الجوزية: "قسر كثير من السلف قوله تعالى: "وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ"⁴ بالعشق"⁵. وهذا بحر لا ساحل له. وللناس في تعريف العشق [خ] ببط كبير، وما أحق أن يقال لهم:

لَمْ تَعْرِفِ الْعِشْقَ إِذْ وَصَفْتَهُ

وَالنَّيْبُ: الْإِثْمُ.

¹ - المصدر نفسه 33.

² - البيتان 11، 12 من قصيدة في ديوان العباس بن الأحنف 139، ونسبهما في روضة المحبين 134، ضمن قصة، لجارية مدنية سلاها عشيقها.

³ - ورد هذا البيت في ديوان الصبابة 36.

⁴ - سورة البقرة 286/2.

⁵ - ديوان الصبابة 34.

"والْحُسْنُ: الجمال، جمعه، محاسنُ على غيرِ قياسٍ"¹، قلت: صريحُ كلامه في القاموس، أن الجمالَ والحسنَ مترادفان، لأنه قالَ في الحسنِ، ما سلف، وفي "الجمال: الحسنُ في الخلقِ والخلق"². والذي قِيدَتْهُ عن بعضِ مشايخي أن الحسنَ في الذاتِ، والجمالُ في الشَّمائلِ والأخلاقِ، والله أعلم.

والعَيْنُ: الجارحةُ، مشتركةٌ بينَ معانٍ. وما أحسنَ قولَ الأديبِ أبي الأسرارِ البوعصامي:

نَمْعِي بَلَا عَيْنٍ جَرَى بِلَا عَيْنٍ
وَأَنَا بِلَا مَيْنٍ عَلَيَّ³ بِلَا مَيْنٍ

وَالنَّظَرُ: الفكرُ في الشيءِ نَقَرُهُ.

ورأيتُ في "الفِ بَاء" للشيخ أبي الحجاج البلوي:

يَا رَبَّ حُلْ بِيَّتِي وَيَيْنَ ذَا الْبَيْنِ
أَجْرَى مِنَ الْعَيْنِ نَمْعاً بِلَا عَيْنِ
فَأَسْمِي بِلَا مَيْنٍ عَلَيَّ بِلَا مَيْنٍ

لَرَادَ، عَلِيلٌ، ومعنى بلامين، بلا شكٍّ، انتهى.

¹ - القاموس المحيط (حسن).

² - المصدر السابق "جمل".

³ - في الأصل: عليل، وهو خطأ، والصواب (علي) الذي سيتحول بإضافة لام ثانية إلى "عليل"، وهذا ما يهدف إليه الشاعر، كما هو الشأنُ في الأبياتِ بعده، وتعليقُ الإفراني عليها.

هذا الكلامُ المذكورُ، هو الملقى للبدر، فيقول: بأيّ شيءٍ استحقّ قلبي هذا العذابَ الأليمَ، الذي هو فيه مُقيمٌ؟ والعذابُ إنما يليقُ بمنْ صَدَرَتْ منه جنايةٌ، فيزجرُ عليها عقوبةً له على اجترامها، وقلبي الذي عَذَّبْتُمُوهُ لم يَقْتَرِفْ سيئةً توجبُ أن يُصلى النارَ الموصدة¹ التي تطلُعُ على الأفئدة، ولا تسبّبَ فيها، وإنما أوقعه فيما وقع فيه عينٌ عاينتُ بديعَ جمالكُم، وشاهدتُ رفيعَ صفاتكم، فالمشاهدُ أنتم نصبتُموه حيالةً، والمشاهدُ وقعَ فيها من غيرِ مُشاورةٍ قلبٍ، أو صدورٍ عن إنٍ، فالقلبُ بريءٌ، ولا مدخلُ له في هذه القضية ولا عملٌ، ولا ناقةٌ له فيها ولا جملٌ، فبِمَ عوقب؟ وعلامَ عُنِب؟ والغرضُ من هذا الاستدلالِ إقامةُ الحجةِ عليهم في أن فعلهم وقع في غيرِ محله، وأنه إنْ جنتْ عينُهُ لا يؤاخذُ قلبُهُ بجريمتها. وما أحسنَ قولَ ابنِ شرفٍ القيرواني:

غَيْرِي جَنَى، وَأَنَا الْمُعَاقَبُ فِيكُمْ، فَكَأَنِّي سَبَابَةُ الْمُتَنَزِّلِ

أخذه من قول أبي الطيب²:

وَجُرْمُ جَرَّةٍ سُفْهَاءُ قَوْمٍ فَحَلَّ بِغَيْرِ مُجْرِمِهِ الْعَذَابُ

قلت: كأنَّ أبا الطيبِ اقتبسَ من مِشْكَاةِ قولِ اللهِ تعالى: "أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفْهَاءُ مِنَّا"³. ويتصلُ ببيتِ ابنِ شرفٍ ما حكى أنه لما أنشدَه لابنِ رشيقٍ⁴ قال له: هَلْ سَمِعْتَ بهذا

¹ - هكذا في الأصل، ولعل الصواب: الموقدة، كما في سورة الهمزة 104/6-8: "تَارُ اللَّهُ الْمَوْقَدَةَ، الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ".

² - البيت 26 من قصيدة في ديوان المتنبي 372.

³ - سورة الأعراف 155/7.

⁴ - في الأصل: ابن رشيد، وليس مقبولا زمانيا ولا مكانيا (ابن رشيد السبتي توفي سنة 721، وابن شرف القيرواني توفي سنة 463). ورجحنا ابن رشيق لما كان بينه وبين ابن شرف من مهاجاة وعداوة، وقد

المعنى؟ فقال: نعم سمعته، وأخذته أنت وأفسدته، أما الأخذ، فمن النابغة الذبياني حيث قال¹:

وَكَلَّفَتْنِي نَنْبَ امْرِئٍ، وَتَرَكْتَهُ كَذِي العُرِّ، يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

ولما الإفساد، فلأن سبابة المتنم أول شيء يتألم منه، فلا يكون المعاقب غير الجاني، وهذا بخلاف بيت النابغة، فإن المكوي من الإبل يتألم، وصاحب العر لا يتألم جملةً، انتهى.

ومعنى البيت [قريب من] مَثَلِ الْعَامَّةِ "الوجع في الرأس، والكي في العرقوب". ويضاهيه قول القا[ضي] شريح:

عَجِبْتُ لَأَيَّامِ الْخَمِيسِ وَجُورِهَا، وَمِنْ ضَحَكَةٍ فِيهَا تَسْدُ الْمَسَامِعُ
إِذَا أُنْزِبَتْ أَيْدٍ تُعَاقِبُ أَرْجُلَ، كَذِي العُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

وسبب قول القاضي البيتين، أن ولده جاء من المكتب يوم الخميس مضروب الرجلين، فقال له أبوه: ما السبب؟ فقال له: تَخَاطَطْتُ مَعَ تَرْبٍ لِي، فغلبني في الخط، فضربني المعلم على رجلي، انتهى. فتحصل أن القلب بريء من هذه الجناية، وأن العين هي صاحبها، والحققة بالمعاقبة، وأنه لولاها ما عرف القلب للصبابة مذاقاً، ولا تجرع منها كأساً دهاقاً². وأحسن الأرجاني إذ قال³:

أَعْيَيْ كُفًّا عَن فُؤَادِي، فَإِنَّهُ مَنِ الْبَغْيِ سَعْيُ اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدٍ

= توفي ابن رشيقي سنة 460هـ. (انظر المطرب 66-71 والمغرب 232/2 الحاشية، والزركلي. الأعلام 10/7 الحاشية 1).

¹ - في الحاشية: "طبيت من كلام النابغة"، والبيت في ديوان النابغة 81. والغر: الجرب.

² - كأس دهاق: ممتلئة، أو متتابعة، وفي سورة النبأ 78/34: "إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا، وَكَأْسًا دِهَاقًا".

³ - البيت 12 من قصيدة طويلة في ديوان الأرجاني 86.

وقد جزم ابن سهل بأن الجريمة للعين، وبعضهم حصل له الريب في ذلك، فقال:

إِذَا لُمْتُ عَيْنِي اللَّتَيْنِ أَضَرَّتَا بِجِسْمِي وَقَلْبِي، قَالَتَا لِي: لَمْ الْقَلْبَا
وَإِنْ لُمْتُ قَلْبِي، قَالَ: عَيْنَاكَ جَرَّتَا إِلَيَّ الرَّزَايَا، ثُمَّ لِي تَجْعَلُ الذَّنْبَا

لطيفة

ما أقام به محجة الحجة على براءة القلب، واختصاص العين بالذنب، وأنها التي تولت كبره، يستروح منه أن العقل مع الحواس، كالأمير مع الجوازين¹، فمن أدرك منهم أمراً، قاده للأمير من فوره، فصار العقل لا يصله الشيء إلا بها، فهي الموصلة المسببة في الإدراك، وهذا رأي بعض الحكماء. ومنهم من قال: إنه معها كالطاقات الخمس لجالس على سرير، يشرف من كل منها إما يوصل إليه. نكر هذا الخلاف الشهاب القرافي، فليكن على نكرك هنا، انتهى. وقد جعل ابن سهل الهوى ذنباً، وبعض المتطفين يجعله عين الطاعة. وليس على بالي من هذا المعنى إلا قول الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِهِ، فَإِنْ يَقُولُوا بِأَنَّ الْحُبَّ مَعْصِيَةٌ
قَالُوا: أَتَنْسَى الَّذِي تَهْوَى؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: وَكَيْفَ أَنْسَاهُ، وَالْأَشْيَاءُ بِهِ حَسُنَتْ؟
فإِنَّهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامِ إِلَّا وَقُلْتُ جَهَاراً: قُلْ هُوَ اللَّهُ
فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُعْصَى بِهِ اللَّهُ مِنْ الْعَجَائِبِ يَنْسَى الْعَبْدُ مَوْلَاهُ!
يَا قَوْمُ! مَالِكٌ رَوْحِي، كَيْفَ أَنْسَاهُ! مَا غَابَ عَنِّي، وَلَكِنْ لَسْتُ أَبْصِرُهُ

¹ - الجواز: الشرطي، جمعه جلاوزة. (القاموس المحيط: جلوز)، وقد جمعه على جلاوزين كما ترى.

نَكَرَ الذَّنْبَ، وأتى به بعد النفي، لإفادة انتفاء كل نوع من أنواع الذنب. فإن النكرة في سياق النفي تعم. وقمَّ المسند للتخصيص. وعلى نسخة "ما لنفسي وحدها"، يكون قصد الرد على مَنْ زعم أن قلبه انفرد بالذنب فأكد بوحده¹ لدفع شبهة خالجت قلب السامع، وهي اعتقاده انفرد القلب، فيكون القصر لقلب الاعتقاد. فإن قلت: هذا يقتضي ثبوت الذنب للنفس مع كذا، والمنفي اختصاصها به، وهو خلاف ما سلف، قلت: ما ذكرته حق، وقد قال المولى سعد الدين في حواشي الكشف، عن الشيخ: أن ما من كلام فيه أمرٌ زائد على مجرد إثبات الشيء للشيء، أو نفيه عنه، إلا وهو الغرض الخاص والمقصود من الكلام، فالنفي هنا تسلط على توهم الوجدانية لا غير. ومُنْتَهَى ما يستصلح من المعنى حينئذ، أن نفسي اختصصتموها بِنِكالِ الوبال، وحمَلْتُمُوهَا من المحن ما لا يخطر ببال، كأنها انفردت في جريمة الهوى وحدها، وتركتم مشاركتها، وهو العين، كأنها لا مدخل لها في ذلك. ولا يخفى على الأفكار الناقدة لجواهر المعاني، أن المعنى الأول ألطف.

البيان

فيه الكناية، حيث عبر بالذنب، وأراد ملزومه، وهو استحقاق العقوبة، أي لست مُستحقاً لهذه العقوبة التي أقاسيها، لأنه لا ذنب لي يوجبها، فالذنب سبب في وجود العقوبة، فإن قلت: ما سرُّ هذه الكناية؟ قلت: هو في مقام الاحتجاج عليهم، والبرهان اللَّمِّي، عند أرباب المعقول أشرف وأبلغ من الإنِّي، لأن اللَّمِّي يُعْطِي العلة المُستلزمة للوجود، ففيه الاستدلال بالمؤثر على الأثر، والإنِّي عكسه، فأقام الحجة عليهم بأنهم أوجدوا المسبب مع انتفاء السبب، ولو

¹ - بل النفس هي التي أكدت ب (وحدها) على الرواية الثانية.

قال: قلبي لا يستحق ما فعلتموه، لم تقم قيامها بالأول. وعلى ذكر البرهان اللّمي والإتي، فما أحسن قول من قال¹:

تَلَّاهُ مَا لِمُعَذِّبِي فِي حُسْنِهِ شَبَّهَ، فَأَيُّ حَسَاءٍ عَلَيْهِ لَمْ تَهْمُ
لَا مِ الْعِذَارِ، وَمِمُّ مَبْسُومِهِ عَلَى مَا أَدْعِي مِنْ حُسْنِهِ بُرْهَانُ لَمْ

البديع

فيه الجمعُ مع التفريق، وهو كما قال الحلي: "أن تدخل شيئين في معنى واحد، وتفرق بين جهة الإدخال"²، كقوله:

فَوَجَّهْتُكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا، وَقَلْبِي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا

وهو في البيت بين قوله: مِنْكُمْ الْحُسْنُ، وبين قوله: وَمِنْ عَيْيِ النَّظَرُ، حيثُ صيرهُما مشتركين في التسبب في الهوى، لكن العين تسببت من جهة النظر، وهم من جهة الجمال، ومنه قوله:

أَرَى قَمَرَيْنِ³ قَدْ طَلَعَا عَلَى غُصْنَيْنِ فِي نَسَقِ
وَفِي ثَوْبَيْنِ قَدْ صُبِغَا صِبَاغَ الْخَدِّ وَالْحَنَقِ
فَهَذِي الشَّمْسُ فِي شَقَقِ، وَهَذِي الْبَذْرُ فِي غَسَقِ

وفيه، بين (مِنْكُمْ) و(مِنْ عَيْيِ)، طباقٌ خفي، كقوله:

¹ - البيتان مع الحديث عن البرهان اللّمي والإتي في الغيث المسجم 78/1.

² - نص أنوار التجلي 113/1، واستشهد بالبيت بعده.

³ - في الأصل: غصنين، والمثبت عن معاهد التنصيص 5/3.

مَهَى الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ يَأْكَ نَوَابِلُ

وهو بين (هاتا) و(تلك).

وفيه الالتفاتُ عن الغيبة، في (قَلْبِ صَبَّ)، إلى المتكلم في قوله: مَا لِقَلْبِي.

الإعراب

مَا: نافية، يحتملُ أن تكون حجازيةً وتميميةً.

وَنَبَّ¹: اسمُها.

وَلِقَلْبِي: خبرُهُ.

وفي الهَوَى: وصف للذنب، على حدِّ ما: ما لزيدٍ درهمٌ في الدارِ.

وسوى: أداة استثناءٍ بمعنى غيرُ.

والْحُسْنُ: مبتدأ.

وَمِنْكُمْ: خبرُهُ، قَدَّمَ عليه. وكذلك قوله: مِنْ عَيْي. والظاهرُ أنه حذفَ (أَنْ) بعد أداة

الاستثناء، والأصل:

سِوَى أَنْ مِنْكُمْ الْحُسْنُ الْخ..

¹ - في الأصل: قلب، وهو سهو من الناسخ.

أَجْتَنِي اللَّذَاتِ^١ مَكْلُومَ الْجَوَى وَالتَّدَانِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفَكْرِ

اللغة

جَنَى الثَّمَرَةَ، اجْتَنَاهَا، وَهُوَ جَانٍ، وَجَنَاهُ، إِيَّا^٢ه. وَكُلٌّ] مَا يُجْنَى فَهُوَ جَنَى. وَمَا أَحْسَنَ
قَوْلَ الصَّقْدِيِّ فِي مَلِيحٍ قَابِلٍ مَعَهُ كِتَابًا:

جَنَيْتُ خَدَّكَ وَرَدًا غَضًّا، وَقَدَّكَ ذَابِلٌ
فَهَا أَنَا كُلٌّ وَقَتٌ أَجْنِي، وَأَنْتَ تَقَابِلُ

وَمَكْلُومٌ: مَفْعُولٌ مِنْ كَلَّمَهُ يَكْلِمُهُ، جَرَحَهُ، فَهُوَ مَكْلُومٌ. وَكَلِيمٌ. [وَالِاسْمُ كَلَمٌ^٣، وَالْجَمْعُ
كُلُومٌ،

وَالْجَوَى: مَرَضُ الْعَشْقِ وَالصَّبَابَةِ.

وَالْتَدَانِي: مَنْ تَدَانَى، أَيْ تَقَارَبَ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: وَالتَّدَاذَا^٤، وَهُوَ مِنَ التَّدَّى بِهِ التَّدَاذَا.

وَالْحَبِيبُ، وَالْحَبَابُ بِالضَّمِّ، وَالْحَبُّ بِالْكَسْرِ، وَالْحُبَّةُ بِالضَّمِّ: الْمَحْبُوبُ.

وَالْفِكْرُ: جَمْعُ فِكْرَةٍ، وَهِيَ إِعْمَالُ النَّظَرِ فِي الشَّيْءِ.

^١ - فِي الْأَصْلِ: اللَّذَّةُ، وَقَالَ عِنْدَ اسْتِخْرَاجِ مَعْنَى الْبَيْتِ: "وَجَمَعَ اللَّذَاتِ". وَفِي الدِّيَوَانِ 283: اللَّذَاتِ.

^٢ - فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ (جَنَى)، وَهُوَ الْمَعْتَمِدُ عِنْدَ الْإِفْرَانِيِّ: "وَأَجْنَاهَا لَهُ. وَجَنَاهُ إِيَّاهَا".

^٣ - إِضَافَةٌ يَسْتَقِيمُ بِهَا الْمَعْنَى.

^٤ - وَهُوَ الْمَثْبُتُ، كَذَلِكَ، فِي دِيَوَانِ ابْنِ سَهْلٍ.

إِنْ حَبِيبِي، وَإِنْ غَابَ عَن بَصْرِي، فَهُوَ مَخِيمٌ فِي بَصِيرَتِي، وَإِنْ كَانَ بَعِيداً، فَهُوَ قَرِيبٌ
مَنِي بِالتَّفَكُّرِ فِي أَوْصَافِ جَمَالِهِ، فَأَنَا أَعْصُرُ مِنْ ثَمَارِ مُحَاسِنِهِ مَا أَشْتَهِي، وَأَتَلَذُّ بِمَا أُرِيدُ مِنْ
كَمَالِهِ غَيْرَ مُحَجَّوبٍ عَنِّي، وَأَخَاطِبُهُ كَأَنَّهُ قَرِيبٌ حَاضِرٌ، وَيَمَثِّلُهُ تَفَكُّرِي أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ، فَلَا أَحْتَاجُ بَيْنَنَا لِسْفِيرٍ وَلَا بَرِيدٍ. وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ. وَبَعْضُ الْأَصْحَابِ فِيهِ:

وَقَائِلُهُ: مَاذَا الْغَرَامُ بِهِمْ، وَقَدْ حَمَّوْا حُسْنَ نَهْمُ صَوْتاً بِأَرْيَةِ السَّيْرِ؟
فَقُلْتُ: دَعَيْتَنِي وَالْغَرَامُ بِحُبِّهِمْ، فَإِنْ حَجَبُوا عَيْنِي فَمَا حَجَبُوا فِكْرِي

فَأخْبِرْ بَأَنَّهُ فِي مَقَامَيْنِ مِنْ مَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ، الْأَوَّلُ أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِعُلَى جَمَالِهِ فِي سِرِّهِ، وَالثَّانِي
أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُ بِفِكْرِهِ، وَإِنْ نَزَحَتْ دَارُهُ، وَشَطَطَ مَزَارُهُ. فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَمَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

يَجْزِي نِي ثَمَارَ وَصَالِهِ مُتَلَذِّذًا قَلْبٌ بِأَخْذِ النَّوَى مَصْنُوعُ
إِنْ غَابَ عَن عَيْنِي صَحِيحُ جَمَالِهِ، فَحَبِيبُهُ فِي خَاطِرِي مَوْضُوعُ

وَأَمَّا الثَّانِي فَمِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:

أُنْتُ فِي عَيْنِي وَقَلْبِي	وَضَمِيرِي وَجَنَانِي
وَقَوْلَايَ بِكَ مَغْمُوسُ	رٌّ، عَلَى طُولِ الزَّمَانِ
قَدْ تَحَقَّقْتُكَ فِي سِي-	رِّي، وَنَاجَاكَ لِسَانِي
وَلَجْتَمَعْتَنَا لِمَعَانِ	وَأَفْتَرَقْتَنَا لِمَعَانِ
إِنْ يَكُنْ عَيْنُكَ التَّغ-	ظِيمُ عَنْ لَحْظِ عَيَانِي
فَلَقَدْ صَيَّرَكَ الْوَج-	دُ مِنْ الْأَحْشَاءِ دَانِ

وَقَالَ آخَرُ:

وَفِي قُرْبِ الْقُلُوبِ لِكُلِّ صَبٍّ شِفَاءً، لَيْسَ فِي قُرْبِ الدِّيارِ

واعلم أن لاجتماع اللذائذ وجهاً آخر غير التفكير، وهو أن يمني نفسه بوصاليه، ويحدث قلبه بتحنينه وعطفه، فيجد لذلك ارتياحاً وطرباً، كما قال الأرجاني:

أَعْلَلُ بِالْمُنَى قَلْبِي، لَعَلِّي أَفَرِّجُ بِالْأَمَانِي الهمَّ عَنِّي¹
وَأَعْلَمُ أَنَّ وَصْلَكَ لَا يُرَجَّى، وَلَكِنْ لِأَقْلَ مِنْ التَّمَنِّي

وقال آخر²:

فِي الْمُنَى رَاحَةٌ وَإِنْ عَلَلَّتُنَا مِنْ هَوَاهَا بَبْغَضٍ مَا لَا يَكُونُ

وقال ابن رشيقي في هجو الأماني³:

خَلَقَ تَمَنُّوْا فِي الْبُيُوتِ أَمَانِيَا، وَجَمِيعُ أَعْمَارِ اللَّأْمِ أَمَانِي

وقال الخالدي⁴:

¹ - في الأصل، قدّم الشطر الثاني على الأول، وهو لايساير الروي، ولا يخدم المعنى. والبيتان في الغيث المسج 99/2، وديوان الصبابة 198، ومعاهد التنصيص 143/2، وتزيين الأسواق 454.

² - البيت في ديوان الصبابة 201، ومعاهد التنصيص 142/2.

³ - البيت في الغيث المسج 100/2، وديوان الصبابة 202، ومعاهد التنصيص 144/2.

⁴ - البيت، غير معزو، في ديوان الصبابة 192، ومعاهد التنصيص 144/2، ولم أعثر عليه في ديوان الخالدين. والخالديان هما أبو عثمان سعيد، وأبو بكر محمد ابنا هاشم بن وعلة الخالدي، أديبان شاعران، اشتهرا بالاشتراك في نظم الشعر وتأليف الكتب. كانا من خواص سيف الدولة. جمع ديوانهما وحققه الدكتور سامي الدمان، وطبعه سنة 1969. (انظر فهرسة ابن النديم 240، وتاج العروس خلد)، وفوات الوفيات 52-56، 52/4).

مَنْ نَالَ مِنْ نُبَاهِ أُمْنِيَّةٍ، أَسْقَطَ الْإِيَّامَ مِنْهَا الْأَلْفَ

والأبيات في هذا الغرض كثيرة. والحاصل أن اجتناء اللذات فيه احتمالان: إما أن يكون اجتنأوها عبارة عن التفكير في محاسن المحبوب، وإما ما يَرُقُّ بالجوانح¹ من مُنتهى الأمانى وسيأتي مزيدُ تقريرٍ لهذا التعبير. ويرد على ابن سهل في إثبات التفكير له، ما مرَّ إيرادُه في إثبات القلب. وقوله: مَكْلُومَ الْجَوَى، من إضافة اسم المفعول لفاعله. وقوله بالفكر راجع للاجتناء والتداني، فإنَّ كلاَ منهما حاصلٌ بها.

المعاني

عبرَ بالمضارع في (أجتني)، قصداً للدلالة على الاستمرار والدوام. وأتى بافتعل فيه، إشعاراً بأنه أمرٌ ليس هو كذلك في الخارج. وجمع اللذات إشارةً إلى كثرتها. فإن قلت: جمع السلامة من جموع القلة عند الإمام، فكيف عبر به ولم يعبر بما هو من جموع الكثرة؟ قلت: بمثل الذي أورنته اعترض النابغة² على حسان ابن ثابت رضي الله عنه في قوله:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يُلْمَعْنَ بِالضُّحَى، وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ نَمَّا

وقال له: يافتى: قللت جفانك. ذكرَ هذا الشيخُ أبو علي³ في زهر الأكم، فراجع بقية الحكاية. ووقع الجوابُ عن الاعتراض، كما قال الشيخُ ياسين في حواشي الخلاصة⁴، فإنَّ

¹ - في الأصل: الجوانح، وزاد حرف الجر في (ج)، مع شكل (يَرُقُّ).

² - في الأصل: الأعشى، والمعتريض، في المشهورة، النابغة الذبياني (انظر حواشي الخلاصة 390/2).

³ - انظر التعريف بأبي علي اليوسي في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة والأدب، وقد خصته مجلة المناهل التي تصدرها وزارة الثقافة بالرباط بعددها 15.

⁴ - هي: حواشي الشيخ ياسين الحمصي نزيل مصر على خلاصة جمال الدين ابن مالك

(من مقدمة الطابع 1/1). طبعت بالمطبعة المولوية بفاس العليا سنة 1327هـ، وبهامشها شرح ابن مالك لكافيته (انظر الصفحة 1/1 وفيها تعريف موجز بالمؤلف).

جمع السلامة للقلّة ما لم يُضَفْ، أو تَخَلَّ عنْه (أل)، فيصيرُ للكثرة، ومصدق هذا قولهم: (أل)، إذا دخلتْ على الجمع أبطلتْ جمعيته، انتهى. قلت: وعندي في هذا الجواب نظر، فإنَّ كَوْنَ جمع السلامة إذا دخلتْ عليه (أل) يصيرُ للكثرة، يرُدُّه أنه لو كان كذلك، ما اعترض النابغة على حبلن، أو لا تنصر حسان لنفسه، كيف وقد قيل إنه لما اعترض عليه سكت ولم يجد جواباً، فإن كان ما ذكر من الجواب أخذ من تتبّع كلام العرب، فهذان فحلان من فحولهم لم يفهماً ذلك، مع أنَّ مثله، لو كان، سليقة فيهم! وإن كان باصطلاح حدث، فلا عبرة به مع هذا، فتأمل.

ونكتة قوله: مكلوم الجوى، الإيدان بأن جرحه لا يمنعه من اقتطاف ثمار اللذائذ، فهو في غيبة عن ذاته، مستغرق في مشاهدة محبوبه، فكأنه يقول: لذتُ وأنا مؤلّم لا شعور لي بالمي. والإضافة في "حبيبي" للذائذ.

ويقول الشيخ ياسين:

"..وبعد فهذه فوائد تتعلق بألفية الإمام ابن مالك "جمعها من عدة مصادر

(حواشي الخلاصة 2/1).

ونص كلامه، بعد أن أورد بيت حسان ورأي الرضي وابن خروف:

"واعلم أنهم قالوا إذا قرن جمع القلة بـ "أل" التي للاستغراق، أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة". وعلى هذا يردُّ مقال النابغة على حسان، ويقال إن حساناً أجابه بذلك، لأن قوله: "أسيفنا أضيف إلى ما يدل على الكثرة".

(المصدر السابق 390/2-391).

ولم ترد فيه العبارة: "أل إذا دخلت على الجمع أبطلت جمعيته". ونرى أن معنى "أبطلت جمعيته" أخرجه للدلالة على استغراق الجنس، واسم الجنس يدلُّ على معنى الجمع.

¹ - أي لكان سليقة فيهم.

تَمَاجَزَ فِي قَوْلِهِ: أَجْتَنَى، حَيْثُ اسْتَعْمَلَهُ فِي حُصُولِ اللَّذَاتِ، وَالْمُحَسَّنَ لِنَظَرِ الْإِثْنَانِ بِمَا يُلَازِمُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ، وَهُوَ الثَّمَارُ وَمَا شَأْنُهُ أَنْ يَقُطِفَ، فَإِنَّهُ شَبَّهَ اللَّذَاتِ بِالثَّمَارِ تَشْبِيهًا مُضْمَرًا فِي النَّفْسِ، اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ. وَأَتَى بِمَا يَلِثَمُ الثَّمَارَ، وَهُوَ الْاجْتِنَاءُ، فَأَثْبَتَهُ لَهَا اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً هَذَا عَلَى مَذْهَبِ صَاحِبِ التَّلْخِصِ. وَعَلَى مَذْهَبِ السَّلَاكِيِّ فَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا تَخْيِيلِيَّةٌ فَقَطْ، وَمَذْهَبُهُ مُقَرَّرٌ فِي مَحَلِّهِ. وَالْجُرْحُ وَإِسْنَادُهُ، مَجَازَانِ أَيْضًا.

البديع

فِيهِ الطَّبَاقُ بَيْنَ اللَّذَةِ وَالْأَلَمِ. قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ: هُوَ الْإِثْنَانُ بِلَفْظَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ، انْتَهَى. قَالَ الْحَلِّيُّ: وَهُوَ عَلَى ضُرُوبٍ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِبَيَانِهَا. وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي الْأَنْوَارِ¹: بَيَانُهَا أَنَّهُ عَلَى قَسَمَيْنِ: مَا يَكُونُ مِنْ لَفْظَيْنِ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ، وَمَا يَكُونُ مِنْ مُخْتَلِفَيْنِ، وَالْأَوَّلُ إِمَّا مِنْ اثْنَيْنِ، نَحْوُ: "وَتَحْسِيهِمْ أَقْطَاطًا وَهُمْ رَقُودٌ"²، وَفَعْلَيْنِ: "تُعَزُّ مَنْ نَسَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ نَسَاءُ"³، أَوْ حَرْفَيْنِ نَحْوُ: "لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"⁴، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْمِفْصَلِ⁵: كَسَبَ بِمَعْنَى أَصَابَ، وَاكْتَسَبَ لِلتَّصَرُّفِ وَالطَّلَبِ. وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ: "أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ"⁶. وَمِنْ الطَّبَاقِ قَوْلُ بَشَّارٍ⁷:

¹ - انظر الكلام اللامع عن الطباق في أنوار التجلي 30/1 بتوسع.

² - سورة الكهف 18/18.

³ - سورة آل عمران 26/3.

⁴ - سورة البقرة 286/2.

⁵ - شرح المفصل 760 نقلا عن سيبويه.

⁶ - سورة الأنعام 121/6.

⁷ - البيت 23 من قصيدة لبشار في ديوانه 214.

إِذَا لَقِيتَكَ خُرُوبُ الْعِدَا فَنَبَّهَ لَهَا عَمْرَأُ ثُمَّ نَمَّ

الإعرابُ

أَجْتَنِي: فعلٌ مضارعٌ، وفاعلهُ مُستترٌ فيه. وكانَ هذا كلامَ مُستأنفٍ عما قبله لا عِلَّةَ له به، والأصل: فما أَثذا أَجْتَنِي وأُنو، أَي حينَ نَأَيْتُم، صَبَرْتُ على حُكْمِ النَّوَى، فحالي بعنكم أَني أَجْتَنِي إلخ.. وفائدةُ هذا الاستئنافِ تسليَةُ خاطرِهِ، وترويحُ نفسِهِ. والاستئنافُ، قد يلاحظُ فيه أمثالُ هذا. وفي الكشفِ عندَ قوله تعالى: "لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا"¹، أَنَّ الجُمْلَةَ استئنافٌ قصدَ به التعليلَ. قال: وهو أبلغُ.

واللذاتُ: جمعٌ لذَّةٍ، منصوبٌ على أَنه مفعولٌ به، منصوبٌ بالكسرة لكونه جمع مؤنثٍ سالمٍ. وما ألقى قولَ القائلِ:

قُلْتُ لَمَّا تَجَمَّعُوا وَبِقَتْلِي تَحَنَّنُوا:
لَا أَبَالِي بِجَمْعِهِمْ، كُلُّ جَمْعٍ مُؤَنَّثٌ

ومكْلومَ الجَوَى: منصوبٌ على الحالِ، من فاعلِ "أَجْتَنِي".

التَّدَائِي: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً، وَبِالْفِكْرِ، وَمِنْ حَبِيبِي: حالٌ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفاً عَلَى قَوْلِهِ: اللذاتُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ²:

وَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ، وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ، اهْتَدَى لِيَا

¹ - صلة الآية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا". (آل عمران 118/3).

² - يَقْصِدُ أَنْ "وَ" دَارِي "فِي الْبَيْتِ بَعْدَهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَאוْ حَالٍ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَرْفُ عَطْفٍ.

فإن قلت: التداني لا يُجتى، قلت: بالطريق الذي اجتيت به الذات، يجني الجاني ثمار التداني، ولو سلم ما أورنته، جعلناه من باب المشاكلة اللفظية، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، تحقيقاً أو تقديرًا، كقوله:

قَالُوا: اقْرَحْ شَيْئاً نَجِدَ لَكَ طَبْخَهُ، قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

وكقول بعض العراقيين في قاضٍ، شهد عنده بروية هلال شوال، فلم يقبل شهادته:

أَتَرَى الْقَاضِيَ أَعْمَى أَمْ تَرَاهُ يَتَعَلَّمُ!
سَرَقَ الْعَيْدَ كَانَ الْـ عَيْدَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى

ومن هذا ما ذكر أن رجلاً شهد عند شريح، فقال له: إنك لَسَبَطٌ¹ الشهادة، فقال الرجل: إنها لم تجعّد عندي.

وعلى نسخة (التنذاد)، فهو منصوبٌ على المصدرية، وناصبه من لفظه: التذّ، مَقْرَأً. ويكون، على هذا، من عطف مرادفٍ مفسرٍ.

¹ - السبط: ضد الجعد، وفيه تعريض بشهادة الزور.

وَإِذَا أَشْكُو بَوْجَدِي بِسَمًا كَالرَّيِّ وَالْعَارِضِ الْمُنْبَجِسِ¹

اللغة

أَشْكُو: من شكا أمره شكوى وَيَنُونُ، وشِكَايَةً وشَكَاوَةً، وشَكَّى واشتكى. وشَاكُواً:
شَكَأ² بعضهم إلى بعض. والشَّكْوَى: المرض. وكَغْنِيٍّ: المريض، وَمَنْ يَمْرُضُ أَقْلُ المرضِ
وأهونه.

وَالْوَجْدُ: الحُبُّ، من وجد به وَجْدًا، كذا في الحُزْنِ، لكن يُكسر ماضيه³.

"وَيَسَمُّ يَسِمُ بِسَمًا، وَيَتَسَمُّ وَيَتَسَّمُ، وهو أَقْلُ الضَّحْكِ وأحسنه"⁴. كذا قال في القاموس.
وفي العَرِيزِي على الغريب: التَّبَسُّمُ أَوَّلُ الضَّحْكِ الذي لا صوتَ له، وفي الجزولي على
الرسالة: التَّبَسُّمُ أَوَّلُ الضَّحْكِ ونشراحُ الوجه وإظهارُ الفرح، انتهى. وأوردَ على كونِ التَّبَسُّمِ
أَوَّلَ الضَّحْكِ قوله تعالى: "تَبَسَّمَ ضَاكِحًا"⁵، وأجيبَ بأنَّ المعنى شارعاً في الضحك، قاله
الشَّهابُ أفندي في شرح الشفا.

وَالرَّيُّ: جمعُ رِيَّةٍ، مُثَلَّثَةٌ: ما يَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ. وقولهم: رَبَّاءُ، ليرتفع وزاد، ومنه للربَّاءِ

¹ - ديوان ابن سهل 284.

² - في الأصل: أشكى، والمثبت ما في القاموس المحيط (شكا). وعليه اعتمادُ الإفراني هنا.

³ - القاموس المحيط (وجد) بتصرف.

⁴ - للمصدر السابق (يسم).

⁵ - سورة النمل 19/27.

في البيع، ويُقال: ربّوّة ورُبّوّة¹، قاله أبو الحجاج البلّوي. قلتُ: قيلَ في قولهِ تعالى: "إلى ربّوّة ذاتِ قرارٍ ومَعِينٍ"². إنها دمشق، وقيلَ بيتُ المقدس، وإنما سماها الله ربّوّة لما قال كعبُ الأحبار: وإن بيتَ المقدسِ أقربُ إلى السماءِ بِثمانيةِ عشرَ ميلاً. و"ذاتِ قرارٍ": يُستقرُّ بها للعمارة، "ومعينٍ": ماءٌ طاهرٌ جامد. وفي حسنِ المحاضرة أنها مصرٌ.

والعارضُ: السحابُ المعترضُ في الأفق، وصقّةُ الخدّ، والعارضُ من الوجه: ما يبدو عندَ الضحك، والعارضُ: العذارُ، ولله القائلُ:

لَمَّا بَدَأَ فِي خَدِّهِ عَارِضٌ، وَشَاقَ قَلْبِي نَبْئُهُ الْأَخْضَرُ
أَمْطَرَ أَجْفَانِي مُسْتَقْبِلاً، فَقُلْتُ: هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرٌ³

آخر⁴:

لَمَّا بَدَأَ الْعَارِضُ فِي خَدِّهِ بَشَّرْتُ قَلْبِي بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ
وَقُلْتُ: هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرٌ، فَجَاءَ نِي مِنْهُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

وقال ابنُ المعتز⁵:

وَتَكَادُ الشَّمْسُ تُشْبِهُهُ، وَيَكَادُ الْبَرْقُ يَخْكِيه
كَيْفَ لَا يَخْضَرُ عَارِضُهُ وَمِيَاهُ الْحُسْنِ تَسْقِيهِ!

¹ - في القاموس المحيط (ربا) : "الربوّة والرّبّوّة مثلثتين والرّابية والرّباة: ما ارتفع من الأرض".

² - سورة المؤمنون 50/23.

³ - اقتباس من سورة الأحقاف 24/46 : "قالوا هذا عارضٌ مُمَطِّرُنَا".

⁴ - البيتان في الغيث المسجم 21/1، وديوان الصبابة 204، وتزيين الأسواق 456.

⁵ - ديوان ابن المعتز.

لَقَدْ كُنْتُ لِي وَخْدِي، وَوَجْهَكَ خَضِرْتِي
وَكُنَّا، وَكَانَتْ لِلزَّمَانِ مَوَاهِبُ
فَعَارَضْنِي فِي وَرْدِ خَدِّكَ عَارِضُ
وَزَا حَمْنِي فِي وَرْدِ رِيْقِكَ شَارِبُ

آخِرُ²:

رَقَّتْ حَوَاشِي خَدِّهِ مِنْ حُسْنِهِ،
فَقَلْبُونَا شَغَفًا عَلَيْهِ رِقَاقُ
مَا كَانَ عَارِضُهُ السَّوَادَ وَإِنَّمَا
نَفَضْتُ عَلَيْهِ سَوَادَهَا الْأَحْدَاقُ

وقال الخالدي:

يَا خَطَّ عَارِضِهِ، لَقَدْ عَرَضْتَنِي
لَلْهَيْبِ نَارِ صَبَابَةٍ لَا تَنْطَفِي
شَيْطَانُ لَحْظِي، مَتَ بَغِيطِكَ حَسْرَةً
قَدْ عَوْنَتْ بِالنَّمْلِ سُورَةُ يُوسُفَ³

ولابن سهل⁴:

إِنْ طَافَ شَيْطَانُ السُّكُورِ بِخَاطِرِي،
فَقُشَابُ شَوْقِي فِي الْمَكَانِ يُصِيبُهُ

والأبيات في هذا المعنى كثيرة. ولولا أنه لا يُعَدُّ بالعارض⁵، لأملينا عليك ما قيل في

¹ - لم نجدهما في ديوان ابن نباتة، ونسبها في معاهد التنصيص 102/4 لـ "العز الموصلي".

² - في نهاية الأرب 86/2 لعبد الله بن سارة الإشبيلي:

وَمُعْذِرُ رَقَّتْ حَوَاشِي حُسْنِهِ، وَقَلْبُونَا حَزْرًا عَلَيْهِ رِقَاقُ

لم يكسُ عَارِضُهُ السَّوَادَ، وَإِنَّمَا نَفَضْتُ عَلَيْهِ صِبَاغَهَا الْأَحْدَاقُ

³ - اقتباس من الآية : "قُلْ: مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ". آل عمران 119/3، و"النمل"، و"يوسف" سورتان من سور

القرآن، ترتيبهما في المصحف 27، 12.

⁴ - ديوان ابن سهل 84.

⁵ - المقصودُ بالعارض هنا الذي يعرض بضاعته أو نفسه، فيبتذل.

العارض. وقد رأيتُ في استقصاء ما قيلَ فيه مُجلداً للشمسِ النّواجي، سماهُ خلعُ العذارِ في مدحِ العذار.

والمُنْبَجِسُ: الممطرُ الذي يلوحُ ماؤُهُ. من انبجسَ ينجسُ، "والانْبجاسُ: النبوغُ في العينِ خاصةً، أو عامٌ"¹، وبجسَ الماءُ ينجسُهُ: شَقَّه، وفلاناً: شَتَّمَهُ. بُجوساً، وبَجَسَهُ تَبَجَّساً: فجرَهُ فانْبجسَ. فإن قيلَ: لِمَ قالَ اللهُ تعالى في آيةٍ: "فانْبَجَسَتْ"²، وفي آيةٍ: "فانْفَجَرَتْ"³، فالجوابُ ما قالَهُ الفخرُ الرازي، أن الانْبجاسَ أَضيقُ من الانفجارِ، لأنَّهُ يكونُ أولاً، والانْفجارُ ثانياً، وقيلَ: هما بمعنى واحدٍ، كانْبَجَسَ وتَبَجَّسَ. [انتهى].

المعنى

يعني أن الحبيبَ لما لم يَنقُ ما نَفَقَهُ، ولا تَجَرَّعَ ما تَجَرَّعْتُهُ، يَضْحَكُ مِنِّي إذا ذَكَرْتُ لَهُ ما أَكَلَبَدُهُ في هَوَاهُ، وتَحَمَّلْتُهُ من بَلَوَاهُ، لأنَّهُ لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا من يُكَابِدُهُ. فحالتي معه كحالَةِ الآكامِ مع السحابِ الممطرِ، فهي ضاحِكَةٌ من بكائِهِ، مُتَسَلِّيةٌ مُسْتَبْشِرةٌ لِحُزْنِهِ وَكَمَدِهِ. فالرُّبِّيُّ هِي أَزْهَارُهُ اليانعةُ، وأوصافُهُ الجامعةُ المانعةُ. والعارضُ المنْبَجِسُ: هو الأنواءُ المُتَسَكِّبَةُ، والغَيُوثُ المُتراكمةُ، والنتيجةُ لمثلِ هذا الكلامِ الإعلامُ بأنَّ ما يَطْلُبُهُ بالشكايةِ، يُؤَوِّبُ لَهُ بِشَدِيدِ النكايةِ، وأنَّ شِكْوَاهُ لا تَغْنِي عَنْهُ شَيْئاً، بل تَزِيدُهُ إِسَاءَةً، فهو معه كقولِ الأَرَجاني⁴:

مَالِي شَكَوْتُ إِلَيْكَ نَارَ جَوَانِحِي لَتَكُونَ مُطْفِئَهَا، فَكُنْتَ الْمُشْعِراً!

¹ - القاموس المحيط (بجس).

² - في سورة الأعراف. 160/7 "أن اضرب بعصاك الحجر، فانْجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا".

³ - في سورة البقرة 60/2 "فَلَمَّا اضْرَبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا".

⁴ - ديوان الأرجاني 300.

وقولي:

وَفِي الْفِ الْوَصْلِ اشْتَكَيْتُ لِقْدَهُ، فَأَبْذَلَهَا مِنْ حِينِهِ هَمْزَةَ الْقَطْعِ

وقال آخر:

أَعْلَمْتُهَا بِصَبَابَتِي فَتَعَجَّبَتْ، فَكَأَنَّمَا أَعْلَمْتُهَا بِمُحَالٍ
أَبْكِي وَتَضْحَكُ مِنْ شَكَائِي، وَكُنَّا¹ فِي حَالِهِ آتٍ بِوَفْقِ الْحَالِ

وقال آخر:

ضَحِكْتَ إِذْ رَأَيْتُ بُكَائِي عَلَيْهَا ضَحِكَ الرُّوضِ مِنْ بُكَاءِ الْغَمَامِ

واعلم أن سببَ هذا الضحك هو كونُ المحبوبِ لم يعرفِ الوجدَ، ولا ذاقَ مرارته، فإذا سَمِعَ الشكايةَ بذلكَ تعجَّبَ لأنه أدركَ أمراً غريباً لم يُحِطْ وُجْدَانُهُ بِمَعْنَاهُ. ولذلك ترى بعض الشعراء يدعو على محبوبه بأن ينوقَ شيئاً من غُصصِ الهوى، ليَلِينَ قَلْبُهُ، ويرقَّ لعاشقِهِ² ويرحمَهُ لعلمِهِ بما هم فيه من المشاقِ العظيمةِ، قال الشاعر³:

وَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنَّهُ غَيْرُ زَائِرِي وَأَنْ هَوَاهُ لَيْسَ عَنِّي بِمُنْجِلِي،
تَمَنَّيْتُ أَنْ يَهْوَى وَيَجْقَى، لَعَلَّهُ يَقَاسِي مَرَارَاتِ الْهَوَى، فَيَرْقَ لِي

وقال آخر⁴:

¹ - غير مستقيم إلا بحذف الواو.

² - الباء غير واضحة في الأصل و(ب) وأثبتناها لاقتضاء السياق لها، وفي (ج): "لعاشقه ويرحمه لعلمه بما هو فيه".

³ - البيتان في الغيث المسجم 93/2، وديوان الصبابة 192.

⁴ - البيتان في المصدرين السابقين.

مَحْتَبُوبُهُ كَالْقَمَرِ السَّارِي:
مِنْ طَرَفِهِ الْوَسْطَانِ بِالنَّارِ

قُلْتُ لِمَحْتَبُوبِي، وَقَدْ مَرَّ بِي
هَذَا الَّذِي يَأْخُذُ لِي طَرَفَهُ

وَقَالَ آخَرُ:

يَزِيدُ عَقْلِي خَبَالًا
أَعَادَ رُشْدِي ضَلَالًا
يَقُولُ: يَا رَبِّ، لَا، لَا

يَا ذَا الَّذِي كُلَّ يَوْمٍ
وَالْهَقِّي¹ فِيهِ، حَتَّى
أَدْعُو عَلَيْكَ، وَقَلْبِي

وَقَالَ آخَرُ:

أَرَأَيْكَ فِي الْعِشْقِ مِثْلِي
يَا رَبِّ لَا تَسْجِبْ لِي

فَقُلْتُ: لَا مِثَّ حَتَّى
وَقُلْتُ فِي السَّرِّ مِنْهُ:

وفائدة الشكاية ترويح النفس، ولو بمجرد إصغاء السامع. لأنَّ سماع الشكوى وبثها فيه تخفيفٌ على الفكر، وراحةٌ للخطر. قال:

وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي مُرُوءَةٍ يُوَسِّيكَ، أَوْ يُسْلِيكَ، أَوْ يَتَوَجَّعُ

ونيل عليه السراج الوراق:

وَأِنْ كَانَ مِنْ وَصْفِ الْمُرُوءَةِ خَالِيًا، يُرَائِيكَ، أَوْ يُبْكِيكَ، أَوْ لَيْسَ يَسْمَعُ

واعترض الصلاح، على عانيته في المناقشة والإقصاد على الشعراء على السراج في

¹ - هكذا في الأصل مع إشارة التصحيح (صح) فوقها، وفي (ج): ولهنِّي فيك، وفي ديوان الصبابة 190: ولهنتي، وورد البيتان كذلك في الغيث المسجم 93/2.

دعواه أنه زاد، وإنما بدل الألفاظ، فإنَّ الرياء¹ من المواساة، والبكاء من التوجع، وعدم السماع من عدم المروءة. قال: فهو في دعوى الزيادة كقول الحاجي²:

أَقُولُ: شَبَّهَ لَنَا جِسْمَ الرَّشَا تَرْفَاءً، يَا مُدَّعِي الْفَضْلِ فِي وَصْفٍ وَإِتْبَاءٍ
فَرَّاحٌ يُفَكِّرُ فِيمَا قُلْتَهُ زَمَنًا، وَشَبَّهَ الْمَاءَ، بَعْدَ الْجُهْدِ، بِالْمَاءِ

وبعضُ النَّاسِ يرى أن العاقلَ من كَتَمَ أمره، ولم يشك لأحدٍ، عملاً بقول القائل³:

لَا تُظْهِرَنَّ لِعَانِذٍ أَوْ عَانِذٍ حَالِيكَ فِي الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ
فَلِرَحْمَةِ الْمُتَوَجِّعِينَ حَرَارَةٌ فِي الْقَلْبِ، مِثْلُ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

فقد يكون بعضُ الأصحاب، كما قال أبو بكر بن ماء السماء الأندلسي⁴:

لَا تَشْكُـوْنَ، إِذَا عَثَرْتَ إِلَى صَدِيقٍ سُوءَ حَالِيكَ
فَيُرِيكَ أَنْوَاعاً مِنَ الْإِذْلَالِ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِيكَ

والعلمُ المشهورُ في هذا قولُ أبي الطيب⁵:

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمَتَهُمْ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعُقْبَانِ وَالرَّخَمِ

¹ - في الأصل: الراي، والصواب ما أثبتناه عن الغيث 94/1، وفيه البيتان وتعليق الصلاح عليهما.

² - في الغيث المسجم 95/1: "شهاب الدين الحاجي.. من أهل العصر".

³ - البيت والتعليق عليه في الغيث المسجم 97/1.

⁴ - المصدر السابق.

⁵ - ديوان المتنبي 513.

نكتة الإتيان بإذا، الإشعار بقصد الاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلية، فإن (إذا) يُقصدُ بها الدلالة على ذلك، ومنه: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا.. وَإِذَا خَلَوْا"¹، أي هذا شأنهم. وكذا قوله: "وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى"². قاله الجلال السيوطي في كتاب الخُود له، ومنه نقلتُ. فعلى هذا فمراده أن شأنه مع حبيبه ما وصفه، فهما كذلك دائماً، ومن نكت (إذا) هنا العموم في الخبر، أي: كلما سكوت له بسم، وبهذا فارقته (إن) الجزائية، قاله ابن عصفور. ومن نكتها أيضاً إفادة أن الشكاية والتبسم وقعا معاً، لأن إذا لا تدخل إلا على ذي اليقين، أو ما هو بمنزلة من المظنون والكثير الوقوع، بخلاف (إن) فإن قلت: وما تصنع بقوله تعالى: "وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ.. ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ"³، وقوله: "أَفَإِنْ مَاتَ"⁴، قلت: أجاب السكاكي عن الأول، بأنه قصد التوبيخ والتفريع، فأتى بها تخويفاً وإخباراً لأنهم لا بد أن يمسه شيء من العذاب، واستفيد التقليل من لفظ المس، وتكثير الضرر. وأجاب الزمخشري عن الثاني، بأن الموت لما كان مجهول الوقت، أجري [مجرى]⁵ غير المجزوم.

1 - تمام الآية : "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا، قَالُوا: آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ، قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ". سورة البقرة 14/2.

2 - سورة النساء 142/4.

3 - في الأصل: "وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ.. ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ". وفيه وضع (الإنسان) مكان (الناس)، انظر سورة الروم 33/30 : "وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ، ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً، إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ".

وفي سورة الزمر 8/39 : "وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ". وقد خلط الإفرائي بين الآيتين.

4 - سورة آل عمران 144/3، وتمام الآية : "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ".

5 - إضافة يقتضيها السياق.

وقال الحوفي: الذي أظنه أن (إذا) يجوزُ دخولها على المظنون والمشكوك، لأنها ظرفٌ وشرطٌ، فبالنظر للشرط تدخلُ على المشكوك، وللظرف على المتيقن كسائر الظروف.

وخصَّ الربى بالذكر، لأنَّ أزهارها أينعُ من أزهار الأوهام، لاستحكام هوائها، واعتدال مزاجها فمن تمَّ كملت غصارةُ أفنانها، وهذا وجهُ قوله تعالى: "إلى ربوة¹" ولأنَّ التناثف² يكونُ في تربها ندوةٌ في الغالب وتلازمها برودةٌ. وقد قيل: إن البردَ يصفُرُ الألوانَ ويحسنُها بخلاف الحرارة، ولهذا تجد ألوانَ سكانِ الجبالِ صافيةً لواقح، قال الشاعر:

صفاً لوتها ولزاداً حسناً، وكيفَ لا ومسكنها فوقَ الجبالِ الشوامخ!

فائدة

على ذكرِ سُكنى الجبالِ، فرأيتُ في تاريخ أبي العباسِ بنِ عذاري المسمى بالبيانِ المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ما نصه: قال الإشبيلي في مسالكه: "إنَّ البربر، حينَ دخلوا المغربَ وجدوا الإفرنج قد سبقوهم إليه، فأجلوهم حتَّى اصطَلَحُوا على أن يسكنَ البربرُ الجبالَ، ويسكنَ الإفرنجُ الأوطنةَ، فبنوا المدنَ بها"³. انتهى.. وهذا هو السرُّ في كون البرابر إلى الآن لا يسكنون إلا في الجبالِ.

البيان

فيه تشبيهُ المحبوبِ بالرُّبى، ودموعُ العاشقِ بالعارضِ المتفقِ، والمرادُ من تشبيهه:

¹ - سورة المؤمنون 50/23، وتام الآية: "وجعلنا ابنَ مريمَ وأمهَ آيةً، وآييناهما إلى ربوة ذاتِ قرارٍ ومعينٍ".

² - التناثف، مفردة تنوفاً: القفرُ من الأرض، وقيل الأرض المتباعدة الأطراف، وقيل المقفرة البعيدة وإن كانت معشبة. (لسان العرب: تنف).

³ - البيان المغرب 20/1.

المحبوب تمثيل وجهه وبديع محاسنه بالأزهار اليناعة في الروابي المتفتحة عن أكاميها، حتى كأنه احتوى على صنوف الأزاهر، وضروب الرياحين، كما قال ابن المزين¹:

وَجَعَلْتُ غُصْنِ قَوَامِهِ لِي شَمْعَةً فِي مَجْلِسِي، وَخُدُودُهُ تَفَاحِي
وَمِنْ اللّٰوَاظِ نَرْجِسِي، وَعِذَارُهُ آسِي، وَمَعْسُولُ الْمَرَّاشِفِ رَاحِي
وَالْوَجْهَ بَنَدْرِي، وَالثَّنَائِيَا أَنْجُمِي، وَالشَّعْرُ لَيْلِي، وَالْجَبِينُ صَبَاحِي
وَأَقُولُ: يَا سَيِّدِي، لَقَدْ نِلْتُ الْمُنَى جَمَعَ الْحَبِيبُ مَجَالِسَ الْأَفْرَاحِ

وكما قيل²:

يَقُولُونَ: فِي الْبُسْتَانِ لِلْعَيْنِ نَزْهَةً، وَتَهَرُّ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي غَيْرُ آسِنِ
[إِذَا] شَيْتَ أَنْ تَلْقَى الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا فَفِي وَجْهِهِ مَنْ تَهْوَى جَمِيعُ الْمَحَاسِنِ

ومنه قول صاحب الزجل³:

جَنَّانٌ، يَا جَنَّانَ اجْنِ مِنَ الْبُسْتَانِ الْيَاسْنَ _____ مِينِ
وَاتْرِكِ الرَّيْحَانَ بِحُرْمَةِ الرَّحْمَنِ لِلْعَاشِقِ _____ نِ

قال صاحبُ عنوانِ الدراية: ذُكر أن قائلًا أنشدَ هذا الزجلَ بحضرة الفتح أبي الحسن الحرّالي فسأل بعض من حضر عن معناه، فقال بعضهم: أشار إلى العذار، لأنّ ولوع القائل كان به، وقال بعضهم: إنّما أشار إلى دوام العهد، لأنّ الأزهار كلّها تتقضي أزمانها،

¹ - في حلبة الكميت 35: "ابن المزين لبيكم".

² - نسبهما في حلبة الكميت 35 لابي العلاء المعري، وفيها:

وفي الراح والماء الذي غير آسن

ولم اعثر عليهما لا في شرح سقط الزند، ولا في لزوم مالا يلزم.

³ - ورد البيتان في نفح الطيب 182/2 ضمن زجل طويل لمحي الدين بن العربي.

والريحانُ يومُ عهدُهُ ولا ينقضي في زمانٍ، فاستحسنَ ذلكَ الشيخُ، انتهى¹. قلتُ ما أجابَ به
الثاني أخذهُ من قولِ الشاعرِ:

أَرَى عَهْدَكُمْ كَالْوَرْدِ، لَيْسَ بِدَائِمٍ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
وَعَهْدِي لَكُمْ كَالْأَسْحَابِ حُسْنًا وَبَهْجَةً لَهُ نَضْرَةٌ تَبْقَى، إِذَا ذَهَبَ الْوَرْدُ

وتمثيل² مع المحبوبِ بالمطرِ المسكوبِ. وقد أكثرَ الشعراءُ في ذلكَ، قال ابنُ قلايس:

كَالْغَيْثِ³، وَالْكَافُ، إِنْ أَنْصَفْتَ، زَائِدَةٌ فِيهِ، فَلَا تَحْسِبْنَهَا كَافَ تَشْبِيهِ

آخرُ:

يَحْكِي السَّحَابُ مَدَامِعِي، لَكِنَّهُ مَاءٌ، وَنَوْءُ مَدَامِعِي مِنْ عَنَمٍ
ذَابَتْ حُسْنَانُهُ مُهْجَتِي، فَلِذَا تَرَى أَجْقَانَ عَيْنِي فَأَيْضَاتٍ بِالْمِثْمِ

والثاني كقول أبي القاسمِ العطارِ:

مَا أُنْمَعِي تَهْلُ سَحَاءً، إِنَّمَا هِيَ مُهْجَتِي سَالَتْ عَلَى الْأَمَاقِ⁴

وقال ابنُ العويرة:

كَانَتْ لُمُوعِي حُمْرًا قَبْلَ بَيْنِهِمْ فَمَذْنُؤُوا قَصَرَتْهَا بَعْدَهُمْ حُرْقِي⁵
قَطَفْتُ بِاللَّحْظِ وَرَدًا مِنْ خُدُودِهِمْ، فَاسْتَقَطَرَ الْبَيْنُ مَاءَ الْوَرْدِ مِنْ حَقِّي

¹ - عنوان الدراية 43.

² - عطف على قوله السابق: "فيه تشبيه المحبوب بالربى".

³ - في الغيث المسجم 52/1: كالبحر. وفيه: "ابن قلايس يمدح الحافظ السلفي".

⁴ - الأماق: مجرى الدمع من العين.

⁵ - في الأصل:

وما أحسن قول المسعودي¹:

قَالَتْ: عَهْدُكَ تَبْكِي	نَمًا، حَذَارَ التَّنَائِي ²
فَمَا لِعَيْنَيْكَ جَاعَتِ	بَعْدَ الْمَاءِ بِمَاءٍ؟
قُلْتُ: مَا ذَاكَ مِنِّي	لِسَانُ وَهْءٍ وَعَزَاءِ
لَكِنْ لَمَوْعِي شَابَتْ	مِنْ طُولِ غَمْرِ الْبُكَاءِ

والأبيات في أنواع الدموع لا تنحصر. وقد رأيت تأليفاً مستقلاً في ذلك للصالح الصفدي، سماه لذات السمع، في صفات النعم.

فإن قلت: تشبيه الوجه بالروض، في البيت ما يفيد، وأما تشبيه الدمع بالعارض، فليس للدمع نكر. قلت: شهرة ذلك تُغني عن إيراده، لأنَّ الدمع يُلزمُ الوجه، ولله القائل:

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبٍّ،	وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ
تَرَاهُ بَاكِياً فِي كُلِّ حِينٍ،	مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لَاشْتِيَاقِ
فِيكَ، إِنْ نَأَوْا، شَوْقاً إِلَيْهِمْ،	وَيَبْكِي، إِنْ نَأَوْا، حَزَرَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي،	وَتَبْرُدُ عَيْنُهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ

= كانت دموعي حُمراً قبل بَيْتِهِمْ حُزناً، واعتَرَتْهَا لُومَةُ الْحُرْقِ

والمثبت عن ديوان الصبابة 197، وتزيين الأسواق 452.

¹ - في ديوان الصبابة 197، وتزيين الأسواق 452: "المسعودي شارح المقامات"، مع بعض الاختلاف في رواية الأبيات.

² - في الأصل: الفراق، وهو خطأ، والمثبت عن ديوان الصبابة، وتزيين الأسواق، ومعاهد التنصيص

250/1

فيه التشبيه المركب، وهو تشبيه شيئين بشيئين، قال الحلي: وهو من محاسن التشبيه العزيزة الوقوع، كقول امرئ القيس¹:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
حكي عن بشار أنه قال: ما زلت منذ سمعت قول امرئ القيس، لا يأخذني الهجوغ إلى أن قُلت²:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
ونكتة التشبيه، تسليّة خاطره بأن له نظيراً يروّح عنه ما يقاسيه ويتأسى به، كقولها³:
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

واعلم أنّ الغرض من التشبيه الأغلب عودُهُ للمُشَبَّه كما هنا، وقد يعودُ للمُشَبِّه به، فالأول كقول المتنبي⁴:

فَإِنْ تَقَى الْأَنَامَ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ نَمِ الْغَزَالِ
أراد أن الممدوح وإن كان إنساناً، لكنّه لما اشتمل عليه من الفضائل، كاد أن يكون نوعاً آخر أشرف من الإنسان، كالمسك هو من الدماء ولا يُعد منها، لما هو عليه من الأوصاف

¹ - شرح ديوان امرئ القيس 138.

² - ديوان بشار 138.

³ - يعني الخنساء، والبيت في شرح ديوانها 87، ضمن قصيدة في رثاء أخيها.

⁴ - ديوان المتنبي 258.

الشريفة التي لا يوجد شيء منها في الدم. قلت: رأيت في شرح الواحدي على ديوان أبي الطيب في شرح هذا البيت، أن أبا الطيب لما أنشد سيف الدولة قوله :

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالٍ

قال له سيف الدولة: ما المحال؟ قال المعوج، لأن كل محال أعوج، فقال بعض الحاضرين لو قلت: مستقيم في اعوجاج. قال أبو الطيب: وما تفعل بما بعده: فإن تقف الأتام.. البيت؟ قال: أقول:

فَإِنَّ اللَّيْضَ بَعْضُ نَمِ الشَّجَاكِ

انتهى¹.

والثاني كقول ابن وهيب²:

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجَهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

الإعراب

الوالو: للعطف.

وإذا: ظرفاً، تتعلق بـ(بسم)، لأن الشرط، كما قال السعد³، قيد في الجزاء، والتقدير: يبسم

¹ وردت هذه القصة كذلك برواية مغايرة في الغيث المسجم 208/1.

² - في الأصل: ابن وهب. انظر الصفحة 236 الحاشية 1.

³ - سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، المتوفى سنة 1390/793م. من علماء العربية والبيان. من كتبه المطول في البلاغة والمختصر، اختصر فيه شرح تلخيص المفتاح، وقد راج هذان الكتابان رواجاً واسعاً في المغرب منذ العهد السعدي. (ترجمته في النذر الكامنة 4/350، والبدر الطالع 2/303-305).

وَقَتَّ شَكْوَايَ لَهُ.

وَأَشْكُو: فعلٌ مضارع.

وَبِوَجْدِي: جارٌّ ومجرورٌ يتعلَّقُ به.

وقوله: كالرُّبَى والعارض، الظاهرُ أنه حالٌ واحدٍ من اثنين، وهما: فاعلُ أَشْكُو وبِسَمِ أَيِ الوقت الذي أَشْكُو له فيه، يضحكُ وأبكي حالةً كوننا كالرُّبَى. والحالُ قد تتَّحدُ مع تعدُّ صاحبها، قاله في الفريضة¹. ومثَّل في شرحها بقول الشاعر:

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى، وَهِيَ ذَاتُ نُوَابِةٍ وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَثْرَابِ مِنْ ثَنِيهَا حَجْمُ
صَغِيرَيْنِ نَرَعَى الْبَهْمَ، يَا لَيْتَ أَنَّنَا إِلَى الْآنَ لَمْ نَكْبُرْ، وَلَمْ نَكْبُرِ الْبَهْمُ

¹ - مِمَّنْ شرح الفريضة، وهي منظومة في النحو لجلال الدين السيوطي، محمد بن زكري أسنَّادُ الإفراني (انظر المقدمة). وبيت الفريضة المتعلِّقُ بتعددِ الحال هو:

وَعَدَّدَ الْحَالَ لِفَرْدٍ وَعَدَّدَ وَاجْعَلَهُ لِلْأَقْرَبِ إِذَا لَا مَنَعَ صَد

ومثَّل في الشرح بقول الشاعر:

عَلَيَّ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى بِخَفِيَّةٍ زِيَارَةُ بَيْتِ اللَّهِ رَجُلَانِ حَافِيَا

أما اتحادُ الحالِ لمتعددٍ فلم يذكره.

(المهمات المفيدة 2/66-67).

إِذْ يُقِيمُ الْقَطْرُ فِيهِ مَائِمًا وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسٍ¹

اللغة

يُقِيمُ: من أقام، قال في القاموس: "أقامَ بالمكان إقامةً: دَامَ، والشَّيْءُ: أَدَامَهُ، وفلاناً: ضُدَّ أجلسه"².

الْقَطْرُ: السحاب، من قَطَرَ. وفي ابن القوطية: قطرتُ الماءَ عليه، وأقطرتُه، وقَطَرَ الماءُ³. وبفتح القافِ وضمِّها: الناحيةُ والشَّقُّ، وبكسرِها: النحاسُ: "أتوني أفرِّغْ عَلَيْهِ قَطْرًا"⁴. وقيلَ هو الرِّصَاصُ، قاله الجَلالُ السُّيوطي في كتابِ الحدودِ له.

"والمَائِمُ، كمقعدٍ: كلُّ مجتمعٍ في حزنٍ أو فرحٍ أو خاصٍّ بالنساء، أو بالشَّوَابِ"⁵.

"والبَهْجَةُ: الحُسْنُ، بَهْجٌ كَكَرْمٍ، بهاجةٌ فهو بهيجٌ، وهي مِبْهَاجٌ"⁶. "وإِبْتَهَجَتِ الْأَرْضُ: بَهَجَ نَبَاتُهَا"⁷. وقال الجرجاني: بَهَجٌ: حُسْنٌ، أي يُبْهَجُ مِنْ يَرَاهُ، والبَهْجَةُ: السرورُ.

¹ - ديوان ابن سهل 284.

² - نص القاموس المحيط (قوم). وليس المعنى المشروح هو المقصود عند ابن سهل.

³ - انظر كتاب الأفعال لابن القوطية 53، 56.

⁴ - سورة الكهف 96/18.

⁵ - القاموس المحيط (إتم).

⁶ - القاموس المحيط (بهج).

⁷ - المصدر السابق.

عُرُس: جمع عرسٍ بالكسر ويُضم، وهو الإقامة في الفرح. والعروس: الرجل والمرأة ماداما في إعراسيهما. وفي المثل: "لَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ"¹. واختلفوا فيمن قاله، فقيل: أسماء بنت عبد الله العنبرية. كان اسم زوجها عروس، فمات عنها، فزوجها رجلاً أعسر، أبخر بخيل نَمِيمٍ. فلما أراد أن يظعن بها، قالت: لو أننت لي لريثتُ ابنَ عَمِّي. فقال: افعلي، فقالت: أبكيك يا عروس الأعراس، يا ثعلباً في أهله، وأسدأ عند الناس، مع أشياء ليس يعلمها الناس. قال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان من الهمة غير نعاس، ويعمل السيف صبيحة إيناس². ثم قالت: يا عروس الأغر الأزهري، الطيب الخيم، الكريم المحضّر، مع أشياء لا تذكر. قال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عيواً للخنى والمُنكر، طيب النكهة غير أبخر، ليسر غير أعسر، فعرّف الزوج أنها تُعرضُ به. فلما رحل بها قال: ضمّي إليك عطرك، وقد نظرَ إلى قشوةِ عطرها مطروحةً. فقالت: "لَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ".

وقيل تزوج رجل امرأة، فهديت إليه، فوجدها تفلّةً، فقال: أين عطرك؟ فقالت: خبأته. فقال: لَا مَخْبَأَ لِعَطْرِ بَعْدَ عَرُوسٍ. وهذا المثل يُضرب لمن لا يؤخرُ عنه نفيس³. وممّا انفق لي نظمهُ من قصيدة:

غَابَ عَنَّا السُّرُورُ مُذْ غَابَ عَنَّا مَن بَرُؤَيْتِهِ قَوْلُ النِّفُوسِ
فَبَدَّلْنَا النِّفُوسَ أَنْفُسَ شَيْءٍ فِي هَوَاهُ "لَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ"

ولصاحب التوشيح وقد سمع مُغْنِيَا⁴:

¹ - في أساس البلاغة (عرس): "لَا مَخْبَأَ لِعَطْرِ بَعْدَ عَرُوسٍ".

² - في الأصل: انباس، والصواب ما أثبتناه عن القاموس المحيط (عرس). والإيناسُ والبَنَسُ: الفرارُ من الشر. (القاموس المحيط: بنس).

³ - نقل الإفراني هذا الكلامَ المتعلقَ بالمثل السابق عن القاموس المحيط (عرس)، مع تغيير يسير.

⁴ - ديوان ابن سهل 263.

هَذَا أَوَّانُ فَضِيحَتِي، لَبَّيْكَ يَا
لَوْ مَا تَرَى الْأَيَّامَ كَيْفَ تَبَسَّمَتْ
يُسْقَى، وَزَهْرُ الْوُرُودِ مِنْهُ طَالِعٌ
دَاعِي الْهَوَى "لَا عِطَرَ بَعْدَ عَرُوسٍ"
عَنْ وَصَلِ مُوسَى، بَعْدَ طَوْلِ عُبُوسٍ
فِي وَجَنَةِ وَمَلَابِسٍ وَكُؤُوسٍ

المعنى

هذا كإيضاح لمحل التشبيه، فأفاد أن القطر هو في [مأتم] وحزن بليل بكائه، والرُّبى في فرح وسرور، بليل تنقُّ أزهاره¹، وإيناع أنواره. والعلم المشهور في هذا قول أبي نواس²:

إِنَّ هَذَا الرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ،
تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ

وقال آخر:

ضَحِكَ الزَّمَانُ بِمَعٍ غَيْرِ مُقْبِلٍ
وَكَنَّ قَوْسَ الْمُزْنِ فِي تَخْطِيطِهِ
يَنْهَلُ بَيْنَ شَمَائِلٍ وَجَنَائِبٍ
شَقَّةً بَنَتْ مِنْ تَحْتِ خُضْرَةِ شَارِبٍ

وقال³:

يَا دِيَارَ الْحَبِيبِ، لَا زَالَ يَبْكِي
فِيكَ، إِذْ تَضْحَكُ الرِّيَاضُ، غَمَامُ

وقال الحائك الأمي من قصيدة⁴:

¹ - هكذا في الأصل، والتأنيب أنسب للرُّبى.

² - البيت مع بيت آخر بعده في خزانة الألب 86 غير معزوين، ولم أعرّ عليهما في ديوان أبي نواس.

³ - البيت من مقطوعة تمثل بها المقرّي في نفح الطيب 18/1. وفيه: ياديار السرور.

⁴ - المصدر السابق.

لَمْ أَنْسَ أَيَّاماً مَضَتْ، وَلَيْلِيَا
فِي رَوْضَةٍ أَبَدَتْ تُغَوِّرُ زُهْرَهَا،
وَالطَّيْرُ يَصْنَحُ فِي قُنُونِ فُرُوعِهَا
سَأَلْتُ، وَعَيْشاً بِالصَّرِيمِ تَصْرَمَا
لَمَّا بَكَى فِيهَا الْغَمَامُ تَبَسَّمَا
سَحَرَا، فَتَوَقَّظَ بِالْهَيْدِلِ النُّومَا

وقد لوح ابن سهل إلى وصف الحقائق والروابي حيث نسب إليها الاقترار عن أفراح
الأنوار والأزهار، فكأنها في أفراح ومسرات. وللذهبي¹:

هَلُمَّ يَا صَاحِ إِلَى رَوْضَةٍ
نَسِيمُهَا يَغْتَرُ فِي نَيْلِهِ
يَجْلُو بِهَا الْعَانِي صَدَى هَمِّهِ
وَزَهْرُهَا يَضْحَكُ فِي كُمِّهِ

وقال ابن قريظ²:

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ حِينَ تَجَالَّتْ
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا
وَتَحَلَّتْ مِنَ النَّدَى جُمَانُ
سَقَطَتْ مِنَ أُنَامِلِ الْأَغْصَانِ

وقال ابن تميم:

لِمَ لَا أَهِيْمُ إِلَى الرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا
وَالزَّهْرِ حَيَّانِي بِنَغْرِ بَاسِمٍ،
وَأُظِلُّ مِنْهَا تَحْتَ ظِلِّ صَافٍ!
وَالْمَاءُ وَأَفَانِي بِقَلْبِ صَافٍ

وقوله أيضاً:

مَا إِن رَأَيْتُ مُقَاتِلِي عَجِيْبَا
إِسْتَعْلَ الرَّأْسُ مِنْهُ شَيْبَا،
كَالرَّوْضِ، لَمَّا بَدَا نَوَارُهُ
وَأَخْضَرَ مِنْ بَعْدِ دَا عِذَارُهُ

¹ - البيهقي في حلية الكميته 276، وخزانة الأدب 62.

² - المصدران السابقان والغيث.

وقول ابن المعتز:

مَا تَرَى نِعْمَةَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ
وَكَأَنَّ الرَّبِيعَ يَجْلُو عَرُوساً
ضِ شُكْرَ الرِّيَاضِ لِلْأَمْطَارِ
وَكَأَنَّ مِنْ قَطْرِهِ فِي نَثَارِ

آخر:

مَا سَ الْقَضِيبُ بِدَوَّجِهِ مِنْ سُكْرِهِ،
حَتَّى إِذَا سَرَقَ النَّسِيمُ دَرَاهِمَهَا
لَمَّا سَقَاهُ عُقَارُهُ آدَارُ²
مِنْ زَهْرِهِ، صَاحَتْ بِهِ الْأُطْيَـارُ

آخر³:

وَالْأَرْضُ فِي حُلٍّ قَدْ كَادَ يُحْرِقُهَا
وَالطَّيْرُ فِي وَرَقِ الْأَشْجَارِ شَالِيَةً،
تَوْقُدُ النَّارَ، لَوْلَا مَاؤُهَا الْجَارِي
كَأَنَّهُنَّ قِيَانٌ خَلْفَ أَسْتَارِ

آخر⁴:

أَيَا حُسْنَهَا مِنْ رِيَاضٍ، غَدَا
مَشَى النَّهْرُ فِيهَا عَلَى رَأْسِهِ
جُنُونِي فُنُوناً بِأَفْنَانِهَا
لِنَقْبِيلِ أَقْدَامِ أَغْصَانِهَا

ابن قُرْنَص⁵:

¹ - في الأصل: الرياض، وفي ديوان ابن المعتز 206: الربيع، وهو المناسب.

² - كذا في الأصل، وكتب فوقها صح. والمعروف: آدار، بالذال. والعامّة تقول: آدار، بالذال.

³ - البيتان غير معزوين في حلبة الكميت 318.

⁴ - البيتان في حلبة الكميت 279 منسوبين لابن قُرْنَص مع بعض الاختلاف في الرواية.

⁵ - البيتان في حلبة الكميت 279 منسوبين لسيف الدين المشد، وقبلهما بيتان لمحي الدين بن قُرْنَص،

وهما:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مَعَ الْحَبِيبِ مَذْلَمَةً عَذْرَاءَ، إِلَّا أَنَّهَُا شَمِطَاءُ
وَالرَّوَضُ بَيْنَ تَكْبَرٍ وَتَوَاضُعٍ، شَمَخَ الْقَضِيبُ بِهِ وَخَرَّ الْمَاءُ

فائدة

على ذكر اخضرار الروابي ووشي أديم الأرض بالأزهار فـ قال بعض العلماء: إنَّ القِيامةَ تقومُ في شهر مارس، وهو آذار، وكان¹ عمرُ بن الخطاب يستبشرُ بخروجه "واستلَّ على ذلك بقول الله تعالى: "إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذَا أَخَذْتَ الْأَرْضَ زُخْرُفَهَا"، قال: إِنَّمَا تَكُونُ الْأَرْضُ كُنُكْ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: "أَنَّا هَا لَمُرْنَا لَيْلًا لَوْ نَهَارًا"³ الآية، انتهى. قاله أبو الحجاج البلوي⁴.

والنشيدُ كثيرٌ في وصفِ الرياضِ، وقد أثبتنا منه بما للنفسِ فيه ارتياحٌ وارتياضٌ. وقد تطفَّ أبو تمام حينَ ذكرَ سببَ بكاءِ الغمامِ فقال:

رُبِّي شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا، إِلَى الْمُزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعُ
كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا، فَمَا تَرَقَّأ⁵ لَهُنَّ مَدَامِعُ

قلتُ: اشتملتُ أبياتُ أبي تمام على حُسْنِ التعليلِ، حيثَ ذكرَ علةَ انسكا[ب] الأمطارِ على

حَسَنَ مَا رَأَيْتُ مِنْ فَعْلِ نَهَرٍ، لَهُوَ الْغُصُونُ يَجْرِي إِلَيْهَا

فَهُوَ مِنْ فَرَطٍ وَجَدَهُ قَدْ رَأَاهَا شَامَخَاتٍ، فَخَرَّ بَيْنَ يَدَيْهَا

ولعل هذا هو سبب سهو الإفراني.

¹ - في ألف باء 97/1 مصدر النص: الذي كان عمر..

² - سورة يونس 24/10.

³ - سورة يونس 24/10.

⁴ - ألف باء 97/1.

⁵ - في الأصل: ترقى. والصحيح: ترقأ، لأنها مخففة من ترقأ، بالهمزة.

لأرى بأنها دفنت حبيباً لها فيها، فهي تبكيه. ومن حسن التعليل قول ابن رشيق¹:

سَأَلْتُ الْأَرْضَ: لِمَ جُعِلْتَ مُصَلًّى، وَتُرِبْتُهَا لَنَا طَهْراً وَطَيْباً؟
فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ: لِأَنِّي حَوَيْتُ² لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيباً

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ هَانِي³:

وَلَوْ لَمْ تُصَافِحْ رِجْلُهَا صَفْحَةَ الثَّرَى لَمَا كُنْتُ أُنْزِي عِلَّةً فِي التَّيْمُمِ

استطرد

قال صاحبُ الْمُحْكَمِ⁴: السَّرُّ فِي جَعْلِ الْأَرْضِ مَسْجِداً وَطَهْوراً مَا وَرَدَ أَنَّ السَّمَاءَ فَاخَرَتْ
الْأَرْضَ بِأَنَّهَا أَعْلَى وَمَسْكَنُ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَتْ الْأَرْضُ: رَضِيتُ بِمَا جَعَلَنِي خَالِقِي، فَشَكَرَ اللَّهُ
لَهَا ذَلِكَ، وَجَعَلَهَا يُمَسِّحُ بِهَا أَشْرَفُ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ، وَيُصَلِّي عَلَيْهَا⁵. ومن التعليل قوله⁶:

إِنْ يَفْعُلُوا فَوْقِي لِغَيْرِ نَزَاهَةٍ وَعَلَوْ مَرْتَبَةً وَعِزّاً مَكَانَ
فَالنَّارُ يَعْلُوهَا الدُّخَانُ، وَرُبَّمَا يَعْلُو الْغُبَارُ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ

ومما ينتظم في سلك حسن التعليل ما ذكره الثعالبي في الأنوار أنه⁷ لما عُزِلَ القاضي

¹ - ديوان ابن رشيق 35. وتناقلتها كتب الأدب كالغيث المسجم 207/2، وخزانة الأدب 508، وأنوار
التجلي 420/2..

² - في الأصل: جعلت، والمثبت عن ديوان ابن رشيق.

³ - نسبة في الغيث 207/2 لأبي هفان، وورد كذلك في خزانة الأدب 508، وأنوار التجلي 420/2.

⁴ - في أنوار التجلي 420/2-421: الحكم.

⁵ - المصدر السابق بتصرف.

⁶ - البيتان في الغيث المسجم 207/2.

⁷ - في الأصل و(ب): وأنه، و(ج): أنه، وهو الصحيح.

الفشتالي¹ عن القضاء وولي الأوربي²، قال أبو المكارم³ منديل بن أجروم في ذلك:

لَمَّا تَأَخَّرَ قَاضِينَا الذَّبِيهَ، أَبُو
خَفَا يَلِي بَعْدَهُ مَنْ لَيْسَ نَعْرِفُهُ،
فَمَا تَقَدَّمَ إِلَّا الْأَوْزَبِيُّ لَهَا،
كِلَاهُمَا فَاضِلٌ عَدْلٌ رِضَى ثِقَةٍ،
فَإِنْ أُرِنْتَ قِوَامَ الدِّينِ تَتَبَعُهُ،
عَبْدُ إِلَهِ، لِأَجْلِ السَّنِّ وَالشَّيْخِ
أَوْ مَنْ يَكُونُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ غَيْرَ سَخِي
فَنُقِّلَ الْأَمْرُ فِيهِ مِنْ أَخٍ لِأَخٍ
بَخْرَ زَكِيِّ السَّجَايَا، غَيْرُ مُتَسَخِّخٍ
فَعِنْدَ بَابِهِمَا بِالْعِيسِ فَلْتُنْخِ

فقوله: لأجل السن الخ.. دفع به كثيراً من سيئ الأوهام.

واعلم أن هذا المعنى الذي ضمَّه ابن سهل في البيتين مطروق على السنة رواة القريض، وعندي أنه أخذ من قول دعل⁴:

لَا تَعْجِبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

وقال ابن خفاجة يصف السيف⁵:

¹ - محمد بن أحمد بن عبد المالك الفشتالي، قاضي الجماعة بفاس، على عهد أبي عنان المريني. كان كاتباً شاعراً، توفي سنة 777هـ. (نثير الجمان 190-196، وجدوة الاقتباس 1/234-235 و508/2).

² - عبد الله بن محمد الأوربي قاضي الجماعة بفاس على عهد أبي عنان المريني. أثنى ابن الأحمر في نثير الجمان على شاعريته. توفي سنة 782هـ. (نثير الجمان 440-442 وجدوة الاقتباس 2/422، 508/2).

³ - في الأصل: أبو عبد الله، وهو خطأ. وأبو عبد الله كنية أبيه. (انظر ترجمة منديل بن أجروم).

⁴ - البيت في شعر دعل 160، والشعر والشعراء 850.

وفي الأصل: سليمي، وهو تصحيف. والتصويب عن المصدرين السابقين.

⁵ - ديوان ابن خفاجة 207.

الإفرند والفرند: السيف، وجوهره ووثنه.

وَمُتَمَّقِ الْإِفْرَنْدِ يَقْتِكُ فِي الْعِدَى أَبْدَأْ، فَيَفْتِكُ مَا يَشَاءُ وَيُمْسِكُ
وَكَأَنَّهُ، وَالْمَاءُ يَضْحَكُ قَوْقَهُ، جَذْلَانُ يَبْكِي لِلسُّرُورِ وَيَضْحَكُ

المعاني

قصد بـ(إن) بيان وقت ظهور التشبيه، فأعلم أن حاله معه مُشاكلة لحالة الروض والمطر
وقتما وصفه. وأتى بالظاهر في القطر موضع المضمّر، ليتمكّن التشبيه في ذهن السامع،
وليُتضح أكمل وضوح. وأفرد الضمير العائد للرّبي باعتبار المكان، ولو اعتبر البقعة وجب
أن يؤنث، إلا على القاعدة التي كان أبو عبد الله ابنُ مت يقولها، وهي أن كل ما لا روح فيه
فأنث أو ذكر، وفيها كلام ليس هذا محلّ بسطه. وأنث ثانياً في قوله: وهي من بهجتها. فإن
قلت: فما حكمة هذا التّفنن؟ قلت: دفعاً للالتباس الناشئ عن التعبير بـ(هو) من جهة احتمال
عَوْدِهِ لَهَا أو للقطر. وجَمَعَ الأعراسَ قصداً للتكثير كما نكر (ماتماً) لقصد تعظيم الحال.
وبيّن حصول الأفراح، بأنها من البهجة.

البيان

فيه استعارة القيام للمأتم، فكأنه كان جالسا فجاء الغمام فأوقعه، كقولهم: أقام قيامتي. وهذه
استعارة مطلقة، لم تَقترن بصفة ولا تَفريع كلام، كقول الشيخ منديل مسلياً لأبي عبد الله ابن
مرزوق، لما حبسه أبو عنان¹:

يَا شَمْسَ عِلْمٍ أَفَلْتَ بَعَمًا أَضَاعَتِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَا
حُجِبْتَ قَسْرًا عَنْ عِيُونِ الْوَرَى وَالشَّمْسُ لَا يُنْكَرُ أَنْ تُحْجَبَا

¹ - البيتان والتعليق عليهما في نفع الطيب 418/5.

وفيه أيضاً، بملاحظة البيت قبله، استعارة الضحك للروابي، والفرح والعرس، وهو من استعارة محسوس لمحسوس، وهو الضحك والعرس، لمعقول وهو غضارة أفنانها، واستحكام إيناع أزهارها، حتى كأنها ضاحكة، كقوله تعالى: "قاصدع بما تؤمر"¹. فإن صدع الزجاجة حسي، وتبلغ الرسالة معنوي، والجامع لهما التأثير، كأنه يقول: أين الأمر إبانة لا تلتئم كما لا يلتئم صدع الزجاج.

ومما ينتظم في سلك هذا المقام، ما نذكر أن الأستاذ منديل بن أجروم، رحمه الله، كان يقرئ مقامات الحريري بصحن جامع القرويين، زمن المصيف، بين العشاءين، فمرت به لفظة الصدع، فسأل سائل عن معنى: "قاصدع بما تؤمر"، ففسرها بما سلف، فما كان إلا أن ألصقت الريح صبحية² كانت على رأسهم بسارية، فكسرت الزجاج، فعجب الحاضرون لموافقة ما هم فيه، فأطرق الأستاذ هنيئة³، فقال، بنت وقتها، وكان سريع النظم، وأنشد على البديهة⁴:

ولمّا ضربتُ، في بيان استعارة مثلاً لصدع الأمر صدع زجاج
أرتنا عياناً صدعه الريح، إذ غلبت تكسر في الجدران كل سراج

فحفظ الحاضرون البيتين، ثم أنشدهم صبيحة تلك الليلة نفسها⁵،

أترئنا من الآداب كأساً روية لها النقل نقل، والمزاج لها نص

¹ - سورة الحجر 94/15.

² - في أنوار التجلي 138/1: صبيحة.

³ - في الأصل: هنيئة..

⁴ - في (ج): وأنشد بديهة.

⁵ - أورد الثعالبي القصة السابقة وما يتعلق بها من شعر في كتابه أنوار التجلي 138/1-139، وكان حاضراً مجلس الشيخ منديل أستاذه.

فَبِتْنَا سُكَّارِي، لَا تَخَافُ مُفَنِّدًا، وَلَا أَحَدًا بِالْحَدِّ لِلْسُّكْرِ يَفْتَصُّ
فَجُنَّا عَلَى الْكَيْسَانِ مِنْ فَضْلِ كَأْسِنَا فَكَانَ لَهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِنَا رَقَصُ

البديع

فيه الطباقُ بين المأتم والفرح والسرور، وسلف ما يتعلق به. وفيه التفسير، قال في المصباح: وهو من مُستخرجاتِ قدامة^١. وعرقه الحلي: بأن يُؤتى في أول الكلام، أو بيت من الشعر، بمعنى لا يستقلُّ الفهمُ بمعرفةِ فحواه دون أن يفسرَ في بقية البيت، أو بيت آخر، كقوله:

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ النَّيَا بِبَهْجَتِهَا: شمسُ الضُّحَى، وَأَبُو إِسْحَقَ وَالْقَمَرُ

أبو إسحق كنية المعتصم العباسي. ورأيت في كتاب معاهد التنصيص، على شواهد التلخيص^٢ للشيخ عبد الرحيم الشريف العباسي، أن الشعراء اجتمعوا على باب المعتصم، فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيات. وقال لهم: إن أمير المؤمنين يقول لكم: من كان يُحسن أن يقول كقول منصور النمرى في الرشيد^٣:

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةً، أَلْكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
لِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَفَعَهُ، وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَضِعُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِيرِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا، فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ، لَمْ تُخْلَفْ أُنَامِلُهُ، أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ، ذَكَرْنَاهُ فَيَنْتَسِعُ

^١ - انظر صحة التفسير، في كتاب نقد الشعر 154-155.

^٢ - معاهد التنصيص 215-216.

^٣ - هناك اختلاف كبير بين رواية معاهد التنصيص للأبيات وبين ما هو مثبت هنا، وانظر هذا الشعر ضمن أخبار منصور النمرى في طبقات الشعراء لابن المعتز 241-247.

فليدخل، وإلا فلينصرف، فقال محمد بن وهيب¹: ثلاثة تُسرق.. إلخ، فأمر الملك بإدخاله، وأحسن صلته.

قلتُ على قول النمرى:

أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ نَكَرْتَاهُ فَيَتَسَّعُ

فبقي على بالي من كتاب زهر الآداب، وثمر الألباب، لابن إسحق القيرواني الحصري، أن رجلاً اشتكى للرشيد يوماً عسر الطلق على زوجته، وكان الأصمعي حاضراً، فقال للرجل: أنكر عليها اسم أمير المؤمنين، فإن النفس يسهلُ عليها، فقال له الرشيد: قاتلك الله! ومن أين لك بهذا؟ قال: من قول النمرى:

أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ نَكَرْتَاهُ فَيَتَسَّعُ

انتهى.

رقيقة

قال صاحب أنوار التجلي لما تكلم على التفسير، وأنه نوع من أنواع البديع ما نصه²:
ومما يقرب من التفسير قول ابن الخيمي:

¹ - في الأصل: ابن وهب، وفي معاهد التنصيص: ابن وهيب، وأشار في الحاشية إلى أنه في نسخ أخرى: ابن وهب، وفي طبقات الشعراء لابن المعتز أخبار لمحمد بن وهيب ولم ترد معها هذه القصة. (طبقات الشعراء 310 ومواضع أخرى).

² - أنوار التجلي 415/2، ولم يلتزم الإفراني النص كما قال، أو قد يكون أخذ من نسخة أخرى غير المعتمدة عندنا من كتاب الأنوار.

وَأَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ حُبِّي، وَصِحَّتُهُ مِنْ صِحَّتِي، إِنَّمَا سَقَمِي هُوَ الْعَجَبُ

وَكُنْتُ أَسْتَشْكِلُهُ، وَأَسْأَلُ¹ كُلَّ مَنْ عَانِيَ صِنَاعَةَ الْأَدَبِ، فَمَا تَحَصَّلَ لِي مَا يَصْلُحُ، إِلَى أَنْ سَأَلْتُ عَنْهُ شَيْخَنَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَبَّابَ، وَكَانَ ذَا فَهْمٍ ثَقِيبٍ، وَذِهْنٍ صَائِبٍ، بَعْدَ قَوْلِهِ مِنَ الْحَجِّ، فَقَالَ لِي: الْبَيْتُ لِابْنِ الْخَيْمِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ أُولَاهَا:

يَا مَطْلَبًا لَيْسَ لِي فِي غَيْرِهِ أَرْبُ إِلَيْكَ آلَ النَّقْصِيِّ²، وَأَنْتَهَى الطَّلَبُ

وَهُوَ مِنْ مَرْوِيَّاتِي عَنْ ابْنِ جَابِرِ الْوَلَادِيِّ أَشْي، وَأَبِي زَكَرِيَاءَ عَنْ وَالِدِهِ ابْنِ رُشِيدِ الْفَهْرِيِّ. وَالَّذِي يَقْرَبُ فَهْمُهُ لَكَ أَنْ يَفْسِرَ كَلَامَهُ بِكَلَامِهِ، قَالَ مَقْطُوعَةً:

وَقَائِلَةً: مَا بَالَ جِسْمِكَ نَاعِمًا وَعَهْدِي بِأَجْسَامِ الْمُحِبِّينَ تَسْقُمُ؟
فَقُلْتُ لَهَا: قَلْبِي بِحُبِّكَ لَمْ يَبُحْ لِي جِسْمِي، فَجِسْمِي بِالْهَوَى لَيْسَ يَعْلَمُ

فَإِذَا فَهَمْتَ مَعْنَى الْبَيْتَيْنِ سَهْلٌ عَلَيْكَ فَهْمُ الْبَيْتِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَتَمَ حُبَّهُ غَايَةَ الْكُتْمِ عَنْ جِسْمِهِ، بَقِيَ جِسْمُهُ عَلَى صِحَّةٍ. ثُمَّ لَمَّا أَصَابَ جِسْمَهُ سَقَمٌ، تَعَجَّبَ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ جِسْمَهُ السَقَمُ، وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ بِسِرِّهِ؟ قَالَ: وَكَلِمَةُ (صِحَّتُهُ) تُرَوَّى بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْحَالِ، وَالْخَفْضِ عَلَى الْعُطْفِ. وَنَسَبَ كِتَابَ صَاحِبِ الْفُتُوهِ، فِي أَهْلِ السَّخَاءِ وَالْمُرُوهِ، الْبَيْتَيْنِ لَدَيْكَ الْجِنِّ³، أَنْتَهَى⁴. وَكَأَنَّ ابْنَ الْخَيْمِيِّ أَخَذَ الْمَعْنَى مِمَّا يُحْكِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ كَانَ كَثِيرَ

¹ - فِي الْأَصْلِ: أَسَل.

² - فِي الْأَصْلِ: النَّقْضِي، وَهُوَ مِنْ غَلَطِ النَّسْخِ، وَالتَّصْوِيبِ مِنْ أَنْوَارِ التَّجْلِي.

³ - الْبَيْتَانِ مَنْسُوبَانِ لِابْنِ الْخَيْمِيِّ فِي الْغَيْثِ الْمَسْجَمِ 230/1، وَهُمَا غَيْرُ مَنْسُوبَيْنِ فِي الْمَوْشَى 79، وَخَلْبَةِ الْكَمِيتِ 77، وَتَرْبِيعِ الْأَسْوَاقِ 410.

⁴ - يَعْنِي أَنْتَهَاءَ كَلَامِ صَاحِبِ أَنْوَارِ التَّجْلِي، وَالْكَلَامِ فِي الْكِتَابِ 415/2 بِتَصْرِفٍ.

للحم، فدخل على المأمون فقال له¹: يا عمُّ، هل عشتَ قطُّ؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، وأنا والله، الساعة، عاشقٌ، ثم قال له: وأنتَ على هذه الحالة! وأنشد المأمون:

وَجْهَ الَّذِي يَعْتَشِقُ مَعْرُوفٌ لِأَنَّهُ أَصْفَرُ مِنْ خُوفِ
لَيْسَ كَمَنْ يَأْتِيكَ ذَا جُثَّةٍ كَأَنَّهُ لِلذَّبْحِ مَعْلُوفُ

فأجابه إبراهيم بقوله:

وَقَائِلُ لَسْتُ بِالْمُحِبِّ، وَلَوْ! كُنْتُ مُحِيًّا لَلذُّبِ مُذْ زَمَنِ
أَحَبُّ قَلْبِي، وَمَا نَرَى بَدْيِي، وَلَوْ نَرَى مَا أَقَامَ بِالسَّمَنِ

ومما يقربُ من هذا، في الاعتذار عن صحة الجسم مع دعوى الهوى، قول بعضهم:

يَقُولُونَ: أَجْسَامُ الْمُحِبِّينَ نَضْوَةٌ وَأَنْتَ سَمِينٌ: لَسْتُ غَيْرَ مُرَائِي
فَقُلْتُ: غِذَاءُ الْحُبِّ خَالَفَ طَبْعَهُمْ وَوَأَفَقَهُ طَبْعِي، فَصَارَ غِذَائِي

وفيه اللف والنشر المعكوس، حيثُ فسرَ (العارض) مقمماً، وهو مؤخر، والرأي بالعكس²، وليس بمستحسن عندهم، والدليل على ذلك ما قال المرزباني: قال لي ابنُ دريد: سهرتُ ليلةً، فلما غمضتُ، أتاني رجلٌ طويلٌ أصفرُ الوجهِ كَوَسَجٍ³ فقال: أنشدني أحسنَ ما قلتَ في الخمر، فقلتُ: ما تركَ أبو نواسٍ لأحدٍ شيئاً، فقال: أنا أشعرُ منه، فقلتُ: ومنَ أنتَ؟ فقال: أنا ابنُ ناجيةً، من أهلِ الشام، وأنشدني⁴:

¹ - وردت هذه القصة وما يتعلق بها من شعر، وأشعار أخرى في الموضوع، في الموشى 79، وبرواية مختلفة في حلبة الكميت 76-77.

² - هذا باعتبار البيتين 5، 7 معا.

³ - الكوسج: الذي لحيته على نقيه لا على العارضين، معرب عن الفارسية وأصله كوسه.

⁴ - البيتان والقصة السابقة في خزنة الأدب 221 نقلا عن ابن خلكان في تاريخه حين ترجم لابن دريد.

[وَحَمَنَ] رَاءَ قَبْلِ الْمَرْجِ، صَفَرَاءَ بَعْدَهُ، أَتَتْ بَيْنَ ثَوْبَيِ نَرْجِسٍ وَشَقَائِقٍ
حَكَتْ وَجَبَةَ الْمَعْشُوقِ صِرْقَاءً، فَسَلَطُوا عَلَيْهَا مَزَاجاً، فَاكْتَسَتْ لَوْنَ عَاشِقٍ

فَقُلْتُ لَهُ: أَسَأْتَ التَّرْتِيبَ. فَقَالَ: وَلِمَ؟ قُلْتُ: لِأَنَّكَ قُلْتَ: وَحَمَرَاءَ، فَقَمَّمْتَ، ثُمَّ قُلْتَ: بَيْنَ ثَوْبَيِ نَرْجِسٍ وَشَقَائِقٍ. فَقَمَّمْتَ الصَّفَرَاءَ، فَهَلْ أَقَمَّمْتَهَا عَلَى الْآخَرَى؟ فَقَالَ: وَمَا هَذَا-
الاسْتِقْصَاءُ يَا بَغِيضُ؟ ثُمَّ انصرفت، انتهت. وفي كلام بعضهم ما يُفِيدُ أَنَّهُ غَيْرُ مَعْيَبٍ.

الإعراب

إِذْ: ظرفٌ للماضي، كما تقدّم. وَأَقُولُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَهَا لِلْحَالِ، فَإِنْ بَعْضَ النَّحَاةِ ذَكَرَ أَنَّهَا تَكُونُ مَنْصُوبَةً عَلَى الْحَالِ، وَمِثْلُ بَقُولِهِ تَعَالَى: "وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ" إِلَى قَوْلِهِ: "إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ"¹، نَقْلُهُ فِي الْحُدُودِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هُنَا لِلتَّحْقِيقِ، كَمَا قَالَ بِهِ السُّهَيْلِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"²، وَرَدَّهُ فِي الْمُغْنِيِّ قَائِلًا: إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ.

وَيُقِيمُ: مُضَارِعٌ. وَالْقَطْرُ: فاعِلٌ. وفيه: متعلق بالمضارع. ومُتَمَّا: مفعولٌ (يُقِيمُ).
وَالْوَاوُ: واوُ الْحَالِ. وهي: مبتدأ. وفي عُرُسٍ: خبره. ومن بَهْجَتِهَا: بيانٌ له.

¹ - في سورة يونس 61/10: "وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ".

² - في سورة آل عمران 80/3: "أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ!".

مَنْ إِذَا أَمْلَى عَلَيْهِ حُرْقِي طَرَحْتَنِي مَقْلَّاهُ الدَّنْفَ¹

اللغة

"الإملاء: إلقاء الكلام على الكاتب، وأملتُ الكتاب، وأستملاء: سأله الإملاء"².

وحُرْق: جمع حرقَة كغرفة وغرف، والحرقَة بالضم، من الإحراق كالحريق، والحرقُ التهابُ النار³.

فائدة

قالَ الحافظُ جلالُ الدينِ السيوطي في كتابِ الحدود، لمَّا فسرَ الحريقَ، ما نصَّه: وينفعُ لإطفاءِ النارِ الإكثارُ من التكبيرِ، انتهى. ونقله الشيخُ زروقُ أيضاً.

وطَرَحْتَنِي: أي شكتُ إلي بما أشكو لها، وقال في القاموس: المطارحةُ: معروفةٌ⁴ والمَقْلَةُ: شحمةُ العينِ التي تجمعُ السوادَ والبياضَ، أو الحقةُ⁵ والجمعُ: مَقَلٌّ.

"والدَّنْفُ محرَّكةٌ: المرضُ الملازمُ، ودنفَ المريضُ كفرَحَ: نَقَلَ⁶

¹ - ديوان ابن سهل 284.

² - القاموس المحيط (ملي).

³ - القاموس المحيط (حرق) بتصرف. وفيه: الحرقُ: النارُ أو لهبُها.

⁴ - القاموس المحيط (طرح).

⁵ - في الأصل: أو هي للسواد والبياض. ونص القاموس المحيط (مقل): "...أوهي السواد والبياض".

⁶ - القاموس المحيط (دنف).

أَنْ مِنْ شَأْنِي مَعَهُ أَيْضاً أَنِّي إِذَا ذَكَرْتُ لَهُ مَا أَجَدُهُ فِيهِ، وَمَا أَقَاسِيهِ فِي هَوَاهُ، شَكَا إِلَيَّ مَا أَشْتَكِي مِنْهُ عَيْنَاهُ، وَفَاوَضَانِي فِيمَا هُمَا عَلَيْهِ مِنَ السَّقَمِ وَالْمَرَضِ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، الْإِعْلَامُ بِشَيْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا سَقَمُ جَفُونِهِ وَمَرَضُ الْحَاطِظِ، وَثَانِيهِمَا تَرْوِيحُ الْخَا[طر] الْكَثِيبِ، وَتَأْسِيهِ بِأَنْ يَرَى أَقْرَبَ شَيْءٍ إِلَى الْمَحْبُوبِ وَأَحَبَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ لَمْ يَسْلَمْ، مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْبِ، مِنْ الشَّغْفِ بِهِ، وَالْكَفِّ بِجَمَالِهِ الْفَتَانِ، فَمَا بِالْكَ بَمَنْ كَانَ مِثْلِي، وَشَكْلُهُ عَلَى شَكْلِي! وَقَدْ أَكْثَرَ الشَّعْرَاءُ مِنَ النِّظْمِ فِي كِلَا الْأَمْرَيْنِ. فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ¹:

وَمَقْلَةٌ شَادِنٍ أَوْنَتْ بِقَلْبِي، كَأَنَّ السَّقَمَ لِي وَلَهَا لِبَاسُ
يَسْلُ اللَّخْظُ مِنْهَا مَسْرُفِيًّا لِقَتْلِي، ثُمَّ يُغْمِضُهُ النَّعَاسُ

وقال العطار المغربي²:

مُهْفَهْفُ الْقَامَةِ مَمَشُوقَهَا مُسْتَمَلِّحُ الطَّرَةِ مَعَشُوقَهَا
فِي طَرَفِهِ، مِنْ سَقَمِ الْحَاطِظِ دَعَاوَى، وَفِي جِسْمِي تَصْدِيقَهَا

الصَّغِي الْحَلِي³:

يَا ضَعِيفَ الْجَفُونِ، عَذَّبْتَ قَلْبًا، كَانَ قَبْلَ الْهَوَى قَوِيًّا سَوِيًّا
لَا تُعَذِّبْ بِنَاطِرِيكَ فُؤَادِي! فَضَعِيفًا إِنْ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا

¹ - لم أجد البيتين في ديوان الفرزدق، وهما في الشريشي الكبير 134/1 منسوبين لابن الوفاق.

في الأصل: كَانَ، والتصويبُ عن الشريشي الكبير.

² - هو عبد الله بن محمد الأزدي المغربي، شاعرٌ مجيدٌ، له أشعارٌ في فوات الوفيات 225/2-226، ومنها هذان البيتان.

³ - ديوان صفي الدين الحلي 400، والغيث 74/1.

ابن خطيب دارياً¹:

شَهِدَتْ جُفُونُ مُعَذِّبِي بِمَلَالِهِ
لَكِنِّي لَمْ أَتَأَنَّ عَنْهُ لِأَنَّهُ
مِنِّْي، وَلَنْ وِدَادَهُ تَكْلِيْفُ
خَبَرُ رَوَاهُ الْجَفْنُ وَهُوَ ضَعِيفُ

النَّوَاجِي:

غَزَالَ فِي لَوَاحِظِهِ سَقَامٌ،
يُسِيرُ بِطَرَقِهِ، فَأَمِيلُ شَوْقاً،
وَجِسْمِي نَاحِلٌ مُضْئِي عَلَيْهِ
وَشَبُّهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ

الصَّغْدِي:

سَيُوفُ أَجْقَانِهِ الْمَرْضَى سَفَكْنَ لَمِي
وَلَمْ يُطِيقْ نَمْعَهَا حَوْلِي وَلَا حَيْلِي²

ابن النبية³:

تَعَلَّمْتُ عِلْمَ الْكِيمِيَاءِ بِحُبِّهِ
وَصَعَّدْتُ أَنْفَاسِي، وَقَطَّرْتُ أُنْمُعِي،
غَزَالَ، بِجِسْمِي مَا بَعِيْنُهُ مِنْ سُقْمٍ
فَصَحَّ مِنَ التَّنْذِيرِ تَصْفِيرُ الْجِسْمِ

قُلْتُ: أَسَارَ ابْنُ النَّبِيَةِ إِلَى صَحَةِ كِيمِيَاءِ الْعُشَاقِ، وَهِيَ أَوْضَحُ مِنْ كِيمِيَاءِ الْعَادَةِ، كَقَوْلِهِ
أَيْضاً⁴:

صَنَعَةُ الْكِيمِيَاءِ صَحَّتْ لَعِيْنِي،
حِينَ يَزْدَادُ إِذْ يَرَانِي أَحْمَرَاراً

1 - في تزيين الأسواق 468 حيث ورد البيتان: جلال الدين بن خطيب دارياً.

2 - الحَوْلُ والحَيْلُ: الحِذْقُ. (القاموس المحيط: حول، حيل).

3 - ديوان ابن النبية 390.

4 - البيتان من قصيدة في مدح الأسعد بن مماتي في ديوان ابن النبية 413.

فَإِذَا مَا أَقْبَيْتُ إِكْسِيرَ لَخْظِي فِي لُجَيْنِ الْخُثُودِ صَارَ نَضَارًا
أَخْرُ:

يَقْظُ مَا يُشِيرُ طَرْفَ إِلَيْهِ بِمَرَامٍ، إِلَّا وَيَفْهَهُمْ رَمَزَةً
كُلُّ مَا تَفْعَلُ الصَّوَارِمُ تُغْنِي عَنْهُ الْخَاطِلُ الْمِرَاضُ بَغْمَزَةً
ابن النّبيه¹:

فَدَيْتُكَ أَيُّهَا الرّامِي بِقَوْسٍ وَلَخْظِي، يَا ضَنَى جَسَدِي عَلَيْهِ
لِقَوْسِكَ نَحْوَ حَاجِبِكَ أَنْجِذَابٌ، وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ
أخذه الصفدي:

سَرَطَ مَنْ أَحَبُّ، فَذُنُبْتُ وَجَدًا فَقَالَ، وَقَدْ رَأَى جَزَعِي عَلَيْهِ:
عَفِيقُ نَمِي جَرَى فَأَصَابَ خَدِّي، وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ

قلت: عادة الصلاح الصفدي أن يُغَيِّرَ عَلَى مَعَانِي الْجَمَالِ ابْنَ نَبَاتَةَ وَيَأْخُذَهَا، وَرَبَّمَا لَا يُغَيِّرُ فِيهَا إِلَّا الْبَحْرَ. وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ مُشَاجَرَةٌ، أَوْجِبَتْ أَنْ أَلْفَ ابْنَ نَبَاتَةَ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِخُبْرِ الشَّعِيرِ إشارَةً إِلَى أَنَّهُ مَأْكُولٌ مَنُومٌ. وَالتَّرَمَّ فِيهِ أَنْ يَقُولَ: قُلْتُ أَنَا، فَأَخَذَهُ الشَّيْخُ صِلَاحُ الدِّينِ. وَافْتَتَحَ الْكِتَابَ بِقَوْلِهِ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَلِمَنْ لَخَلَّ بَيْنِي مُؤْمِنًا"² اللَّهُمَّ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي كَافِرًا بِفَوَائِدِ النِّعْمَةِ، وَبَيْتَ شِعْرِي سَارِقًا مِنْ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ الْمُحْكَمَةِ، إِلَى أَنْ قَالَ:

¹ - ديوان ابن نباتة 579. وورد البيتان وبيتا الصفدي بعدهما مع القصة، في خزانة الأدب 19.

² - سورة نوح 28/71.

إنه نسبني إلى سرقة الأشعار، فضحكت، والله، من ذهنه الذاهل، ونكرت على رغبته قول
القائل¹:

وَقَتَّى يَقُولُ الشَّعْرَ، إِلَّا أَنَّهُ فِيمَا عَلِمْنَا يَسْرِقُ الْمَسْرُوقَا

وقال أبو الشَّخْنَاءِ العسقلاني في مرض الجفون:

وَمَهْفَهْفٍ عَلِقَ السَّقَامُ بِجَفْنِهِ وَسَرَى فَخَيْمٌ فِي مَعَاقِدِ خَصْرِهِ
مَرَقَتْ أَثْوَابَ الظَّلَامِ بِثَغْرِهِ، ثُمَّ انْتَشَيْتُ أَحْوَكُهَا مِنْ شَعْرِهِ

واعلم أن معنى سقام الجفون، هو فتور يوجد فيها، وانكسار يعتريها. ومن ثم توصف
بالنبول، وتشبه بالنرجس، وما أبدع قول السراج [الوراق]²:

أَقُولُ لِمَنْ جَفْنُهُ سَيْفُهُ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ يَخْشَى نُبُوَّةَ
تَكَلَّفَ جَفْنُكَ حَمْلَ الْفُتُورِ وَأَخْرَجَ فِيكَ مِنَ الضَّعْفِ قُوَّةَ

وقوله³:

قُلْتُ لِسُقْمِ الْجَفْنِ مِنِّي، وَقَدْ أَفْرَطَ بِي فَرَطَ ضَنْئِي وَكَيْتَابِ،
فَقُلْتُ: بِي، يَاسُقْمُ، مَا لَمْ يَكُنْ يَلْبَسُ، وَاللَّهِ، عَلَيْهِ الثِّيَابُ

وقول ابن العفيف التلمساني:

¹ - ورد هذا الكلام وما يتعلق به من شعر في خزانة الأدب 19.

² - نسب هذان البيتان والذان بعدهما في خزانة الأدب 340 لأبي الحسن الجزار، والظاهر أن الإفراني
أخطأ في نسبتهما، وهو ينقل عن ابن حجة، بسبب استرسال هذا الأخير في استعمال ضمير الغيبة:
"وقال... وقال...".

³ - انظر الحاشية قبله. والبيتان منسوبان في ديوان الصبابة لناصر الدين الفقعسي.

يَا بَابِي مَعَاطِفَ وَأَعْيُنُ
فَهَذِهِ نَوَابِلُ نَوَاضِرُ،
يَصُولُ مِنْهَا رَمِيحٌ وَنَابِلُ
وَهَذِهِ نَوَاضِرُ نَوَابِلُ

وقول الأرجاني¹:

غَالَطْتَنِي إِذْ كَسَبْتَ جِسْمِي ضَنْئِي
ثُمَّ قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى
كِسْوَةٌ أَغْرَتَ مِنَ اللَّحْمِ الْعِظَامَا
مِثْلُ عَيْي، صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَامَا

محاسنُ الشَّوَاءِ²:

وَلَمَّا أَتَانِي الْعَاذِلُونَ، عَمِئَتْهُمْ،
وَقَدْ بُهْتُوا لَمَّا رَأَوْني شَاحِبَا،
وَمَا فِيهِمْ إِلَّا لِلـ[حَمِي] قَارِضُ
وَقَالُوا: بِهِ عَيْنٌ، فَقُلْتُ: وَعَارِضُ.

الشَّهَابُ مَحْمُودُ³:

رَأَيْتَنِي، وَقَدْ نَالَ مِنِّي النُّحُولُ،
فَقَالَتْ: بَعِزْنِي هَذَا السَّقَامُ،
وَقَاضَتْ لُمُوعِي عَلَى الْخَدِّ فَيْضَا
فَقُلْتُ: صَدَقْتَ، وَبِالْخُسْرِ أَيْضَا

الصَّفَّادِي⁴:

بِسَهْمِهِمْ أَجْفَانِيهِ رَمَانِي،
فَذُبْتُ مِنْ صَدْدِهِ وَيَّزْنِيهِ

¹ - لم أجد البيتين في ديوان الأرجاني. وفي ديوان الصبابة 154: "وأورد في كتاب حسن التوسل قول الأرجاني" ثم البيتان. ونسبهما في الغيث 160/1 لأبي التشاء محمود. وورد أيضاً في خزانة الأدب 146، ومعاهد التنصيص 181/3، وتزيين الأسواق 434.

² - الغيث المسجم 160، وديوان الصبابة 154/1، وخزانة الأدب 145 ومعاهد التنصيص 185/3.

³ - ديوان الصبابة 153-154، خزانة الأدب 146، ومعاهد التنصيص 185/3 وتزيين الأسواق 434.

⁴ - تزيين الأسواق 467.

إِنْ مِتُّ مَالِي سِوَاهُ خَصْنَمٍ، لِأَنَّهُ قَاتِلِي بَعِثْنِيهِ

ابن نباتة¹:

وَبَحَّ قَلْبِي مِنْ كَاسِرِ الطَّرْفِ، أَضْحَى فِيهِ قَلْبِي، كَمَا تَرَى، مَكْسُورًا
قَدْ حَمَى ثَغْرَهُ بَعِثْنِيهِ عَنِّي، وَكَذَلِكَ السُّيُوفُ تَحْمِي الثُّغُورًا

ومـ[م]ا يناسبُ هنا "ما نكره الزبيرُ بن أبي بكرٍ²، قال لي مُسلمُ بنُ عبدِ الله بنِ جندبٍ³ الهذلي: خرجتُ أريدُ العقيقَ ومعِي رِيَانُ السَّوِاقِ⁴، فلقينا نسوةً [في]هنَّ امرأةً لم أرَ أجملَ منها، فأشدَّ رِيَانُ بيتينِ لأبي، وهما:

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا أَخُوكُمْ قَتِيلًا، فَهَلْ فِيكُمْ لَهُ الْيَوْمَ ثَائِرُ
خُنُوءٍ بَدَمِي، إِنْ مِتُّ، كُلَّ خَرِيدَةٍ مَرِيضَةٍ جَفَنِ الْعَيْنِ، وَالطَّرْفُ سَاجِرُ

[ث]م قال لي: شأنك بها، فالطلاقُ له لازمٌ إن لم يكنْ دُمُ أهلكَ في نقابها، فأقبلتُ علي، وقالت لي: أنت ابنُ جندبٍ؟ قلتُ: نعم. قالت: إِنْ قَتَلْنَا لَا يُودَى، وَأَسِيرُنَا لَا يُقْدَى، فَاغْتَمُ نَفْسَكَ، وَاحْتَسِبْ أَبَاكَ، انتهى.

وقد تغالى الشعراءُ في تشبيهِ العيونِ بالنرجسِ، حتَّى شبَّهوا النرجسَ بالعيونِ، كقولِ

¹ - المصدر السابق 468.

² - الموشى: ابن بكار. ووردت هذه القصة في الموشى 111، ونهاية الأرب 149/2، ورفع الحجب 184/1، والمحصور بين حاصرتين مُطابق لما في رفع الحجب.

³ - في الأصل سلمة بن عبد الله بن جنوب، والتصويب عن الموشى ونهاية الأرب. وفي رفع الحجب: مسلمة.

⁴ - الموشى: معي أبو سفيان.

الجلي في النرجس والنمَام¹:

أَقُولُ، وَطَرَفُ النَّرْجِسِ الْغَضُّ شَاخِصٌ إِلَيْنَا وَلِلنَّمَامِ حَوْلِي إِلِمَامٌ:
أَيَا رَبِّ، حَتَّى فِي الْحَدَائِقِ أَعْيُنٌ عَلَيْنَا، وَحَتَّى فِي الرِّيَاحِينَ ذَمَامٌ

قال ابن حجة: أخذ الصفي هذا المعنى من قول يوسف بن لؤلؤ الذهبى من قصيد:

بَاكَرُ إِلَى الرُّوضَةِ، وَاسْتَجَلَّهَا، فَتَغَرُّهَا فِي الصُّبْحِ بَسَامٌ
وَلِلنَّرْجِسِ الْغَضُّ اعْتَرَاهُ الْحَيَا فَغَضَّ طَرَفًا فِيهِ أَسْقَامٌ
وَيَلْبُلُ الرُّوضِ يَصِيحُ عَلَى الدَّ أَيْكَةِ وَالشُّخْرُورُ تَمْتَامٌ
وَتَسْمَةُ الصُّبْحِ عَلَى ضَعْفِهَا، لَهَا بِنَا مَرٌّ وَإِلِمَامٌ
فَعَاظَنِي صَهْبَاءٌ مَثْمُولَةٌ عَذْرَاءُ وَالْوَأَشُّونَ نُوَامٌ
وَكَثُمُ أَحْلَاسِ الْهَوَى بَيْنَنَا، فَفِي خِلَالِ الرُّوضِ نَمَامٌ

وأخذه ابن الوردي أيضاً:²

إِنْ قَالَ صِفْ لِي عَذَارِي، وَصَفَ مُبْتَكِرٍ وَوَجَّعَتِي، قُلْتُ: خُذْ [يَا] صَنَعَةَ الْبَارِي:
هَذَا عِذَارُكَ نَمَامٌ، وَمَسْكُونُهُ نَارٌ بِخَدَيْكَ، وَالنَّمَامُ فِي النَّارِ

ولآخر:

نَرْجِسَةٌ مَا تَزَالُ مُحْرِقَةً، لَمْ تَكْتَحِلْ قَطُّ لَذَّةَ الْغَمَضِ
بَاكَرَهَا الطَّلُّ فَهِيَ بَاهِتَةٌ، تَنْظُرُ فِعْلَ السَّمَاءِ بِالْأَرْضِ

¹ - ديوان صفي الدين الحلي: 559.

² - البيتان غير معزوين، في حلبة الكميّ 252.

وفي الأصل: وهو مبتكر، والمثبت عن حلبة الكميّ، والزيادة منه وبدونها يَحْتَلُّ الوزن، وفيه: يا صبغة.

والأبيات في هذا المعنى كثيرة، وقد هَمَّ ابنُ يونسَ هذا التشبيهَ فقال: كما [سيأتي]¹:

يَا مَنْ يُسَبِّهُ نَرْجِساً بِنَوَاطِرٍ دُعِجْ، تَبَّهْ إِنَّ فَهْمَكَ رَاقِدٌ
إِنَّ الْقِيَاسَ، لِمَنْ يَصِحُّ قِيَاسُهُ، بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهُ مُتَبَاعِدٌ

المعاني

أتى بالمُسندِ إليه موصولاً للإيماءِ إلى وجهِ بناءِ الخبرِ، والإشعارِ بوجهِ الحكمِ المخبرِ بثبوتِ ذلكِ الخبرِ له. فإنه لما حكمَ عليه بأنَّ أصفانَه تركت² ما يأتي لكلفي به. ولهذا الحكمُ وجه³ يعلم من الموصولِ. وهو كونُ أصفانِه تشكو لي ما أشكو له، فهو كقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي"⁴، الآية. ويَحْتَمِلُ أن الإيماءَ إلى التعريضِ بالتعظيمِ ل شأنِ الخبرِ، كقوله⁵:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَغْزُ وَأَطْوَلُ

وأتى بـ(إذا) للإشعارِ بالاستمرار. وَجَمَعَ الحُرْقَ بقصدِ الدلالةِ على التكريرِ.

البيان

تماجز في الإملاء، حيث جعلَ المحبوبَ كأنه كاتبٌ وهو يُملي عليه. ونكتةُ ذلك، إيهامُ أنَّ حُرْقَهُ لا نهايةَ لها كثرةً، لأنَّ الإملاءَ مأخوذٌ من الامتلاء، وهو التعميرُ. وتماجزَ أيضاً في قوله: طَارَحْتَنِي. حيثُ نَسَبَ المُطَارحةَ إلى المُقِلِّ، وهو من شأنِ العقلاء. وكأنه فهمَ ذلكَ

¹ - زيادة من (ج) و(ب) والمطبوع وهي غير موجودة في الأصل.

² - في الكلام نقص، وفي (ج): لكلفي بها.

³ - في (ج): ولهذا الوجه حكم.

⁴ - تمام الآية: "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ". (سورة غافر 60/40).

⁵ - مَطْلَعُ قصيدة مشهورة للفرزدق في هجاء جرير (ديوان الفرزدق 155/2).

من لسانِ حالها. وتَماجَرَ أيضاً في إسنادِ المرضِ إليها، لأنَّ حالتها حالة المريضِ.

البديع

فيه الإيماحُ، وهو كما قالَ في المِصباحِ أن يتضمَّنَ التصريحُ بمعنى من فنَّ كنايةً عن معنى من فنٍّ آخر، كقولِ المُنْتَبِي¹:

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي، كَأَنِّي أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا

فإنه ضمَّنَ في وصفِ الليلِ بالطولِ الشكَايةَ من الدهرِ. وبيَّنه في بيتِ الأصلِ، حيثُ أَمَجَ الإخبارَ عن مرضِ جفونه التي هي أَقْرَبُ الأشياءِ إليه، فما بالكَ بغيرها، في ضمِنِ الشكَايةِ بعدمِ سماعه لشكوى عاشيقه، وطرده [المتَّ] علقَ على بابهِ.

الإعراب

مَنْ: مَوْصُولَةٌ بمعنى الذي، مبتدأ. وخبرها في البيتِ بعده²، وهو قوله: تَرَكَتْ أَجْفَانُهُ. وإذا: ظرف.

وجملة: أَمَلِي عَلَيْهِ حُرْقِي، من الفعلِ والفاعلِ والجارِ والمجرورِ والمفعولِ به: مضافةٌ إليها.

وَطَرَ حَتْنِي مُقْلَتَاهُ الدَّفَا: جملةٌ، هي جوابُها.

¹ - ديوان المُنْتَبِي 180.

² - يجوز أن يكون خبرها (إذا)، وجوابها كما ذكر المؤلف في إعراب البيتِ التالي.

تَرَكْتُ أَجْفَانَهُ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصَّفَا¹

اللغة

التَّركُ: الإبقاء. وَمِنْهُ: "وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ"²، أي أَبْقَيْنَا، وتركوا منه تَرَائِكَ أي بَقَايَا.

و"الجفنُ: غطاء العين من أعلى وأسفل، والجمعُ أَجْفُنٌ³ وأجفانٌ وجفونٌ". قال سبط بن التعاويذي:

بَيَّنَ السُّيُوفَ وَعَيْنَيْهِ مُشَارَكَةً مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلْأَعْمَادِ أَجْفَانُ
وَالرَّمَقُ: بَقِيَّةُ الْحَيَاةِ، جَمَعُهُ أَرْمَاقٌ. وما أَظْرَفَ قَوْلَ الْقَائِلِ⁴:

مَنْ غَيْرِي مِنْ عَوْلِي فِي قَمَرٍ قَامَرَ الْقَلْبُ هَوَاهُ فَقَمِرَ
قَمَرَ لَمْ يُبْقِ مِنِّي حُبُّهُ وَهَوَاهُ غَيْرَ مَقْلُوبٍ قَمَرَ

قُلْتُ: هذا النوعُ يُسَمَّى بِالْجِنَاسِ اللَّفْظِيِّ الْمَقْلُوبِ، كَقَوْلِهِ⁵:

أَسْكُرَنِي بِاللَّخْظِ⁶ وَالْمَقْلَةِ الْكَخْ لَاءٍ وَالْوَجْنَةِ وَالْكَاسِ

¹ - ديوان ابن سهل 284.

² - سورة الصافات 108/37.

³ - جفون، غير واضحة في الأصل، والصواب ما أثبتناه عن القاموس المحيط (جفن)، وهو مصدر النص.

⁴ - نسب البيتان في معاهد التنصيص 237/3 لابن عبد الله الغواص.

⁵ - نسبهما في معاهد التنصيص 238/3 لابن العفيف. وورداً أيضاً في الغيث المسجم 266/1.

⁶ - في الأصل وفي الغيث المسجم: أسكرني باللفظ. وأثبتنا ما في معاهد التنصيص.

سَاقٍ يُرِينَا قَلْبُهُ قَسْوَةً، وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسٍ
آخِر¹:

حَكَانِي بِهَارِ الرَّوْضِ حِينَ الْفَتْهُ، وَكُلُّ مَشْوُقٍ لِلْبَهَارِ مُصَاحِبُ
فَقَلْتُ لَهُ: مَا بَالُ لَوْثِكَ شَاحِيَاً؟ فَقَالَ: لِأَنِّي حِينَ أَقْلِبُ رَاهِبُ

ومنه ما قاله الصاحب بن عباد لأبي العباس الحارث في يوم قيظ، وقد طلب مروحة الخيش، ما يقول الشيخ في مقلوبه؟

ومروحة [الخيش] أحدثها ملوك بني العباس، ونكرها الحريري في مقاماته. قال الشريشي في شرح المقامات: هذه المروحة شبيهة الشراع للسفينة، تعلو في السقف، ويشدُّ بها حبل، وترش بماء الورد، فإذا أراد الرجل في القائلة أن ينام، جذب بحبلها، فتذهب بطول البيت وتجيء، فيهب على الرجل منها نسيم بارد رطب، انتهى².

والأكثر: بالمثلثة المفتوحة: بقية الشيء، والجمع آثار، ومنه: "أوثارة من علم"³، أي بقية. وهم على أثاره من علم، أي بقية يثرونها عن الأولين.

والنمل: معروف، الواحدة نملة، والجمع نمل. وما أحسن قول الأول⁴:

لَقَعَ فَمَا نَبَقَى بِلَا بُلْغَةٍ، فَلَيْسَ يَنْسَى رَبُّكَ النَّمْلَةَ

¹ - البيتان في خزانة الأدب 49.

² - أخذ الإفرائي هذه القصة عن خزانة الأدب 49 بتصرف.

³ - سورة الأحقاف 4/46، وصلة الآية: "إِتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ".

⁴ - البيت في حياة الحيوان 366.

إِنْ أَقْبَلَ الدَّهْرُ، فَقُمْ قَائِمًا، وَإِنْ تَوَلَّى مُدْبِرًا، فَقُمْ لَهْ

وَسُمِيَتْ نَمْلَةً لَتَمْلُهَا، وَهُوَ كَثْرَةُ حَرَكَتِهَا، وَقَلَّةُ قَوَائِمِهَا. وَمِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ لَا يَتَسَاوَدُ، وَإِنَّمَا يَسْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ حَقِيرٌ فِي الْأَرْضِ فَيَنُمُو حَتَّى يَصِيرَ بَيْضًا، ثُمَّ يَكُونُ مِنْهُ.

فائدة

قَالَ الْكَمَالُ التَّمِيرِيُّ فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ: الْبَيْضُ كُلُّهُ بِالضَّادِ، إِلَّا بَيْضُ النَّمْلِ فَإِنَّهُ بِالمُشَالَةِ، انْتَهَى. قُلْتُ: رَاجَعْتُ مَاتَنِي الْكَلِمَتَيْنِ فِي الْقَامُوسِ وَالْأَسَاسِ، فَمَا فَصَّلُوا تَفْصِيلَ الْكَمَالِ، وَلَا عَرَّجُوا عَلَيْهِ، بَلْ كَلَامُهُمْ يَقْتَضِي أَنَّهُ بِالضَّادِ أَيْضًا.

وَالنَّمْلُ لَهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ فِي حُكْمَةِ الطَّعَامِ، يَقْسِمُهُ نَصْفَيْنِ كِي لَا يَنْبَتَ¹. وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: لَيْسَ شَيْءٌ يُخْبِئُ [قَوْلُهُ] إِلَّا الْإِنْسَانُ وَالنَّمْلُ وَالْفَأْرُ، كَذَا فِي الْإِحْيَاءِ لِلْغَزَالِيِّ. وَزَادَ بَعْضُهُم اللَّبْلَبَ وَالْعَقَّاقُ. وَسُمِيَتْ سُورَةُ النَّمْلِ لَنَكَرِ النَّمْلِ فِيهَا، كَمَا سُمِيَتْ سُورَةُ النَّحْلِ. وَمَا لَطَفَ قَوْلَ ابْنِ مَرْجٍ الْكَحَلِ²:

نَخَلْتُمْ فَأَفْسَدْتُمْ قُلُوبًا بِمُلْكِكُمْ، فَانْتُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ
وَبِالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ لَمْ تَتَخَلَّقُوا، فَانْتُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَاكَ النَّمْلِ جَعَلَ لَهُ أَجْنَحَةً فَتَأْكُلُهُ الْعَصَافِيرُ. قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ³:

¹ - انظر مناهج الفكر 181/3 تحت عنوان: القول في طبائع النمل.

وفي الأصل: ويقسمه، والواو زائدة، أو هناك نقص في الكلام.

² - البيهقي له في نفع الطيب 54/4، وفيهما إشارة إلى الآية 34/27: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا". والآية 76/16: "أَيْنَمَا يُوْجَدُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ"، أو إلى الآية 62/16: "وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ". (انظر حاشية ج).

³ - ديوان أبي العتاهية 61، من قصيدة في الزهد.

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْبَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ، فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ

وكان الرشيدُ يردُّ البيتَ عندَ نكبةِ البرامكة.

والأصمُّ من الحِجْلَةِ والصُّخُورِ: الصَلَّتُ منها.

والصَّفَا و"الصَّفَاةُ": الحَجَرُ الصَّلْدُ الضخمُ لا يُنبِت، والجمعُ صفوات، وصفاً [و] جمع
الجمع [أصفاة] وصفي¹ والصَّفْوَانَةُ² جمعُ صفوان.

المعنى

أنه ابتلي بلحاظه، وتعلق بجمال أحداقه، ففتكت به، وأوقعت بشبح روحه، فلم تغادر منه
إلا بقية قليلة، وأثراً نزرأ، يحاكي ما تدعه النملة عند نبيها على متن الصخرة الصماء.
والمراء من هذا التنزيل كله إفادة أنه لم يبق منه شيء، ولا ما هو أقل من القليل، فإن النملة
لصغر جرمها، ونحولة جسمها، لا تؤثر شيئاً في الصفاة. وفي المعنى لابن دريد³:

إِنَّ الَّذِي أَبْقَيْتَ مِنْ جِسْمِهِ، يَأْمُلُفَ الصَّبَّ وَلَمْ يَشْعُرْ
حُشَّاشَةً لَوْ أَنَّهَا قَطْرَةٌ تَجُولُ فِي جَفْنِكَ، لَمْ تَقْطُرْ

المتنبي⁴:

فَلَوْ قَلَمَ الْقَوِيَّتُ فِي شِقِّ رَأْسِهِ مِنْ السَّقَمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

¹ - نص القاموس المحيط (صفو)، والزيادة منه، وهي ضرورية.

² - في الأصل: الصفوانة. ونص القاموس المحيط: "الصفوانة ج صفوان ويحرك".

³ - ديوان ابن دريد 67.

⁴ - ديوان المتنبي 209.

له¹:

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنْزِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

ومن الغاية في هذا الباب، قولُ سلطانِ العشاقِ ابنِ الفارض²:

كَأَنِّي هِلَالُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأْوِهِي خَفِيتُ، فَلَمْ تَهْدِ الْعُيُونُ لِنَظَرَتِي
وَقَالُوا: تَلَاَفَ مَا بَقِيَ مِنْكَ، قُلْتُ: لَا أَرَانِي إِلَّا لِلتَّلَاَفِ تَلَفُتِي
فِيَا سَمْعِي، لَا تُبْقِ لِي رَمَقاً، فَقَدْ أَبَيْتُ لِيُقَيَّا الْعِزَّ [نُلَّ] الْبَقِيَّةُ

آخر³:

قَدْ سَمِعْنَا أَيْنَ مِنْهُ مِنْ بَعِيدٍ، فَاطْلُبُوا الشَّخْصَ حَيْثُ كَانَ الْأَيْنُ

آخر⁴:

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرٌ

أشارَ للآيةِ "حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ"⁵. قال ابنُ حجة: ومما لا يقبله العقلُ من هذا
المعنى قولُ القائل⁶:

¹ - ديوان المتنبي 2.

² - البيتان الأولان هما من قصيدة في ديوان ابنِ الفارض 37، 41. والبيتُ الثالثُ من الثانية الكبرى
المسماة بنظم السلوك، وهي في ديوانه 79.

³ - في خزنة الأدب 282، ومعاهد التنصيص 26/3، وفيهما: قَدْ سَمِعْتُمْ.

⁴ - في خزنة الأدب 282: لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ كَافِرٌ.

⁵ - في سورة الأعراف 40/7: "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا... لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى
يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ".

⁶ - خزنة الأدب 284، والغيث المسجم 139/2، وديوان الصبابة 214.

فَذَكَانَ لِي فِيمَا مَضَى خَاتَمٌ
وَتُبْتُ حَتَّى صِرْتُ لَوْزَجُ بِي
وَالْيَوْمَ لَوْ شِئْتُ تَمَنَّقْتُ بِهِ
فِي مَقَلَةِ النَّائِمِ لَمْ يَنْتَبِهْ

ومما يتعلق بهذا قول أبي نواس:

مُعْتَقَّةٌ صَاغَ الْمِرْجَاحَ لِرَأْسِهَا
جَرَتْ حَرَكَاتُ الدَّهْرِ فَوْقَ سُكُونِهَا،
وَأَذْرَكَ مِنْهَا الْفَائِزُونَ بَقِيَّةَ
وَقَدْ خَفِيتُ مِنْ لُطْفِهَا فَكَأَنَّهَا
أَكَالِيلُ ثُرٍّ، مَا لِنَاظِمِهَا سِلَاقُ
فَذَابَتْ كَذَوْبِ التَّيْبِرِ أَخْلَصَهُ السَّبَّاقُ
مِنْ الرُّوحِ فِي جِسْمٍ أَضْرَبَهُ النَّهْكَ
بَقَايَا يَوْقِينَ، كَادَ يُذْهِبُهُ الشَّاقُ

وقال:

أَخْفَيْتُ حُبُّكُمْ فَأَخْفَانِي أَسَى،
حَتَّى لَعَمْرِي كُنْتُ عَنِّي أَخْفَى

وما أحلى قول ابن اللبانية:

لَمْ يَنْزِ طَبَقُكَ مَوْضِعِي مِنْ مَضْجَعِي،
فَعَدْرَتُهُ فِي أَنَّهُ لَا يَطْرُقُ

المعنى

عَبَّرَ بِالْأَجْفَانِ صِغَةً جَمَعَ الْقَلَّةَ مَكَانَ الْجَفْنَيْنِ، لِأَنَّ التَّشْبِيهَ جَمَعَ فِي الْمَعْنَى، وَلِأَنَّ أَقْلَّ الْجَمْعِ اثْنَانِ فِي رَأْيِي. وَنَكْتَةُ ذَلِكَ تَعْظِيمُ شَأْنِ الْأَجْفَانِ. وَأَتَى بِمِنْ التَّبْعِيضِيَّةِ إِذْ أُنَا بِقَلَّةِ الْمَتْرُوكِ، وَأَنَّهُ صُبَابَةٌ مِنْ وَشَلٍ. وَلَا يُقَالُ: إِنَّ الْجَفُونَ أَرْبَعَةٌ بِاعْتِبَارِ الشَّعْرِ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ، لِأَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِ اللُّغَوِيِّينَ، أَنَّ الْجَفْنَ اسْمٌ لِلْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ. ثُمَّ بَعْدَ كِتَابِي هَذَا رَأَيْتُ لِلْغُبَرِيِّ فِي مَسَارِحِ الْأَنْظَارِ أَنَّ أَعْضَاءَ الْمَرْءِ إِنْ كَانَتْ مَفْرَدَةً فِيهِ كَالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ. وَأُرِيدُ تَشْبِيهَهُ

فالجمعُ أولى من غيره، [لم] في التثنية من اجتماع تَنَتَيْنِ في نحوِ قَلْبَاكُمَا، ولأنَّ الإفرادَ يُوَدِّي معنى التثنية، والجمعُ يؤدِّيها مع زيادة. والإفرادُ أولى من التثنية، وهذا رأيُ ابنِ مالكٍ في الكافية¹، ووجَّهَ الفراءُ استعمالَ الجمعِ مكانَ المثنى، بأنَّ أكثرَ أعضاءِ البدنِ اثنانِ اثنان، فإذا كانَ في البدنِ واحدٌ أَقِيمَ مَقَامَ اثنَيْنِ. فإذا تَنَّى قَامَ مَقَامَ أربعٍ، فلذلكَ جُمِعَ. قالَ أبو سعيدٍ السِّيرافي في شرح الكتاب: يُقَوِّي ما قاله الفراءُ أَنَّ الديةَ فيما كانَ واحداً في البدنِ كاملةً، وفي أحدٍ [من اثنَيْنِ]² نصفها، وإن كانت مُتَعَدَّةً كالمُفْرَدَةِ، فيجوزُ الجمعُ عندَ التثنية، ومنه الحديثُ: "أَزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ"³، ويجري هذا في المُفَصَّلِ عَنِ الجسدِ، نحو: أَمَدُ اللَّهِ أَعْمَارُكُمْ.

حكاية

قالَ صاحبُ عُنْوَانِ الدَّرَايَةِ: اجتمعَ ابنُ الأَبارِ وابنُ كَحِيلَةَ على جنازةٍ، وغابَ إمامُ الصلاة، فقالَ ابنُ كَحِيلَةَ: يُنْظَرُ مَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ لِنَصْرِفِ النَّاسِ، فقيلَ: لِحَقِّ لَوْلَايَ المِيتِ، فقالَ: بِالْأَسِنَّتَيْهِمَا نَكَلَمْتُ. فقالَ ابنُ الأَبارِ مُنْكَتاً عَلَيْهِ: ويجوزُ بِالْأَسِنَّتَيْهِمَا يَا فَتِيه؟ حيثُ جَمَعَ اللِّسَانُ عِنْدَ التَّثْنِيَةِ. فقالَ ابنُ كَحِيلَةَ: نعم، قالَ اللَّهُ: "فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ"⁴، وهو الصَّوَابُ وَغَيْرُهُ خَطَأٌ. فلما انصرفَ النَّاسُ، اجتمعَا، وتراضيا، انتهى⁵.

¹ - قال ابنُ مالكٍ في الكافية:

وَهُوَ مِنَ الْأَصْلِ أَحَقُّ وَالتَّزَمَ فِي نَحْوِ: قَبْلَ كَفَّ قَيْسٍ وَهَرَمَ

وعلق عليه في الشرح: "وإلى تفضيل الإفراد على التثنية أشرت بقولي: وهو من الأصل أحق..."

² - زيادة من (ج).

³ - الموطأ 657.

⁴ - في سورة التحريم 4/66: "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا".

⁵ - عنوان الدراية 171-172 بتصرف.

وخصَّ الناظمُ أثرَ النملِ لأنها أُنحفُ الحيواناتِ جسماً وأدقُّها جِرمًا، ويكفي أن الله تعالى ضربَ بها المثلَ في الخفةِ فقال: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ"¹. قال الكواشي: الذرة، النملة الصغيرة. في شرح الرسالة للشيخ زروق: أنهى بعضهم الأقوال في الذرة إلى عشرين قولاً، مرجعها إلى أقلِّ الشَّيء في الوجود.

وخص (صم الصفا) تغالياً في نفي البقيّة، إذ النملة أخفها لا تبقى أثراً فوق مثنى الحجر الصلّد. وتكررت هنا قول القائل:

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَقْرَبًا، وَقَدْ جَعَلْتُ ضَرْبَهَا دَيْدَنًا
فَقُلْتُ: عَلَى صَخْرَةٍ تَضْرِبِينَ² وَطَبَعُكَ مِنْ طَبَعِهَا أَلَيْنَا!
فَقَالَتْ: عَلِمْتُ، وَلَكِنِّي أَرَنْتُ أَعْلَمُهَا مَنْ أَنَا

وقد ضربت العربُ المثلَ بخفاءِ أثرِ النمل، فقالوا: أخفى من ديببِ النمل. قال حمزة بن الحسن الإصبهاني في كتابه في الأمثال المسمى: أفعال من كذا، وهو كتابٌ حفيظ، وقفتُ عليه ورأيتُ مكتوباً على ظهره أن مؤلفه [فه] لم يُوقَف³ له على ترجمة، ما نصّه: رَوَى أَبُو وَلَيْلٍ عن مسروق، قال: إذا أكلَ القاضي [الهدية] فقد أكلَ السُّحتَ، فإن قبلَ الرشوة تشعّبَ به الكفرُ والرياءُ سببَ [عين] باباً، وهو أخفى من ديببِ النمل، انتهى.

¹ - سورة الزلزلة 8/99.

² - في الأصل:

فقلت ألدغ في صخرة

والمثبت من (ج). وحق "ألينا" بعده الرفع، نصب لضرورة القافية.

³ - في الأصل: يقف، ولم نر له وجها. وترجمته في الأعلام للزركلي.

فِيهِ التَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ بِحَذْفِ الْأَدَاةِ، فَهُوَ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ¹:

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْوهِ الْعَوْدِ

أي كَأَثَرِ النَّمْلِ، وَكَنْظَرِ الْمَرِيضِ، ثُمَّ حَذَفَتْ الْكَافَ قَصْداً لِلْمَبَالِغَةِ، إِلَّا أَنَّ تَشْبِيهَ النَّابِغَةِ مُعْتَرِضٌ مِنْ جِهَةِ تَشْبِيهِ الْمَحْبُوبِ بِالْمَرِيضِ، وَهُوَ غَيْرُ لَائِقٍ.

والتشبيه على أربعة أقسام:

الأول تشبيه محسوسٍ بمحسوسٍ وهو أفضلها، ومنه لابن المعتز²:

أَنْظُرْ إِلَى حُسْنِ هِلَالٍ بَدَا يَهْتَكَ مِنْ أَنْوَارِهِ الْجَنْدِيسَا
كَمَنْجَلٍ قَدْ صِيغَ مِنْ عَسْجَدٍ يَخْصُدُ مِنْ زَهْرِ الثُّجَي نَرْجَسَا

ولله³:

قَدْ انْقَضَتْ نَوْلَةُ الصِّيَامِ، وَقَدْ بَشَّرَ سَقْمُ الْهِلَالِ بِالْعِيدِ
يَتَلَوُ الثَّرِيَّا كَفَاغِرٍ شَرَّهَا يَفْتَحُ فَاةَ الْأَكْلِ عَنْقُودِ

ولله⁴:

¹ - ديوان النابغة 40. من قصيدته الشهيرة: سقط النصف..

² - ديوان ابن المعتز 246. والجنديس: الظلمة الشديدة، جمعه حنادس.

³ - البيت الأول وحده في ديوان ابن المعتز 159، وبعده آخر:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالنَّايِ وَالْعُودِ وَاسْقِيَانِي دَمَ ابْنَةِ الْعُنُقُودِ

⁴ - البيتان 7، 9 من قصيدة في الغزل في ديوان ابن المعتز 219.

وَجَاعَيْ فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَرّاً
يَسْتَعِجِلُ الْخَطْوَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ
وَلَا حَ ضَوْءُ هِلَالٍ كَانَ يَفْضَحُهُ
مِثْلُ الْقَلَامَةِ قَدْ قُنْتُ مِنَ الظُّفْرِ
آخر:

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ مُزْهَرَةٌ لَنَا
تُغَوِّرُ بَنِي حَامٍ بَدَتْ لِلتَّأْوُبِ
ابن نباتة في أدهم أغرّ مُحَجَّل¹:

يَخْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مُحَجَّلٍ،
مَاءُ الدِّيَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ
وَكُنَّ مَا لَطَمَ الصَّبَّاحُ جَبِينَهُ
فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَعَاصٍ فِي أَحْسَائِهِ
آخر²:

وَكَأَنَّ نَرَجِسَهُ الْمُضَاعَفَ خَائِضٌ
فِي الْمَاءِ لَفَّ ثِيَابَهُ فِي رَأْسِهِ
ومن بدائع التشبيه قول سيف الدولة ابن حمدان في قوس قزح³:

وَسَاقٍ صَبِيحٍ، وَلِلصَّبَّوحِ دَعْوَتُهُ
فَقَامَ وَفِي أَجْقَانِهِ سِنَّةُ الْغَمَضِ
يَطُوفُ بِكَاسَاتِ الْعُقَارِ كَأَنَّهُمْ
فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضٍ عَلَيْنَا وَمُنْقَضٍ

¹ - لم نجد البيتين في ديوان ابن نباتة ونسبهما له في خزانة الأدب 219، وفيها: تختال.

² - نسبه في خزانة الأدب 219 لأئيمر المحيوي.

³ - هذه الأبيات معروفة لابن الرومي، وهي في ديوانه 1419/4، وقال في معاهد التنصيص 109/1: "وبعضهم ينسبها لسيف الدولة ابن حمدان، ومنهم صاحب البيتمة". ووردت هذه الأبيات كذلك في خزانة الأدب 221.

في الأصل: منفض علينا ومنفض، والصواب ما أثبتناه عن معاهد التنصيص، وفي الديوان: وغير منفض، مع الإشارة في الحاشية إلى الروايات الأخرى.

وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي الْجُتُوبِ مَطَارِفَاً عَلَى الْجَوِّ دُكْنًا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَصْنَافٍ عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ إِثْرَ مُنْيَضٍ
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ، أَقْبَلْتُ فِي غَلَاثِلٍ² مُصْبَغَةٍ، وَبِالْبَعْضِ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ

تتبيه

قَالَ ابْنُ الْمَعْلَى: يُكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: قَوْسُ قَرْحٍ، لِهَذِهِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ النَّوَوِي: وَلِنَا فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نَعِيمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُولُوا: قَوْسُ قَرْحٍ، فَإِنَّ قَرْحَ شَيْطَانٍ، وَلَكِنْ قُولُوا: قَوْسُ اللَّهِ، فَهُوَ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، انْتَهَى³.

آخر⁴:

أَقْبَلُهُ عَلَى جَزَعٍ كَشُرْبِ الطَّائِرِ الْفَزَعِ

ولِعَزَّ الدِّينُ الْمُوصِلِيُّ⁵:

قِيلَ: صِيفُ هَذَا الَّذِي هِمَّتْ بِهِ، قُلْتُ فِي وَصْفِي، مَعَ حُسْنِ الْمَسَالِكِ:
هُوَ كَالْغُضَنِ وَكَالشَّمْسِ وَكَالظَّبِّ سِي [وَكَالْبَذْرِ]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ

القسم الثاني: تشبيهه معقول، ومن أحسنه قول أبي الطيب⁶:

1 - في الأصل: ركزاً، والمثبت عن خزانة الأدب 221، ومعاهد التنقيص 109/1.

2 - في الأصل: دلائل، والمثبت عن خزانة الأدب 221.

3 - لم أعثر على هذا الحديث في الصحاح من كل المداخل المحتملة.

4 - البيت في نهاية الأرب 59/2، والغيث المسجم 239/1، وخزانة الأدب 221 منسوباً لسيف الدولة ابن حمدان.

5 - التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول ناقصة. وكالبدر: زيادة من خزانة الأدب 224.

6 - ديوان المتنبّي 129.

كَأَنَّ اللَّهَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي، فَسَاعَةً هَجَرَهُ يَجِدُ الْوَصَالَ

وَقَالَ آخِرُ، [بِهـ] جَو، أَيْبَاتًا مَعَ اسْتَطْرَادِ هَجْوِ طَوِيلِ اسْمِهِ عَبْدُ اللَّطِيفِ، وَكَانَ نَاضِرًا عَلَى الْأَحْبَاسِ:

لَفْظٌ طَوِيلٌ تَحْتَ مَعْنَى قَاصِرٍ كَالْعَقْلِ فِي عَبْدِ اللَّطِيفِ النَّاضِرِ

الثالث: مَعْقُولٌ بِمَحْسُوسٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا:

إِنَّمَا النَّفْسُ كَالزُّجَاجَةِ وَالْعَقْلُ لُ سِرَاجٌ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ زَيْتٌ

البديع

فِيهِ الْمُبَالِغَةُ، وَسَمَّاها ابْنُ الْمُعْتَرِّ: الْإِفْرَاطَ فِي الصِّفَةِ¹. قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ فِي الْعُمْدَةِ: هِيَ بُلُوغُ الشَّاعِرِ أَقْصَى مَا يُمَكِّنُ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ². وَمِثَالُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ³:

أَضَاعَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ نَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعَ نَاقِيَهُ

فَالْمَعْنَى تَمَّ فِي قَوْلِهِ: نَجَى اللَّيْلِ، وَلَكِنْ زَادَ مَا هُوَ أَغْرَبُ فِي قَوْلِهِ: حَتَّى الْخ.. وَمُسَايِرَةُ ذَلِكَ فِي بَيْتِ التَّوْشِيحِ ظَاهِرَةٌ، إِذِ الْمُرَادُ كَمَلَّ فِي قَوْلِهِ: أَثَرُ النَّمْلِ. وَ[زَادَ] قَوْلُهُ: عَلَى صُمِّ الصَّفَا، إِغْرَابًا وَإِدَاعًا.

وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمُ الْمُبَالِغَةَ، وَقَالُوا لَيْسَ [فِيهَا]⁴ [إِلَّا] التَّهْوِيلُ عَلَى السَّامِعِ. وَرَبُّمَا أَحَالَتِ

¹ - البديع 116-117.

² - قصد ابن رشيق بالمبالغة التي أوردها الإفراني ما يسمى عند (الحذاق) بالتقصي وهو نوع من المبالغة، وليس مطلق المبالغة. (العمدة 55/1).

³ - ديوان بشار وخزانة الأدب 279.

⁴ - زيادة يقتضيها سياق الكلام.

المعاني فأخرجتها عن حدّ الكلام الممكن إلى حدّ الامتاع. والصواب أنها من المحسنات التي لا يجوز في حلّبات سبقها إلا فحول هذه الصناعة. وكفى شاهداً على ذلك قولهم في الشعر: أكنبه أعذبه¹. وقد اعترض النابغة بها على حسان في قوله²:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يُلْمَعْنَ بِالضُّحَا وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ تَمَا

في تقليل الجفّنات، وفي اللمع، لأنه بياض قليل، وفي يقطرن، إذ القطرة تكون للقليل. فإن قلت ما الفرق بين المبالغة والغلو والإغراق؟ فالجواب أن المبالغة وصف الشيء بالممكن للقريب³ وقوعه عادة، والأغراق للبعيد عادة، والغلو بما⁴ يستحيل وقوعه ومن أمثلة الغلو، وهو قسمان، مقبول وغير مقبول، فالأول كقوله⁵:

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْقَانِ رَاحَتَهُ رُكْنُ الْحَاطِمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

والثاني كقول أبي نواس⁶:

وَأَخْفَتِ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفُ اللَّيْلِي لَمْ تُخْلَقِ

قال ابن حجة: من لطيف ما يحكى أن العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال له: أما تستحي

¹ - تبنى الإفراني رأي ابن حجة في الدفاع عن المبالغة. انظر خزانة الأدب 279.

² - ديوان حسان 218.

³ - في الأصل: البعيد، وهو خطأ، والمثبت في خزانة الأدب 279.

⁴ - في الأصل: مما، والمثبت عن المصدر السابق.

⁵ - البيت للفرزدق في ديوانه 180/2 من قصيدته الشهيرة في مدح زَيْن العابدين علي بن الحسين.

والحطيم: حجر الكعبة، أو جداره، أو ما بين الركن وزمزم والمقام: (القاموس المحيط: حطم).

⁶ - لم أجد هذا البيت في ديوان أبي نواس، وهو في الشعر والشعراء 801.

مِنَ اللَّهِ بِقَوْلِكَ: وَأَخَفْتَ أَهْلَ الْخ...، فَقَالَ لَهُ أَبُو نَوَاسٍ: وَأَنْتَ لِمَا تَسْتَحْيِي مِنَ [اللَّهِ] فِي قَوْلِكَ¹:

مَا زِلْتُ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ مُطْرَحاً يَضِيقُ عَنِّي وَسِيعُ الرَّأْيِ مِنْ حِيلِ
فَلَمْ تَزَلْ دَائِباً تَسْعَى بِطُفُوكَ لِي حَتَّى أَخَذْتَ حَيَاتِي مِنْ يَدَيَّ أَجْلِي

وظنني أن الحكاية غيرُ صحيحة، والبيتُ للمتنبي في ديوانه².

وفيه النَّائِرَةُ، وَسَمَّاهَا قَوْمَ الْإِغْرَابِ وَ الظَّرَافَةِ³. قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ⁴: وَهِيَ أَنْ يَعْمِدَ الشَّاعِرُ إِلَى مَعْنَى مَشْهُورٍ لَيْسَ بِغَرِيبٍ فَيَزِيدُ فِيهِ نَكْتَةً لَمْ تَقَعْ لغيرِهِ لِيَصِيرَ الْمَعْنَى الْمُسْتَعْمَلُ بِهَا غَرِيباً. وَبَيَّانُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَنَّ تَشْبِيهَ الْحِسَانِ بِالْبَدْرِ أَوْ الشَّمْسِ وَالظُّبْيِ مَبْذُولٌ، ذَهَبَتْ حُلَاوَتُهُ لكَثْرَةِ ابْتِدَالِهِ، فَإِذَا تَصَرَّفَ فِيهِ الشَّاعِرُ بِزِيَادَةِ اسْتِمْلَاحَتِهِ النَّفُوسُ، كَقَوْلِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ⁵:

تَرَأَى، وَمِرَاةَ السَّمَاءِ صَقِيلَةً، فَأَثَرُ فِيهَا وَجْهَهُ صُورَةَ الْبَذْرِ

وَيُعْجِبُنِي غَايَةُ قَوْلِ بَدْرِ الدِّينِ حَسَنِ الزُّغَارِيِّ⁶:

سَرَتْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ لِي نَسْمَةُ الصَّبَا وَقَدْ أَصْبَحَتْ حَسْرَى مِنَ السَّيْرِ ظَالِمَةً
فَمِنْ عَرَقٍ مَبْلُولَةٍ الْجَنِّبِ بِالْنَّدَى وَمَنْ تَعَبَ أَنْفَاسُهَا مُتَتَابِعَةً

¹ - القصة وما يتعلقُ بها من شعر في خزانة الأدب 284، ونقلها الإفراني بتصرفٍ قليلٍ.

² - وَهَمُ الْمُؤَلِّفِ. بَلِ الْبَيْتُ لِأَبِي نَوَاسٍ فِي دِيْوَانِهِ، وَ فِي الْعُمْدَةِ ص 775 (تَحْقِيقُ قَرَقَزَانِ).

³ - فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ 276: الطَّرْفَةُ.

⁴ - فِي الْأَصْلِ: ابْنُ الْأَصْبَغِ، وَهُوَ خَطَا تَكَرَّرَ عِنْدَ الْإِفْرَانِيِّ، وَقَدْ أَصْلَحْنَاهُ سَابِقًا.

⁵ - خَزَانَةُ الْأَدَبِ 276، وَحُلْبَةُ الْكَمِيتِ 343.

⁶ - الْبَيْتَانِ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ 276. فِي الْأَصْلِ: ضَالَعَةٌ، وَفِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ: ضَائِعَةٌ، وَكِلَاهُمَا تَصْحِيفٌ، وَلَا مَعْنَى لِهَمَا هُنَا. وَظَالَعَةٌ: تَظَلَّعَ مِنْ عَنَاءِ السَّيْرِ، أَيْ تَعَرَّجَ.

الإعراب

تَقَدَّمَ أَنْ (تَرَكْتَ) خَيْرَ (مَنْ) فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ. أَوِ الْجُمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ، وَالْخَبَرُ فِي (إِذَا) وَجَوَابِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: عَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا تَضْمِينٌ، وَهُوَ مَعِيبٌ. قُلْتَ: قَالَ ابْنُ رُشَيْدٍ الْفَهْرِيُّ: الْمَعِيبُ مِنَ التَّضْمِينِ هُوَ مَا كَانَ بَيْنَ الْقَافِيَةِ وَصَدْرِ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهَا، [كَبَيْتٍ] نَتِي النَّابِغَةُ يَوْمَ عَكَاظٍ: إِنِّي شَهِدْتُ¹ الْخ.. أَمَا مَا لَيْسَ عَلَى هَذَا فَسَائِغٌ، انْتَهَى. وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رُشَيْدٍ هُوَ قَوْلُ الْمُبَرِّدِ. قَالَ النَّمَامِينِيُّ فِي الْعَيُونِ الْغَامِزَةِ: "وَوَجْهُهُ أَنْ الْقَافِيَةَ مُحَلٌّ الْوَقْفِ وَالِاسْتِرَاحَةِ، فَإِذَا كَانَتْ مُفْتَقِرَةً لِمَا بَعْدَهَا لَمْ يَصَحَّ الْوَقْفُ عَلَيْهَا، أَمَا إِذَا سَلِمَتْ هِيَ فَلَا عَيْبَ²، انْتَهَى. فَاحْفَظْ هَذَا، فَإِنَّهُ مِمَّا يَغْلُطُ فِيهِ كَثِيرٌ.

وَالْتَّاءُ: لِلتَّائِيثِ، وَهِيَ حَرْفٌ. وَمِنْ الْغَرِيبِ مَا رَأَيْتَهُ لِلصَّلَاحِ الصَّقْدِيِّ فِي الْغَيْثِ فِي قَوْلِهِ: [أَصَالَ] الرَّأْيِ صَانَتْنِي³. أَنْ صَانَ فَعَلٌ، وَالتَّاءُ ضَمِيرُ الْفَاعِلِ. وَهَذَا عَلَى مَذْهَبِ الْجَوْلِيِّ، وَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ جَدًّا. ثُمَّ رَأَيْتُ الْبَدْرَ النَّمَامِينِيَّ فِي حَاشِيَةِ الْمُغْنِيِّ نَكَّتَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ.

¹ - بيتا النابغة في ديوانه 123-124 هما:

وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ، وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عَكَاظٍ، إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتُهُمْ بِسُودِ الصَّنَدْرِ مَنِّي
وهما في ديوانه 123-124.

² - العيون الغامزة 103، وفيه: "إذا سلمت من الافتقار فلا عيب".

³ - انظر الغيث المسجم 39/1. والشطر كاملاً من لامية العجم للطغرائي (ص9) هو:

أَصَالَ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطْلِ

وَأَجْفَأْتُهُ: فاعلٌ، مُضَافٌ ومُضَافٌ إِلَيْهِ. ذَكَرْتُ هُنَا قَوْلَ ابْنِ الْأَبَرِ مِنْ مَقْطُوعَةٍ¹:

وَمَنْعَمَ غَضَّ الْقِطَافُ	عَذَّبَ الْغُرُوبَ لِلْأَرِشَافِ
قَدْ صَبَّغَ مِنْ نُرِّ الْجَمَالِ	وَصَيَّنَ فِي صَنْفِ الْعَفَافِ
وَضَمَمْتُ نَاعِمَ عِطْفِهِ	ضَمَّ الْمُضَافِ إِلَى الْمُضَافِ
وَعَصَيْتُ سُلْطَانَ الْهَوَى	وَأَطَعْتُ سُلْطَانَ الْعَفَافِ

وَمِنْ: للجرِّ، ومعنى التَّبْعِيضِ. أَثَرٌ²: نَعْتُ لِمَحْنُوفٍ³. وَالنَّمْلُ: مُضَافٌ لَهُ. وَعَلَى: يَتَعَلَّقُ بِ(أَثَرٍ). وَصَمُّ الصَّفَا: مُضَافٌ [وَمُضَافٌ إِلَيْهِ].

¹ - البيتان 1، 4 من الأبيات في الشريشي الكبير 181.

² - في الأصل: أثرا، وهو غلط.

³ - ويجوز أنه مفعول به لـ (ترككت).

وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِيَ، لَسْتُ أَلْحَاهُ عَلَى مَا أَتَّفَقْنَا¹

اللغة

أنا: ضميرٌ وضع في اللغة العربية لكل مُتكلمٍ مذكراً كان أو مؤنثاً، وفي تحقيق المشار إليه بي(أنا)، هل الروح والجسد، أو النفس المجردة، خلاف، محلّه علم الحكمة. ونرمزُ لشيءٍ منه بطرفٍ خفي. قال في المَحْصول: الفلاسفة وَمَعْمَرُ الْمُعْتزلي والغزالي مِنَّا قالوا: المُشارُ إليه غيرُ جسمٍ ولا جِسْمانِي. وذهبَ الجُمهورُ من الأشاعرة إلى أنه جَوْهرٌ جِسْمانِي². وانتصرَ البيضاوي للمذهب الأول قائلاً: يدلُّ عليه العقلُ والنقلُ، أما العقلُ، فمن وجوه، منها أن القوةَ العاقلةَ تقوى على مَعْقولاتٍ غيرِ مُتناهية، ولا شيء من القوة الجِسْمانية كذلك. فالقوة العاقلة غيرُ جِسْمانية. وأما النقلُ فقولُه تعالى: "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا"³، الآية. والمعروضُ غيرُ البدنِ ضرورة استحالة تعذيب الجماد، وقوله: "يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة"⁴، الآية. والبدنُ الميتُ غيرُ راجع، ولا مُخاطَب⁵، وانتصرَ في المعالم للجُمهور قائلاً: "الصحيحُ أن الإنسانَ ليسَ عبارةً عن هذه الجُنة المحسوسة"⁶. وأطبقتِ الفلاسفة على أن

¹ - ديوان ابن سهل 284.

² - المحصل 163-164 بتصرف.

³ - سورة غافر 46/40.

⁴ - سورة الفجر 27/89، وصلتها: "... ارجعي إلى ربك".

⁵ - المطالع على الطوالع 294، 298-299 بتصرف مع الاحتفاظ أحياناً بعبارة البيضاوي.

⁶ - المعالم، بحاشية المحصل 114.

النَّفْسَ جَوْهراً لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جِسْمَانِي. وهو باطلٌ، إذ لو كَانَ كَذَلِكَ كَانَ تَصْرِفُهَا فِي [ال]بَدَنِ لَا بِأَلَةٍ جِسْمَانِيَّةٍ، لِأَنَّ الْمُجَرَّدَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ لَهُ [قَرِيبٌ وَبَعْدٌ مِنَ الْأَجْسَامِ، وَإِذَا قَدَّرْتَ النَّفْسَ عَلَى تَحْرِيكِكَ بَعْضَ الْأَجْسَامِ، قَدَّرْتَ عَلَى كُلِّهَا مِنْ غَيْرِ أَلَةٍ، لِأَنَّ نَسَبَتَهَا إِلَى كُلِّهَا وَاحِدَةٌ، وَالتَّالِي بَاطِلٌ، فَوَجِبَ كَوْنُهَا جَوْهراً جِسْمَانِيًا¹. قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ فِي مُخْتَصَرِهِ اللَّكَامِي: وَعَلَى هَذَا تَدُلُّ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَالْقَائِلُونَ بِعَمَلِ تَجَرُّدِهَا لَهُمْ أَقْوَالٌ تُطْلَبُ مِنْ مِطَانِهَا.

حكاية

دخل بعضُ الأعرابِ على جماعةٍ من الفضلاءِ، فوجدَهم يَتَنَازَعُونَ فِي الْمَشَارِ إِلَىهِ بِ(أنا)، ما هو؟ فَأَشَدَّ بَدِيهَةً²:

إِنْ كُنْتُ أَنْزِي فَعَلَيَّ بَنَنَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيْطِ فِي مَنْ أَنَّهُ

وَأَمَّا الشُّكْرُ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْغُرَيْبِينَ: النَّثَاءُ بِاللَّسَانِ لِلْعَارِفَةِ يُؤْتَاهَا.

وَقِيلَ: مَعْرِفَةُ الْإِحْسَانِ، وَالتَّحَدُّثُ بِهِ. وَالشُّكْرُ بِالضَّمِّ جَمْعُ شُكْرٍ، وَبِالْفَتْحِ بَعْدَ مَصْدَرٍ. قَالَ الْحَمَاسِيُّ، وَفِي التَّحْرِيرِ لِابْنِ أَبِي الْأَصْبَغِ³: مَا رَأَيْتُ أُلْبَغَ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

رَهْنَتْ يَدِي بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرٍّ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدٌ
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدٌ

¹- تصرف الإفراني في هذا الكلام بالحذف وتغيير العبارة، فزاده تعقيدا. (انظره كاملا في المعالم حاشية المفصل 117-118).

²- البيت في نفح الطيب 288/5.

³- في الأصل: ابن أبي الأصبع، وقد تقدّم التنبيه على أنه خطأ.

ومن هنا قال أبو نواس¹:

لَأَتَسْتَدِينَ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

وبقي: أي ترك. يقال: "ما بقيت منهم باقية ولا وقتهم من الله واقية". والعرب تقول للعدو إذا غلب: "البقية"، أي أبقوا علينا. لا تستأصلوا. وفي الكتاب: "وبقية مما ترك آل موسى"²، الآية. ويستعمل أبقي متعدياً، وبقي لازماً، كما هنا .

والحاه: أي أعاتيه، وألومه، مضارع لحاه، ومن الشائع عند الأبناء: لحا الله دهرأ، ولحا الله الزمان. وأنكر ذلك جماعة من العلماء، وبالغ الغبريني في مسارح الأتظار في التحذير من ذلك. وفي كتاب المراقبة من الأحياء: مَنْ نَمَّ شَيْئاً مِنْ خَلْقِ اللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ فَقَدْ نَمَّ اللَّهُ تَعَالَى. وفي الحديث: لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ³. وفي الموطأ قال مالك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ يَا خُبْتَ الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ"⁴. وقول علي، رضي الله عنه، فيما قيل:

خُذْ مَا صَفَا لَكَ وَارْمِ الْهَمَّ نَاحِيَةً لَا بُدَّ مِنْ كَدَرٍ فِيهَا وَمِنْ صَافٍ لَا تَسْأَلِ الدَّهْرَ إِنْصَافاً فَتَظْلِمَهُ، وَلَا تَلْمِهُ فَلَمْ يُخْلَقْ لِإِنْصَافٍ

¹ - ديوان أبي نواس 427.

² - سورة البقرة 2/ 248.

³ - نص الحديث في سنن أبي داود 658: "يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسْبُ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ".

⁴ - الموطأ 697، وفيه: يا خبية. وفي المعيار 255/11-267 فتوى موسعة لأبي عبد الله السنوسي تناولت القضية من جوانب متعددة.

نَهَى عَنْ نَسْبَةِ الْأُمُورِ لِلدَّهْرِ لَا شِكَايَةَ بِهِ. وَمَا زَالَ أَشْيَاخُنَا يُنْكِرُونَ قَوْلَ السَّعْدِ فِي طَالِعَةِ
 الْمُطُولِ: "قَلْعَدَ جَرَّدَ الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهَا¹ سَيْفَ الْعُدُونِ". فَكَانَ بَعْضُهُمْ يُؤَوِّكُهُ عَلَى حَذْفِ
 مُضَافٍ أَيْ أَهْلِ الدَّهْرِ. وَلَمْ أَرَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَحْسَنَ مِنْ كَلَامِ حَافِظِ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ أَبِي
 عُمَرَ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ، وَنَصُّهُ، عَلَى حَدِيثِ الْمُوطَأِ²، بَعْدَ أَنْ سَأَلَ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ أَشْعَارِ
 الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ قَالَ: وَأَشْعَارُهُمْ فِي هَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، خَرَجَتْ كُلُّهَا عَلَى الْمَجَازِ
 وَالِاسْتِعَارَةِ. وَالْفُضْلَاءُ وَالْأَخْيَارُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ
 وَلِيَمَانِهِمْ، جَرِيًّا فِي ذَلِكَ عَلَى عَادَتِهِمْ، وَعِلْمًا بِالْمَرَادِ، وَأَنَّ هَذَا مَقْهُومٌ مَعْلُومٌ لَا يُشْكَلُ عَلَى
 ذِي لُبٍّ، هَذَا سَابِقُ الْبَرِّبَرِيِّ عَلَى فَضْلِهِ يَقُولُ:

الْمَرَأُ يَجْمَعُ وَلِزَمَانُ يَفْرَقُ، وَيَظَلُّ يَرَقَعُ وَالْخُطُوبُ تَمَزَقُ

وَقَالَ سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ:

يَا دَهْرُ، أَغْلَبْتَ فِينَا أَذَاكََا وَلَيْتَنَا بَعْدَ وَجْهِ قَفَاكََا
 فَيَا دَهْرُ إِن كُنْتَ عَادَيْتَنَا فَهَاقَ صَنَعَتِ بِنَا مَا كَفَاكََا

وَرَوَيْنَا أَنَّ مَالِكًا كَانَ يَنْشُدُ لِبَعْضِ صُلَحَاءِ الْمَدِينَةِ فِي الْهَرَجِ:

أَخِي لَا تَعْتَقِدْ نَدِيَا قَلِيلًا مَا تُؤَاتِيكََا
 فَكَمْ قَدْ أَهْلَكْتَ خِلَا أَسِيفًا، لَوْ تُنَبِّئُكََا
 وَلَا تَغْرُرْكَ زَهْرَتُهَا فَتَقَى السُّمُّ فِي فِكََا

وَاللَّمَامُونَ:

¹ - في المطول 4: أهاليها.

² - المقصود: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. يُطبع حاليًا بعناية وزارة الأوقاف بالرباط.

أَنَا فِي عِلْمِي بِالذَّهْرِ رَأَى أَبُو الذَّهْرِ وَلُئِمَةً
لَيْسَ يَنْدَا الذَّهْرُ يَوْمًا بِسُرُورٍ فَيُتِمُّهُ
فَكَمَا سَرَّ أَخَاهُ فَكَذَا سَوَّفَ يَ[عْمُ]ة
لَيْسَ لِلذَّهْرِ صَدِيقٌ حَامِدٌ، إِلَّا يَنْمُة

والأبيات في المعنى لأهل الخير والصلاح كثيرة. ومرة يضيفون ذلك للدهر، ومرة
للدنيا، وللزمان، وكلُّ ذلك محمولٌ على ما فسرنا، انتهى باختصار. وتكررت هنا قول
بعضهم مُعْزاً في الدهر :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَذَرِيَّ لَّ ذِي حَارِ الْوَرَى فِيهِ
أَضِيفَ خَمْسًا لأَرْبَعَةٍ وَأَعْطِ الثُّوبَ رَافِيَهُ

وقوله: على ما أُلْفَ، أُلْفَ، وتَلَفَ، وهو مُتَلَفٌ، ووقعوا في مُتَلَفَةٍ، معنى ذلك كله
الهلاك. والتَّلَافِي: استترك البقية من الشيء. وما أحسن قول شرف الدين بن عَين¹:

نَظُرْ إِلَيَّ بَعِينَ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُولِي النَّدَى، وَتَلَفَ قَبْلَ تَلَافِي
أَنَا كَ[الَّذِي]، أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَاغْتَمِ ثَنَائِي، وَالدُّعَاءَ الْوَافِي

ويُنْكَرُ أَنَّهُ كَانَ مَرِيضاً، فكتب بالبيتين للملك المُعْظَم صاحب دمشق، فعاده الملك المُعْظَم
ومعه خمسمائة دينار، وقال له: أَنْتَ (الَّذِي)، وأنا العائدُ، وهذه الصَّلَةُ. ويقربُ منه قول بهاء
الدين زهير²:

¹ - البيتان في ديوان ابن عَين 92، وديوان الصبابة 151-152، وخزانة الأدب 174، ونفح الطيب
349/7 مع القصة بعدهما. أي يحتاج إلى صلة.
² - ديوان بهاء الدين زهير 102، وخزانة الأدب 174.

يَقُولُونَ لِي أَنْتَ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ فَمِنْ صَادِرِ يُثْنِي عَلَيْهِ وَوَارِدِ
هَبُونِي، كَمَا قَدْ تَزَعَمُونَ، أَنَا (الَّذِي) فَأَيْنَ صِلَاتِي مِنْكُمْ وَعَوَائِدِي؟

المعنى

أنه لما نكر أن الحبيب لم يترك أجفانه من روجه إلا هذا الشيء النزر التافه الذي وجوده كالعدم، أعقب ذلك باستحسان فعل الحبيب، ونكر عليه في ذلك، وتطبيقه المفصل¹، وإصابة الغرض، وأنه على الفرض لو لم يبق شيئاً منه لم يعارضه معارض ولا عتفه مُعَنَّف، فتركه لذلك اليسير من باب إحسانه لمحبه، فهو مُقِيم على شكره، ومواظب على حمده. وهذا البيت من لطيف التلألؤ للمحبوب. وهو في المعنى قريب من قول الشاعر:

إِنْ كَانَ سَفَاكَ نَمِي أَقْصَى مُرَايَكُمُ فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفَاكَ نَمِي

ابن الفارض²:

مَالِي سِوَى رُوحِي، وَبَانِلِ نَفْسِهِ فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفٍ
فَلَنْ رَضِيَتْ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي، يَا خَيَّةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ
لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدِي وَوَهَبْتُهَا لِمُبَشَّرِي بِقُتُومِكَ لَمْ تُنْصِفِ
لَا تَحْسِبُونِي فِي الْهَوَى مُتَصَنِّعاً، كَلْفِي بِكُمْ خُلُقَ بَغَيْرِ تَكَالُفِ

وقال شيخ الشيوخ بحمالة عبد العزيز الأنصاري من غرامية:

¹ - التطبيق: إصابة المفصل، وضده التصميم، ويقال للرجل إذا أصاب الحجة: إنه يطبق المفصل، (لسان العرب: طبق).

² - الأبيات 3، 4، 19، 20 من قصيدة في ديوان ابن الفارض 151-152.

لَا تَسَلْ غَيْرِي فِي شَرِّعِ الْهَوَى
وَأَخَذَ التَّنْزِيلَ فِيهِ عَنْ أَبِي
قُلْتُ: قَدْ أَضْنَيْتَ جِسْمِي، قَالَ: قَدْ
قُلْتُ: أَفْدَيْكَ بِنَفْسِي، قَالَ: مَهْ!
مَا إِلَيْكَ الْأَمْرُ فِيهِ بَلْ إِلَيَّ

والأبيات في هذا المعنى كعديد الطيس¹، ومألها للتثليل بين يدي المحبوب الذي هو أليق بالهوى. فإن الترفع على المعشوق والتكبر عليه لا يصدر إلا ممن تردى برداء البلادة. والله للقاتل:

فَيَا عَجَباً مِنْ عَاشِقٍ مُتَكَبِّرٍ
يُغَاضِبُ مَنْ يَهْوَى وَيَطْمَعُ فِي الْوَصْلِ
ولابن الغنيم:

لُذْ بِالْغَرَامِ وَلَذَّةُ الْأَشْوَاقِ
وَإِذَا دَعَاكَ إِلَى الصَّبَا نَفْسُ الصَّبَا
وَإِذَا شَرِبْتَ الصَّرْفَ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى
وَالْقَ الْأَحْبَبَةَ لِنَ أَرَنْتَ وَصَالَهُمْ
لَوْ لَيْسَ مِنْ أَطْلَى الْمَطَاعِمِ فِي الْهَوَى
وَإِخْتَرْتَ قَاعَكَ فِي الْجَمَالِ الْبَاقِي
فَأَجِبْ رَسُولَ نَسِيمِهِ الْخَفَّاقِ
إِيَّاكَ تَغْفُلُ عَنْ جَمَالِ السَّاقِي
مُتَلَنِّذاً بِالنُّلِّ وَالْإِمْلَاقِ
عِزُّ الْحَبِيبِ وَذِلَّةُ الْمُشْثَاقِ؟

ولابن الأحمر²:

يَا رَبَّةَ الْقُرْطِ الَّتِي حَسَنْتَ مَنَكِي،
فَمَا بِذُلِّ فَهْوِ أَلْيَقُ بِالْهَوَى،
عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ لَأَبْدُ لِي مِنْكَ
وَلِمَا بَعِزُّ فَهْوِ أَلْيَقُ بِالْمُنْكَ

¹ - الطيس: العدد الكثير.

² - أنشد هذين البيتين أبو حيان في الغيث المسج 214/1 من شعر محمد بن الغالب ابن نصر المعروف بابن الأحمر. ووردا أيضا في ديوان الصبابة 214.

وقال الصّديُّ يردُّ عليه¹، وفيه برودة:

تَمَسَّكَ بِذُلٍّ فَهُوَ أَلْيَقُ بِالْهَوَى، لِيَتَنَظَّمَ مَعَ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ فِي سِلَاكِ
مَتَى لَاقَ بِالْعُشَّاقِ عِزٌّ وَسَطُوعٌ كَأَنَّكَ مِنْ ذُلِّ الْمَحَبَّةِ فِي شَاكِ

ولهرون الرشيد²:

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْآيِسَاتُ عِنَانِي، وَحَلَّانَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعَتِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا، وَأَطِيعُهُنَّ وَهْنٌ فِي عَصِيَانِي؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى، وَبِهِ قَوِينَا، أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

أراد بالثلاث ما ذكره أبو الفرج في الأغاني أن هرون الرشيد نام مع ثلاث جوار³:
مكية ومدنية وعراقية، فمدت المدنية يدها إلى نكره حتى أنعط، فوثبت عليه المكية وحازته
إليها، فقالت لها المدنية: ما هذا التعدي؟ أما تعلمين أن مالكا حدثنا عن الزهر عن جابر بن
عبد الله عن سعيد بن زيد عنه عليه السلام: قال: من أحيا أرضاً مواتاً فهي له، فقالت لها
المكية: حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله
عليه وسلم، قال: الصيد لمن صاده لا لمن أثاره. فدفعتهما العراقية عنه وقالت: هذا لي حتى
تتقضي مخلصتكما. فحظين عند الرشيد، واستحسن ما وقع [لهن] فأنشد الأبيات. ويقال إن

¹ - في الغيث المسجم 214/1: "وَقُلْتُ أَنَا رَادًّا عَلَيْهِ.." البيتان.

² - الأبيات في الغيث المسجم 214/1، وديوان الصبابة 52، وتزيين الأسواق 20. وتنسب للعباس بن
الأحنف، قالها على لسان الرشيد، وهي في ديوانه 312.

³ - الذي في الأغاني أن الحادثة وقعت للفضل بن الربيع فقصها على هرون الرشيد، فأخذ منه الجواري
وقال الشعر. (الأغاني 16/269-270).

العباس بن الأحنف قال الأبيات على لسان الرشيد¹. قال أبو العباس التّجاني: وهي بنفس العباس أشبه.

وعارض الأبيات سليمان بن الحكم صاحب قرطبة فقال²:

عَجَباً، يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي وَأَهَابُ سِخْرٍ بَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ
وَأَقَارِعُ الْأَفْوَالِ لَا مُتَهَيِّباً مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ
وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثَ كَالْتُمَى زَهْرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأُبْدَانِ
كَكَوَاكِبِ الظُّلُمَاءِ لُحْنٌ لِنَاظِرِ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ، عَلَى كُتُبَانِ
هَذِي الْهَلَالِ، وَبِكَ أُخْتُ الْمُشْتَرِي حُسْنًا، وَهَذِي أُخْتُ غُصْنِ الْبَنَانِ
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوءَ إِلَى الْهَوَى فَقَضَى لِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانِ
فَأَبْحَنَ مِنْ قَلْبِي الْحَمَى، وَتَرَكَنِي فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي
مَا ضَرَّ لَنِي عَبْدُهُنَّ صَبَابَةٌ، وَبَنُو الزَّمَانِ وَهْنٌ مِنْ عَبْدِائِي
لَا تَعْلَمُوا مَلِكًا تَذَلُّ فِي الْهَوَى، نُلُّ الْهَوَى عِزٌّ وَمُلْكٌ ثَانِي
إِنْ لَمْ أَطِعْ فِيهِنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى كَلَفًا بِهِنَّ فَلَسْتُ مِنْ مَرَوَانِ

وسليمان هذا يُلقَّبُ بالمُسْتَعِين بالله، وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان. قال في النفح: بُويعَ له في قرطبة³ خِتَامُ المائَةِ الرَّابِعَةِ. وكان أديباً بليغاً. وأبوه الحكمُ المستنصر بالله كان ضخم المملكة، عظيم السلطة. وكان مُحِبّاً في العلم وأهله مجماًعاً للكتب. ذكر ابن خلدون أن

¹ - انظر الصفحة السابقة، الحاشيتان 2، 3.

² - الأبيات في الحلة السيرة 9/2 مما أنشد محمد بن عبد الله العمري لسليمان المستعين، وهي كذلك في الغيث المسجم 214/1، ونفح الطيب 430/1-431.

³ - في نفح الطيب 428/1: "دخل المستعين قرطبة خِتَامَ المائَةِ الرَّابِعَةِ".

كُتِبَتْ بَلَّغَتْ أَرْبَعَ مِائَةِ أَلْفٍ مَجْلَدٍ. وَالْفَهَارِسُ الَّتِي فِيهَا أَسْمَاءُ الْكُتُبِ بَلَّغَتْ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ، فِي كُلِّ فَهْرَسَةٍ عَشْرُونَ وَرَقَةً¹. لَيْسَ فِيهَا إِلَّا نَكَرُ الدُّوَلَوِيْنَ فَقَطْ. وَقِيلَ إِنَّهُ جَرَّدَ خَزَانَةَ فَتَقَلَّ الْكُتُبُ لَهَا فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ. وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ إِلَى أَبِي الْفَرَجِ الْإِصْبَهَانِي فِي كِتَابِ الْأَغَانِي أَلْفَ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ الْعَيْنِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِنَسْخَةٍ مِنْهُ². وَكَذَلِكَ فَعَلَ مَعَ الْأَنْهَرِيِّ فِي شَرْحِ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَكَمِ. وَقُتِلَ الْمُسْتَعِينُ سَنَةً سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ، وَقِيلَ سَنَةً خَمْسٍ.

المعاني

قَدَّمَ (أَنَا) الْمُسْنَدَةَ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفَعْلِيِّ وَهُوَ (أَشْكُرُهُ). وَحَيْثُ لَا نَفِي فِيهِ، فَتَارَةً يَكُونُ لِلتَّخْصِيصِ، رَدًّا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنْفَرَادَ غَيْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ الْفَعْلِيِّ نَحْوُ: أَنَا سَعَيْتُ فِي حَاجَتِكَ. فَيَكُونُ التَّكْذِيبُ نَحْوُ: لَا غَيْرِي، إِنْ كَانَ الْقَصْرُ لِلْقَلْبِ، وَنَحْوُ: وَحْدِي، إِنْ كَانَ لِلْإِفْرَادِ. وَتَارَةً يَأْتِي لَتَقْوِيَةِ الْحُكْمِ وَتَقْرِيرِهِ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ نَحْوُ: هُوَ يُعْطِي الْجَزِيلَ قَصْدًا إِلَى [أَنْ] تُقَرَّرَ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ وَتُحَقِّقَ أَنَّهُ يَفْعَلُ إِعْطَاءَ الْجَزِيلِ، لَا إِلَى أَنْ غَيْرَهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ. وَسَبَبُ التَّقْوِيَةِ تَكَرُّرُ الْإِسْنَادِ. فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْغَرَضَ فِي الْبَيْتِ بِالتَّقْدِيمِ³ إِنَّمَا هُوَ مَجْرَدُ تَقْوِيَةِ الْحُكْمِ وَتَثْبِيْتِهِ⁴ فِي أَسْمَاعِ الْمُتَفَهِّمِينَ. فَلَيْسَ يَرِيدُ أَنَّهُ يَشْكُرُهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنَّمَا عَنَى أَنَّهُ مَقِيمٌ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَنَشْرِ إِحْسَانِهِ، وَلَا عَلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَافَقَ أَمَّ خَالَفَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ التَّخْصِيصَ مِنْ جِهَةٍ أَنْ مَا فَعَلَهُ الْمَحْبُوبُ بِهِ لَمَّا كَانَ أَمْرًا سَمِيحًا تَأَنَّفَهُ الْخَوَاطِرُ السَّالِمَةُ مِنْ لَدَغَاتِ الْغَرَامِ فَتَقَبَّحُ فِعْلَ الْمَعْشُوقِ وَتَنْمُتُهُ، وَتُتَكَرَّرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَتَتَصَلَّلَ هُوَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذْلِ وَالْعِتَابِ، وَأَظْهَرَ لِلْمَحْبُوبِ أَنَّهُ لَا يَشْكُرُهُ أَحَدٌ سِوَاهُ، وَلَا يَسْتَحْسِنُ مَا فَعَلَهُ غَيْرُهُ. فَالْقَصْرُ هُنَا

¹ - انظر المغرب 186/1.

² - المصدر السابق 186/1.

³ - أي: من التقديم.

⁴ - في الأصل: وتبينه، وهو غلط.

إما إفرادي أو قلبي، كما هو ظاهر.

وعبر بالمضارع في أشكره قصداً للدلالة على استمرار الدوام. وإنما فصل جملة لست
الحاة عن جملة وأنا أشكره لما بينهما من كمال الاتصال لكون الثانية مقررة للأولى. إذ
شكره، هو عدم لوميه. فوزان الثانية وزان [زيد] الثاني في: جاء زيد زيداً.

البيان

فيه الاستعارة التبعية في الحرف، لأن الفاء عنده بمعنى (على)، والشكر إنما يتعدى
بـ(على). وتقريرها واضح. والاستعارة معلومة في محلها. قالوا: وهي على حسب التشبيه.
فكلما ازداد خفاء، ازدادت الاستعارة حسناً، وكلما بعد التشبيه بعدت الاستعارة. ألا ترى ما
أنقل قول أبي نواس¹:

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

فكيف يُبْحُ صوتُ المال! ومثله قولُ بشار:

وَجَزَّتْ رِقَابَ الْوَصْلِ أَسْيَافُ هَجْرِنَا وَقَلَّتْ لِرِجْلِ الْبَيْنِ نَعْلَيْنِ مِنْ خَدِّي²

قال في العمدية: ما أهجن رجل البين، ورقاب الوصل³! ومن لطيف الاستعارة قولُ المجد
الإربلي⁴:

¹ - ديوان أبي نواس 54 (طبعة دار الثقافة، بغداد) والعمدة 270/1. وفي الأصل: الماء، وفي الديوان
والعمدة: المال وهو الصواب.

² - في الأصل: خدي، والمثبت عن ديوان بشار 83، والعمدة 270/1.

³ - العمدة 270/1.

⁴ - في الأصل: الأولي، والمثبت عن خزائن الأدب 61، ومعاهد التصحيح 159/2، وفيهما: مجد الدين

أَصْغِي إِلَى قَوْلِ الْعَذُولِ بِجُمَلَتِي، مُسْتَفْهِمًا عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَالٍ
لِتَلْقُطِي زَهْرَاتِ وَرْدٍ حَلِيَّةٍ كُمْ مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ الْعَذَالِ

وقول ابن رشيق¹:

بَاكِرٌ إِلَى اللَّذَاتِ وَارَكَبَ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهْوِ نَوَاتِ الْمِرَاحِ
مَنْ قَبْلَ أَنْ تَرْتُفِفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيْقَ الْغَوَادِي، مِنْ تُغُورِ الْأَقَاخِ

البديع

فيه الانسجام، وأصله لغة من انسجم الد[مع] إذا انحدر، وعرقه أهل البديع بأن يكون الكلام منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم، لسهولة سبكه. وغنوية لفظه، وعدم التكلف فيه، ليقع من القلوب موقعاً. وكما يكون الانسجام في النظم، يكون في النثر. قال ابن حجة²: والغالب على الانسجام إذا وقع في النثر أن تكون فقراته موزونة من غير قصد، لقوة انسجامه، ولهذا وقعت البحور الخمسة عشر موزونة في القرآن. فمن الطويل: "قَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِر"³، ومن المديد: "وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا"⁴. ومن البسيط: "قَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ"⁵. ومن الوافر: "وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرُّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُلُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ"⁶. ومن

الإربلي. ونسبهما في الغيث المسجم 182/1 لابن جويان، وفي ديوان الصبابة: جويان القواس.

¹ - البيتان في ديوان ابن رشيق 55-56، ونسبهما في المرقصات والمطربات 8 لابن حمد يس الصقلي.

وفي الشريشي الكبير 2/2 لعبد الجبار الصقلي.

² - نقل الإفراني ما يتعلق بالانسجام في الشعر والنثر عن خزانة الأدب 236-241 بتصرف.

³ - سورة الكهف 29/18.

⁴ - سورة هود 37/11.

⁵ - سورة الأحقاف 25-46.

⁶ - سورة التوبة 14/9. وصلة الآية: "فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ". والشاهد في: "...ويشف إلخ..".

الكامل: مجزوءاً "وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"¹. ومن الهزج: "قَالِقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرٍ"². ومن الرجز: "دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا، وَنُلَّتْ قُطُوفُهَا تَنَلِيلًا"³. ومن الرمل مجزوءاً: "وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ"⁴. ومن السريع: "قَالَ: فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟"⁵. ومنه: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ"⁶. ومن المنسرح: "إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ"⁷. ومن الخفيف: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ"⁸. كذا أورده صاحب المفتاح⁹. ومنه: "لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ حَيْثُ"¹⁰. ومن المضارع، وهو قليل، قيل إن العرب لم تستعمله: "يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُكُونُ مُنْبِرِينَ"¹¹. ومن المقتضب، وهو في القلة كالمضارع: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا"¹². ومن المجتث: "تَبَيُّ عِيَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"¹³. ومن المتقارب: "وَأَمْلِي لَهُمْ لِنَ كَيْدِي مَتِينٌ"¹⁴.

¹ - سورة النور 46/24، ومحل الاستشهاد: "وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ...".

² - سورة يوسف 93/12، والشاهد في: "قَالِقُوهُ عَلَى وَجْهِ...".

³ - سورة الإنسان 76-14، على ضمِّ ميم (عليهم).

⁴ - سورة سبأ 13/34، وصلة الآية: "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ...".

⁵ - سورة طه 95/20، وهو على تسكين الياء في (سامري) في الوقف.

⁶ - سورة البقرة 259/2.

⁷ - سورة الإنسان 2/76.

⁸ - سورة الماعون 107/2-1، والشاهد في: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ...".

⁹ - هو آخر ما أورده السكاكي في كتابه مفتاح العلوم 250.

¹⁰ - سورة النساء 78/4.

¹¹ - سورة غافر 40/33، والشاهد في: "تُكُونُ مُنْبِرِينَ...".

¹² - سورة البقرة 2/10، والشاهد في: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...".

¹³ - سورة الحجر 15/49، والشاهد في: "تَبَيُّ عِيَادِي أَنِّي...".

¹⁴ - سورة الأعراف 7/183.

ولما الانسجامُ في النظم فمن أبدعها قولُ بشار¹:

إِذَا جِئْتَهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ
وله²:

هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحُبِّ مَنْزِلَةً؟ تُنْثِي إِلَيْكَ، فَإِنَّ الْحُبَّ أَقْصَانِي
وله³:

لَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سِخْرَ عَيْنَيْكَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ
وله⁴:

وَبَنِي أَمْرُو أَحْبَبْتُكُمْ لِمَكَارِمِ سَمِعْتُ بِهَا، وَالْآنُ كَالْعَيْنِ تَعْشَقُ
قال العباسُ بن الأحنف:

وَسَعَا بِهَا نَاسٌ⁵ وَقَالُوا: إِنَّهَا لَهِيَ الَّتِي تَشْقَى بِهَا وَتُكَابِدُ
فَجَحَنَتْهُمْ لِيَكُونَ غَيْرُكَ ظَنُّهُمْ إِنِّي لَيُعْجِبُنِي الْمُحِبُّ الْجَاهِدُ

¹ - ديوان بشار 221.

² - المصدر السابق 228.

³ - المصدر السابق 168.

⁴ - المصدر السابق 163.

⁵ - في ديوان العباس بن الأحنف 102: سَمَّاكَ لِي قَوْمٌ..

نَكَرَ ابْنُ حُجَّةٍ أَنَّهُ مَاتَ الْكِسَائِيُّ وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ، وَإِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ وَهَشِيمَةُ
الْخَمَارُ، فَرَفَعَ ذَلِكَ لِلرَّشِيدِ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، فَصَفُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَدَّمَ الْعَبَّاسَ،
فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: لِقَوْلِهِ:

وسعى بها ناس.. الخ..

ورأيتُ في معاهد التنصيص² أن هذه الحكاية باطلة. ومعاذ الله أن يقدم رجل شاعر
على عظيم من عظماء المسلمين. على أن التاريخ يدل على أن وفاتهما لم تكن في يوم
واحد. وقال المنازي³:

وَقَانَا لَفَحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ	سَقَاهُ مُضَاعَفُ الطَّلِّ الْعَمِيمِ
نَزَلْنَا تَوَحُّهً، فَحَنَّا عَائِنَا	حُنُوَ الْمُرَضِّعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَأَرْشَفْنَا عَلَى ظَمَائِنُ لَا لَا	أَلَذَّ مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يَصُدُّ الشَّمْسَ أَنْيَ وَأَجْهَتْنَا،	فَيَحْجُبُهَا وَيَأْنُنُ لِلنَّسِيمِ
يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَذَارَى	فَتَلَمَسُ جَانِبَ الْعَقْدِ النَّظِيمِ

ورأيتُ في نفح الطيب هذه الأبيات منسوبةً لحمة الأنلسية. وفي شرح بديعية ابن جابر
لرفيقه أبي جعفر الغرناطي نزيل حلب ما نصُّه: رأيتُ المؤرخين من أهل بلادنا أثبتوها

¹ - خزانة الأدب 241.

² - معاهد التنصيص 56/1-57.

³ - الأبيات في نفح الطيب 288/4-289، وخزانة الأدب 83، وحلبة الكميت 278.
وَحَلَيْتِ الْمَرْأَةَ حَلْيًا، فَهِيَ حَالٍ وَحَالِيَّةٌ: لِبَسَتْ حَلْيَهَا.

لحمدة قبل أن يخرج المتأزي من العدم إلى الوجود، ويتصف بلفظ الوجود¹ قال أبو عبد
الله النفاش البغدادي²:

إِذَا وَجَدَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ نَشَاطًا، فَذَلِكَ مَوْتٌ خَفِي
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ ضَوْءَ السَّرَاجِ لَهُ لَهَبٌ عِنَّمَا يَنْطَفِي

عبد المحسن الصوري³:

وَأَخْرَجَ مَسَّهُ نُزُولِي بِقَرَحٍ مِثْلَمَا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَلْبُ [ر]ح
بِتُ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَمَ الدَّهْرُ رُ، وَفِي حُكْمِهِ عَلَى الْحُرِّ قُبْحُ
فَابْتَدَأَنِي يَقُولُ، وَهُوَ مِنَ السَّكْرِ رةً بِالْهَمِّ طَافِحٍ لَيْسَ يَصْنَعُ
لَمْ تَغْرَبْتَ؟ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ه، وَالْقَوْلُ مِنْهُ نُصْحٌ وَنَجْحُ
سَافِرُوا، تَغْنَمُوا فَقَالَ، وَقَدْ قَا لَ تَمَامَ الْحَدِيثِ: صُومُوا تَصِحُّوا⁴

أبو تمام:

نَقَلَ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْخُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَزِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْتَزِلِ

¹ - المصادر السابقة.

² - البيهقي في فوات الوفيات 165/3، وخزانة الأدب 263-264.

³ - الأبيات بزيادة في معاهد التنصيص 186/4. وفي البيت الأول اقتباس من الآية: "إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ". آل عمران 140/3.

⁴ - في الأصل تصح، وليس له وجه وفي مسند أحمد 2/280: "سافروا تصحوا واغزوا تغنموا".

قال الثعالبي في الأنوار: استلَّ النحاةُ بيتَ حبيبٍ على جهةِ التوريةِ والتلميحِ لمذهبِ الكوفيينَ من اختيارِ أعمالِ الأولِ في التنازعِ، كما استلُّوا لاختيارِ الثانيِ على مذهبِ البصريينَ بقولِ الشاعر¹:

فَخَرِبَ بِأَخِرٍ مَنْ كَلِفَتْ بِحُبِّهِ، لَا خَيْرَ فِي حُبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَتَشُكُّ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّداً سَادَ الْبَرِيَّةَ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ؟

وبابُ الانسجامِ متسعٌ للفضاءِ، وفيما جَلَبْنَا كِفَايَةً.

الإعراب

الواو: للحال، وهي من أقسامِ العاطفةِ عندِ النحاةِ. والجملةُ في محلِّ نصبٍ من فاعلٍ (تَرَكَتْ).

وَأنا: مبتدأ، وجملةُ أَشْكُرُهُ: خبرُهُ.

وفي: حرفُ جرٍّ، وهي هنا بمعنى (على)، ويأتي فيه من الخلافِ ما أتى في نظيره وهو قوله تعالى: "فِي جَنُوعِ النَّخْلِ"².

وما: موصولٌ إسميٌّ، صِلَتُهُ بَقِيٍّ، والعائدُ الفاعلُ به .

ولَسْتُ: أصلُهُ ليسَ، ثم لما أَسْنَدَ لضميرِ الْمُتَكَلِّمِ سَكَنْتَ السَّيْنُ فَحَذِفَتْ الْيَاءُ لِاجْتِمَاعِ سَاكِنَيْنِ.

¹ - أنوار التجلي 372/2 بتصرف. ووردت الأبياتُ كذلك في الموشى 117.

² - صلة الآية: "وَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُنُوعِ النَّخْلِ". سورة طه 71/20.

والتَّاءُ: اسمُها.

وجُمْلَةُ الحَاةِ: خبرُها.

وعلى: يتعلّقُ بالحي.

وما أُلْتَفَ: موصولٌ وصلّةٌ، والعائدُ المنصوبُ مَحْذُوفٌ.

ويجوزُ في جملةٍ "وَأَنَا أَشْكُرُهُ" أَنْ تكونَ ابتدائيةً.

هُوَ عِنْدِي عَالِلٌ إِنْ ظَلَمْنَا وَرَقِيبِي نَطْقُهُ كَلَخَ رَسْ¹

اللغة

عِنْدَ: ظرفُ مكانٍ لبيان كونِ مَظْرُوفِهَا حاضراً حِثّاً أو مَعْنَى، وقریباً حِثّاً و مَعْنَى نحو: "فلما رآه مُسْتَقِراً عِنْدَهُ"²، "الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ"³، "عِنْدَ سِنْرَةِ الْمُتَنَهَى"⁴، "عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ"⁵. وقد تردُّ للزمانِ، نحو: الصَّبْرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى. قال في الأساس: يقولُ الرجلُ: هو عِنْدِي كَذَا، فيقالُ لَهُ: أُولَئِكَ عِنْدُ؟⁶. وفي المعنى للشيخ أبي عبد الله القوري⁷:

أَتَانَا مِنَ الْأَرْيَافِ قَوْمٌ تَفَقَّهُوا، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْفَضْلِ قَبْلٌ وَلَا بَعْدُ
يَقُولُونَ: هَذَا لَيْسَ بِالرَّأْيِ عِنْدَنَا، وَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ عِنْدُ؟

¹ - في ديوان ابن سهل 284: فهو.. وعذولي.

² - سورة النمل 40/27.

³ - نفسها.

⁴ - سورة النجم 14/53.

⁵ - سورة القمر 55/54. وفي الأصل: عِنْدَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وهو غلط. وفي السورة نفسها 42/54: "فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ".

⁶ - أساس البلاغة (عند).

⁷ - هو محمد بن قاسم أبو عبد الله القوري، ولد بمكناس، وتوفي بفاس سنة 872هـ. فقيه، نعته ابن القاضي في لقط الفرائد بمفتي المغرب، وقال في جذوة الاقتباس: إنه آخرُ حفاظ المدونة بفاس. أخذ عنه جماعة من أعلام المغرب مثل ابن غازي، وأحمد زروق، وعبد الله بن عمر المدغري. (جذوة الاقتباس 319/1، 129، 282، 320، 440/2، ولقط الفرائد 263، ونفع الطيب 345/5، 432، و421/6).

كُلُّ عِنْدَكَ عِنْدِي لَا يُسَاوِي نَصْفَ عِنْدِي

والعدل: ضد الجور، وأصله الميل عن سواء الطريق. والاعتدال في الشيء: القصد فيه، يقال: أيام معتدلات، أي متوسطة الهواء². والعدل: المثل، ومنه: "اللَّهُمَّ لَا عَدْلَ لَكَ"³، والقداء، ومنه: لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَرْقاً وَلَا عَدْلاً، أي فداء. وفي الغريبيين: العدل الفريضة، والصرف: النافلة. ورجل عدل، قال في الأساس⁴: "[تقول] في عدول قضاة السوء: ما هم عدول ولكنهم عدول، تريد جمع عدل كزئود⁵ وعمور⁶".

والظلم: قال أبو عبيد: وضع الشيء غير موضعه⁷، ومنه ظلم السقاء⁸ إذا سقاه قبل أن يخرج زبده. ويقع الظلم على الشرك، ومن جعل له شريكاً عدل عن الحق، فالكافر ظالم لهذا الشأن. ويجوز أن يكون الظلم مشتقاً من الظلمات وما أطف قول كشاجم في أسود ظالم⁹:

يَا مُشْبِهًا فِي فِعْلِهِ لَوْتُهُ، لَمْ تُخْطِ مَا أُوجِبَتْ الْقِسْمَةُ
فِعْلُكَ مِنْ لَوْتِكَ مُسْتَخْرَجٌ، وَالظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظُّلْمَةِ

¹ - البيت في درة الغواص 14، والغيث المسجم 41/2.

² - في الأصل: الهوى، وهو غلط.

³ - أساس البلاغة (عدل)، وفيه: "وتقول العرب: اللَّهُمَّ لَا عَدْلَ لَكَ، أي لا مثل لك".

⁴ - أساس البلاغة (عدل).

⁵ - خرم في الأصل، وفي (ب): كرمود، ولا وجه له، والصواب من أساس البلاغة (عدل).

⁶ - في الأصل و(ب): عهد، وما أثبتناه عن أساس البلاغة (عدل).

⁷ - وهذه أيضاً عبارة القاموس المحيط (ظلم).

⁸ - السقاء: جلد يوضع فيه اللبن، ويسمى أيضاً الوطب. ويقال: ظلم الوطب، إذا سقى منه اللبن قبل أن

يروب. (لسان العرب: سقى).

⁹ - البيتان في خزانة الأدب 31، والشريشي الكبير 113/1.

وفي الحديث: "الظُّلْمُ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"¹. هذا عند أهل البديع من جناس الاشتقاق، وليس منه: "وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ"² كما توهمه ابن الصائغ في شرحه على البردة عند قوله:

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظُّلَامَ..³

بل هو جناس مطلق لأنه لم يرجع في المعنى إلى أصل واحد. وقد التبس الفرق بينهما على كثير. والفرق بينهما أن المعنى في المطلق لا يرجع إلى أصل واحد⁴. ومنه ما كتبه الما[مون] في حق عامل له: فلان ما ترك فيضة إلا فضتها، ولا ذهباً إلا أذهبها، ولا مالاً إلا مال عليه، ولا فرساً إلا افترسه، ولا داراً إلا أدارها ملكاً، ولا غلة إلا غلها، ولا ضيعة إلا ضيعها، ولا عقاراً إلا عقره، ولا حالاً إلا أحاله، ولا جليلاً إلا أجلاه، ولا دقيقاً إلا دنقه⁵. بخلافه في الاشتقاق. ومن أملح الاشتقاق قول القائل⁶:

عَاتَبْتُ طَيْفَ الَّذِي أَهْوَى، وَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ اهْتَكَيْتَ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مَسْنُولُ!
فَقَالَ: أَنَسْتُ نَاراً مِنْ جَوَانِبِكُمْ يُضِيءُ مِنْهَا لَدَى السَّارِينَ قِنْدِيلُ
فَقُلْتُ: نَارُ الْجَوَى مَعْنَى وَلَيْسَ لَهَا نُورٌ يُضِيءُ، فَمَاذَا الْقَوْلُ مَقْبُولُ!

¹ - البخاري 45/2.

² - سورة النمل 44/27.

³ - تمام البيت :

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظُّلَامَ إِلَى أَنْ أَشْتُكَتَ قَدَمَاهُ الضَّرُّ مِنْ وَرَمٍ

وهو من قصيدة البردة للبوصيري المطبوعة بعنوان الدرة البيتية ص5.

⁴ - انظر هذه المناقشة في خزانة الأدب 31-32.

⁵ - خزانة الأدب 32. وفي الأصل (ب): ولا رقيقاً إلا رقه. واخترنا ما في خزانة الأدب لأنه أجود للطبق بين (جليلاً) و(دقيقاً).

⁶ - الأبيات في خزانة الأدب 31، ومعاهد التنصيص 232/3. وفي الأصل: الساري، والصواب عن معاهد التنصيص.

فَقَالَ: نَسَبْتُنَا فِي الْأَمْرِ وَاحِدَةً أَنَا الْخَيْالُ، وَنَارُ الشَّوْقِ تَخْيِيلُ

وَالرَّقِيبُ: النَّظَرُ، وَالرَّقَبَاءُ الْجَمْعُ، يُقَالُ: ارْتَقَبْ كَذَا: انتظره. وَالرَّقِيبُ مِنْ أَسْرِ [مَائِهِ] تَعَالَى. قَالَ فِي الْغَرِيبِينَ: مَعْنَاهُ الْحَافِظُ .

وَالنُّطْقُ: عَرَفُوهُ بِأَنَّهُ "إِفْصَاحُ الْعَاقِلِ بِمَا يَقُومُ فِي ذَهْنِهِ مِنَ الْمَعْنَى لَفْظاً أَوْ إِشَارَةً"¹ قَالَ ابْنُ [مَرْزُوقٍ] فِي شَرْحِ الْخَزَرْجِيَّةِ، وَفِي قَوْلِهِ: أَوْ إِشَارَةً، نَظَرٌ، إِذْ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي النُّطْقِ² [قُلْتُ]: فِي الْغَرِيبِينَ لِأَبِي عَبِيدٍ مَا نَصَّهُ: قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ، يَعْنِي نَفْطُوْبِهِ: إِنَّمَا يُقَالُ لِغَيْرِ الْمَخَاطِبِينَ مِنَ الْحَيَوَانِ: صَوْتٌ، وَالنُّطْقُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ عَبَّرَ عَنْ مَعْنَى. وَلَمَّا [فَهَّمُ]³ اللَّهُ سُلَيْمَانَ أَصْوَاتَ الطَّيْرِ سَمَاهُ مَنْطِقًا، لِأَنَّهُ عَبَّرَ بِهِ عَنْ مَعْنَى فَهْمُهُ، فَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِ جَرِيرٍ⁴:

لَقَدْ نَطَقَ الْيَوْمَ الْحَمَامُ لَتَطْرَبَا

فَإِنَّ الْحَمَامَ لَا نَطْقَ لَهُ: وَإِنَّمَا هُوَ صَوْتٌ، فَكُلُّ نَاطِقٍ مُصَوِّتٌ. وَلَيْسَ كُلُّ مُصَوِّتٍ نَاطِقًا. وَلَا يُقَالُ لِلصَّوْتِ نَطْقٌ حَتَّى يَكُونَ هُنَاكَ صَوْتٌ وَحُرُوفٌ تُعْرَفُ⁵ بِهَا الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا اسْتَجَازَ الشَّاعِرُ أَنْ يَقُولَ لَقَدْ نَطَقَ الْخ.. لِأَنَّهُ عِنْدَهُ أَنَّ الْحَمَامَ إِنَّمَا صَوَّتَتْ شَوْقًا إِلَى إِلَهِهِ، وَبَكَى طَرَبًا إِلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ نَاطِقٌ إِذَا عُرِفَ مَا أُرَادَ.

¹ - نسب ابن مرزوق هذا التعريف لابن الطراوة. (المفاتيح المرزوقية الورقة 13، ظ، 14و).

² - المصدر السابق.

³ - خرم في الأصل، وسقط في (ب)، والمثبت عن (ج)، وفي سورة النمل 16/27: "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ"، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ.

⁴ - هذا صدرٌ مطلع قصيدة في ديوان جرير 18، وتمامه :

وَعَنَى طَلَابَ الْغَانِيَاتِ وَشَبِيهَا.

عَنَى: شَغَلَ وَاهَمَّ.

⁵ - في الأصل: تحرف، وهو تصحيف والمثبت عن (ج).

والخرس: عدم الكلام. ذكرت هنا ما رأيته في غير ما ديوان أن بشار بن برد لما قال:¹

لَمْ يَطُلْ لِيْلِي، وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَتَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفًا أَلَمْ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا: جُودِي لَنَا، خَرَجْتَ بِالصَّمْتِ عَن لَأَوْ نَعَمْ

قال له مروان بن أبي حفصة: هلاً قلت: خرست مع² (خرجت) ؟ قال بشار: لو كنت في عقلك ما قلت؛ لا أنطير على من أحبه بالخرس. وقال بعضهم في أخرس:

عَشِقْتُهُ أَخْرَسَ حُلُو اللَّمَى³ وَجَنَّتُهُ كَالْقَمَرِ السَّارِي
لَا تَعْزِلُوا، إِنِّي تَخَيَّرْتُهُ لِأَنَّهُ يَكْتُمُ أَسْرَارِي!

آخر في مليح أصم:

لَا تَحْسِبُوا صَمًّا بِمَا لَكُمْ مُهَجَّتِي عَيًّا، كَمَا قَالَ الْعَذُولُ الْمُفْتَرِي
مَحْبُوبُ قَلْبِي كَالْفَنَاءِ قَوْلَامُهُ، وَالرُّمْحُ يُدْعَى بِالْأَصَمِّ الْأَسْمَرِ

ابن نباتة:⁴

أَفْئِدِهِ أَعْمَى مُغْمَضًا لَحْظُهُ لِنَرْتَعِي فِي خَدِّهِ الْوَرْدِي
تَمَكَّنْتُ عَيْنَايَ مِنْ وَجْهِهِ، وَقُلْتُ: هَذَا جَنَّةُ الْخُلْدِ

آخر في أعرج:

¹ - ديوان بشار 211-212.

² - هكذا في الأصل و(ج)، والأولى أن تكون: بدل.

³ - اللّمي: سمرة في الشفة، أو شربة سواد فيها. (القاموس المحيط: لمي).

⁴ - ديوان ابن نباتة 162.

يَا لَأَيْمِي فِي أَغْرَجِ حَلَوِ الْمَرَّشِيفِ وَالْمَذَاقِ
ظَنَنْيَ أَمْنَتُ نِفَارَهُ وَهَوَيْتُهُ لَا لِلسَّبَّاقِ
لَوْ مَا رَأَيْتُ الْغُصْنَ أَخْـ سَنَ مَا يَكُونُ بِفَرْدٍ سَاقِ

وفي مליح أبهق:

كَأَنَّمَا خَدُهُ إِذْ زَانَهُ بِهِقٌ يَأْقُوتُ رَاحَ، عَلَيْهِ لُؤْلُؤُ الْحَبَابِ
لُورَشُ طَلٌّ عَلَى زَهْرِ الشَّقَائِقِ، أَوْ حَصْبَاءُ تُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَابِ

وللبدر الغزي¹ في من بشفتيه حب:

تَوَهَّمْ إِذْ رَأَى حَبًّا يُحَاكِي عَلَى شَفَتَيْهِ تُرًّا فِي عَقِيقِ
فَقُلْتُ لَهُ: وَحَقُّكَ لَيْسَ هَذَا سِوَى حَبِّ عَلَى كَأْسِ الرَّحِيقِ

فيمن بوجهه جُرْح:

أَفِيهِ مَجْرُوحًا أَصِيبَ بَوَجْهِهِ، وَ[لَكُمْ] أَصَابَتْهُ النَّوَظِرُ بِالنَّظَرِ
[قَدْ] مَرَّ بَدَا فِي وَجْهِهِ مِنْ جُرْحِهِ أَثَرٌ حَكَاهُ الْوَرْدُ حَتَّى فِي الْأَثَرِ
فَظَنَنْتُ لَنْ السَّاعَةِ اقْتَرَبَتْ لَنَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْجُرْحِ، وَنَشَقُّ الْقَمَرَ²

ابن الوردي في مليح كسرت يده:

سَأَلْتُهُ عَنْ يَدِهِ وَمَا الَّذِي أَوْجَعَهَا

¹ - في الأصل: الغزي، والمثبت عن الغيث المسجم 133/2، وفيه: "وأنشدني من لفظه لنفسه المولى بدر الدين حسن بن علي الغزي".

² - اقتباس من الآية: "اقتربت الساعة وأنشأ القمر". سورة القمر 1/54.

فَقَالَ لِي: مَكْسُورَةٌ قُلْتُ: وَقَلْبِي مَعَهَا

المعنى

هذا مزيدٌ تحسينٍ لفعلِ الحبيب، ومبالغةٌ في إظهارِ الرِّضَا [بما فعله، وتنزيلٌ مع أهلِ
المعتبة. فيقولُ لهم: لو قَرَرْنَا أَنَّ المَعشُوقَ قَصَدَ الجُورَ، ومَالَ للحيْفِ، وابتغى من أَمْرِي
شَطَطًا، فهو عِنْدِي مُصِيبٌ فِي نَظَرِ صَوْبِ الصَّوَابِ، وسالِكَ للطريقةِ المُتَلَى. فدَعُوا المَلَامَ
وارْجِعُوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ، فَمَا تَمَشُّقُكُمْ بِالْمَلَامِ إِلَّا فُضُولٌ، فَالْسَّنْتُكُمْ خَرَسَاءٌ¹، وَأَنِّي صَمَاءٌ.
فَلَا يَنْجِي عَذْلَكُمْ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلَكُمْ.

أما ما معنى الشطر الأول فسيبيلٌ معبورة، ودارٌ معمورة. فمنه لابن المرحل:

لَا وَاحِذَ اللَّهُ أَحْبَابِي بِمَا صَنَعُوا، إِنَّ الْحَبِيبَ لَمَحْبُوبٌ وَلَوْ جَارَا
لَا نَنْبَ لِلنَّمْعِ، بَلْ لِلْعَيْنِ تَنَقُّعُهُ، بَلْ لِلْحَشَا، بَلْ لِمَنْ حَشَا الْحَشَا نَارَا

أما معنى الثاني فكثيرٌ أيضاً، ومنه قولُ ابنِ الفارض²:

دَعْ عَنْكَ تَعْيِيفِي، وَتُقْ طَعْمَ الْهَوَى فَإِذَا عَشِيقَتِ، فَبَعْدَ ذَلِكَ [عَنْفِ]
يَا مَا أَمِيلُحَ كُلِّ مَا يَرْضَى بِهِ، وَرُضَابُهُ، يَا مَا أَحْيَلَاهُ بِفِي!
مَا لِلنَّوَى نَنْبٌ، وَمَنْ أَهْوَى مَعِي إِنَّ غَابَ عَنْ إِنْسَانٍ عَيْتِي، فَهُوَ فِي

عبدُ العزيز الأنصاري³:

¹ - في الأصل: خرسي.

² - الأبيات 26، 37، 50 من قصيدة في ديوان ابن الفارض 151-157.

³ - في الأصل: الأنصابي، وفي (ج): الأنصاري، وسبق ذكر عبد العزيز الأنصاري.

خَبَّرُوهُ تَفْصِيلَ حَالِي جُمْلَه،
 كَمْ تَنَخَّنْتَ إِذْ تَبَدَّى حِذَاراً
 لَيْسَ لِي عَنْ هُدَى هَوَاهُ ضَلَالٌ
 رُكِبْتَ فِي جِبِلَّتِي نَشْوَةَ الْعِشَاءِ
 سَأَلْتِي عَاوِلُوا رِضَاكُمْ، وَعَوِلُوا
 نُبْتُ شَوْقاً، فَعَالِجُونِي بِقُرْبٍ،
 وَاشْغَلُونِي عَنْ لَائِمٍ مَا أَتَانِي
 قُلْتُ: بِاللَّهِ خَلَّنِي، فَتَمَّادِي،

النقي السروجي¹:

لَنِعِمَّ بَوَصَلِكَ لِي، فَهَذَا وَقْتُه،
 أَنْفَقْتُ عُمْرِي فِي هَوَاكَ، وَلَيْتَنِي
 يَا مَنْ شُغِلْتُ بِحُبِّهِ عَنْ غَيْرِهِ،
 أَنْتَ الَّذِي جَمَعَ الْمَحَاسِنَ وَجَهْلَهُ،
 قَالَ الْوُشَاةُ: قَدْ لَأَعَى بِكَ نِسْبَتُهُ،
 بِاللَّهِ إِنْ سَأَلُوكَ عَنِّي، قُلْ: لَهُمْ:
 أَوْ [قِيلَ]: مُشْتَقٌّ إِلَيْكَ، فَقُلْ لَهُمْ:
 يَا حُسْنَ طَيْفٍ مِنْ خَيْالِكَ زَارَنِي،
 [ف]مَضَى فِي قَلْبِي عَلَيْهِ حَسْرَةٌ،

فَعَسَاهُ يَرْقُ لِي وَلَعَالَهُ
 مِنْ رَهِيْبٍ، وَكَمْ تَكَفَّتْ سَعْلَهُ
 أَكْثَرَ الْأَيَّامِ، عَانِي، أَوْ أَقْلَهُ
 ق، وَصَعِبَ تَغْيِيرُ مَا فِي الْجِبْلَةِ
 عَنْ جَفَاكُمْ فَمَا بَقِيَ فِي فَضْلَهُ
 مِتُّ شَوْقاً، فَأَنْعَشُونِي بِقُرْبِهِ
 بِرَشَادٍ، أَتَتْهُ آفَةٌ غَفْلَتُهُ
 وَقَلِيلٌ مَنْ يَتْرَكَ الشَّيْءَ لِلَّهِ

يَكْفِي مِنَ الْهَجْرَانِ مَا قَدْ نَقُتُهُ
 أُعْطِيَ وَصَالاً بِالَّذِي أَنْفَقْتُهُ
 وَسَلَوْتُ كُلَّ النَّاسِ حِينَ عَشَقْتُهُ
 لَكِنْ عَلَيْكَ تَصَبُّرِي فِرْقَتُهُ
 فَسُرِرْتُ لِمَا قُلْتُ: قَدْ صَدَّقْتُهُ
 عَبْدِي وَمَلِكُ يَدِي وَمَا أَعْتَقْتُهُ
 أَنْزِي بِذَا، وَأَنَا الَّذِي شَوْقْتُهُ
 مِنْ عَظْمٍ وَجَدِي فِيهِ مَا حَقَّقْتُهُ
 لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي الرَّقْدُ لَحَقَقْتُهُ

¹ - الأبيات 1، 4، 5، 6، 8 في تزيين الأسواق منسوبة لابن السروجي.

قال أبو حيان: كان النقي السروجي، مع زهده وعفته، مُغرماً بحبّ الجمال. وقال الشهابُ محمود: كان النقي يكره مكاناً تكون فيه امرأة، ومن دعاه من أصحابه قال: شرطي معروف، ونكر أبو حيان أنه لما توفي النقي بالقاهرة، سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة، قال أبو محبوب¹: والله ما ألقاه إلا مع قبر ولدي، فإنه كان يهواه في الحياة، وما أفرق بينهما في الممات.

وللبهاء زهير²:

قُلْ لِلْعَذُولِ: لَقَدْ لَطَأُ
عَلَيْتُ مَنْ لَا يِرْعَوِي،
غَضَبُ الْعَذُولِ أَخْفُ مِنْ
تَ، لِمَنْ تَقُولُ وَتَعْزِلُ؟
وَعَذَلْتُ مَنْ لَا يَقْبَلُ
غَضَبِ الْحَبِيبِ وَأَسْهَلُ

ويعجبني قوله رحمه الله من الانسجام³:

إِنْ شَاكَ الْقَلْبُ هَجْرَكُمْ
لَوْ رَأَيْتُمْ مَحَلَّكُمْ
لَوْ أَمَرْتُمْ بِمَا عَسَى،
قَصَّروا مُدَّةَ الْجَفَا،
شَرَّفُونِي بِزُورَةٍ،
لَوْ وَصَلْتُمْ مُحِبَّكُمْ
مَهَّدَ الْخُبُّ عُنْرَكُمْ
فِي فُؤَادِي لَسَرَّكُمْ
مَا تَعَدَّيْتُ أَمْرَكُمْ
طَوَّلَ اللَّهُ عُمْرَكُمْ
شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَكُمْ
مَا الَّذِي كَانَ ضَرْكُمْ؟

ومما له عِلَاقَةٌ بما نحن فيه قولُ ابنِ الأَبارِ مداعباً⁴:

1 - لم نتعرف على صاحب هذه الكنية، ولعله يكون أبو محبوبه.

2 - ديوان البهاء زهير 268.

3 - لم نجد هذه الأبيات في ديوان البهاء زهير.

4 - ورد هذا الشعرُ في الغيث المسجم 3/2، وديوان الصبابة 157-158، ومنطق الطير 149، ومعاهد

التنصيص 94/1.

زَلَزَنِي خِيفَةَ الرَّقِيبِ مُرِيبًا
رَشَاءً رَاشٍ لِي سِهَامَ الْمَنَائِيَا
قَالَ لِي: مَا تَرَى الرَّقِيبَ مُطْلَأًا؟
عَاطِيهِ أَكْوَسَ الْمُدَامِ دِرَآكَا،
وَأَسْقَتِيهَا بِخَمَرِ عَيْنَيْكَ صِرْقَا،
ثُمَّ لَمَّا أَنْ نَامَ¹ مَنْ أَتَقِيهِ
قَالَ: لَا بُدَّ أَنْ تَدِبَ عَلَيْهِ²،
قَالَ: فَايْدَأْ بِنَا، وَثَنَّ عَلَيْهِ،
فَوَثَبْنَا عَلَى الْغَزَالِ رُكُوبَا،
فَهَلْ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِصَبٍّ
يَشْكِي الْقَضِيبَ مِنْهُ الْكَذِيبَا
مِنْ جُفُونٍ يُصْنَمِي بِهِنَّ الْقُلُوبَا
قُلْتُ: ذَرُهُ، أَتَى الْجَنَابَ الرَّحِيبَا
وَأَبْرَهَا عَالِيَهُ كُوبَا فَكُوبَا
وَأَجْعَلَ الْكَأْسَ مِنْكَ ثَغْرًا شَرِيبَا
وَتَلَقَّى الْكَرَى سَمِيعًا مُجِيبَا
قُلْتُ أَبْغِي رَشَاءً وَآخِذُ نَيْبَا!
قُلْتُ: كَلَّا لَقَدْ نَفَعْتَ قَرِيبَا
وَتَبَبْنَا إِلَى الرَّقِيبِ دَبِيبَا
نَالَ مَحْبُوبَهُ وَنَالَ الرَّقِيبَا؟!

قال ابن بسام: لقد ظرف ابن الأبار، وأظنه لو قدر [على] إبليس الذي تولى له نظم هذا السلك لدب إليه ووثب عليه³.

قال: وقرأت في بعض الملح عن بعضهم، قال: مررت بصديق لي من أهل اليسار خارجاً من دار بغي⁴، فقلت: أياكون لك أربع حرائر وأكثر من ستين سرية⁵، وتأتي مثل هذه

¹ - في الأصل: ثم لما أنام، وفي معاهد التنصيص: ثم لما نام الرقيب سريعاً.

² - في معاهد التنصيص: إليه، وهو المناسب.

³ - ورد هذا التعليق مع بعض الفرق في ديوان الصبابة 157-158، ومنطق الطير 149، ومعاهد

التنصيص 94/1.

⁴ - في الأصل و(ب): بغيه.

⁵ - السرية بالضم: الأمة. (القاموس المحيط: سري).

الدُّنْيَا؟ فَقَالَ لِي: أَسَكَتَ، مِثْلُ أَيْرِي مِثْلُ الْكَلْبِ، يَنْابُخُ مِنْ طَرَأٍ عَلَيْهِ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لِمَنْ اخْتَلَطَ بِهِ. قَالَ: وَمَنْ الْمَجَاهِرِينَ بِالْمُجُونِ أَمْرُو الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ¹:

تَقُولُ، وَقَدْ جَرَّتْهُمَا مِنْ ثِيَابِهَا كَمَا رُغِتَ مَكْخُولَ الْمَدَامِيعِ أَتْلَعَا:
وَعَيْشُكَ لَوْ شِئْتَ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

أَخَذَهُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ²:

وَنَاهِدَةَ الثَّدْيَيْنِ، قُلْتُ لَهَا: أَتَكِي عَلَى الْأَرْضِ فِي نَيْمَوْمَةٍ لَمْ تَوَسَّدِ
فَقَالَتْ: عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَائِعٌ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ عَوْنْتُ مَا لَمْ أَعْوِدْ

المعاني

قَوْلُهُ: هُوَ عِنْدِي، اسْتِنَافٌ بَيَانِي، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ، هَلْ عَدَلَ مَحْبُوبُكَ فَيْكَ أَوْ جَارٌ؟ فَقَالَ مَجِيبًا:
هُوَ عَادِلٌ. وَنَظِيرُهُ:

زَعَمَ الْعَوَالِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ

وَأَتَى بِـ (إِنْ) فِي قَوْلِهِ: إِنْ ظَلَمْتُ، قَصْدًا لِدَفْعِ الْعَذُولِ، وَإِفْحَامِهِ فَيُؤَوِّبَ عَنِ التَّعْنِيفِ.
وَإِظْهَارُ الظُّلْمِ مِنَ الْحَبِيبِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُجَرَّدِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ، كَمَا تَقْرَضُ
الْمُحَالَاتُ، وَسَبْكُ الْكَلَامِ: لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّهُ ظَلَمَ وَتَعَدَّى، فَهُوَ عِنْدِي عَادِلٌ مُصِيبٌ، لَكِنَّهُ لَا
يُتَصَوَّرُ صُورَ الظُّلْمِ مِنْهُ. فَإِنْ قُلْتُ: الْمُسْتَعْمَلُ فِي فَرَضِ الْمُحَالَاتِ (لَوْ) دُونَ (إِنْ)، لِأَنَّهُ

¹ - شرح ديوان امرئ القيس 130.

² - ديوان ابن أبي ربيعة 96/1، وفيه :

على الرمل من جَبَانَةٍ لَمْ تَوَسَّدِ

وفيه: أَمْرُكَ طَاعَةٌ.. وَكَلَفْتُ مَا لَمْ أَعْوِدْ.

والديمومة: المفازة الدائمة البُعد، جمعها دياميم. (لسان العرب: ديم).

يَشْتَرِطُ فِي (إِنْ) عَنَمُ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ وَلَا وَقُوعِهِ، وَالْمَحَالُ مُقْطُوعٌ بِلَا وَقُوعِهِ. فَلَا يُقَالُ: إِنْ طَارَ الْإِنْسَانُ كَانَ كَذَا. قُلْتُ: الْمَحَالُ فِي هَذَا الْمَقَامِ يَنْتَزِلُ مَنْزِلَةً مَا لَا قَطْعَ بَعْدِيهِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَسَاهَلَةِ وَإِرْخَاءِ الْعَنَانِ لِقَصْدِ التَّبَكُّيْتِ، فَرَاجِعِ الْمَطْوَلِ¹.

وَأَفْرَدَ (رَقِيبِي)، وَلَمْ يَقُلْ: رَقِيبُنَا، لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالرَّقِيبِ هُنَا الْعَاذِلَ الْمُسْرِفَ فِي الْعَتَابِ، وَهُوَ لَهُ خَاصَّةٌ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّقِيبَ يَسْتَعْمَلُ عَلَى مَعْنَيْنِ، هَذَا أَحَدُهُمَا وَالثَّانِي الْمُسْتَكْشَفُ لِأَسْرَارِ الْحَبِيبِ مَعَ الْمَحْبُوبِ، وَهَذَا لَا يَنْأَسِبُ هُنَا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ (نُطْقُهُ) مَا يَنْمُّ بِهِ لِلنَّاسِ مِنْ أَسْرَارِهِمَا، أَوْ مَا يَسْعَى بِهِ مِنَ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمَا.

البيان

فِيهِ التَّشْبِيهُ فِي قَوْلِهِ: كَالْخَرَسِ، وَهُوَ مِنْ تَشْبِيهِ مُحْسُوسٍ بِمَعْقُولٍ، وَسَلَفَ مِثَالُهُ. وَالتَّشْبِيهُ أَقْسَامٌ: مُؤَكَّدٌ، وَهُوَ مَا حُذِفَ مِنْهُ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ، وَمُرْسَلٌ، وَهُوَ مَا نُكِرَتْ فِيهِ، وَمُجْمَلٌ، وَهُوَ مَا حُذِفَ مِنْهُ الْوَجْهُ، وَمَفْصَلٌ، وَهُوَ مَا نُكِرَ فِيهِ الْوَجْهُ، قَالَ فِي التَّلْخِيصِ: "أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّشْبِيهِ فِي قُوَّةِ الْبَلَاغَةِ²، بِاعْتِبَارِ نَكْرِ أَرْكَانِهِ أَوْ بَعْضِهَا، حَذْفُ وَجْهِهِ وَأَدَاتِهِ فَقَطُّ، [أَوْ]³ مَعَ حَذْفِ الْمَشْبِئَةِ، ثُمَّ حَذْفُ أَحَدِهِمَا كَذَلِكَ. وَلَا قُوَّةَ لِغَيْرِهِمَا"⁴. وَبَسَطَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَرَاتِبَ ثَلَاثَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى ثَمَانِي صُورٍ: الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى مَا حُذِفَ مِنْهُ الْوَجْهُ وَالْأَدَاةُ، وَهِيَ أَبْلَغُ لِأَنَّ حَذْفَ الْوَجْهِ يُعْطِي مَسَاوَاةَ الْمَشْبِئَةِ بِالْمَشْبِئَةِ بِهِ فِي الْوَجْهِ، وَحَذْفُ الْأَدَاةِ يُعْطِي أَنَّهُ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْمَشْبِئَةِ بِهِ. فَإِذَا نُكِرَ أَحَدُهُمَا نَقَصَتْ الْبَلَاغَةُ. وَتَحْتَ هَذِهِ الرِّتَبَةِ صَوْرَتَانِ: الْأُولَى مَا حُذِفَ مِنْهُ، نَحْوُ: زَيْدٌ أَسَدٌ، وَالثَّانِيَةُ يُحْذَفُ مَعَهُمَا الْمَشْبِئَةُ، نَحْوُ: أَسَدٌ، جَوَاباً لِمَنْ قَالَ: هَلْ زَيْدٌ

¹ - المَطْوَل 225.

² - مَتْنُ التَّلْخِيصِ 289: الْمَبَالِغَةُ.

³ - زِيَادَةٌ مِنَ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ.

⁴ - فِي الْأَصْلِ: لِغَيْرِهِ. وَالْمُثَبِّتُ عَنِ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ.

شُجاع؟ والصُّو[رتان] سواء في البلاغة. المرتبة الثانية، تحتها أربع صورٍ سواء في البلاغة: حذف الوجه فقط كـ(زيدٌ كأسدٍ)، أو الأداة فقط، نحو: زيدٌ أَسَدٌ في الشجاعة، أو الوجه والمشبّه كـ(أَسَدٌ)، في الجواب. أو المُشبّه مع الأداة، نحو: أَسَدٌ في الشجاعة، وهذه للرتبة دون الأولى، لأنه لا يجتمع فيها حذف الوجه والأداة. المرتبة الثالثة لا قوة لها. وفيها صورتان: اجتماع أركان التشبيه الأربعة: زيدٌ كأسدٍ في الشجاعة، أو حذف المشبّه فقط: كأسدٍ في الشجاعة.

فائدة

كثيرٌ من الطلبة يعتقدون أن نحو: زيدٌ أَسَدٌ، مجازٌ، وليس كذلك بل هو حقيقةٌ إلا في قولٍ ضعيفٍ. ويدل لذلك قوله في التلخيص: أطبق البلغاء على "أن الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها نوعٌ من المجاز"¹. قال الشارح: مراده بالاستعارة التَّحْقِيقِيَّةُ والتَّمثِيلِيَّةُ دون التَّخْيِيلِيَّةِ والمَكْنِيَّةِ، لأنها حقيقةٌ² عند المصنف، لا السكاكي. وقوله: نوعٌ من المجاز، يعني والمجازُ أبلغ من الحقيقة، انتهى³. وزعم السَّعْدُ أن (زيدٌ أَسَدٌ)، يجوز أن يكون من الاستعارة، والأصل: زيدٌ رجلٌ شجاعٌ كالأسد. وهو مع كونه خلاف المنصوص تكلم معه السيد في ذلك، فليراجع⁴. نعم، ذهب بعض الأصوليين إلى أن (زيدٌ أَسَدٌ) مجازٌ، قاله الغبريني.

البديع

فيه الطباق بين العدل والظلم، والنطق والخرس، وقد تقدّم غير ما مرة. والتحقيق أن بين الخرس المرادف للبكم، والنطق المرادف للكلام، تقابل التضاد، لا العدم والملكة، خلاف ما

¹ - المطول 414. نص التلخيص.

² - المصدر السابق.

³ - المصدر السابق.

⁴ - انظر حاشية المصدر السابق للسيد.

يلوح من شرح العقائد للمولى سعد الدين حيث قال: السكوت عدم مطاوعة الآلات. على أن أرباب هذا الفن يطلقون التضاد على مطلق المخالفة، كما هو شهير.

وفيه الالتفات على رأي قدامة¹، وفسره بأن يكون المتكلم أخذ في معنى، فيعترضه إما شك فيه، أو ظن أن راداً يرد عليه. أو سائلاً يسأل عنه، فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإما أن يجلي² الشك، أو يؤكد، أو ينكر سببه، كقول ابن ميادة³:

فَلَا صَرْمُهُ يَبْنُو، وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ، وَلَا وَصْلُهُ يَصْقُو لَنَا، فَتُكَارِمُهُ
فَكَانَهُ تَوْهَمٌ قَاتِلًا يَقُولُ: وَمَا تَصْنَعُ بِصَرْمِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ فِي الْيَأْسِ رَاحَةً⁴. وكذا في بيت
الأصل، وتوهم كأن قاتلاً يقول: هو عادل ولو ظلمك؟ فقال: ولو ظلم. وابن المعتز فسر
الالتفات بما سلف⁵.

الإعراب

هو: مبتدأ. وعادل: خبره.

وعندي: في محل الحال. ولا يجوز أن يُعرب (عندي) خبراً، ويُصب (عادل) حالاً،
لأن من [شـ] رط صحة ذلك، فيما إذا نُكر مع المبتدأ اسم وظرف صالحان للخبرية، أن
يحسن الاستغناء بأحدهما، نحو: زيد في الدار قائم، أو قائماً. وأما إن لم يحسن، نحو: زيد

¹ - نقد الشعر 167 (ط 1963). وخزانة الأدب 73.

² في الأصل: ينجلي، وأثبتنا ما في خزانة الأدب 73. وفي نقد الشعر: يجلي.

³ - البيت في نقد الشعر 168 (ط 1963)، وخزانة الأدب 73.

⁴ - أخذ الإفرائي ما يتعلق بتفسير قدامة للالتفات من خزانة الأدب 73 باختصار طفيف.

⁵ - عرف ابن المعتز الالتفات بانصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما أشبه ذلك، ثم قال: "ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر". البديع 108.

فيكَ راعِبٌ، تَعَيَّنَتْ حَالِيَةُ الظَرْفِ وَخَبْرِيَةُ الْإِسْمِ. قَالَ فِي شَرْحِ الْفَرِيدَةِ: وَأَجَازَ الْكُوفِيُّونَ
حَالِيَةَ الْإِسْمِ، وَإِنْ لَمْ يَحْسُنِ السَّكُوتُ عَلَى أَحَدِهِمَا.

وَإِنْ ظَلَمَ: شَرْطٌ بِأَدَاتِهِ. وَالْجَوَابُ مُحْذَوْفٌ. أَيُ فَهُوَ عَادِلٌ نَحْوُ: أَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ.
وَالْوَلُوفِي (وَرَقِيْبِي) اسْتِنْتَفَافٌ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ حَالِي مَعَ الرَّقِيبِ فَكَذًا، أَوْ
حَالٌ، وَالْجُمْلَةُ مَحَلُّهَا نَصَبٌ.

وَرَقِيْبِي: مَبْتَدَأٌ. نُطْقُهُ: مَبْتَدَأُ ثَانٍ.

وَكَاالْخَرَسِ: خَبَرُ الثَّانِي. وَالثَّانِي وَخَبْرُهُ: خَبَرُ الْأَوَّلِ.

لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْمَا حَلَّ فِي النَّفْسِ مَحَلَّ النَّفْسِ

اللغة

قال في القاموس: "ليس" كلمة نفية²، أصلها ليس كفرح، فسكنت تخفيفاً. أو معناه: لا أيس، طرحت الهمزة، وألزمت اللام بالياء، والدليل قولهم: انتهي من حيث أيس³ وليس، أي من حيث هو ولا هو. أو معناه: لا وجد، وأيس أي موجود، ولا أيس أي لا موجود، فحففوا⁴.

والأمر: [الحـ] باندئة والشأن.

و الحكم بالضم: القضاء. حكم عليه بالأمر حكماً وحكومة، والحاكم: منفذ الأحكام⁵.

وبعد: ضد قبل، وأما بعد: أي بعد دعائك⁶. وأوله من قاله داوود، أو كعب بن لؤي. وحل المكان وبه، يحل ويحل حلاً وحلواً: نزل به⁷.

¹ - في الديوان 284: حل من نفسي.

² - في القاموس المحيط (ليس): فعل ماض.

³ - في الأصل: ليس، وأثبتنا ما في القاموس المحيط.

⁴ - القاموس المحيط (ليس).

⁵ - المصدر السابق بتصرف طفيف. وفيه: "الحاكم منفذ الحكم".

⁶ - في القاموس المحيط (بعد): بعد دعائي لك.

⁷ - هذا نص القاموس المحيط (حل).

وَالنَّفْسُ: الرُّوحُ. وفي تحقيقِ الفرقِ بينهما خلافٌ طويلٌ. ذكرَ ابنُ راشِدٍ القَفْصِي عن شيخه الشَّهابِ القَرافي: أَنه وَقَعَ على تَأْلِيفٍ في استقصاءِ الأقاويلِ في ذلك، فبلغتْ سبعمائة. وَالنَّفْسُ: واحدُ الأنفاسِ.

فائدة

رَأَيْتُ في الخصائصِ الكُبرى للحافظِ جمالِ الدينِ السيوطي عن الزهري أن خُزَيْمَةَ بنَ حكيمِ السُّلَمِيِّ سَأَلَ النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن مسائلَ، منها: أَيْنَ مَوْضِعُ النَّفْسِ مِنَ الجسدِ؟ وعن ماءِ العيونِ يَبْرُدُ في الصَّيْفِ [و] يَكُونُ حاراً في الشِّتَاءِ؟ وعن أَشْيَاءَ أُخَرَ، فَأَجابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ النَّفْسَ في القلبِ، والقلبُ معلقٌ بالنيَّاطِ، والنيَّاطُ تسقي العروقَ، فإذا هَلَكَ القلبُ، انقطعَ العروقُ. وأما إِسخَانُ ماءِ العيونِ في الشِّتَاءِ، وبرْدُهُ في الصَّيْفِ. [فـ] لَأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا سَقَطَتْ تَحْتَ الأَرْضِ سَارَتْ حَتَّى تَطْلُعَ مِنْ مَكَانِهَا، فإذا طَالَ اللَّيْلُ في الشِّتَاءِ، كَثُرَ لَبْثُهَا في الأَرْضِ، فَيَسْخُنُ المَاءُ لذلك. فإذا كَانَ الصَّيْفُ مَرَّتْ مُسْرِعَةً، لَا تَلْبِثُ تَحْتَ الأَرْضِ لِقِصْرِ اللَّيْلِ فَيَثْبُتُ المَاءُ على حالِهِ بارِداً، انْتَهَى.

قُلْتُ: قد يُستروح من هذا الجوابِ النبوي، أن السببَ في اكتساءِ الأشجارِ بالأوراقِ في الصيفِ، وعُريها في الشِّتَاءِ، والعادةُ تقتضي العكسَ، غلبةُ الحرارةِ في الشِّتَاءِ [المجـ] ففَهْ للعودِ واعتدالها في الصيفِ.

وفي كتابِ الأئيسِ المطربِ، لصاحبنا الأديبِ الأوحِدِ أَبِي عبدِ اللهِ بنِ الطَّيِّبِ الشَّريفِ العلمي² ما صورته: كنتُ مع جماعةٍ من الأصحابِ في رياضٍ، زمنَ الشِّتَاءِ والغصونِ عاريةً عن الأوراقِ، فسألتُهُم عن ذلك، فانتدبَ من الجماعةِ صبي كان أحدثَ من حضرَ

1 - في الأصل: لأن، وأضفنا الفاء لضرورة الربط.

2 - الأئيس المطرب 254-255، وانظر ترجمة العلمي في المقدمة.

سناً¹، فقال: لأن الناس يحتاجون الشمس في الشتاء، فلو كُسيَتْ لحالتْ بينهم الأوراق وبينها، وفي الصيف لو تَعَرَّتْ لم يَجُتُوا وقايةً من حرِّ الشمس. فأعلمتُ بذلكَ بعضَ أصحابنا²، فأعجبَ بالجوابِ، ونظمه فقال:

سَأَلْتُ قَضِيبَ الرُّوضِ، لِمَ أَنتَ تَكْتَسِي
مَصِيفاً، وَتَعْرِى³ فِي الشِّتَاءِ مِنَ الْوَرَقِ
فَقَالَ: أَخْلَى الشَّمْسُ تُسَخِّنُ زَائِرِي،
لَأَقْلَعَ سَهْمَ الْبَرْدِ عَنْهُ إِذَا مَرَقَ
وَأَلْبَسُ ثَوْبِي فِي الْمَصِيفِ حَنَانَةً
لِيَأْوِي إِلَى ظِلِّي وَلَوْلَاهُ لَأَخْتَرَقَ؟

وكم بينَ هذا الجوابِ وجوابِ الشاعرِ القائل:

سَأَلْتُ الْغُصْنَ: لِمَ تَعْرِى شِتَاءً
وَقِي وَقْتِ الْمَصِيفِ أَرَأَيْكَ كَاسِي؟
فَقَالَ لِي: الرَّبِيعُ عَلَى قُدُومٍ،
خَلَعْتُ عَلَى الْبَشِيرِ بِهِ لِبَاسِي

رجع إلى النفس: وفي الحديث: "لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَانِ"⁴. قال أبو منصور الأزهري: النَّفْسُ هُنَا إِسْمٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ الْحَقِيقِيِّ مِنَ التَّنْفِيسِ أَيْ التَّوَسُّعَةِ، لِأَنَّ الرِّيحَ تَذْهَبُ الْجَدْبَ، وَتَرْجِي السَّحَابَ، وَتَفْرِجُ الْكُرْبَ. وفي الحديث أيضاً: "أَجِدُ نَفْسَ

¹ - ذكر اسم هذا الصبي في الأنيس المطرب 254، فقال: "فانقطعوا إلا ما كان من صاحبنا أبي العباس سيدي أحمد بن الشريف.. وهو يومئذ حدث صغير السن جداً".

² - هو محمد بن سليمان أبو عبد الله، أديب شاعر من كتاب الوزير أبي العباس أحمد بن علي الريفي. تعرّف عليه العلمي في رحلته إلى الشمال، فتمكنت بينهما عرى الصداقة، انظر ما دار بينهما من مسجلات ونكات ورواية أخبار وتدييح مقامات.. في الأنيس المطرب 204-289، 322-336.

³ - في الأصل: تعرو.

⁴ - في مسند أحمد 250/2 روايتان، الأولى: "لا تسبوا الرِّيحَ، فإنها تجيء بالرحمة والعذاب ولكن سلوا الله خيرها وتعونوا به من ضرها". والثانية: "الرِّيحُ من روح الله، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب: فإن رأيتموها فلا تسبوا، وسلوا الله خيرها، واستعينوا به من شرها".

رَبِّكُمْ مِنْ جِهَةِ اليمين¹. قَالَ أَبُو عبيدٍ: عَنَى بِهِ الْأَنْصَارَ، لِأَنَّهُ لَلَّه نَفْسٌ بِهِمْ لَكُرْبَةٍ عَنِ اليمينِ وَهُمْ مِنَ اليمينِ.

المعنى

هذا تنزيلٌ مع الوشاة وإقامة للحجة على العنول، وتقريع للأحيي، كي يقطع عن الملامة والعتاب. يقول: إنه وإن كان لومكم لي حقاً، وعتابكم علي صديقاً، في صبري على جور الحبيب وظلمه، وتحمل ذلك الصبابة، لكن كيف لي بإنقاذ مُهجتي من تلك العذاب، وأنى لي التخلص من شباك الهوى، وقد وقع المحبوبُ مني موقع تنفسي، فلا طاقة لي أن [أفعل]ه، ولا قدرة على السلوك عنه. وكما أن الإنسان² لا فكاك له عن تنفسيه، فكذلك لا فكاك لي عن عشقي، وليس ذلك باختياري ولا تصنعاً مني. وفي المعنى لكامل في سلمى صاحبتة³:

أَلَا إِنَّمَا الْخُبُّ الَّذِي صَدَعَ الْحَشَا قَضَاءٌ مِنَ الرَّحْمَانِ، يَبْلُو بِهِ الْعَبْدَا
يَلُومُونَنِي فِي حُبِّ سَلْمَى، كَأَنَّمَا يَرُونَ الْهَوَى شَيْئاً تَمَنَّيْتُهُ عَمْدَا

وَيُعْجِبُنِي فِي الرَّدِّ عَلَى الْعَنُولِ وَاللُّومَ قَوْلُ الرَّمَادِي الْأَنْدَلُسِيِّ فِي أَبِي عَلِي الْقَالِي⁴:

مَنْ حَاكَمَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَنُولِي؟ الشَّجْوُ شَجْوِي، وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي
فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصُونُ مُعَذِّبِي سَلِمْتُ مِنَ التَّغْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ
إِنْ قُلْتُ: فِي بَصْرِي، فَتَمَّ مَدَامِعِي أَوْ قُلْتُ: فِي قَلْبِي فَتَمَّ غَايِلِي
لَكِنْ جَعَلْتُ لَهُ الْمَسَامِعَ مَوْضِعاً وَحَبَّبْتُهَا عَنْ عَذْلٍ كُلِّ عَنُولِ

¹ - مسند أحمد 541/2.

² - هكذا في الأصل، والأولى أن يكون: الإنسان.

³ - قدم البيت الثاني على الأول في ديوان الصبابة 34، وهو أحسن.

⁴ - أبيات الرمادي. والقصة المتعلقة بها في نفح الطيب 71/3-72.

وحكى أن المتنبي لما سمع هذا الشعر، قال: يصونه في استه، وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي¹:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ لولاً مخاطبتي إياك لم ترني
قال: أظنه ضرطاً.

المعاني

نكر (حكّم)، وأتى به بعد النفي قصداً للعموم وإشعاراً بأن الحيل كلها نفدت، وأبواب النجاة كلها سدت، لأن النكرة في سياق النفي كلها تعم.

البيان

فيه التشبيه البليغ بحذف الأداة. ونظيره قوله تعالى: "وهي تمرّ مرّ السحاب"² أي حلّ كحلّ النفس من الجسد. وعندي أن تعبير لسان الدين ابن الخطيب، في معارضته السالفة، بالمجال في قوله:

ساحرُ المقلة معسولُ المي، جال في النفس مجال النفس

ألطف من تعبير ابن سهل بالمحلّ، وإن كان لسان الدين أخذ منه.

البديع

فيه الجناس بين النفس والنفس، وهو جناس تامّ. وسلف في عدّة مواضع، ومنه قول

¹ - ديوان المتنبي 2، ثالث ثلاثة أبيات قالها في الصبا.

² - صلة الآية: "وترى الجبال تحسبها جامدة"، وهي تمرّ مرّ السحاب". سورة النمل 82/27.

بعضهم:

يَا رَبِّ قَدْ قُلْتَ: حَمَلْنَاكُمْ لَمَّا طَغَى الْمَاءُ عَلَى الْجَارِيَةِ¹
عَبْدَكَ هَذَا قَدْ طَغَى مَأْوُهُ فَأَخِمْهُ يَا رَبِّ عَلَى الْجَارِيَةِ²

الإعراب

لَيْسَ: فعلٌ ماضٍ على الصحيح. وَحَكَمَ: اسمُها. وفي الأمر: خبرُها.

وكي: في محلِّ نصبٍ على الحال.

وبَعْدَ: منصوبٌ على الظرفية.

وما: مُهَيَّئَةٌ له للدخول على الجملة الفعلية.

وحلَّ: فعلٌ ماضٍ. وفي النَّفْسِ: مُتَعَلِّقٌ به. ومَحَلٌّ: ظرفٌ مكانٍ أو مصدرٌ.

¹ - اقتباس من الآية: "إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ". سورة الحاقة 11/69.

² - في الأصل: وعبدك بالواو.

غَالِبٌ لِي، غَالِبٌ بِالتُّودَةِ بِأَبِي أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَفِيقٌ¹

اللغة

الغَلَبُ، ويُحرَّكُ: القَهْرُ. والمُغْلَبُ: المَغْلُوبُ مراراً². قال:

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ [بِفَخْرٍ]³ وَلَمْ يَغْلَيْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

والتُّودَةُ: قَالَ فِي الْقَامُوسِ: "بِفَتْحِ الهمزة وسكونها. والوئيدُ والتُّوَلْدُ: الرزانهُ والتَّانِي⁴ وفداهُ يَفْدِيهِ فِدَاءً وَفِدَى وَيَفْتَحُ، وَافْتَدَى بِهِ، وفاداهُ: أعطاهُ شيئاً فأخذهُ⁵. والفِدَاءُ ككِسَاء: ذَلِكِ الْمُعْطَى. وفداهُ يَفْدِيهِ: قَالَ لَهُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ.

و"رَجُلٌ جَافِي الْخِلْقَةِ وَالْخَلْقُ: كَرٌّ غَلِيظٌ"⁶.

وَالرَّفِيقُ: اللطْفُ، وَحَسَنُ الصَّنِيعِ. وَأَرْفَقَهُ: رَفَقَ بِهِ وَنَفَعَهُ⁷. وَالرَفِيقُ: المُرَافِقُ، لِلوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ. وَالرَفِيقُ: ضِدُّ الْأَخْرِ [ق]. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي الْحَسَنِ الْجَزَارِيِّ فِي التَّانِي:

¹ - فِي دِيوانِ ابْنِ سَهْلٍ 285: رَفِيقٌ.

² - الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (غَلَبَ).

³ - بِيَاضٌ فِي الْأَصْلِ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ج)، وَالْبَيْتُ لِامْرِئِ الْقَيْسِ فِي دِيوانِهِ 44.

⁴ - الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (وَأَد).

⁵ - فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ (فَدَى): فَأَنْقَذَهُ. وَهُوَ الْمُنَاسِبُ.

⁶ - الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (جَفَا).

⁷ - فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ (رَفَقَ): "رَفَقَ فَلَانًا: نَفَعَهُ كَأَرْفَقَهُ".

حُسْنُ التَّأْنِي مِمَّا يُعِينُ عَلَى رَزَقِ الْفَقَى، وَالْحُظُوظُ تَخْتَلِفُ
وَالْعَبْدُ مُذْ كَانَ فِي جِزَارَتِهِ يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ

ونكر بعضهم أن الكتف تؤكل من أسفلها، مخافة أن يصيب الأكل المرق الجاري من
اللحم والعظم، إذا أخذها من أعلى. وقد استعمل المتأخرون هذا اللفظ في أشعارهم كثيراً،
ومن أحسن ما رأيت في ذلك قول حسّان بن المصيصي يداعب ابن جهور¹:

شَكَوْتُ إِلَيْهِ بِفَرْطِ النَّفْ وَأَنْكَرَ مِنْ قِصَّتِي مَا عَرَفَ
وَقَالَ: الشُّهُودُ لِمَا تَدَّعِي، وَأَمَّا أَنَا فَعَلَيَّ الْحَلِيفُ
فَجَنَّا ابْنَ جَهْوَرٍ الْمُرْتَضَى فَقِيهَ الْمِلَاحِ وَقَاضِي الْكَالِفِ
وَكَانَ بَصِيرًا بِحُكْمِ الْهَوَى وَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَكُلُ الْكَتِفِ
فَلَوْ مَا إِلَى الْخَدِّ أَنْ يُجْتَنَى وَأَوْ مَا إِلَى الرَّيْقِ أَنْ يُرْتَشَفِ
وَقَالَ لَهُ جَاهِدًا فِي اتِّصَافِ: دَعُوا، يَا مَخَانِثُ، هَذَا الصِّلَفِ
كَذَا تَقْتُلُونَ مَشَاهِيرَنَا إِذَا مَاتَ هَذَا فَأَيْنَ الْخَلَفِ

رجع: ويقال: تَأَدَّ لَتَادًا، إذا اطمأن في قوله أو فعله. وتكررت به قول القائل:

قَالُوا: لَنَحْنِي كِبَرًا، فَقُلْتُ: سَفَاهَةٌ، لِمَقَالٍ مَنْ لَمْ يَتَّذِرْ فِي قِيلِهِ
سَكَنَ الْحَبِيبُ شِغَافَ قَلْبِي ثَاوِيًا فَحَنَوْتُ مُنْعَكِفًا عَلَى تَقْبِيلِهِ

المعنى

لما أخبر أن الحبيب نزل منه مكاناً لا قرة له على إخلاله عنه، وأن أمر الهوى خرج

¹ - نسبت هذه الأبيات في نفح الطيب 383/3، مع زيادة واختلاف في الرواية، للمقرئ أبي عبد الله

محمد الفراء.

من اختياره، وصار في حيز القهر، أفصح بحقيقة الحال وبين أن المحبوب استولى عليه،
وملك قياده، وأنه هزم جيش الصبر بوقاره وهيبته، فإن الهيبة حكامة في النفوس، تدع لها
العقول؛ فأنا أفديه من المكاره، بأبي وأمي في رفق بي، إذ لم يزهق الروح، وترك فضلة
تجول في الشبح. فوصفي له بالجفاء فيه تسامح. وله الفضل في الإغضاء عن جساره عبده
عليه. ويقرب من هذا ما رأيته في الذخيرة لابن بسام من قول ابن عمار في غلام من عبيد
ابن هود¹:

وَأُخَوِّرَ مِنْ ظِلَاءِ الرُّومِ عَاطِئُ بِسَالِفَتَيْهِ مِنْ نَمْعِي فَرِيدُ
نَبِيلُ الْخَلْقِ، جَافِي الْخَلْقِ، عَبْدُ هُوَ الْمَوْلَى وَنَحْنُ لَهُ عَبْدُ
بَكِيْتُ، وَقَدْ نَأَى وَتَنَارِضَاهُ، وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرَبِ الْجَلِيدِ²
قَسَا قَلْبًا وَشَنَّ عَلَيْهِ دِرْعًا³ فَظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ حَايِدُ
وَلِنْ فَتَى تَمَلَّكَهُ بِنَقْدٍ وَأُخَرَزَ رِقَهُ لَفَتَى سَعِيدُ

وقد تلاعب الشعراء بمكانة المحبوب، فتارة يجعلونها سلطانية، ومنه قول ابن
التمساني⁴:

أَدَامَ اللَّهُ أَنْصَارَ الْعِيُونِ، وَخَلَدَ مَلِكَ هَاتِيكَ الْجُفُونِ

¹ - الذخيرة، القسم الثاني المجلد الأول 388.

الأبيات عدا الثاني منها في نفح الطيب 328/3.

² - في حاشية الذخيرة "مضمن" وصدرة: "فقالوا قد جزعت فقلت: كلا" (أمالى القالي 49/1، وروايته:
وهل يبكي" (انظر الذخيرة 1/325).

³ - في الأصل و(ب): سن عيه درعا، وفي (ج) ونفح الطيب 320/3: شن عليه درعا. وأرجح أن يكون
"شد" أي لبس درعا من حديد على قلبه الحديدي فصار باطنه وظاهره حديداً كما في الشطر الثاني.

⁴ - الأبيات في الغيث المسجم 95/2، وخزانة الأدب 253، وتزيين الأسواق 447. وفي الأصل و(ب):
إلى السجون.

وَضَاعَفَ بِالْفُتُورِ لَهَا اقْتِدَاراً
وَصَانَ حِجَابَ هَاتِكِ النَّيَا،
وَحَلَّدَ نَوْلَةَ الْأَعْطَافِ فِينَا،
وَأِنْ تَكُ أَضْعَفَتْ عَقْلِي وَيَذِي

الحسن¹:

كَتَبْتُ إِلَى الْحَبِيبِ بَيْتَ شِعْرِ
أَجِيبِي، يَا أَمِيرِي عَنْ جَوَابِي
فَوَقَّعَ فِي الْكِتَابِ: يُزَادُ هَجْراً
فَأَعَابِيهِ، فَأَغْضَبَهُ جَوَابِي
فَإِنَّ النَّفْسَ تَسْكُنُ بِالْجَوَابِ
وَيَعَادُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ

وقد نلطف ابن سهل حيث جعل الوقار والرزانة آلة للقهر وسبباً للاستيلاء وفي المعنى
قال الشاعر²:

وَشَانِ الْبَسُوهُ قَبْلًا وَصَفَاحَا
فَقُلْتُ: لَا تَشْغَلُوهُ كَفَى الْوَقَارُ سِلَاحَا

ومن المؤلف أن الرزانة تكسو الجمال طلاوة، والتؤدة يزداد بها المليح ملاحه، كما أن
ضد ذلك يُخلق بيباجة الجمال. وقلت:

أَحِبُّ الْغَزَالَ شَدِيدَ الْحَيَا، وَأُنْفِقُ فِي حُبِّهِ مُهْجَتِي
وَأِنْ قَلِيلَ الْحَيَاءِ وَلَوْ سَمًا³ الْبَذَرُ مَا كَانَ فِي رُفْقَتِي

1 - وهو أبو نواس الحسن بن هاني الشاعر المعروف. والأبيات له في الشريشي الكبير 314/2.

2 - القنابل: رجعنا إلى القاموس المحيط، ولسان العرب، وتاج العروس، وقطر المحيط وقواميس أخرى فلم نجد فيها شرحاً لكلمة قنابل بما يناسب المعنى هنا. ونقل الناصري البيهقي في الدرر المرسعة 96 مما انتسخه من كراسة تسلمها من الإفراني تضم بعض شعره، وفيها: سلاسلا بدل قنابلا.

3 - سما: بمعنى علا.

وما أُنذرَ وجودَ مَلِيحٍ تَرُدُّ رِداءَ الوَقَارِ والنِّزَامَةِ، وَمالَ إلى أَهلِ العَفَافِ، ولم يَرْضَ
لِلنِّتْيَةِ. بَلْ لَا تَرَى مَلِيحاً إِلَّا وَطِيعُهُ مَائِلٌ لِأَهْلِ الفَسَقِ وَالْفَسَادِ، وَلِلَّهِ الْقَاتِلُ الْأَوَّلُ:

ذَهَبَ الْكِرَامُ فَلَا كَرِيمَ يُرْتَجَى مِنْهُ النَّوَالُ، وَلَا مَلِيحَ يُعْشَقُ

وَأُنشِدَ لِنَفْسِهِ صَاحِبِنَا الْأَدِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ الشَّهِيرِ سَيِّدِي عَبْدَ السَّلَامِ
جَسُوسَ، رُوحَ اللَّهِ رُوحَهُ، وَنُورَ ضَرِيحَهُ:

وَمِمَّا ثَنَانِي عَنْ هَوَاهُمْ وَصَدَّتِي، وَقَدْ كُنْتُ مُغْرَى بِالْهَوَى، وَهُوَ دَيْنَتِي
نُفُورُهُمْ مِنِّي، وَمِنْ كُلِّ عَاشِقٍ عَفِيفٍ، وَهُمْ فِي طَوْعِ كُلِّ يَدَيَّ دَنِي

وَأُنشِدُنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ فِي الْمَعْنَى تَاجُ الْأَدْبَاءِ وَسِرَاجُ الْبُلْغَاءِ، صَاحِبُ الْقَلَمِ الْبَلِيغِ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ الشَّرِيفِ الْعَلَمِي:

مَا أَقْبَحَ الْحُسْنَ! وَالْعُشَّاقُ تَمَدَّحُهُ، كَمْ بَانَ لِي فِيهِ مِنْ بَاسٍ وَمِنْ بُوسٍ
أَرَى الْحِسَانَ بِأَيْدِي الْفَاسِقِينَ غَدَا، مِثْلَ الطَّوَارِيسِ فِي أَيْدِي الطَّوَارِيسِ¹

وقوله: بأبي أفضيه: هذه اللفظة كثيرة الاستعمال في الكلام العربي. وفيها ما لا يخفى من
التلطف. والعرب تجعلها دعامة في الكلام، كما جعلوا: لا أبا لك، إغراء على المسؤول أن
يُجيب، وتحنناً للمطلوب ألا يخيب الرجاء.

¹ - الطوارييس: في لسان العرب (طرس) :طرسه: أفسده.

المعنى

خصَّ الأب بالذكرِ صوتاً للكلامِ من الاستهجانِ الذي يحصلُ من نكرِ الأمِّ، وإن كانَ سَمِعَ: فداؤك أبي وأمي. فسلكَ ما لا يحتاجُ عابرُهُ إلى التوقُّفِ في بعضِ سِكَكِه. وسمعتُ عن بعضِ أشياخي أنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانٍ كانَ يقولُ لأصحابه: جَنَّبُوا مَجَالِسَنَا نَكَرَ النِّسَاءِ والطعامِ.

البيان

فيه الاستعارةُ بالكنايةِ على رأي السكاكي في إنكارِ المجازِ العقلي¹. وخلاصةُ مذهبه أنَّ تشبُّهَ الفاعلِ المَجازيِّ بالفاعلِ الحَقِيقِيِّ في تعلقِ وجودِ الفعلِ به، ثم تفرُّدُ الفاعلِ المَجازيِّ بالذِّكْرِ، وتنسبُ إليه شيئاً من لوازمِ الفاعلِ الحَقِيقِيِّ. وهذا إنما يتأتَّى إذا لم نجعلِ الباءَ للسببيةِ، وإلاَّ فحقيقةٌ كما سلفَ.

نكرتُ بالمجازِ والحقيقةِ قولَ ابنِ العفيفِ:

خَمَرَةٌ لِلشَّقِيقِ أَضَحَّتْ شَقِيقَةً، بَنَتْ كَرَمٌ بِالْمَكْرُمَاتِ خَلِيقَةً
قَالَ قَوْمٌ مِنْ لُطْفِهَا: هِيَ فِي الْكَأِ سِ مَجَازٌ، وَالْكَأْسُ فِيهَا حَقِيقَةً

البيدع

فيه التكرارُ، وهو عندهم إعادةُ اللفظِ لتقريرِ معناه من مدحٍ أو نَمٍّ أو غرضٍ من الأغراضِ، كقوله²:

¹ - انظر مفتاح العلوم 208-210.

² - البيتان في خزنة الأدب 205.

تُعَسَى أَنْ يُلِمَّ بِرُوحِي الْخِيَالُ:
فَقُلْتُ لَهُنَّ: مُحَالٌ، مُحَالٌ

يَقُلْنَ، وَقَدْ قِيلَ لِي هَجَعُ
حَقِيقٌ، حَقِيقٌ، وَجَدْتَ السُّلُوءَ

القاضي الفاضل¹:

وَمَا تَقُولُ الْأَعَادِي، زَادَ مَعْنَاهُ
نَعَمْ، أَنَا أَهْوَاهُ وَأَهْوَاهُ
فَمَا رَأَيْ قَطُّ إِلَّا سُبْحَ اللَّهِ

مَاذَا يَقُولُ اللَّوَاهِي، ضَلَّ سَعْيُهُمْ
هَلْ غَيْرَ أَنِّي أَهْوَاهُ وَقَدْ صَدَّقُوا،
حَسَبُ الْبَرِيَّةِ أَجْرًا فَضُلَّ رُؤْيَاهُ،

وال تكرار في البيت، في قوله: "غالب لي، غالب". وفائدته المبالغة في إقامة الحجة على اللواحي. واعلم أن عند أهل البديع التكرار والتكرير، أما التكرار فقد علمته، وأما التكرير، فقال الصفي الحلبي²: هو أن يأتي المتكلم بجمل مفصلة، أو غير مفصلة، ثم يخبر عنها بصفة واحدة مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك الجملة، كقوله، عليه السلام: "أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْخُو بِهِ اللَّهُ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ:

إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسْجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ إِلَى الصَّلَاةِ"³. فهذه جمل مفصلة، ثم أتى بصفة واحدة مكررة بحسب [المق-إطفاء] فقال: فذلکم الرباط، ثلاثاً. ومنه قول ابن الرومي⁴:

¹ - الأبيات في المصدر السابق.

² - الكلام التالي المتعلق بالتكرير هنا مأخوذ بتصريف بالحذف، من أنوار التجلي 2/296، وهو غير منسوب فيها للحلي. ولم يتحدث الحلبي في شرح الكافية البديعية عن التكرير. وكل ما قال في التكرار هو: "أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها لتأكيد الوصف أو المدح أو غيره من الأغراض". (شرح الكافية البديعية 134).

³ - الموطأ 113، وأضاف: "فذلکم الرباط، فذلکم الرباط، فذلکم الرباط".

⁴ - ديوان ابن الرومي 353/1 (تحقيق حسين نصار).

أُمُورُكُمْ بَنِي خَاقَانَ عِنْدِي عُجَابٌ فِي عُجَابٍ فِي عُجَابٍ
قُرُونٌ فِي رُؤُوسٍ فِي وَجُوهِ صِلَابٌ فِي صِلَابٍ فِي صِلَابٍ

وقول الآخر:

وَتَسْقِينِي وَتَشْرَبُ فِي رَحِيقٍ خَلِيقٌ أَنْ يُخَلِّقَ بِالْخَلْـُوقِ
كَأَنَّ الْكَأْسَ فِي يَدِهَا وَفِيهَا عَقِيقٌ فِي عَقِيقٍ فِي عَقِيقٍ

وفيه الطباقُ بينَ (جافٍ) و(رقيقٍ). وقد تقدّم غيرَ ما مرّة.

الإعراب:

غَالِبٌ: مبتدأ. والمَسُوعُ العملُ في المَجْرُورِ.

وِغَالِبٌ الثَّانِي: خبرٌ. وبالتَّوْدَةِ: معمولٌ لَهُ.

وَبَلْبِي: مُتَعَلِّقٌ بِأَفْهِيهِ.

وَمِنْ جَلْفٍ: تَمَيِّزٌ جَرٌّ بِمِنْ. وَفِي مَعْنَى (مِنْ) هَذِهِ أَقْوَالٌ، فَقِيلَ: لِلتَّبَعِيضِ وَقِيلَ لِبَيَانِ
الْجِنْسِ، كَمَا ارْتِضَاهُ أَبْنُ هِشَامٍ فِي الْحَوَاشِي.

مَا عَلِمْنَا قَبْلَ ثَغْرِ نَضْدَهُ أَفْخَوَاتَا عَصِرَتْ مِنْهُ رَحِيقٌ¹

اللغة

العِلْمُ: ضدُّ الجهل، فسَّرَهُ في القاموس بالمعرفة². وعلماؤنا يُفَرِّقُونَ بينهما كما هو مقررٌ في محله. وقبل: نَقِضُ بَعْدَ. وَالثَّغْرُ، بالثاء المثلثة في أوله، قال في القاموس: "الفم والأسنان، أو مقمها، أو ما دامت في منابتها"³.

حكاية

تَكَرَّرَتْ بالثاء المثلثة ما رأيته للولائي أشي في ترجمة شيخه التقي بن الحرس الحنفي، قال: سألتُه: هل للوباء بمصرَ وقتٌ معلومٌ؟ فقال لي: جرتُ العادةُ عندهم، بِقَدْرِ الله وسرِّه في خلقه، أن كلَّ سنةٍ أولُها ثاءٌ مثلثةٌ يكونُ الوباءُ فيها، والله أعلمُ. وهذا معروفٌ عندهم، انتهى.

والتَّغْرُ أيضاً: ما يلي دارَ الحرب، وموضعُ المخافة من فروج البلدان. وما أحلى قولَ الصواف⁴:

رَأَى ثَغْرَ مَنْ أَهْوَى عَنُولِي، فَقَالَ لِي وَلَمْ يَنْزِرْ أَنَّ اللَّوْمَ فِي حُبِّهِ يُغْرِي:

¹ - ديوان ابن سهل 285.

² - القاموس المحيط (علم).

³ - المصدر السابق (ثغر).

⁴ - البيهقي في تزيين الأسواق 477، منسوبين ليوسف بن مسعود، وانظر الشريشي الكبير 114/2.

شَغِلَتْ بِهَذَا وَلَرْتَبَطَتْ بِحُسْنِهِ، وَأَحْسَنُ مَا كَانَ الرِّبَاطُ عَلَى الثُّغْرِ

وقوله: نَضَّدَهُ، قَالَ ابْنُ الْقَوَاطِيَّةِ: نَضَّدَ الشَّيْءَ نَضْدًا: جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ¹. وبهذا
فَسَّرَ الْكَوَاشِي "طَلَعَ نَضِيدًا"². قَالَ الْعَزِيزِي: أَي مَنضُودٌ. وَالْأَفْحُونُ: نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ³.
وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْبَانُونِج. قَالَ النَّابِغَةُ⁴:

كَالْأَفْحُونِ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَعَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

ابْنُ تَمِيمٍ⁵:

كَفَّ السَّبِيلَ لِلثَّمَمِ مَنْ أَحْبَبْتُهُ فِي رَوْضَةٍ لِلزَّهْرِ فِيهَا مَعْرَكَ؟
مَا بَيْنَ مَنثورٍ وَتَاطِمٍ نَرْجِسٍ مَعَ أَفْحُونٍ وَصَفْهُ لَا يُنْزَكُ
هَذَا يُشِيرُ بِإِصْبَعٍ، وَعُيُونُ ذَا تَرْتُو إِلَيَّ، وَتَغْرُ هَذَا يَضْحَكُ

و عَصَرَ الْعِنَبَ وَنَحَوَهُ يَغْصِرُهُ، فَهُوَ مَعْصُورٌ وَعَصِيرٌ: اسْتَخْرَجَ مَا فِيهِ. وَالْعُصَارَةُ مَا
تَحْلَبُ مِنْهُ⁶. ذَكَرْتُ هُنَا وَاقِعَةَ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ وَهْبُونَ الْمَرِينِيَّ مَعَ خَالِهِ⁷، وَأَنَّهُ كَانَ دُونَ الْحُظْمِ

¹ - كتاب الأفعال 263.

² - سورة قاف 10/50، وتام الآية: "وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ".

³ - في حاشية الأصل: "ولأبي إسحق النمرى مضمنا:

لَهُ شَقَّةٌ أَضَاعُوا النَّشْرَ فِيهَا

فَمَا أَشْهَى لِقَلْبِي مَا أَضَاعُوا

⁴ - ديوان النابغة 40.

⁵ - حلبة الكميت 34.

⁶ - القاموس المحيط (عصر) بتصرف.

⁷ - عن خزانة الأدب 175 بتصرف في الضمائر. ترجمة ابن وهبون في فوات الوفيات 249/2-255.

الحلم إلى جنب خاله، وقد صنع لخاله عريشاً، فانكسرت دعائمها¹، ثم رفع على أخشاب
جوزة فانكسرت، فقال خاله: أجز:

مَالٌ عَلَيْهَا الْعَرِيشُ فَانْكَسَرَتْ

فَقَالَ:

كَانَهَا مِنْ سُلَاقَةِ سَكْرَتٍ

لَمْ تَرَ عَيْي وَلَا وَعَتٌ أَنْتِي سُلَاقَةُ أَسْكَرَتْ وَمَا عَصِرَتْ

والرَّحِيقُ، قال في القاموس: "الْخَمْرُ، أو أبيضها، أو أفضلها، أو الخالص، أو الصَّافِي"².
وقد وضعت العرب للخمر أسماء كثيرة، ورأيت في حلبة الكميت للنواجي قال: رأيت في
بعض التذكير أن لها ألف اسم³. ويقال إن الخمر والأسد أكثر الموجودات أسماء. وقد ألف
المجد اللغوي صاحب القاموس في استقصاء أسماء الخمر. وذكر النواجي في أول الحلبة
كثيراً [من] أسمائها المشتهرة، كالراح والمُدام والطلاء والقرقف والسلَاقَة والرَّحِيق
والعجوز. وما أملح قول ابن نباتة⁴:

فَذَلُّوا الرِّاحَ بِالْعَجُوزِ، وَمَا تَخْرُجُ أَلْقَابُهُمْ عَنِ الْعَادَةِ
أَلَانَتْ الْعَادَةُ الَّتِي امْتَنَعَتْ، فَصَحَّ أَنْ الْعَجُوزَ قَوَادَةُ

¹ - الأصل و(ب) و(ج) وخزانة الألب 175: دعائمها. رفعت. والعريش مذكر. (لسان العرب: عرش).

² - القاموس المحيط (رحق).

³ - ذكر النواجي في حلبة الكميت 8 ما يزيد على مائة وثلاثين اسماً للخمر، وأحال على "الكتاب المسمى
بقطب السرور للقيرواني".

⁴ - لم نجد البيهقي في ديوان ابن نباتة، وهما في حلبة الكميت 10.

كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْعَابِدِ يَقُولُ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْخَمْرُ بِالْعَجُوزِ لِأَنَّهَا بِنْتُ ثَمَانِينَ،
يَعْنِي عَدَدَ حُدَّهَا. وَلَهُ فِيهَا¹:

عَدَّانَا فَلَانَا عَلَى فِعْلِهِ، وَلَمَّانَاهُ فِي شُرْبِهِ لِلْعَجُوزِ
فَقَالَ: دَعُونِي مِنْ أَجْلِهَا أَنَا وَأَخِي وَالْعَجُوزِ

فَقُلْتُ: قَدْ يَكُونُ أَبُو الْحَسَنِ فَهَمَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ الْأَوَّلِ:

شَرِبْتُ مِنْ أَكْوَسِ خَمْرِ الصَّبَا فَكَانَ الدَّهْرُ ثَمَانِينَ

وَمِنْ لَطِيفٍ مَا يُحْكِي أَنَّ بَعْضَهُمْ كَتَبَ إِلَى الْقَاضِي ابْنِ قُرَيْبَةَ فُتِيًّا²، وَهِيَ: مَا يَقُولُ
مَوْلَانَا الْقَاضِي، أَيَّدَهُ اللَّهُ، فِي رَجُلٍ سَمَّى وَلَدَهُ مُدَامًا، وَكَتَبَهُ أَبَا النَّدَامِيِّ³، وَسَمَّى ابْنَتَهُ الرَّاحَ،
وَكَتَبَهَا أُمَّ الْأَفْرَاحِ، وَسَمَّى عَبْدَهُ الشَّرَّابَ، وَكَتَبَهُ أَبَا الْإِطْرَابِ، وَسَمَّى وَلِيدَتَهُ الْقَهْوَةَ، وَكَتَبَهَا أُمَّ
النَّشْوَةِ؟ أَيْتَهَى عَنْ بَطَالَتِهِ، أَمْ يُوْتَّبَ عَلَى خِلَاعَتِهِ؟ فَكَتَبَ الْجَوَابَ: لَوْنَعْتُ [هَذَا]⁴ لِأَبِي
حَنِيفَةَ، لِجَعْلِهِ خَلِيفَةً، وَلِعَقْدِ لَهُ رَايَةً، وَقَاتِلَ تَحْتَهَا مَنْ خَالَفَ رَأْيَهُ. وَلَوْ عَلِمْنَا مَكَانَهُ لَقَبَلْنَا
أَرْكَانَهُ. فَإِنْ أَتَيْتَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ أَفْعَالًا، وَهَذِهِ الْكُنَى اسْتِعْمَالًا، عَلِمْنَا أَنَّهُ أَحْيَا دَوْلَةَ الْمُجُونَ،
وَأَقَامَ لَوَاءَ ابْنَةِ الزَّرْجُونِ⁵. فَبَايَعْنَاهُ، وَشَايَعْنَاهُ. وَإِنْ تَكُنْ أَسْمَاءَ سَمَّاهَا، مَالَهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ،

¹ - ابْنُ الْعَابِدِ هُوَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو الْحَسَنِ الْقُرْطُبِيُّ. رَجُلٌ إِلَى مِصْرَ. وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ: قَالَ
بَعْضُ الْمَشَارِقَةِ عَنْهُ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْخَمْرُ بِالْعَجُوزِ لِأَنَّهَا بِنْتُ ثَمَانِينَ، يَعْنِي عَدَدَ حُدَّهَا، وَأَنْشَدَ لَهُ...". الْبَيْتَانِ
(نَفْحِ الطَّيِّبِ 374/2). أَيْ الْهَدِّ الْمَقَامَ عَلَى شَارِبِهَا.

² - الْفُتْيَا، كَمَا فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ، هِيَ مَا يَفْتِي بِهِ الْفَقِيهَ. فَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ: طَلَبٌ، بَدَلٌ، كَتَبَ.

³ - فِي الْأَصْلِ: وَكَتَبَهُ بِالْإِنْدَامِيِّ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ حَلِيبَةِ الْكَمِيتِ 10.

⁴ - زِيَادَةُ مِنَ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ.

⁵ - الزَّرْجُونُ: الْخَمْرُ.

خَلْعًا طَاعَةً، وَفَرَقًا جَمَاعَةً. فَحَنُّ إِلَى إِمَامٍ فَعَالٍ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى إِمَامٍ قَوَالٍ¹، انتهى.

المغنى

رَجَعَ لِنَشْرِ أَوْصَافِ الطَّبِيِّ، وَتَفْصِيلِ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ صَوْرَتُهُ مِنْ ضُرُوبِ الْمَحَاسِنِ
وَأَنْوَاعِ الْمَلَاخَةِ. فَتَكَرَّرَ أَنَّ رَيْقَهُ رَاحَ مَعْتَقَةً، وَأَنَّهُ أَخَذَتْ مِنْ أَقْحُونِ ثَغْرِهِ. وَهَذَا عَجَبٌ، فَإِنَّ
الْأَقْحُونَ لَا تَكُونُ مِنْهُ سَلَا[فَةً. فَ] فِي الْبَيْتِ تَشْبِيهُ الثَّغْرِ بِالْأَقْحُونِ، وَتَشْبِيهُ الرِّيقِ بِالْمُدَامِ،
وَكَيْلًا لِلتَّشْبِيهِينِ مِمَّا تَلَاعَبَ بِهِ فَرَسَانُ الْكَلَامِ. قَالَ²:

وَلَيْلَ بَيْتِهِ مِنْ ثَغْرِ حَبِّي وَمِنْ كَأْسِي إِلَى فَلَقِ الصَّبَاحِ
أَقْبَلُ أَقْحُونًا فِي شَقِيقِ، وَأَشْرَبُهَا شَقِيقًا فِي أَقْحَاحِ

النواجي³:

لِلَّهِ ثَغْرٌ لِلْحَبِيبِ، تَجَمَّعَتْ فِي ضِمْرِهِ لِلْعَاشِقِينَ نَفَائِسُ
فِيهِ الرَّحِيقُ، وَخَالَهُ مِنْكَ الْخِتَا مَ، وَفِيهِ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُ⁴

الصفدي:

وَعَزَّالٍ، غَزَا فُؤَادِي بِسَهْمِهِ وَسِنَانٍ مِنْ طَرْقِهِ الْوَسْنَانِ
كَمْ سَقَانِي مِنْ ثَغْرِهِ كَأْسَ خَمْرٍ، فَرَشَقْتُ السُّلَافَ مِنْ أَقْحُونِ

ابن تميم⁵:

¹ - حلبة الكميت 10-11.

² - البيتان في الغيث المسج 123/1 منسوبين لابن تميم.

³ - البيتان في تزيين الأسواق 477.

⁴ - اقتباس من الآية: "خِتَامُهُ مِسْكٌ"، وفي ذلك فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ". (المطففين 26/83).

⁵ - اقتباس من الآية: "خِتَامُهُ مِسْكٌ"، وفي ذلك فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ". (المطففين 26/83).

بَثْغَرِ حَيَّاكَ، وَاسْتَوَلَى بِهِ الطَّرْبُ
لَقَدْ حَكَيْتَ، وَلَكِنْ فَاتَكَ الشَّنْبُ

إِنْ نَأَتْ ثَغَرُ الْأَقَاحِي فِي تَشْبُهُهِ
فَقُلْ لَهُ عِنَّمَا يَحْكِيهِ مُبْتَسِمًا:

عرقة¹:

بَرْدًا يُنْقَعُ الْجَوَانِحَ بَرْدًا
أَنْ فِي ثَغَرِهِ رَحِيقًا وَشَهْدًا

بِأَبِي مَبْسَمٍ إِذَا لَاحَ أَهْدَى
شَهْدَ اللَّثْمِ وَهُوَ شَاهِدُ عَدْلٍ،

ابن عبد الظاهر:

مِنْ بَعْدِ رَشْفِي رَيْقَ مَعْشُوقِي
شَرِبْتُهَا مِنْهُ عَلَى الرَّيِّقِ

يَا رَبُّ كَأْسٍ صِرْتُ مِنْ شُرْبِهَا،
مُلْتَهَبِ الْأَخْشَاءِ نَارًا لَأَنْ

شيخ الشيوخ²:

أُطْفِي بِهِمَا مِنْ كِبْدِي حَرَّةً
أَنْ تُتْبِعَ الشَّرْبَةَ بِالْجَرَّةِ

سَأَلْتُهُ مِنْ رَيْقِهِ قُبْلَةً
فَقَالَ: أَخْشَى يَا شَدِيدَ الظَّمَا

امروء القيس³:

لَنِيذِ الْمُقْبَلِ وَالْمُبْتَسَمِ

وَتَغَرِ لَهَا طَيِّبٍ وَاضِحٍ

1 - البيتان في الغيث المسجم 269/2 منسوبين لأبي إسحق الصابي، وقبلهما بيتان لعرقة يبتدئ أولهما بقوله: بابلي... ولعل الإفرائي سها بسبب هذه البداية فنسب البيتين إلى عرقة.

2 - البيتان في الغيث المسجم 261/2، وتزيين الأسواق 478.

3 - نستبعد أن يكون هذان البيتان من شعر امرئ القيس، وهما أشبه بشعر العصور الإسلامية المتأخرة. ولم يردا في ديوانه. والأنسب صوتياً أن يكون "مَنْ كَتَمَ" بدل "مَا كَتَمَ".

وَمَا نُقْتُهُ غَيْرَ ظَنِّي بِهِ وَبِالظَّنِّ يَقْضَى عَلَى مَا كُتِمَ

بشار¹:

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رِيقاً غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
قَدْ زُرْتَنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاجِدَةً ثَنٍّ وَلَا تَجْعَلْنَاهَا بَيْنَضَةَ الدِّيَكِ

ابن مَرْج الكحل²:

وَعِنْدِي مِنْ مَعَاطِفِهَا حَدِيثٌ يُخَبِّرُ أَنَّ رِيقَتَهَا مُدَامٌ
وَفِي الْحَظِّهَا السُّكْرَى دَلِيلٌ وَمَا نُقْنَا وَلَا زَعَمَ الْهُمَامُ

أشار لقول النابغة³:

تَجَلَّوْ بِقَايَمَتِي حَمَامَةً أُنْكَاةٍ بَرْدًا أُسِيفَ لثَائِثُهُ بِالْإِثْمِ
كَالْأَفْحُوَانِ غَدَاةٌ غِيبٌ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ، وَأَسْفَلُهُ نَدِي
زَعَمَ الْهُمَامُ، وَلَمْ أُنْقَهُ، بَأْتُهُ يُسْقَى بِرِيًّا رِيقَهَا الْعَطِشُ الصَّدي

ابن الساعاتي:

قَبَّلْتُهَا وَرَشَفْتُ خَمْرَةَ رِيقِهَا فَوَجَدْتُ نَارَ صَبَابَتِي فِي كَوْتِهَا

1- ديوان بشار 173.

2- في رفع الحجب 195/1، ونفع الطيب 53/5. في النفع : مرآشفها، وفي رفع الحجب: لواظها.

3- الأبيات 20، 21، 24 من القصيدة في وصف المتجردة، في ديوانه 40-41، وفي المصادر السابقة.
في الأصل: أشف، وهو تصحيف، وأثبتنا ما في ديوان النابغة. ومن عادة العرب أن يُسفوا اللثات بالإثمد
ليُبَزَّزَ بياضُ الأسنان. والإثمد: حَجَرٌ يتخذ منه الكحل، وقيل ضرب من الكحل، وقيل هو الكحل نفسه.
(لسان العرب: ثمد).

وَتَخَلَّتْ جَنَّةٌ وَجْهَهَا، فَلَبَّاحَنِي رِضْوَانُهَا الْمَرْجُو شُرْبُ الْمُسْكِرِ

آخر:

تَبَسُّمَ فَاِرْتَحْتُ مِنْ سَكْرَتِي، وَقُلْتُ: هَذَا الْقَرْقَفُ الْمُتَخَبِّ
وَمَا نَقْتُ فَأَهُ، وَلَكِنَّهُ حَكَمْتُ عَلَى خَمْرِهِ بِالْحَبِّبِ

والأبيات في هذا المعنى كثيرة.

المعاني

أتى بـ (نا) الموضوعية لغةً للمتكلم مع غيره، إذ نأنا بأن نفي العلم بهذا الأمر القريب هو لكل أحد. ونكر ثغره للتعظيم. ووصفه بأنه نضيد، أي متاسق تناسق الدرر في العقد. وقد أكثر الشعراء في تشبيه الثغر بالدرر. قال إبراهيم الميعار¹:

أَحَبُّهُ كَالْغُصْنِ، شَاعِرُهُ لَهُ عَلَيْهِ نَوْحُ وَرَقَاءِ
وَتَغْرُهُ الصَّادِي مِنْ حُسْنِهِ يَحَارُ فِي تَشْبِيهِهِ الطَّائِي

الصفدي مضمناً²:

عَزَمْتُ عَلَى رُقِيَا مَحَاسِنِ وَجْهِهِ بِأَنْوَارِ آيَاتِ الضُّحَى حِينَ أَقْبَلَا
فَلَمَّا بَدَأَ يَفْتَرُّ عَنْ نُرِّ ثَغْرِهِ بَدَأَتْ يَبْسُمُ اللَّهُ فِي النَّظْمِ أَوَّلَا

¹ - البيتان في تزيين الأسواق 477 منسوبين للصالح الصفدي، والبيان بعدهما: "عزمت على..". للمعمار كما نسب الأخيران في خزانة الأدب 475 لبرهان الدين المعمار. قلعل الإفراني سها في نسبة الأبيات. والطائي: هو أبو تمام الطائي الشاعر المعروف.

² - انظر الحاشية السابقة.

سَبَّانِي تَغَرَّ مِنْكَ كَالدَّرِّ نَظْمُهُ فَمَا مَنْ رَأَى نُرّاً يَشْبُهُ بِالدَّرِّ
لُشَاظُهُ رَيْقاً مِنْكَ كَالشَّهْدِ طَعْمُهُ، وَمَا نَقْتُهُ يَوْمًا، وَلَكِنْ نِي أَنْزِي

ونكرَ أًفحواناً ورحيقاً قصداً للحقيقة في ضمين أي فردٍ كان. والخمرُ تعصرُ من خمسة: من العنب، والتمر، والحنطة، والشعير، والذرة.

قرأت في بعض كتب التاريخ بمدينة مراكش، حرسها الله، أن سبب ابتداء الخمر هو أن بعض الناس في الزمن الأول، كان ماراً في بريّة، فوجد دالية من العنب قطوفها دانية¹. فتعجب منها غاية، إذ لم يكن رآها قبل، فقال: لا أجد غريبة أرفعها للسلطان إلا هذه، فحملها له. فلما مثلت بين يدي السلطان استغريها، وأمر بالعنقيد فغصرت وحمل ماؤها، ولم يتجسم² أحد أن يشربه، فبقي حيناً من الدهر في أوتيه إلى أن اشتدّ وتخمر، وأراد السلطان أن يقف على حقيقة أمره، فنظر أشخاصاً وجب عليهم القتل، فسقاهم إياه، فطربوا به، وغنّوا ورقصوا، فسقاها الآخرين، ففعلوا كما فعل الأولون. فأمر بها السلطان أن تغرس أشجار³ [ها]، ويعتى بها، فلم يزل شربه إلى هلمّ جرّاً.

البيان

فيها استعارة الأفحوان للثغر، وليس المراد الأصفر كما يتوهم، [وإن كان] صياغ الصفرة مما يوثق القلوب الخلية بقبود البلية. وما أحلى قول عبد المحسن الحلبي الكاتب في مליح لبس أصقر:

¹ - في سورة الحاقة 23/69: "...في جنة عالية، قطوفها دانية".

² - في الأصل: يتجسم، ولم نر له وجها.

³ - خرم في الأصل، وفي (ج): أشجرها، وفي (ب): أسجره.

نَاجِتُكَ أَثْوَابُ الْحَبِيبِ بِلَوِيْهَا:
فَاجِبُهُ: إِنْ كَانَ مَا قَدْ قَلَّتْهُ

آخِرُ يَعْتَرُ عَنْ صُفْرَةِ وَجْهِ مَحْبُوبَتِهِ:

يَعْبُونَهَا عِنْدِي لَصْفَرَةٍ وَجْهَهَا
قَلَّتْ: الْهَرَقَلِيَّاتُ أَوْجُوهَهَا صُفْرُ

ومما ينخرط في سلك الصفرة ما كتب به بعض الأدياء إلى القاضي منذر¹:

مَسْأَلَةٌ جِئْتُكَ مُسْتَفْتِيًا
عَلَامَ تَحْمَرُ وَجْوهُ الظُّبَّاءِ،
فِيهَا وَأَنْتَ الْعَالِمُ الْمُسْتَسَارِ
وَقِي وَجْوهُ الْعَاشِقِينَ اصْقِرَارًا؟

فاجابه:

احْمَرَّ لَوْنُ الظُّبِّي إِذْ لَحَظْتُهُ
وَلَصْقَرًا وَجْهَ الصَّبِّ لَمَّا نَأَى،
سَيِّفٌ عَلَى الْعُشَّاقِ فِيهِ اخْوِرَارُ
وَالشَّمْسُ تُكْسَى لِلْمَغِيبِ اصْقِرَارًا

وبيت القاضي الأخير منتزع من قول أبي حاتم الحجازي:

فَكَفَى مِنَ الدِّينَارِ صُفْرَةً وَجْهَهُ،
الشَّمْسُ صُفْرَتُهَا مِنْ أَجْلِ زَوَالِهَا

واستعار الرحيق للريق، وهذه الاستعارة مطلقة، لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام،
بخلاف المجردة وهي ما قرنت بما يلائم المستعار، والمرشحة بما يلائم المستعار منه.
قال ابن حجة²: والمرشحة ألقى أنواع الاستعارة بإجماع علماء الفن

¹ - البيتان وجواب القاضي منذر عنهما في نفح الطيب 2م22.

² - في الأصل: ابن أبي حجة، وهو خطأ. وكلام ابن حجة عن الاستعارة المرشحة في خزانة الأدب 60.

فيه حُسْنُ البيان. قالَ في المصباح: وهو عبارةٌ عن كَشْفِ المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة. ويأتي على أقسام: أفتح وأوسط وأحسن. فالأفتح كَيانٍ باقل، وقد سئلَ عن ثمنِ ظبي، فأرادَ أن يقول: أحدَ عشر، فأدركه العي، حتَّى فرَّقَ أصابعه وألغَ لسانه، فأفلتَ للظبي. والمتوسط، كما لو قال: خمسة وستة، أو عشرة وواحد، ونحو ذلك. والأحسنُ يأتي مع الإيجاز والإطناب. فمن مجيئه مع الإيجاز¹:

لَهُ لَحْظَاتٌ فِي خَفَايَا سَرِيرَةٍ، إِذَا كَرَّهَهَا، فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ

وهذا البيتُ من قصيدة لإبراهيم بن هرمة، مدحَ بها أبا جعفر المنصور، فاستحسنها منه وقال: سلني حاجتك، فقال: تكتبُ إلى عاملِك بالمدينة لا يخذلني على السكر. فقال: هذا حدُّ من حدودِ الله، وما كنتُ لأمرَ بتعطيله، فقال: تحيل، يا أمير المؤمنين. فقال: أما هذا فنعَمْ. فأمرَ بالكتاب إلى عامله بالمدينة: مَنْ أتاك من أَعوانِكَ بَابِنِ هَرْمَةَ سَكَرَانَ فَاضْرِبْهُ مِائَةَ سَوْطٍ، واجلد ابنَ هَرْمَةَ ثَمَانِينَ. فكان ابنُ هَرْمَةَ إِذَا مرَّ به عونٌ، وهو سكرانٌ، قال: مَنْ يشتري ثمانينَ بمائة². ومن مجيئه مع الإطناب³. قولُ امرئ القيس⁴:

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ

¹ - انظر هذا الكلام عن حسن البيان مع بيت الشاهد بعده في خزانة الأدب 558، وهو لبن هرمة في ديوانه 168، وفوات الوفيات 31/1.

² - انظر هذه القصة في الغيث المسجم 216/1، وفوات الوفيات 34-35، ويروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لابن هرمة: "إني لستُ بمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك.. وأنا أقسم بالله لنن أوتيتُ بك سكران لأضربنك حدين: حدًّا للخمر، وحدًّا للسكر". (الكامل للمبرد 242/1).

³ - في الأصل: الإيجاز والمثبت ما في (ج)، وهو أنسب.

⁴ - شرح ديوان امرئ القيس 30.

ما: نافية، وتكررتُ بلفظة ما قول صدر الدين بن عبد الحق¹:

جَهَنَّمُ، حَمَلُكُمْ، نَارُهَا
وَفِيهَا عَصَا لَهُمْ ضَجَّةٌ
تَقَطَّعُ أَكَابِنَا بِالظَّمَا
وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَا

وقول ابن مكنس²:

مِنْ شَرِّطِنَا إِنْ أَسْكَرَتْنَا الطَّلَا
نَعَافُ مَزْجَ الْمَاءِ مِنْ كَأْسِهَا
صِرْقَاءُ، تَدَاوَيْنَا بِرِشْفِ اللَّمَى
لَا وَآخِذَ اللَّهْ السُّكَارَى بِمَا

للشريف الدمشقي³:

ضَلُّوا عَنِ الْمَاءِ لَمَّا أَنْ سَرَوْا سَحَرًا
وَاللَّهُ أَكْرَمَنِي بِالْوَرْدِ ثُونَهُمْ،
قَوْمِي، وَظَلُّوا حَيَارَى يَلْهَثُونَ ظَمًا
فَقُلْتُ: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا

وقول ابن سناء الملك⁴:

¹ - البيتان في خزنة الأدب 160، وفي الثاني اقتباس من القرآن: "إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا، أَخَاطَ بِهِمْ سُرَاقُهَا، وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ". (سورة الكهف 29/18).

² - البيتان في خزنة الأدب 160، وحلبة الكميت 162.

في الأصل: يعاف، وأثبتنا ما في المصدرين السابقين.

³ - البيتان في خزنة الأدب 160 منسوبين لـ "المقر المرحومي الأميني صاحب ديوان الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة". ونرى أن الإفراني تسرع فجعل (الشريف) وهو وصف للديوان لصاحب الديوان فقال: الشريف الدمشقي. وفي البيت الثاني اقتباس من القرآن: قَالَ: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي". (سورة يس 26/36).

⁴ - ديوان ابن سناء الملك 673.

وَالنَّمْعُ تَغَرٌّ، وَتَكْحِيلُ الْجُفَى [وَن لَمَى]
فَمَا شَكَتْ بِأَنِّي قَدْ لَنَمْتُ فَمَا

رَأَيْتُ طَرَقَكَ يَوْمَ الْبَيْنِ حِينَ هَمَّا
فَلَكَفَفَ مَلَأَمَكَ عَنِّي حِينَ التَّمُّهُ،

ابن حجة¹:

وَمَا شَفَى بِقُرْبِهِ سَقَامًا
قُلْتُ لَهُمْ: "يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا"

قَالُوا: وَقَدْ فَرَطْتُ فِي تَصْبِرِي،
إِصْبِرْ عَسَى تُشْفَى بِمَاءِ رِيْقِهِ،

آخر²:

فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا فَسَوْفَ تُصْلِفُهَا لَيْثَمًا

وفي هذه المقطعات اللقبُ البيعي المسمى بالاكْتِفَاءِ وهو أن يأتي الشاعر بقافية تنقترُ
لمحذوفٍ فلا ينكره اكتفاءً بدلالة باقي لفظ البيت عليه، ومنه قول القيراطي³:

حَسَنَاتُ الْخَدِّ مِنْهُ قَدْ أَطَالَتْ حَسْرَاتِي
كُلَّمَا سَاءَ فَعَالًا، قُلْتُ: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ"

ابن سناء الملك⁴:

يَا عَائِلِينَ جَهَلْتُمْ فَضْلَ الْهَوَى
فَعَذَلْتُمْ فِيهِ، وَلَكِنِّي لَنَا

¹ في خزنة الأدب 160. وفي الأصل: أفرطت.. لقربه.. والمثبت عن المصدر السابق. وفي البيت الثاني اقتباس من الآية: "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ: يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ". (سورة الزمر 78/39).

² - البيت في خزنة الأدب 159. وقد ضمنه معنى الآية: "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ". (سورة النساء 78/4).

³ - خزنة الأدب 161. و صلة الآية المضمنة: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ". (سورة هود 114/11).

⁴ - ديوان ابن سناء الملك 799.

وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ قَصِيدِ [ع] هَا¹:

هَزُوا الْقُدُودَ فَأَخْجَلُوا سُمْرَ الْقَتَا، وَتَقَلَّدُوا عِوَضَ السُّيُوفِ الْأَعْيَا
وَتَقَدَّمُوا لِلْعَاشِقِينَ فَكَلَّهَهُمْ طَلَبَ الْأَمَانِ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنَا

رجع

وَعَلِمْنَا: فعلٌ ماضٍ مبني على السكون²، وأصله أن يحرك آخره، وما ألقى قول ابن الأزرقي الغرناطي على طريق التورية، مما يكتب على سيف³:

إِنْ عَمَّتِ الْأَفْقَ مِنْ نَقْعِ الْوَغَا سَحْبٌ فَشِمَّ بِهَا بَارِقاً مِنْ لَمْعِ إِيْمَاضٍ
وَإِنْ نَوَتْ حَرَكَاتُ النَّصْرِ أَرْضَ عِدَى فَلَيْسَ لِلْفَتْحِ إِلَّا فِعْلِي الْمَاضِي

أُحِقُونَا: مفعوله الأول. وجملة "عُصِرَتْ مِنْ رَحِيقٍ": في محلِّ المفعول الثاني. وقبل: ظرفٌ يتعلق بـ (عَلِمَ). وَنَضَّدَهُ: صفة (تَغَرَّ) في محلِّ جرٍّ.

¹ - البيتان في خزانة الألب 159. وفي الأصل: قصيد مطلعها.

² - في الأصل: الفتح، وهو سهو.

³ - البيتان في نفح الطيب 152/6-153، 699/2-700.

لَخَنْتُ عَيْنَاهُ مِنْهَا الْعَرَبْدَةَ وَقَوْلَايَ سُكْرُهُ مَا إِن يَفِيْقُ¹

اللغة

الأخذُ: قَالَ لَبْنُ الْقَوْطِيَّةِ: "أَخَذَ أَخْذًا: ضِدُّ أُعْطِيَ، وَالرَّجُلُ أَسْرَهُ، وَمَنْ نَفْسِهِ: كَفَّ، وَالْعَيْنُ: رَمَتْ"². وَفِي الْقَامُوسِ: "الأخذُ: الإيقاعُ بالشخص، والعقوبة"³. وَالْعَيْنُ: معروفة.

العَرَبْدَةُ: قَالَ فِي الْقَامُوسِ: "العَرَبْدَةُ سُوءُ الْخُلُقِ، وَالْمُعَرَّبُ: مُؤْذِي نَدِيمِهِ فِي سُكْرِهِ"⁴. وَقَالَ فِي الْأَسَاسِ: "يُعَرَّبُ عَلَى أَصْحَابِهِ عَرَبْدَةً، السَّكَرَانُ. وَتَقُولُ حَسْبُ الْمُعَرَّبِ أَنَّ اسْتِقَاقَهُ مِنَ الْعَرَبْدَةِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَاتِ"⁵، انْتَهَى. وَالْعَرَبْدَةُ: هِيَ مُنْتَهَى لَذَّةِ السَّكَرَانِ. رَأَيْتُ فِي رَبِيعِ الْأَبْرَارِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ قَالَ لِلْأَخْطَلِ: "صِفْ لِي الْخَمْرَ، فَقَالَ: لَوْلَهَا صُدَاغٌ، وَآخَرُهَا خُمَارٌ، قَالَ: فَمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا؟ قَالَ: إِنَّ بَيْنَهُمَا طَرِيقَةً لَا يَعْلِيهَا⁶ مُلْكُكَ، وَأَنْشَدَ يَقُولُ⁷:

إِذَا مَا نَدِيمِي عَلَّنِي، ثُمَّ عَلَّنِي ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ

¹ - ديوان ابن سهل 285.

² - كتاب الأفعال (أخذ) ص 178.

³ - القاموس المحيط (أخذ).

⁴ - المصدر السابق (عربد).

⁵ - أساس البلاغة (عربد).

⁶ - في الأصل: لا يعدل لها، وفي ربيع الأبرار 493: لا يعدلها، وهو الصحيح.

⁷ - ديوان الأخطل 679.

خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّي عَيْنَكَ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ

آخر:

شَرِبْنَا مِنَ الدَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّا مُلُوكَ لَنَا بَرُّ الْعَرَفَيْنِ وَالْبَحْرِ
فَلَمَّا نَجَلَى شَمْسُ النَّهَارِ رَأَيْنَا تَوَلَّى الْغِنَا غَنَّا، وَأَعْقَبَا الْفَقْرُ

ورأيت في حلبة الكميت للنواجي أن ابن هرمة¹ كان مولعاً بالخمير، فمر في بعض الليالي على جيرانه سكران، والصبيان يصيحون عليه، فلما كان من الغد دخلوا عليه ولأموه، فقال: والله لقد تطلبت هذه السكره مدة حتى ظفرت بها، أما سمعتم قولي:

أَسْأَلُ لِلَّهِ سَكْرَةَ قَبْلِ مَوْتِي وَصِيَا حِ الصَّبِيَّانِ: وَاسْكُرْنَا!

ومن هذه الطرية حرمت الخمر، لأن الشارب ينطق فيه² عن غير قصد. وربما تكلم بما لا يليق. وقد ذكر غير واحد أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، شرب الخمر، فأخذ لحي بعير، فشج به رأس عبد الرحمن بن عوف، ثم ناح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر، وهو:

وَكَاثِنُ بِالْقَلْبِ، قَلْبِ بَنِي بَنِي
مِنْ الْفَتَيَانِ وَالشَّرْبِ الْكَرَامِ
وَكَاثِنُ بِالْقَلْبِ، قَلْبِ بَنِي بَنِي
مِنْ الشَّيْزَى الْمُكَلَّلِ بِالسَّامِ

إلى آخر الأبيات المشهورة. فبلغ هذا النبي، صلى الله عليه، فخرج مغضباً يجر رداءه، ورفع شيئاً كان في يده ليضربه به، فقال: أعوذ بالله من غضب الله ورسوله. فأنزل الله

¹ - في الأصل: ابن هرقة، وهو غلط، والقصة في حلبة الكميت²². والبيت في ديوان ابن هرمة 229.

² - أي في السكر.

تعالى آية: "قَهْلٌ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ"¹. فقال عمر: "لَنْتَهَيْتُمَا"².

وَالشَّرْبُ فِي أَيْتِ الْأَسْوَدِ، بَفَتْحِ الشَّيْنِ [وَتَسْكِينِ]³ الرَّاءِ: الْقَوْمُ لِلشَّارِبِينَ. وَالشَّيْزَى: خَشَبٌ أَسْوَدٌ لِلْقَصَاعِ⁴. وَجَفَانٌ مِنَ الشَّيْزَى: تُعْمَلُ مِنْهُ. وَتَكْلَلُ الرُّوضُ بِالنُّورِ: حَفَّ بِهِ. وَالسَّلْمُ: مَا ارْتَفَعَ مِنْ وَسْطِ ظَهْرِ الْجَمَلِ. وَكَائِنٌ⁵ بِالْأَلْفِ: وَقَعَتْ هُنَا لُغَةٌ فِي كَائِنٍ. وَبِهَا قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ.

استطراد حسن

نَكَرَ صَاحِبُ التَّنْذِيلِ وَالتَّكْمِيلِ أَبُو حَيَّانَ⁶، قَالَ: مِنْ غَرِيبِ الْحِكَايَاتِ فِي هَذِهِ اللُّغَةِ مَا حَتَّيْتُ بِهِ بَعْضُ أَنبَاءِ تُونُسَ، وَالعُهُدَةُ عَلَيْهِ، أَنَّ الْفَقِيهَ الْمُحَدِّثَ أَبَا الْقَاسِمِ ابْنَ الْبَرَاءِ كَانَ يَحْرُضُ شَيْخَنَا الْأَدِيبَ الْحَافِظَ أَبَا [الْحَسَنِ]⁷ حَازِمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنَ حَازِمٍ عَلَى أَنْ يَشْتَغَلَ بِالْفَقْهِ وَيَكْفَى عَنِ الْأَدَبِ، فَحَضَرَ حَازِمٌ وَجَمَاعَةٌ عِنْدَ الْمُسْتَصْرِ، مَلِكِ إِفْرِيقِيَّةَ، وَنَكَرُوا⁸ قِرَاءَةَ ابْنِ كَثِيرٍ: وَكَائِنٌ، وَاسْتَعْرَبُوهَا، وَقَالُوا: لَمْ يَجِئْ مِنْهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

¹ - سورة المائدة 91/5.

² - عن ربيع الأبرار 492 بتصرف.

³ - زيادة يقتضيها السياق.

⁴ - في القاموس المحيط (شيز): "الشيز بالكسر: خشب أسود للقصاع كالشيزي".

⁵ - في الأصل: كائين.

⁶ - في الأصل: "عن أبي حيان"، وصاحب التذييل والتكميل في شرح التسهيل لابن مالك هو أبو حيان نفسه.

⁷ - في الأصل: أبا حازم بن محمد بن حازم، والزيادة من أزهار الرياض، ونفع الطيب، وفيهما حازم بن محمد بن الحسن ابن حازم أبو الحسين الأنصاري القرطاجني (بشرق الأندلس) شاعر ولغوي. انتقل إلى إفريقية، ومات بتونس سنة 684. (أزهار الرياض 171/3-182 ونفع الطيب 584/2-589).

⁸ - في الأصل: ونكروه.

وَكَاثِنٌ بِالْأَبْطَحِ مِنْ صَدِيقٍ

فَقَالَ لَهُمْ حَازِمٌ: قَدْ وَرَدَ مِنْهَا مَا لَا يُحْصَى، فَطَلَبُوا ذَلِكَ مِنْهُ، فَأَنْشَدَهُمْ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ أَلْفَ بَيْتٍ، فَدَفَعَ لَهُ الْمُسْتَصْرُ أَلْفَ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ فَجَاءَ بِهَا إِلَى ابْنِ الْبَرَاءِ فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْأَدَبِ أَخَذْتُ مِنْهَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَرْنِي أَنْتَ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْفَقْهِ حَصَّلَ بِهَا الْمُخْتَبَرُ أَلْفَ دِينَارٍ. وَالَّذِي أَقُولُهُ، أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ كَانَتْ مُبَيَّنَةً، طَوَّلَ فِيهَا دَوْلَوِيْنُ أَيْاماً كَثِيرَةً. عَلَى أَنَّ حَازِمًا كَانَ مِنَ الْحَفِظِ فِي غَايَةِ لَا يُشَارِكُ، انْتَهَى.

وَالْفُؤَادُ: الْقَلْبُ مُذَكَّرٌ، وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَرِيِّ مِنْ كِبَدٍ وَرَثَةٍ، وَالْجَمْعُ ¹ أَفْعَدَةٌ. وَسُمِّيَ بِذَلِكَ أَخْذاً مِنَ التَّفْوُؤِ، وَهُوَ التَّحْرُكُ، وَالتَّوَقُّدُ ²، كَمَا سُمِّيَتِ الْفَائِدَةُ فَائِدَةً لِأَنَّهَا تُعْقَلُ بِالْفُؤَادِ وَفِي هَذَا قَالَ الْعَلَامَةُ الْمَحْمُودِي فِي حَوَاشِي الْإِتْبَاهِ: أَنْشَدَنِي شَيْخُنَا الشَّهَابُ الْخَفَاجِي:

مِنْ الْفُؤَادِ اشْتَقَّتِ الْفَائِدَةُ وَالنَّفْسُ، يَا صَاحِبَ، بِذَا شَاهِدَةٍ
لِذَا تَرَى أَفْعَدَةَ النَّاسِ قَدْ مَالَتْ لِمَنْ فِي قُرْبِهِ فَائِدَةٌ

وَفَسَّرَ بَعْضُهُمُ الْفَائِدَةَ لُغَةً بِالزِّيَادَةِ تَحْصُلُ لِلإِنْسَانِ، اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ فَعَلَتْ لَهُ فَائِدَةٌ فَيْدًا، وَأَفْعَدَتُهُ: أُعْطِيَتْهُ، وَأَفْعَتْ مِنْهُ: أَخَذْتُ، وَعُرْفًا: كُلُّ نَافِعٍ دِينِي أَوْ نُنْيَوِي، أَوْ هِيَ مَا يَكُونُ لِلشَّيْءِ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ بغيرِهِ.

وَالْمُسْكِرُ: نَقِضُ الصَّحْوِ، وَالْمُسْكِرُ: مُوجِبُهُ. وَفِي رِبْعِ الْأَبْرَارِ قَالَ: "أَبُو حَنِيْفَةَ عَنْ

¹ - فِي الْأَصْلِ: وَجْمَعَهَا، وَفِي (ج): وَالْجَمْعُ.

² - انْظُرِ الْقَامُوسَ الْمَحِيطَ (فَاد).

إبراهيم: كانت الرواية: كُلُّ سُكْرٍ حَرَامٌ. فزادوا ميمًا». وفيه: «السُّكَّارَى ثَلَاثَةٌ: قَرَدٌ حَرَكَ رَأْسَهُ وَرَقَصَ، وَكَلْبٌ هَارَشَ وَنَبِجٌ، رُوِيَ فَنَامَتْ»².

موعظة

رَأَيْتُ فِي كِتَابِ أَلْفِ بَاءٍ أَنَّ رَجُلًا مَوْلَعًا بِالْخَمْرِ مَرَّ عَلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: طَرَزَ مَا بَدَأَ، فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ:

بَطَرَزَ مَا بَدَأَ كَرَمَ مَا مَرَرْتُ بِهِ إِلَّا تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْمَاءَ

فَسَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ:

وَقِي جَهَنَّمَ مَاءً مَا تَجَرَّعَهُ خَلَقَ فَأَبْقَى لَهُ فِي الْجَوْفِ أَمْعَاءَ

فَكَانَ سَبَبَ تَوْبَتِهِ.

فَلَقِيَ يُفِيْقُ إِفَاقَةً: لَنَنْتَبَهَ. وَيُقَالُ: مُصِيبَةٌ سَرِيعَةُ الْإِفَاقَةِ.

المعنى

هذا زيادة في الإيضاح ومبالغة في تبين الحجة على أن ريقه راح مختوم. فيقول: دليل كون ثغره أدلّ كؤوس المدام أن مقتلته عربدتا، ولا تكون العريضة إلا من شراب المسكر. وهذا كقول ابن سناء الملك³:

شَهِدْتُ بِأَنَّ الشَّهْدَ وَالْمِسْكَ رِيقُهُ وَمَا كُنْتُ لَوْلَمْ أَخْتَبِرْهُ لِأَشْهَدَا

¹ - انظر هذا الكلام في ربيع الأبرار 495. وفيه: فزاد فيها: ونص الحديث من الموطأ 324 والبخاري 48/4: "كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ".

² - ربيع الأبرار 493.

³ - البيتان في ديوان ابن سناء الملك 170.

وَأَنَّ السُّلَافَ الْبَابِلِيَّةَ لَحَظَهُ^١ وَإِلَّا سَلُّوا إِنْسَانَهُ كَيْفَ عَرَبِيًّا
وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ الصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ:

عَيْنَاهُ قَدْ شَهِدَتْ بِأَنِّي مُخْطِئٌ وَأَتَيْتُ بِخَطِّ عِذَارِهِ تَذْكَارًا
يَا حَاكِمَ الْحُبِّ أَتُؤْذِنُ فِي قَتْلَتِي فَالْخَطُّ زُورٌ وَالشَّهْودُ سَكَّارِي
سَالِمُ بْنُ الْوَلِيدِ:

يُزَيِّقُنَا سَلْبَ الْغَزَالَةِ جِيدَهَا وَحَكَى الْمُدِيرُ بِمَقْلَتِهِ غَزَالًا
يَسْقِيكَ بِالْعَيْنَيْنِ كَأْسَ صَبَابَةٍ وَيُعِيدُهُمَا مِنْ كَفِّهِ جَزِيَالًا^٢

وتذكرت ما رأيته في الشريشي الكبير على المقامات، قال: «كان لسليمان بن وهب نديم
يأنسُ به، فعربد عليه ليلة فاطرحه وجفاه. فوقف له يوماً في الطريق، فلما مرَّ به وثب عليه،
ثم قال له: ليها الوزير، ألا تكون في أمري كما قال عليُّ بن الجهم:

الْقَوْمُ إِخْوَانُ صِدْقٍ بَيْنَهُمْ نَسَبٌ مِنْ الْمَوَدَّةِ لَمْ يُعْدَلْ بِهِ نَسَبٌ
تَرَاضَعُوا ذَرَّةَ الصَّهْبَاءِ بَيْنَهُمْ، فَأَوْجَبُوا لِرَضِيحِ الْكَأْسِ مَا يَجِبُ
لَا يَحْفَظُونَ عَلَى السُّكْرَانِ زَلَّتَهُ وَلَا تَرِييُكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رِيْبُ

فقال: «قد رضيتُ رضىً صحيحاً فعذِّ لِسَانِكَ»^٣. وقوله: فَأَوْجَبُوا إلخ... ينظرُ
قول الآخر^٤:

إِذَا لَمْ يَكُنْ سُكْرًا يُضِلُّ عَنِ الْهُدَى فَسَيَّانِ مَاءٍ فِي الزُّجَاجَةِ وَالْخَمْرِ

^١ - في الأصل: ريقه، وهو غلط هنا. وفي ديوان ابن سناء: لحظه.

^٢ - الجريال: الخمر الشديدة الحمرة.. (اللسان: جرل).

^٣ - الشريشي الكبير 153/1.

^٤ - البيتان في الغيث المسجم 269/2.

وما أطف ما استعمل العربدة أبو محمد ابن صارة في قوله في حقيقة:

وَحَدِيقَةٍ مِنْ نَرْجِسٍ وَبَهَارٍ رَفَعَتْ لِوَاءِ الْحُسْنِ لِلنُّظَارِ
فَكَأَنَّمَا هَذَا ضُحَى مُتَهَلِّلٍ وَكَأَنَّمَا هَذَا أَصِيلُ نَهَارِ
أَخْوَانِ أُمُومًا مَعَ شَمْسِ الضُّحَى وَأَبْوُهُمَا قَمَرُ السَّمَاءِ السَّارِ
شَرِبًا سُلَافَ الْقَطْرِ حَتَّى عَرَبَدَا وَتَرَاجَمَا بِكَوَاكِبِ الْأَزْهَارِ
وَأَسْوَدَعَا خَبْرَيْهِمَا نَفْسَ الصَّبَا فَلَذَاعَ مَا كَتَمَا مِنَ الْأَسْرَارِ

المعاني

عبر بالواو في قوله: وفؤادي. وقال بعض أصحابنا: إن التعبير بالفاء أحسن، وهو ظاهر، لما فيه من إيدان الفاء بالترتّب على ما قبلها، فيسبب سكر جفونه وعريته، لا ينتبه فؤادي من رقدة سكره. وأما الواو فلا تخلص في هذا المحل من قلق.

وفي معنى ما نظمته قول بعضهم:

لَا يُفِيقُ الْفُؤَادُ مِنْ سُكْرَةِ الْعِشْرِ قِ، وَقَصْدُ الْفُؤَادِ الْأَيْفَقَا

آخر:

زَالِكَ السَّاقِي عَلَى مَا يُقْدَرُ أَنْتَ إِنْ لَمْ تَصْنَحْ أَصْلًا تَغْنَرُ

أشار هذا الشاعر للمقدار المحدود في الشرب. وقد اختلف علماء الخلاعة في ذلك. والصواب ما اختاره أبو نواس لأنه العلم المشهور في فن المجون¹:

¹ - الأبيات في ديوان أبي نواس 485.

سَأَلْتُ أَخِي أَبَا عِيسَى
فَقَالَ: الْخَمْرُ تُعْجِبُنِي،
فَقَالَ لَهُ: فَقَدْ نَزَلِي،
رَأَيْتُ طَبَايِعَ الْإِنْسَانِ
فَلَرَبْعَةٌ لَرَبْعَةٍ
وَجَبْرِيْلٌ لَهَا فَضْلٌ
فَقَالَ: كَثِيرٌ هَاقَتْ لُ
فَقَالَ، وَقَوْلُهُ فَضْلُ:
أَنَّ أَرْبَعَةَ هِيَ الْأَصْلُ
لِكُلِّ طَبِيعَةٍ رِطْلُ

البيان

استعار العريضة للفقر الذي كُتِّبَ عِناهُ عَنْ حَمْلِهِ، كَانَ الْعَيْنَيْنِ سَكْرَانُ طَافِحٌ، أَوْ شَارِبٌ مُعْرِبٌ. وَهَذِهِ الْإِسْتِعَارَةُ مِنَ الْطُفْلِ الْإِسْتِعَارَاتِ. وَكَذَلِكَ إِسْنَادُهُ لِلْفَوَادِ عَدَمَ الصَّحْوِ مِنْ خَمْرٍ الْمَحَبَّةِ فِيهِ مِنَ الْحَلَاوَةِ مَا لَا يَعْجُرُ عَنْهُ. وَلَقَدْ كَانَ ابْنُ سَهْلٍ، فِيمَا يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ، عَفَّ الْإِزَارِ. وَنَظَرَ قَوْلُهُ فِي الرَّائِيَّةِ¹:

وَأَبَى عَفَافِي أَنْ تُقْبَلَ ثَغْرُهُ وَالْقَلْبُ مَطْوِيٌّ عَلَى جَمْرَاتِهِ

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِيهِ طَبِيعَةً. وَقَالَ ابْنُ الْقَاضِي فِي شَرْحِهِ أَيْبَاتِ الذَّهَبِيِّ. لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى عَفَافِ ابْنِ سَهْلٍ: وَلَعَلَّ صِنَاعَةً فِيهِ لَا طَبِيعَةً، [وَهَذَا²] فِيهِ تَوْرِيكٌ³ وَتَحَامُلٌ، وَإِلَّا فَأَيُّ مَانِعٍ يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الْعَفَافُ لَهُ سَجِيَّةً، وَالْعَفَافُ يَكُونُ فِي سَائِرِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ!

البدع

فِيهِ السُّهُولَةُ⁴، وَذَكَرَهَا النَّيْفَاشِي مِضَافَةً إِلَى بَابِ الظَّرَافَةِ. قَالَ الْخَفَاجِي فِي سِرِّ الْفَصَاحَةِ:

¹ - ديوان ابن سهل 349.

² - زيادة من (ج).

³ - التوريك هنا: إساءة الظن، ففي القاموس (ورك): وَرَكَ الذَّنْبُ عَلَيْهِ تَوْرِيكًا: حَمَلَهُ، وَالتَّوْرِيكُ فِي الْيَمِينِ، نِيَّةٌ يَنْوِيهَا الْحَافُّ غَيْرَ مَا نَوَاهُ مُسْتَحْلَفُهُ.

⁴ - أَخَذَ الْإِفْرَانِي الْكَلَامَ عَلَى السُّهُولَةِ هُنَا مِنْ خَزَانَةِ الْأَدَبِ 554. انظر كذلك سر الفصاحة 218.

للسهولة خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد، ومن أمثاليته قوله:

أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ نَلِي إِذَا مَا تَبْتُ عَنْ لَيْلَى تَنْوِبُ
فَهَا أَنَا تَأْتِبُ عَنْ حُبِّ لَيْلَى فَمَالِكَ كُلَّمَا نَكِرْتَ تَنْوِبُ

ومن السهولة، ما يحكى أن أبا الخطاب السعدي أنشد موسى الهادي شعره الذي مدحه به:

يَا خَيْرَ مَنْ عَقَنْتَ كَفَّاهُ حِجْرَتَهُ وَخَيْرَ مَنْ قَلَنْتَهُ أَمْرَهَا مُضَرُّ

فقال موسى: إلا، يا باتس. فقال أبو الخطاب واصلاً كلامه بكلامه:

إِلَّا النَّبِيَّ رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَهُ فَخْرًا، وَأَنْتَ بِذَلِكَ الْفَخْرِ تَفْتَخِرُ

فَنظَرُوا فِي صَحِيفَةِ الْقَصِيدَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا الْبَيْتَ فِيهَا، فَعَلِمُوا أَنَّهُ ارْتَجَلُهُ، وَأَضَعَفَ لَهُ فِي الصَّلَةِ.

وضد السهولة هو التعقيد، والتعسف بالألفاظ الوحشية. ومن ذلك ما رأيته في بغية الأمل في ترتيب الكامل، أن ابن زرقاء، وكان يرتكب في كلامه اللغة المتقعرة، أكلت أمه طيناً، فضغقت معدتها واصفر وجهها، فكتب رقعة يطلب من الناس الدعاء لها، وطرحها في المسجد. فكان لا يقرأ أحد¹ الرقعة إلا لعنه، ودعا على أمه ألا تعافى. ونص للرقعة: "الحمد لله، صين لمرؤ²، ورعي لمرؤ دعا لأمراة مقسبنة، أولعت بأكل الطرموث، فأصابها منه اسميلا، أن يهب الله لها اطرغشاشاً وائرغشاشاً"، انتهى. والاسميلا: ضعف المعدة.

¹ - في الأصل: أحدا، وهو غلط.

² - في الأصل: امرؤا، وهو غلط.

والطرموث: الطين. والمقسبة: الهرمة من الكبر. واطرغش¹ وانرعش²: برأ من المرض.

الإعراب

أخذ: فعل ماضٍ. و عيناؤه: فاعله. والعريضة: مفعولٌ أخذ. أي تناولت³ عيناؤه العريضة منها، أي من رحيق ثغره. ويصح أن يتصب (عيناؤه) مفعولاً، وترفع (العريضة) فاعلاً، ويكون الأخذ بمعنى الإيقاع، وهذا أظهر.

والولو في قوله: وفولدي، سلف الكلام عليها. نكرت بالولو ما رأيت في درة الغواص للحريري عن ثعلب قال: أنشدني ابن الأعرابي في أماليه:

تَفَرَّقْتُ غَمِّي، يَوْمًا، فَقُلْتُ لَهَا: يَا رَبِّ، سَلِّطْ عَلَيْهَا الذَّنْبَ وَالضَّبْعَا

فَسَأَلَتْهُ حِينَ أَنْشَدْنِيهِ: لَدَا لَهَا أَمْ عَلَيْهَا؟ فَقَالَ: إِنْ أَرَادَ أَنْ يُسَلِّطَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فَقَدْ دَعَا لَهَا، لِأَنَّ الذَّنْبَ يَمْنَعُ الضَّبْعَ، وَالضَّبْعَ تَدْفَعُ الذَّنْبَ فَتَجُوهِي، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهَا الذَّنْبُ فِي وَقْتٍ آخَرَ، فَقَدْ دَعَا عَلَيْهَا⁴. انتهى.

وفولدي: مبتدأ، وسكره: بدل منه. وجُملة "مَا إِنْ يُفِيْقُ": خبر.

¹ - القاموس المحيط (طرعش).

² - المصدر السابق (درعش).

³ - في الأصل: تناول، وفي (ج): تناولت.

⁴ - ذرة الغواص 44.

فَاحِمْ اللَّمَّةَ مَغْسُولُ اللَّمَى سَاحِرُ الْقُنْجِ شَهِيءُ اللَّعَسِ

اللغة

الفاحم: الأسودُ بَيَّنْ الفُحومة.

واللَّمة بالكسر: ما نزلَ عن شَحمة الأذن. والجُمَّة: مُجْتَمَعُ شعرِ الرأسِ الواصلِ للمُنْكِبين. والوفرة ما بلغَ شحمة الأذن. هذا قولُ جُمهورِ أهلِ اللغة، وهو الذي نكره صاحبُ المحكم والنهائية والمشارك وغيرُهم. ونظمَ ذلكَ الشيخُ علي الأجهوري في شرح لامية العراقي فقال:

الوفرة: الشعرُ لِشَحْمَةِ الأذن وجُمَّة: إن هي لِمُنْكِبٍ تَكُنْ
وسَمَّ ما بَيْنَهُما بِاللَّمةِ قد قالَ ذا جُمهورٍ أَهلُ اللُّغةِ

والمغسول: من العسل، لعابُ النحل، أو طَلٌّ خَفِيَ يَقَعُ على الزهر فيلْقُطُهُ النحل. وقوله تعالى "فيه شفاءٌ للناس" ¹. اعترضه الملاحدة، دمرهم الله، بأن العسل مضر بالصفراء، مُهَيِّجٌ للمرار، فكيف يكون شفاءً للناس؟ والجوابُ أنه تعالى لم يَقُلْ: شفاءٌ لكلِّ الناس، بل قال: شفاءٌ للناس، ويكفي أن كلَّ معجونٍ لا يَتَمُّ تركيبُهُ إلا بالعسل. وذهب قومٌ من أهلِ الجاهلية إلى أن المراد بهذه الآية: أهلُ البيتِ بنو هاشم، وأنهم النحل، والشرابُ القرآنُ والحكمة. ونكرَ هذا بعضهم في مجلسِ أبي جعفر المنصور، فقال رجلٌ من الحاضرين: جعلَ الله طعامَكَ وشرابَكَ مِمَّا يَخْرُجُ من بطونِ هاشم، فضحك مَنْ بالمجلس.

¹. صلة الآية: "يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ". (سورة النحل 69/16).

وَاللَّمَّى، قَالَ فِي الْقَامُوسِ: "مُتَلَثَّةُ اللَّامِ: سُمْرَةٌ فِي الشَّفَةِ أَوْ شُرْبَةٌ سَوَادٍ فِيهَا. لَمِي كَرَضِي"¹.

وَالسَّحَرُ: عَرَفَهُ ابْنُ عَرَفَةَ فِي شَامِلِهِ الْكَلَامِي، فَقَالَ: أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مُطَرِّدُ الْارْتِبَاطِ بِسَبَبٍ خَاصٍّ بِهِ. قَالَ: وَزَعَمَ الْقَرَا فِي أَنَّهُ غَيْرُ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ، وَغَرَابَتُهُ إِنَّمَا هِيَ بِجَهْلِ أَسْبَابِهِ لِأَكْثَرِ النَّاسِ. وَمَا أَحْلَى قَوْلَ ابْنِ خَطِيبٍ دَلِيلًا فِي السَّحَرِ الْحَلَالِ:

تَصَفَّحْتُ دِيوَانَ الصَّقِيِّ فَلَمْ أَجِدْ لَنِيهِ مِنَ السَّحَرِ الْحَلَالِ مَرَامِي
فَقُلْتُ لِقَلْبِي: نُونُكَ ابْنُ نُبَاتَةٍ وَلَا تَقْرَبِ الْحِلِّيَّ فَهُوَ حَرَامِي

وَالْغُنْجُ، قَالَ ابْنُ الْقُوطِيَّةَ: "غَنَجَتِ الْجَارِيَةُ غُنْجًا: حَسَنَ شَكْلِهَا"²، قَالَ فِي الْقَامُوسِ: "الْغُنْجُ بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ: الشَّكْلُ"³. وَقَالَ فِي مَادَّةِ الشَّكْلِ: "وَالشَّكْلُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: غُنْجُ الْمَرْأَةِ، وَلَهَا وَغَزَلُهَا"⁴. وَيَعْنِي بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، تَمَاطُلُهَا وَتَشْهِيهَا وَاسْتِدْعَاؤُهَا⁵ بِلَحْظِهَا رَمْزًا وَغَمَزًا.

وَالشَّهْيُ: الْمُشْتَهَى، يَقَالُ شَيْءٌ شَهْيٌ، أَيُّ: مُشْتَهَى.

وَاللَّعْسُ: سَوَادٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الشَّفَةِ، لَعَسَ كَفَرِحَ. وَالنَّعْتُ الْعَسُ. وَجَارِيَةٌ لَعَسَاءُ: فِي لَوْنِهَا أُنْتَى سَوَادٍ، وَمَشْرَبَةٌ مِنَ الْحَمْرَةِ⁶.

¹ - القاموس المحيط (لمي).

² - كتاب الأفعال (غنج) ص 198.

³ - القاموس المحيط (غنج).

⁴ - المصدر السابق (شكل).

⁵ - في الأصل: استدعاؤها، وهو غلط.

⁶ - القاموس المحيط (لعرس).

المعنى

ضمّن هذا البيت أشياء من محاسن الظنبي، فوصفه بـحلك الشعر، وأنه لشدة أسوداده كالقحمة. قال بكر بن النطّاح¹:

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوْ فَخْمٌ أَسْحَمُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

ابن المعتز²:

مَهْضُومَةٌ الْكَشْحِ، وَجْهَهَا قَمَرٌ تَشْقُ عَنْهُ حَنَاسُ الظُّلَمِ
دَعَتْ خَلَاخِيلَهَا نَوَائِبَهَا فَجُنَّ مِنْ قَرْنِهَا إِلَى الْقَلَمِ

وله³:

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةً خَذَّتْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ لِلشَّعْرِ وَالْأَجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمَرٍ وَخَذَّ حَبِيبِ

أخذه أبو الطيب⁴:

كَشَفَتْ ثَلَاثَ نَوَائِبَ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ، فَأَرْتَنَا لَيْالِي أَرْبَعَا
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

¹ - البيتان في نهاية الأرب 19/2، ومنطق الطير.

² - ديوان ابن المعتز 350/1 (تحقيق السمرائي).

³ - ديوان ابن المعتز 40/2 (تحقيق السمرائي).

⁴ - ديوان المتنبي 107.

وتنكرت به البيتين المشهورين، وهما¹:

رَأَيْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ فَأَنْكَرْتَنِي لَيْلِي وَصَلَّيْهَا بِالرُّقْمَتَيْنِ
كِلَانَا نَاطِرَ قَمَرًا، وَلَكِنْ رَأَيْتُ بَعِيَّتَهَا وَرَأَيْتُ بَعِيَّتَنِي

ورأيت في نفع الطيب أن أبا الحسن ابن فرحون نزيل طيبة، لما ورد تلمسان، سأله² ابن حكم عن معنى البيتين، ففكر ثم قال: لعل هذا الرجل: كان ينظر إليها، وهي تنظر إلى قمر السماء، فهي تنظر إلى القمر حقيقة، وهو لفرط استحسانه يرى أنها الحقيقة. فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة، وأيضاً فهو ينظر إلى قمر مجازاً. وهو لفرط استحسانه لها يرى أن قمر السماء هو المجاز، فقد رأته بعينه لأنها ناظرة المجاز. قلت: ومن هنا تعلم وجه الفاء في قوله: فَأَنْكَرْتَنِي، لأنه³ لما صارت رؤيتها رؤيته، وصار القمر حقيقة إياها، كان قوله:

رَأَيْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ فَأَنْكَرْتَنِي

بمثابة قولك: أَنْكَرْتَنِي... فتأمله، فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ حق الفهم يتشده: وَأَنْكَرْتَنِي.. فالفاء في البيت الأول مبنية على معنى البيت الثاني، لأنها مبنية عليه. وهذا النحو يسمى الإيذان في علم البيان⁴، انتهى.

ومما ينخرط في نكر الشعر، ما ذكره ابن بسام في الذخيرة⁵ أن المعتمد بن عباد، مشى بين يديه يوماً بعض جواريه، وعليها ثوب شفاف، لا يكاد يفرق بينه وبين جسمها، فأمر

¹ - البيتان في حلبة الكميت 342، ونفع الطيب 226/5-227، والأنيس المطرب 213. ونسبهما في ديوان الصبابة 230 للمستوفي الإربلي، وفي تزيين الأسواق 490 لابن المستوفي.

² - نفع الطيب 226/5.

³ - في الأصل: لأنها، وأثبتنا ما في نفع الطيب 226/5.

⁴ - نفع الطيب 226/5-227 بتصرف طفيف.

⁵ - القصة في نفع الطيب 233/3-234 كذلك، مع ستة أبيات للنحلي.

بِسْكَبِ مَاءِ الْوَرْدِ عَلَيْهَا، فَلَصِقَ الثَّوْبُ بِجِسْمِهَا فَأُشْدَ:

مَنْ لِي بِسَاحِرَةِ الْجُفُونِ غَرِيرَةٍ تَخْتَالُ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَبَوَائِرِ

فَعَجَزَ عَنِ الزِّيَادَةِ، فَدَفَعَ الْبَيْتَ لِمَمْلُوكٍ، وَقَالَ: انْظُرْ مَنْ بِالْبَابِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، فَوَجَدَ النَّحْلِيَّ، فَرَادَ عَلَيْهِ وَقَالَ:

رَأَيْتُ مَحَاسِنَهَا وَرَقَّ أَيْمُهَا فَتَكَادُ تُبْصِرُ بَاطِنًا مِنْ ظَاهِرِ
يُنْدِي بِمَاءِ الْوَرْدِ مُسْبِلُ شَعْرِهَا كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ الطَّائِرِ

فاستحسنها المعتمد، ودعاه وقال له: أكنت معنا؟ فقال له: يا قاتِلَ المَحَلِّ، أَلَمْ تَسْمَعْ "وَلَوْحَى رَبِّكَ إِلَى النَّحْلِ"¹. ونكَّتَ الثعالبي على النحلي في الاستشهاد بالآية، قال: "وذلك منه هفوة". والصواب أنه اقتباس جائز، إذ الوحي في الآية بمعنى الإلهام. وما أحلى قول ابن أجيروم:

مَا شَأْنُهُ شَيْئًا حِلَاقَةً رَأْسِهِ بَلْ زَادَ أضعافاً بِذَلِكَ جَمَالَهُ
وَالشَّمْعُ أَضْوَاءُ مَا يَكُونُ ضِيَاؤُهُ لِلنَّاطِرِينَ إِذَا يُقَطُّ ذُبَالُهُ

آخِرُ²:

حَلَقُوا رَأْسَهُ لِيَكْسِبَ قُبْحًا غَيْرَةً مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَشُحًا
كَانَ قَبْلَ الْحِلَاقِ لَيْلًا بِهِيمًا فَمَحَوْا لَيْلَهُ وَأَبْقَوْهُ صُبْحًا

ابن نباتة³:

¹ - سورة النحل 68/16.

² - البيتان في ديوان الصبابة 45، والشرطي الكبير 146/1.

³ - ديوان ابن نباتة 58.

أَيُّهَا الْعَالِلُ الْغَيْبِيُّ تَأَمَّلْ مَنْ غَدَا فِي صِفَاتِهِ الْقَلْبُ ذَائِبٌ
وَتَعَجَّبْ لَطُرَّةٍ وَجَبِينِ إِنَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَجَائِبُ
وله مضمناً¹:

أَفْدِي الَّذِي جَبِينُهُ وَشَعْرُهُ طُرَّةٌ صُبْحَ تَحْتَ أَذْيَالِ النَّجَى
ووصفه أيضاً بأنه معسول المرأشف. وقد أكثر الشعراء في ذلك، ومنه:

وَقِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي بِمَعْسُولِ الْمَرَأَشِفِ كَوْتُرِي²
وهذا البيت من قصيدة الشيخ حسن بن علي الفكون القسطنطيني، أحد أشياخ العبدري³
صاحب الرحلة، وهي قصيدة ضمَّنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسطنطينة إلى
مراكش، وأولها:

أَلَا قُلْ لِلسَّيْرِ ابْنِ السَّيْرِ أَخِي الْبَدْرِ الْجَوْلِ الْأَرِيحِي³

¹ - ديوان ابن نباتة 96، وتزيين الأسواق 465.

² - هذا وهم نقله الإفراني عن المقرئ في نفح الطيب، وقد صحَّحه الدكتور إحسان عباس في الحاشية، فقال: "وهم المقرئ هنا، إذ إن العبدري لما حلَّ بمدينة قسنطينة سأل من لقيه (وهو الحسن بن بلقاسم بن باديس) عن الأديب أبي علي بن عمر القسطنطيني المعروف بابن الفكون، فذكر ابن بلقاسم أنه أدرك الفكون وهو طفل صغير، ولكنه لا يحفظ عام ولادته أو وفاته. قال العبدري: ورُمت أن أجد من يروي عنه قصيدته المشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش فلم أجده، فقيدتها هنالك غير مروية، وكان القسطنطيني كتب بها إلى أبي البدر ابن مردنيش (رحلة العبدري 30)، وأثبت القصيدة هنالك ص 30-31، وقد عارض العبدري هذه القصيدة بقصيدة أثبتتها في آخر رحلته". النفح 483/2 قلت: وقصيدة العبدري في نفح الطيب 483/2-484، وقد رجعت إلى رحلة العبدري ج: 1 فتأكد لي ما ذكر الدكتور إحسان عباس.

³ - يقصد أبا بدر ابن مردنيش المذكور في الحاشية السابقة.

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ طُرّاً
 فَلَمَّا جِئْتُ مِيلَةً¹ خَيْرَ دَارٍ
 وَكَمْ أَوْرَتْ ظِبَاءَ بَنِي وَرَلٍ²
 وَجِئْتُ بِجَايَةٍ فَجَلَّتْ بُثُوراً
 وَقِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَائِبِي
 وَقِي مِلْيَانَةٍ قَدْ ذُبْتُ شَوْقاً
 وَقِي تَسِ نَسِيْتُ جَمِيلَ صَبْرِي
 وَقِي مَارُؤَنَةٍ مَا زِلْتُ صَبّاً
 وَقِي وَهْرَانٍ قَدْ أَمْسَيْتُ رَهْناً
 وَأُبَلَّتْ لِي تِلْمَسَانُ بُثُوراً
 وَلَمَّا جِئْتُ وَجْدَةً هِمْتُ وَجْداً
 وَحَلَّ رَشَا الرِّبَاطِ رِشَا رِبَاطِي
 وَأَطْلَعَ قُطْرُفَاسٍ لِي شُمُوساً
 وَمَا مَكْنَسَةً إِلَّا كِنَاسَ
 وَإِنْ تَسْأَلْ عَنْ أَرْضٍ سَلَا فَفِيهَا
 وَقِي مُرَاكُشٍ، يَا وَيْحَ قَلْبِي
 بُدُورٌ بَلْ شُمُوسٌ بَلْ صَبَاحٌ

سَيَوَى زَيْدٍ وَعَمَزُو غَيْرُ شَيْ
 أَمَّا تَنَبِي بِكُلِّ رَشَا أِبْي
 أَوَارَ الشَّوْقِ بِالرَّيْقِ الشَّهِي
 يَضِيقُ بِوَصْفِهَا حَرْقُ الرُّوْيِ
 بِمَعْسُولِ الْمَرَاشِفِ كَوْتَرِي
 بِلَيْسِنِ الْعُطْفِ وَالْقَلْبِ الْقَسِي
 وَهَمْتُ بِكُلِّ ذِي وَجْهِ وَضِي
 بِوَسْنَانِ الْمَحَاجِرِ لَوْدَعِي
 بِطَامِي الْخَصْرِ ذِي رَنْقِ رَوِي
 جَلَبَنَ الشَّوْقِ لِلْقَلْبِ الْخَلِي
 بِمُنْخَنِثِ الْمَعَاطِفِ مَعْنَوِي
 وَتَيَّمَنِي بِطَرْقِ بَابِلِي
 مَغَارِبُهُنَّ فِي قَلْبِ الشَّجِي
 لِأَخَوَى الطَّرْقِ ذِي حُسْنِ سَنِي
 ظِبَاءَ صَائِدَاتٍ لِلْكَمِي
 أَتَى الْوَلَادِي فَطَمَّ عَلَى الْقَرِي
 بَهِيٍّ فِي بَهِيٍّ فِي بَهِيٍّ

¹ - في الأصل: بلة، والتضويب عن رحلة العبدري 34، ونفح الطيب 483/2، وميلة: مدينة على أربع مراحل من قلعة بني حماد". (الروض المعطار 569).

² - في الأصل: وراء، والمثبت عن رحلة العبدري 34، ونفح الطيب 483/2.

سَعَيْنَ بِهِ، فَكَمْ مَيِّتٍ وَحَيٍّ
وَمُقَلَّةٍ كُلُّ أَبْيَضَ مَشْرِقِيٍّ
أُنْسِيهِمْ هَوَى غِيلَانَ مَيٍّ
وَأُدْعَى الْيَوْمَ بِالْمُرَّاكُشِيِّ
كَشَوْكَ نَحْوَ عَمُرٍ بِالسَّوِيِّ
فِيَا الْمَشْرِقِيَّ الْمَغْرِبِيَّ
وَجِسْمَ حَلٍّ بِالْغَرْبِ الْقَصِيَّ
وَذَاكَ يَهِيْمُ شَرْقاً بِالْعَشِيِّ
وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ

أَبْخَنَ مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ لَمَّا
بِقَامَةٍ كُلُّ أَسْمَرَ سَمْهَرِيٍّ
إِذَا أُنْسَيْنِي حَسَنًا فَإِنِّي
فَهَا أَنَا قَدْ تَخَنْتُ الْغَرْبَ دَلْرًا،
عَلَى أَنْ أَسْتِيْقَكَ نَحْوَ زَيْدٍ
تَقَسَّمَنِي الْهَوَى شَرْقاً وَغَرْباً،
فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّرْقِ عَانٍ
فَهَذَا بِالْغُدُوِّ يَهِيْمُ غَرْباً
وَلَوْلَا اللَّهُ مَيِّتٌ هَوَى وَشَوْقاً

ووصفه أيضاً بسحر الغنج المتقدم تفسيره. والمعهود وصفُ اللحظ به. وفيه نُظِمَتِ
المقطعات. ومنها قول ابن نباتة¹:

وَأَشْهَرَتِ الْأَجْقَانُ مُقَلَّتُهُ الْوَسْنَى
تَرَّ السَّخَرُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أُنْثَى

وَأَعْيَدَ جَالَتْ فِي الْقُلُوبِ لِحَاطَتُهُ
أَجَلَ نَظَرًا فِي حَاجِبَيْهِ وَطَرَقِهِ

الوداعي²:

فَأَصْنَمْتِي وَلَمْ تُخْطِ
سَهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي

رَمْتِي سُودُ عَيْنَيْهِ
وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ بَدْعٍ،

أبو الأصبغ:

¹ - البيتان في ديوان ابن نباتة، وتزيين الأسواق 467.

وفي الأصل: وأشهرت، وفي (ج) والديوان وتزيين الأسواق: وأسهرت.

² - البيتان في تزيين الأسواق 467.

وَمَا أَنَسَ لِأَنَسِ الْمُدَامَةِ بَيْنَنَا
وَيَجْعَلُ نُقْلِي رَيْقَهُ أَبْعَدَ رَشْفِهَا
فَسُكْرَانٍ مِنْ خَمْرٍ وَمِنْ رَشْفِ رَيْقِهِ،
يُنَاوِلْنِيهَا، وَهُوَ بِالسَّخْرِ نَاقِثٌ
فَيَالِكَ مِنْ طَيْبٍ عَلَى السُّكْرِ بَاعِثٌ
وَيَبْتَهُمَا مِنْ سِخْرِ عَيْنَيْهِ ثَالِثٌ

أبو عامر:

وَمُهَفِّفٍ غَضُّ الشَّبَابِ مُنْعَمٍ
قَدْ جَاءَ يَسْعَى بِالْمُدَامِ، فَقُلْتُ: لَا
لَا تَسْقِي رَاحَ الْكُؤُوسِ، وَسَقِّي
فِيهِ أَطْلُتُ إِلَى الْجُنَاحِ جَنَاحِي
إِنِّي هَجَرْتُ تَعَاطِي الْأَقْدَاحِ
سِخْرَ الْعُيُونِ، يَقُمْ مَقَامَ الرَّاحِ

ومن الناس من يستحسن العيون الزرق، ويروي في ذلك حديثاً، وهو: "الزرق في العيون يُمن"². قال الواواء الدمشقي³:

يَا مَنْ هُوَ الْمَاءُ فِي تَكْوِينِ خَلْقَتِهِ
وَمَنْ بَزْرُقَةٍ سَيْفِ اللَّحْظِ طَلَّ نَمِي
عَلِمْتُ إِنْسَانَ عَيْنِي أَنْ يَعُومَ، فَقَدْ
وَمَنْ هُوَ الْخَمْرُ فِي أَفْعَالِ مُقْلَتِهِ
وَالسَّيْفُ مَا فَخْرُهُ إِلَّا بِزُرْقَتِهِ
جَانَتْ سِيَاخَتُهُ فِي بَحْرِ نَمْعَتِهِ

السري الموصلي⁴:

¹ - في الأصل: ويجعل صدي ريقها، والمثبت عن (ج).
² - في الشريشي الكبير 133/1: "جاء في حديث عائشة عن النبي..أنه قال: الزرق في العينين يُمن". ولم أعثر على هذا الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وأورده السيوطي في الجامع الصغير (طبعة دار الفكر 33/2) بخلاف في اللفظ: "الزرقة في العين يُمن".
³ - ديوان الواواء الدمشقي 65، والشريشي الكبير 38/1، وتزيين الأسواق 467، وفي الأصل: فساحته، وفي الديوان والشريشي: سباحته، وهو الصحيح.
⁴ - البيتان له في يتيمة الدهر 243/1.

وَقَالُوا: بِمُقَالَتِهِ زُرْقَةً تَشِينُ، فَظَلَّ لَهَا مُطَرَقًا
وَهَلْ يَقْطَعُ السَّيْفُ يَوْمَ الْوَعَى إِذَا لَمْ يَكُنْ مَتْنُهُ أَرْزَقًا

ووصفه أيضاً بسمرة الشفة، وقد أكثروا فيها أيضاً. قال كشاجم:

عرض بعوضي القلوب من الجوى لأبرح من كي القلوب على الجمر
كأن الشفاء اللعس منها خواتم من التبر، مختوم بهن على الدر

المعتي

نسق هذه الأوصاف، وقصد التلذذ بها، وإلا فهي كما قال أبو الطيب¹:

أَسْمِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةَ نَكْرَاهَا

وفيه إيجاز الحذف، لأن أصل الكلام: هو، أي الظبي الذي سبق الحديث من أجله.

البيان

ارتكب أن يضيف الصفة للموصوف في البيت ليتحكم من المبالغة. وقوله: فاحم اللمة، أي سوداء كالفتح، ومعسول اللمي، أي لماه كالعسل، وهكذا. ولا يخفى حسن هذا التصرف في التشبيه.

البديع

فيه التعيد، وهو من الألقاب البديعية، كما ذكره الإمام فخر الدين الرازي وغيره². قال

¹ - ديوان المتنبّي 554.

² - انظر خزنة الأدب 507.

لِبْنِ حَجَّةٍ: وَالتَّعْدِيدُ لِقَاعِ أَسْمَاءٍ مُتَفَرِّدَةٍ عَلَى سِيَاقٍ وَاحِدٍ. وَمِنْهُ لَه تَعَالَى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ
مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ"¹ الْآيَةُ. وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ²:

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
وَفِيهِ الْجَنَاسُ بَيْنَ اللَّمَّةِ وَاللَّمَى، وَتَقَنَّمَ مِرَارًا.

الإعراب

فاحمُ اللَّمَّةِ: تَقَنَّمَ أَنَّهُ خَبِرٌ عَنْ مَبْتَدَأٍ مَّضْمَرٍ. وَفَاحِمٌ: صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ لِقَصْدِ الثَّبُوتِ هُنَا،
وَذَلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ اسْمِ الْفَاعِلِ وَالصِّفَةِ الْمَشَبَّهَةِ. وَاسْمُ الْفَاعِلِ: مَا دَلَّ عَلَى الْحَدَثِ
وَالْحُدُوثِ وَفَاعِلُهُ.

نكته

نَكَرْتُ هُنَا بِاسْمِ الْفَاعِلِ وَقَاعَةً أَبِي عَيْسَى لَبَّ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ الْقَلْعِيِّ: وَذَلِكَ أَنَّهُ أَحَبُّ أَحَدِ
أَوْلَادِ الْأَ[عْيَانِ] مِمَّنْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا خَلَا بِهِ شَكََا إِلَيْهِ مَا يَجْذُهُ. فَقَالَ لَهُ: الصَّبِيَانُ
يَفْطَنُونَ بِي، فَإِذَا أُرْسَتْ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا فَاكْتُبْهُ فِي وَرْقَةٍ. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَبُو عَيْسَى تَمَكَّنَ مِنْهُ
الطَّمَعُ فِيهِ، وَكُتِبَ لَهُ:

يَا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَقُوقُ بِهِ الْوَرَى صِلْ هَاتِمًا قَدْ ضَلَّ فِيكَ مُحَيْرًا
وَأَمُتْنِ عَلَيْهِ بِقُبْلَةٍ لَوْ غَيْرَهَا، إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْهَوَى أَنْ تُوجَرَ

¹ - سورة البقرة 155/2.

² - ديوان المتنبي 324.

فلَمَّا حَصَلَتِ الْوَرَقَةُ عِنْدَهُ، كَتَبَ لِي فِي غَيْرِهَا: أَنَا مِنْ بَيْتِ عَادَةَ أَهْلِيهِ أَنْ يَكُونُوا اسْمَ
فَاعِلٍ لَا اسْمَ مَفْعُولٍ، وَإِنَّمَا أُرِيدْتُ أَنْ يَكُونَ خَطُّكَ شَاهِدًا لِي¹ إِنْ اشْتَكَيْتُ لِأَبِي بِكَ، لِئَلَّا
يَقُولَ: حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَقَعَ الْفَقِيهُ فِي هَذَا! فَلَمْ أَزَلْ بِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ لِي: إِنْ عُذْتُ لِي بِمِثْلِهَا أَعْلَمْتُ
أَبِي، وَتَبْتُ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ عَنْ هَذَا وَمِثْلِهِ².

وَمَعْسُولُ اللَّمَى، وَمَا نُكَرَ بَعْدَهُ، كُلُّهَا أَخْبَارٌ عَنِ الْمُبْتَدَأِ الْمُضْمَرِ. وَفِيهِ تَعَدُّ الْخَبَرِ.

¹ - فِي الْأَصْلِ: شَاهِدًا إِلَيَّ، وَهُوَ غَلَطٌ.

² - انْظُرِ الْقِصَّةَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ 532/3-533 مَرْوِيَّةً عَنِ الْحَجَازِيِّ الَّذِي سَمِعَهَا عَنِ الْقَلْعِيِّ مُبَاشَرَةً.

وَجْهَهُ¹ يَتْلُو الضُّحَى مُبَسِّمًا وَهُوَ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي عَبَسِ

اللغة

الوجه: مستقبل كل شيء. وما أحلى قول ابن الصائغ:

قَاسَ الْوَرَى وَجْهَ حَبِيبِي بِالْقَمَرِ
قُلْتُ: الْقِيَاسُ بَاطِلٌ بِفُرْقَةٍ،
بِجَامِعِ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الْخَفَرُ
وَبَعْدَ ذَا عِنْدِي فِي الْوَجْهِ نَظَرُ

وَتَلَوْتُ الْقُرْآنَ وَغَيْرَهُ تِلَاوَةً: قَرَأْتَهُ

فائدة

إنما قال الفقهاء: سُجُودُ التِّلَاوَةِ، ولم يقولوا: سُجُودُ الْقِرَاءَةِ، لأن التِّلَاوَةَ أَخْصُ مِنَ الْقِرَاءَةِ، إِذِ التِّلَاوَةُ لَا تَكُونُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَالْقِرَاءَةُ تَكُونُ فِيهَا. نَقُولُ: قَرَأَ اسْمَهُ، وَلَا نَقُولُ: تَلَاَهُ. نَكَرَهُ الشَّيْخُ الْخَرَشِيُّ.

وَالضُّحَاةُ: ارْتِفَاعُ النَّهَارِ. وَالضُّحَى: فَوْقَهُ². وَالضُّحَاءُ بِالْمَدِّ: إِذَا قَرُبَ انْتِصَافُ النَّهَارِ، قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ.

وَالْإِبْتِسَامُ: مَعْلُومٌ. وَالْإِعْرَاضُ: الصَّدُودُ. أَعْرَضَ عَنْهُ: صَدَّ. وَعَبَسَ وَجْهَهُ يَعْبَسُ عُبُوسًا كَلَحَ.

¹ - في ديوان ابن سهل 285: حسنه.

² - في القاموس المحيط (ضحو): فوقه.

أَن وَجَّهَ لِحَسَنِهِ كَأَنَّهُ شَمْسُ الضُّحَى الْمُنِيرَةُ. فَهُوَ مِنْ جَمَالِهِ الْفَاتِنِ ضَاكِكٌ مُبْتَسِمٌ، إِلَّا أَنَّهُ مِنْ صُؤُودِهِ فِي عُيُوسٍ. وَأَوَّلُهُمْ، مَعَ إِرَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى، أَنَّهُ يَتْلُو سُورَةَ الضُّحَى¹ فِي إِقْبَالِهِ، وَهُوَ فِي سُورَةِ عَبَسَ² مِنْ صَدِّهِ. وَيُضَاهِي هَذَا التَّوْهِيمَ بِسُورِ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ³:

يَا ذَاهِباً فِي دَارِهِ جَائِياً
قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ
مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَبِلَا فَائِدَةٍ
فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ

للقيراطي:

وَكَمْ سَأَلَ الْعَوَالِلُ عَنْ حَيْثِي
وَعَمْ يَتَسَاءَلُونَ وَلِي تُمُوعٌ
فَقُلْتُ لَهُمْ: عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
تُخَيِّرُهُمْ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ⁴

آخر:

وَكَأَنِّي أَقْرَأُ بِحَرْفِ أَبِي عَمٍّ
مِخَّةً تَصْقَعُ ابْنَ عَمْرٍو بَنَ يَحْيَى
رَوَى عَلَى الْقَوْمِ سُورَةَ الْأَنْعَامِ
فِي يَمَاحٍ الْأَعَشَى بِفِعْلِ الْقَطَامِي

وفي هذين البيتين للقب البديعي المسمى بالاستطراد، وهو أن تكون في غرض من أغراض الشعر توهم أنك مستمر فيه، ثم تخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما. ومن الطفاه

¹ - سورة الضحى 1/93: "والضحى واللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا دَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى".

² - سورة عبس 1/80: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى..".

³ - البيتان في زهر الآداب 307/2 منسوبين لأبي الحجاج، وفي معاهد التنصيص 190/3 لابن الحجاج.

⁴ - ضمن هذا البيت بعض ألفاظ الآية الأولى والثانية من سورة النبأ 1/78-2: "عَمْ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ..".

³ - يقصد أبا بدر ابن مردنيش المذكور في الحاشية السابقة.

قول حسن:

جَاورَتْ أَجْبالاً كَأَنَّ صُخُورَها
وَالشُّوكَّ يَلْعَبُ فِي ثِيَابِي، مِثْلَما
وَجَنَّتْ نَجْمٌ، ذِي الْحَيَاءِ الْبارِدِ
فَعَلَ الْهَجَاءُ بَعْرِضِ عَبْدِ الْوَاحِدِ

ابن المعتز:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مُدْلَمَةً كَرُخِيَّةً
عَلَيْتَ بِمَاءِ بَارِدٍ فَكَأَنَّمَا
مَعَ ما جِدَ طَلَّقَ الْيَتِيمَ حَمِيدِ
عَلَيْتَ بِبَرْدٍ قَصِيدَةِ ابْنِ سَعِيدِ

وَمِنْ غَرِيبِ الْاسْطِزْلَامِ وَقَعَ لِلشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْعَفْجُو [مي]¹ الشَّهِيرِ
بِالْجَوَارِي وَعَامَةً الْغَرْبِ يَقُولُونَ: الْجَرَّالُوي، يَهْجُو قَوْمَهُ بَنِي عَفْجُومَ، وَهُمْ بَرْتَرَزُ بِتَدْلَالٍ
مُتَوَصِّلاً بِذَلِكَ إِلَى هَجْوِ بَنِي الْمَلْجُومِ:

يَا ابْنَ السَّبِيلِ إِذَا مَرَرْتَ بِتَدْلَالٍ
أَرْضُ أَغَارِ بِهَا الْعَدُوُّ، فَلَنْ تَرَى
لَا تَنْزِلَنَّ عَلَى بَنِي عَفْجُومِ
إِلَّا مُجْلُوبَةً الصَّدَى² إِلَى الْبُومِ
لَكِنَّهُمْ نَشَرُوا إِسْوَاءَ الْبُومِ

¹ - في نفح الطيب 502/2: الغفجومي، والزيادة منه.

وعلق عليه الدكتور إحسان عباس في الحاشية بقوله: "هو أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي (609) دخل الأندلس متردداً عليها، وكان عالماً بالأدب، وقف ابن الأبار على ديوان شعره وألف كتاباً سماه "صفوة الأدب، ونخبة كلام العرب". وكانت وفاته بإشبيلية، ولم أجد أحداً سماه بغير الجراوي" ولعله أن يكتب "الكواري" أو "القواري" لأنه يلفظ جيماً مصرية. انظر التكملة 128، وصفحات مختلفة من البيان المغرب (طبعة تطوان 1960)..."

وفي الروض المعطار 569 أن أحمد بن عبد السلام الجراوي الشاعر الباقعة التناذلي مدح عبد المؤمن وولده يوسف، فيما قيل، ومات عام العقاب (609هـ) واستوطن مدينة فاس، وكان مسلطاً على بني الملجوم، واستطرد بهجاء قومه وبلده إليهم. ثم أورد له ثلاثة أبيات من هذا الهجاء.

² - نوع من البوم يأوي إلى الأماكن الخراب.

قَوْمٌ طَوَّوْا نِكْرَ السَّمَاحَةِ بَيْنَهُمْ، لَكِنَّهُمْ نَشَرُوا الْوَاءَ الْيَوْمَ
لَا حَظَّ فِي أَمْوَالِهِمْ وَنَوَالِهِمْ لِلْسَّائِلِ الْعَاقِي وَلَا الْمَخْرُومِ
لَا يَمْلِكُونَ، إِذَا اسْتَبِيحَ حَرِيمُهُمْ، إِلَّا الصُّرَاخُ بِدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ
يَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ أَرْضِ فَاسٍ، مِنْ بَنِي الْمَلْجُومِ

وعندي أن أبا العباس أخذ ذلك الاستطراد من قول الشاعر القديم¹:

إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ الْفَتَى وَأَطَاعَهُ فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَإِنْ كَانَ مِنْ جَرَمِ

وبنو الملجوم كانوا، في الزمن القديم، من وجهاء فاس، ومن أشرافهم. وقد نكر غير واحد من المؤرخين أن أحد قضاة فاس من بني الملجوم بيعت خروم كُتِبَ بستانة ألف دينار. قال في النفح²: وفي ذلك دليل على عظم مكانتهم.

ولابن الرومي³:

نَظَرْتُ فَأَقْصَنْتِ الْفَوَادَ بِسَهْمِهَا ثُمَّ انْتَبَهْتُ عَنْهُ فَكَادَ يَهْدِيهِمْ
وَيَلَاهُ! إِنْ نَظَرْتُ، وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَقَعُ السَّهَامِ وَنَزَعُهُنَّ أَلِيْمُ

وتنكرت قول ابن الساعاتي⁴:

أَيَا قَمَرًا مِنْ حُسْنٍ وَجَنَّتِهِ لَنَا بِظِلِّ عَذَارِيهِ الضَّحَى وَالْأَصَائِلِ
جَعَلْتُكَ لِلتَّمْيِيزِ نَصْبًا لِنَاظِرِي فَهَلَّا رَفَعْتَ الْهَجَرَ، وَالْهَجْرُ فَاعِلُ

¹ - في الأصل: لقي الله..حرم. وكلاهما تصحيف. وفي (ج): لقي الله...جرم.

² - نفح الطيب/2/502.

³ - لم يرده في المتوفر عندنا من ديوان ابن الرومي.

⁴ - لم نجد البيتين في ديوان ابن الساعاتي، وهما في معاهد التنصيص 151/4 منسوبين لابن أبي الإصبع.

وهذا قول ابن يعمر¹:

وَمَلِيحٌ تَعْلَمُ النَّخْوُ وَيَأْقِي
مَا تَمَيَّزَتْ وَجْهَهُ قَطُّ إِلَّا
مُشْكِلَاتٍ مِنْهُ بِأَفْظٍ وَجِيزٍ
قَامَ يُرِي نَصْباً عَلَى التَّمْيِيزِ

ومما يضاهي بيت الأصل قول المعمار:

إِنْ قَامَ يَتْلُو سُورَةَ الشَّمْسِ
يَا حُسْنَئَهُ فَكَأَنَّهُ الـ
سُورَةُ الْمُؤْمِرَةِ² فِي ضَحَاهَا
قَمَرُ الْمُؤْمِرِ إِذَا تَلَاهَا

المعاني

خص الضحى، لأن أشمل ما يكون ضياؤها رُأد الضحى، ولذلك ضرب المثل بها،
وليتمكن له الإيهامُ فضل تمكن مع قوله: في عبس. وما أحلى قول الوداعي:

وَسَلَانٍ مِثْلَ الضُّحَى وَجْهَهُ،
كَتَمْتُ عِشْقِي فِيهِ خَوْفَ الرَّقِيبِ
حَتَّى بَدَأَ لَيْلُ عِذَارٍ لَهُ،
فَبُخْتُ، وَاللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ

البيان

في قوله: يتلو، مجاز، حيثُ أسند التلاوة للوجه، أو الحسن على ما يوجد في بعض
النسخ. وعلى مذهب السكاكي ذلك من باب الاستعارة، فيندرج في مبحث البيان. وقد تقدّم
مزيدُ إيضاحٍ لمذهبه.

¹ - هكذا في الأصل و(ج) ومعاهد التنصيص 150/3، ولعله ابنُ يعمر جمال الدين المصري. (انظر في
نفح الطيب 368/2).

² - في الأصل: الشمس له في ضحاها، والمثبت عن (ج).

فيه الطباق، ويُسمى المُقابلة، بين التَّبَسُّمِ والعُبُوسِ. وتَقَدَّمَ في مواضع.

وفيه التَّورِيَّةُ بالضُّحَى وَعَبَسَ، وهي في الاصطلاح أن ينكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيين: قريب وبعيد، فيريد البعيد، ويورِّي عنه بالمعنى القريب. وباب التَّورِيَّةِ أعذبُ ثمراتِ الأدب. ويكادُ الكلامُ العاري عنها أن يلحق بأصواتِ البهائم، وقد اعتنى أبو بكر ابنُ حجة في شرح بديعِيه بها غايةَ الاعتناء، وساق فيها مقطعاتِ تروقُ السامع. ونحن نلتقطُ مُستطرفَ جواهره كما اقتطفَ هو صفدها¹ من الصلاح الصَّفدي في: فضِّ الختام في التَّورِيَّةِ والاستخدام. قال الوداعي²:

إِذَا رَأَيْتَ عَارِضاً مُسَلَّلاً فِي وَجَنَةٍ كَجَنَّةِ يَسَا عَانِلِي
فَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّي مِنْ أُمَّةٍ تُقَادُ لِلْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ

وله³:

تَعَجَّبُوا لِمَا رَأَوْا أُنْمَعِي بِيضاً وَرَاحَتِ كَالْتَمِ الْقَانِي
لَا تَعَجَّبُوا، طَرَقِي رَبُّ الْهَوَى فَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنِ

وله⁴:

¹ - الصفد: العطاء. (في القاموس المحيط: صغد).

وقد خصص ابنُ حجة 140 صفحة من كتابه خزانة الأدب (295-435) للتَّورِيَّةِ، استقصى فيها النصوص المناسبة من عصور مختلفة، وقد أخذ عن الصفدي وابن نباتة وغيرهما باسطة قواعد التَّورِيَّةِ.

² - في خزانة الأدب 339.

³ - البيتان في المصدر السابق 344، وفيه اقتباس من الآية "يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن". (سورة الرحمن 29/55)

⁴ - البيتان في المصدر السابق 345.

مِنْ عَذُو [لِي] يَزِيدُ فِي تَعْيِفِي
بِكَ، وَاللَّامُ أَلِفُ التَّعْرِيفِ

كَلَّمَارُمْتُ فِيكَ إِنِّكَارَ حُبِّي
عَرَفْتُهُ لَامُ الْعِذَارِ غَرَامِي

ابن نباتة¹:

بَطِيبِ عَيْشٍ، فَلَا، وَاللَّهِ، لَمْ يَطِيبِ
فَالْكَأْسُ فِي رَاحَةٍ، وَالْقَلْبُ فِي تَعَبِ

بَاغَايِبِينَ تَعَلَّلْنَا لِغَيْبَتِهِمْ
نَكَرْتُ، وَالْكَأْسُ فِي كَفِّي، لِيَالِيكُمْ،

وله²:

ثَلَاثُ الْحَالِوَةِ بِالتَّفَرُّقِ وَالنَّوَى
رُطَبُ الشَّقَاءِ السُّكْرِيِّ بِلَا نَوَى

قَبَّلْتُهُ عِنْدَ النَّوَى فَتَمَرَّرْتُ
وَلَتَمَّتْهُ عِنْدَ الْقُدُومِ فَحَبَّبْنَا

ابن الوردي:

مِثْلُ بَذْرِ الثَّمِّ، وَالْبَذْرُ بَعَيْنُ
قَلَّةُ فِي الْحُسْنِ حَظُّ الْأُنْثَى

بِأَبِي أَعْوَرُ عَيْنٍ فَاتِنٌ
طَرَفُهُ الْوَاحِدُ عَضْبٌ نَكَرُ

ابن العطار في طاهر³:

وَهَذَا الْبَحْثُ بَيْنَ النَّاسِ ظَاهِرٌ

تَجَاهَلُ⁴ شَافِعِيٌّ وَمَالِكِيٌّ

¹ - البيتان في ديوان ابن نباتة 64، وخزانة الأدب 354.

في الأصل: في التعب، وفي ديوان ابن نباتة: في تعب.

² - البيتان في ديوان ابن نباتة 456.

في الأصل: والنوى، وفي ديوان ابن نباتة: والجوى.

³ - المقصود: رجلٌ اسمه طاهر.

⁴ - في الأصل وفي (ج) تجاهل، ولعل الصواب: تجادل. وهذا الشطر مختل.

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: الْكَلْبُ نَجَسٌ وَقَالَ الْمَالِكِيُّ: الْكَلْبُ طَاهِرٌ

وله في شرف الدين عيسى:

عِيسَى وَمَنْ مَدَّحُوهُ مَا شِئْتُ فِيهِمْ [رئيساً]
وَمَا رَأَيْتُ نَاساً لَكِنْ حَمِيراً وَعِيسَى

ابن أبي حجلة مضمناً¹:

قُلْ لِلْهَلَالِ، وَغَيْمِ الْأَفْقِ يَسْتُرُهُ: حَكَيْتُ طَلْعَةً مِّنْ أَهْوَاهُ بِالْبَلَجِ²
لَكَ الْبَشَارَةُ، فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ نُكِرْتُ ثُمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عَوَجٍ

ابن الوردي في رجل يكنى بالمجد له زوجة تضرُّ به³:

زَوْجَةُ مَجْدِ الدِّينِ وَالِدَاهَا فِي تَلَمَّ عَرَضِ الْمَجْدِ أَشْبَهَاهَا
إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا

وله:

يَأْمَنُ غَدَاً فِي طِلَابِ الْمَجْدِ مُجْتَهِداً لَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ لَأَمَالٌ وَلَا وَلَدُ
لَا تَبْسُطَنَّ لِنَقْلِيدِ الْقَضَاءِ يَدَا أَيْرِئُضِي رُبِّيَّةَ التَّقْلِيدِ مُجْتَهِداً

وله:

¹ - البيهقي في خزنة الأدب 475، ومعاهد التنصيص 178/4.

² - البلج: طلاقة الوجه وبياضه، وتباعد ونقاوة ما بين الحاجبين.

³ - هكذا ضبطت في الأصل بشدة على الراء.

يَا مَنْ تَوَلَّى قَاضِيَا
عُذْرَكَ فِي نِسْيَانِنَا
هَذَا قَضَاءٌ أَمْ قَرَنَ
أَنَّ الْقَضَا يُعْمِي الْبَصَرَ

ابن نباتة¹:

[لَقَدْ] عُدْنَا [كُم لَمَّا] ضَعُفْتُمْ
أَقِيمُوا فِي ضَنَاكُمْ أَوْ أَفِيقُوا
فَلَا وَاللَّهِ مَا وَافَيْتُمُونَا
"فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ"²

ابن العفيف³:

نَمَشَى بِصَخْنِ الْجَامِعِ الشَّائِنِ الَّذِي
فَقُلْتُ وَقَدْ لَاحَتْ حَلَاوَةٌ شَكْلِهِ:
عَلَى قَدِّهِ أَغْصَانُ بَانَ النَّقَا تُثْنِي
أَلَا فَانْظُرُوا هَذِي الْحَلَاوَةَ فِي الصَّخْنِ

ابن تميم في وكيل بدار القاضي⁴:

لَا تَقْرُبِ الشَّرْعَ إِذَا لَمْ تَكُنْ
وَوَكَّلِ الْعِزَّ الَّذِي وَجْهُهُ
تَخْبِرُهُ، فَهُوَ وَدَّيْقٌ جَلِيلٌ
عَلَى نَجَاحِ الْأَمْرِ أَقْوَى دَلِيلٌ
وَلَا تَمِلْ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ
و"حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"

¹ - نجد البيتين في ديوان ابن نباتة.

² - سورة المؤمنون 107/23، وتمام الآية: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ".

³ - البيتان في ديوان الشاب الظريف 67.

والشادن: ولدٌ الطيبة يقوى ويستغني عن أمه. والنقا: القطعة من الرمل المحدودة.

⁴ - الأبيات في معاهد التنصيص 109/4، وفي الأصل: تجيزه، وفي معاهد التنصيص: تخبره. وفي

المصدر السابق أن المدعو بالعز هو وكيل بدار القاضي.

الآية من آل عمران 173/2.

محي الدين¹:

شُكْرًا لِنَسَمَةِ أَرْضِكُمْ كَمْ بَلَغَتْ عَنِّي تَحِيَّةُ
لَاغَرُونَ أَنْ حَفِظْتَ أَحَا دِيثَ الْهَوَى، فَهِيَ الذُّكْيَةُ

وتبعه الصفدي²:

يا طيبَ نَشْرِ هَبَّ لِي مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَثَارَ كَامِنٍ لَوْعَتِي وَتَهْتَكِي
أَهْدَى حَيَّتَكُمْ، وَأَشْبَهَ لُطْفَكُمْ، وَرَوَى شَذَاكُم، إِنَّ ذَا مِسْكَ ذَكِي!

وأشار إلى هذه السُرقة شهاب الدين بن أبي حجلة³:

إِنَّ ابْنَ أَيْتِكَ لَمْ تَزَلْ سَرَقَاتُهُ تَأْتِي بِكُلِّ قَبِيحَةٍ وَقَبِيحِ
نَسَبَ الْمَعَانِي فِي النَّسِيمِ لِنَفْسِهِ جَهْلًا، فَرَأَحَ كَلَامُهُ فِي الرِّيحِ

محي الدين⁴:

لَا تَسْأَلْنِي عَنْ أَوَّلِ الْعِشْقِ إِنِّي أَنَا فِيهِ قَلِيمُ هَجْرٍ وَهَجْرَةٍ
مِنْ جِينِكَ يَا حَبِيبِي أَرْخُ بْتُ لِمُوعِي لِمُسْتَهْلٍ وَغُرَةٍ

الوراق:

1 - في الأصل: مجير الدين، وفي ديوان الصبابة 115 حيث ورد البيتان بعده: محي الدين، وهو الصواب، لأن الإفراني دأب على استعمال مجير الدين بن عبد الظاهر بدل محي الدين بن عبد الظاهر. (الصفحة 173 الحاشية 3، والصفحة 359 الحاشية 1).

2 - البيتان في ديوان الصبابة 115.

3 - البيتان في المصدر السابق.

4 - في الأصل: مجير الدين، وفي ديوان الصبابة 192 حيث ورد البيتان بعده: ابن عبد الظاهر، وهو الصواب. كما سبق.

أَصُونُ أَيْمَ وَجْهِي عَنْ أَنْاسٍ لِقَاءَ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الْأَيْبُ
وَرَبُّ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ بَغِيضٌ وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمْ حَبِيبُ

الإعراب

وَجْهَهُ: مبتدأ. وجملة "يتلو الضحى": خبره.

و مبتسماً: حال من فاعل يتلو.

ونكرتُ بنصب (مبتسم) البيت المتداول بين الأبناء من معلقة عمرو بن كلثوم، وهو:

مُسْتَعْسَعَةٌ كَأَنَّ الْخُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

فاختلفوا في وجه نصب (سخين)، فيه. [ف]بإدي الـ [رأي] يقول: [نصب] على الحال. وتخريجه عند المحققين، إما أن يكون من السخونة وصفاً لموصوف محذوف، أي فأضحى شرباً سخيناً، أو من السخاء. فإن قيل: القياس على هذا أن يقال: سخوناً، بالواو. قلت نص الجوهري وغيره على أنه يقال: سَخَى يَسْخُو وَيَسْخُو¹.

و هو: مُبْتَدَأٌ. وفي عَبَسَ: خبرٌ.

و من: صلة (عَبَسَ). وجرَّ (عَبَسَ) جرّاً على القاعدة المقررة أن الفعل إذا نسب إليه حكم، جاز فيه الإعراب والحكاية. ويشبه ما في البيت قول ابن الوردي²:

¹ - وردت مناقشة إعراب هذه الكلمة، ورأي الجوهري فيه في خزانة الأدب 296. وفي الصحاح (سخو): "سخا يسخو وسخى يسخى" ومثل ببيت عمرو بن كلثوم.

² - يقصد سورة النازعات 79 وأولها: "وَالنَّازِعَاتُ غَرْقًا...". وسورة المرسلات 77. وأولها: "وَالْمُرْسَلَاتُ غَرْقًا...". وسورة الإنسان 76 وتام الآية: "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً".

وَوَعَنْتَ أَمْسٍ أَنْ تَزُورَ فَلَمْ تَزُرْ
فَغَدَوْتُ مَسْلُوبَ الْفُؤَادِ مُشْتَتًّا
لِي مُهْجَةً فِي "النَّازِعَاتِ" وَعَبْرَةً
فِي "الْمُرْسَلَاتِ" وَفِكْرَةً فِي "هَلْ أَتَى"

ولابن نباتة¹:

وَلَقَدْ تَمُرُّ الْحَالِيَاتُ عَلَى الْفَتَى
وَتَزُولُ حَتَّى مَا تَمُرُّ بِفِكْرِهِ
وَلَرُبَّ لَيْلٍ بِالْهُمُومِ كَنُومٍ لِي
صَابِرَتُهُ حَتَّى ظَفِرَتْ بِفَجْرِهِ

¹ - البيتان في ديوان ابن نباتة 225-226، وبينهما بيتان آخران.

لِيُهَا السَّالِقُ عَنْ جُرْمِي لَنِيهِ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الْمُتَنَبِّ¹

اللفظة

لِيُهَا: يَأْتِي الْكَلَامُ مُسْتَوْفَى عَلَيْهَا فِي الْإِعْرَابِ. وَ السُّؤَالُ: لَتَمَاسُ الْأَرَبِ. وَ الْجُرْمُ بِالضَّمِّ: الذَّنْبُ كَالْجَرِيمَةِ. وَ لَدَى: بِمَعْنَى (عِنْدَ). وَ الْجَزَاءُ: الْمُكَافَأَةُ عَلَى الشَّيْءِ. وَ الذَّنْبُ: الْإِثْمُ، وَ الْجَمْعُ ذُنُوبٌ.

المعنى

رَجَعَ فِيهِ لِلشَّكَايَةِ بِالطَّبِيِّ، وَنَكَكَ لاشتعال نار جوانحه بعد أن كانت خامدة، فضاقَ بها ذرعاً، فَرَوَّحَ نَفْسَهُ بِمَنَافَتَةِ السَّائِلِ الَّذِي سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ هَذَا الْجَفَاءِ وَالهَجْرَانِ، وَبَأَيِّ ذَنْبٍ اسْتَوْجِبَ هَذِهِ الْقَطِيعَةَ، فَقَالَ: لَوْ وَجِدْتُ مَنْ يُنْصِفُنِي مِنْهُ، وَيَأْخُذُ لِي بِالْحَقِّ مِنْهُ، قَامَتِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ أَنَّهُ هُوَ الْمَذْنُوبُ بِالتَّجَنِّي وَالْإِعْرَاضِ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْكَفُّ بِهِ.

وَلَا يَخْفَى مَا فِي إِسْنَادِ الذَّنْبِ لِلْمَحْبُوبِ مِنَ الْجَفَاءِ وَقَلَّةِ التَّأْنِبِ. وَقَدْ عَرَّضَ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي [مَعَارِضَتِهِ] بَابِينَ سَهْلٍ بِقَوْلِهِ²:

إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابِ الْأَمَلِ وَقَوْلَا الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُنُوبُ
فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبُ

¹ - ديوان ابن سهل 285.

² - البيهقي في نفح الطيب 13/7. وهما في موشحة ابن الخطيب في مقدمة الشارح.

آخِرُ¹:

وَرَمَيْتَ فِي قَلْبِي بِسَهْمِ نَافِذٍ
هَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ الْعَائِذِ

وَزَعَمْتَ أَنِّي ظَالِمٌ فَهَجَرْتَنِي
وَنَعَمْ ظَلَمْتُكَ فَأَعْنُرِي وَتَجَاوَزِي

وما أطفَ قولَ من قال²:

فَاسْتَقَتْ فِيهَا ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ
وَجَدَهُ يَرُويهِ عَنْ عَرَمَةَ
نَبِيَّنا الْمَبْعُوثِ بِالْمَرْحَمَةِ
فِيوقُ ثَلَاثَ رَبُّنَا حَرَمَةَ
أَمَا تَخَافُ اللَّهَ فِينَا؟ فَمَهْ!

يَا سَيِّدِي، عِنْدَكَ لِي مَظْلَمَةٌ
فَأِنَّهُ يَرُويهِ عَنْ جَدِّهِ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الْمُصْطَفَى
أَنَّ انْقِطَاعَ الْخَلِّ عَنْ خَلِّهِ
وَأَنْتَ مُذْ شَهَرْنَا هَاجِرًا

صالحُ ابنِ شريف³:

وَلَكِنْ صَبَرِي لَهُ أَعْجَبُ
عَذَابًا، وَلَكِنَّهُ يَغْتَنِبُ
يَزِيدُ صُتُودًا إِذَا يَرُغَبُ
بِعَيْشِكَ قُلْ لِي: مَنْ الْمُنْذَبُ؟

عَجِيبٌ لَعَمْرُكَ شَأْنُ الْهَوَى
وَلَمْ أَرَ كَالْحُبِّ يَا عَائِلِي
وَلَا كَالْحَبِيبِ وَخِذْلَانِيهِ
يَرَى أَنَّ ذَنْبِي حُبِّي لَهُ

الشريفُ الرُّضِي⁴:

¹ - البيتان في ديوان الصبابة 170، وتزيين الأسواق 439.

وفي الأصل: من قلبي، وفي (ج) والمصدرين السابقين: في قلبي.

² - البيتان في ديوان الصبابة 108، وأنوار التجلي 142/1.

³ - الوافي في نظم القوافي الورقة 136و.

⁴ - لم نجد هذا البيت في ديوان الشريف الرضي.

وَيَقْتُلُنِي عَمْدًا لِأَنِّي أَحْبَبْتُهُ أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَحِبَّ فَأَقْتُلَا

المعاني

أتى بـ(أيها) المتركة من هاء التنبيه حرصاً على إقبال المخاطب. وهي أبلغ من النداء المجرد عنها، ولهذا ارتكبت في التنزيل. وقدم الخبر في (لي) رعاية للاختصاص والحصر، وعرف الجزأين في هو المنذب للاختصاص أيضاً.

البيان

أطلق الذنب على تجني الطبي وهجرانه. والذي وقعت به الفتوى عند أهل الفن في مثل هذا من الاعراض عن المحب ما ذكره صاحب ديوان الصبابة، قال: "يُستحب لمن وُسم بالجمال وأخذ بمجامع القلوب¹، أن يكون كثير التكلل قليل التبذل، فإن ذلك أدعى للسلامة، وأبعد عن الملامة"، فقد قال [ابن²] وكبيـ[ع]:

قَالُوا: عَشِقْتُ كَثِيرَ النَّيِّهِ مُمْتَنِعًا، فَقُلْتُ: هَيْهَاتَ، عَنْكُمْ غَابَ أَطْيَبُهُ
لَوْ جَادَ هَانُ، وَقُلْتُ: الْجُودُ عَالَتْهُ وَإِنَّمَا عَزَّ لَمَّا عَزَّ مَطْلَبُهُ

البديع

فيه الإرصاء، وهو أن يتقدم في البيت ما يُشعرُ بالرؤي، كقوله:

¹ - في ديوان الصبابة 187، وتزيين الأسواق 444: وأخذ بقلوب النساء والرجال. قلت: وهذا أنسب للسجع.

² - زيادة ضرورية عن المصدرين السابقين وحلبة الكميت 123. وهو: الحسن بن علي الضبي التنيسي توفي سنة 393هـ/1003م بمصر، شاعر مجيد، له ديوان شعر مطبوع. (انظر وفيات الأعيان 377/1-380 طبعة القاهرة 1948، وبيتمة الدهر 356/1).

إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وبيانه أن مَنْ سَمِعَ: "لي جزاءُ الذَّنْبِ"، وفهم مراده استشعرتُ نفسه أن الذي يُقْفَى هو (المُنْتَنِبُ)، وفيه الرجوعُ، وهو العودُ على الكلام السابق بالنقض لِنُكْتَةٍ، حيث انعطَفَ بقوله: وهو المُنْتَنِبُ، لأنه ربما يتوهمُ من قوله: لي جزاءُ الذَّنْبِ، خلافُ المراد.

الإعراب

أَيُّهَا: مُنادى بإسقاطِ حرفِ النداءِ، على حدِّ "سَفَرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ"¹، مبنيٌّ على الضمِّ لأنَّ (أَيًّا) مُفْرَدٌ، وهاءُ التَّيْبِيهِ زائدةٌ لازمةٌ.

و السَّأَلُ: مرفوعٌ بالتَّبعِيَّةِ لأَيُّهَا باعتبارِ لفظِهِ. فإن قلت: أَيُّهَا، مبنيٌّ، والسَّأَلُ، مرفوعٌ، وكيفَ سَأَغَ أن يَتَّبَعَ المُعْرَبُ المُبْنِي؟ قلت: قال في التصريح: أيُّ شَبِيهَةٍ بالمُعْرَبِ من جِهَةِ حُدُوثِ ضَمِّهَا بسببِ الدَّخَلِ عَلَيْهَا².

و عَنْ: تَتَعَلَّقُ بالسَّأَلِ³. و جُرْمِي: مجرورٌ، بمعنى جَرِيمَتِي، ولهذا تَعَلَّقَ بِهِ الظرفُ، وهو لَدَى.

و جَزَاءُ الذَّنْبِ: مُبْتَدَأٌ. و لي خَبْرُهُ.

و هُوَ الخ...: جُمْلَةٌ في محلِّ نَصْبٍ على الحال.

¹ - سورة الرحمن 31/55.

² - انظر التصريح 48-49.

³ - في الأصل: بئلى.

أَخَذَتْ شَمْسُ الضُّحَى مِنْ وَجْتَيْهِه مَشْرِقاً لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبُ

اللغة

أَخَذَ: تَتَاوَلَ، وَحَازَ. وَتَقَدَّمَ¹.

و الشَّمْسُ: الكَوْكَبُ النهاري. وقد وضعت العرب لها أسماءً: نَكَاءٌ، غيرُ مُنْصَرَفٍ، ولا تَخْلُهُ أداة التعريف، والجارية، والجونة، والغزالة². "وقد غَلَطُوا الحَرِيرِي فِي قَوْلِهِ: "قَلَمًا نَرُّ قَرْنُ الْغَزَالَةِ، طَمَرٌ طَمُورٌ³ الْغَزَالَةِ". وقالوا: لم نقل العرب الغزالة إلا للشمس، وإذا أرادوا مؤنث الغزال قالوا: الظبية⁴. و[ما أحلى قول القائل⁵:

غَدَوْتُ مُقَكَّرًا فِي سِرٍّ أَفْقٍ أَرَأَا الْعِلْمَ مِنْ بَعْدِ الْجَهَالَةِ
فَمَا طَوَيْتَ لَهُ شَيْكَ الدَّرَارِي إِلَيَّ أَنْ أَظْفَرْتَهُ بِالْغَزَالَةِ

فائدة

رَأَيْتُ فِي الْمَقْدَمَةِ لِابْنِ خَلْدُونٍ أَنَّ مَا تَرَعَمَهُ عَامَةُ الْمُؤَرِّخِينَ، أَنَّ عُوجَ بَنِ عَنَاقٍ⁶ كَانَ

¹ - تقدم في شرح البيت الخامس عشر.

² - قال الحريري في درة الغواص: "وكتسبتهم الشمس في وقت ارتفاعها الغزالة، وعند غروبها الجونة، حتى امتنعوا أن يقولوا: طلعت الجونة، كما لم يُسمع: غربت الغزالة...".

³ - ذر: طلع. وطمر: وثب.

⁴ - نص عبارة الغيث المسج 143/2.

⁵ - البيتان في المصدر السابق

⁶ - مقدمة ابن خلدون 314-316.

لِطَوْلِهِ يَتَأَوَّلُ السَّمَكُ مِنَ الْبَحْرِ، وَيَشْوِيهِ فِي الشَّمْسِ، غُلَطٌّ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ، لاعتقادهم أَنَّ الشَّمْسَ حَارَّةً، وَأَنَّهَا تُحْرِقُ مَا قُرْبَ مِنْهَا، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَرَّ مِنْ ضَوْئِهَا، وَنَظَرُكَ أَنَّ الْأَشْعَةَ تَعْكَسُ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ بِمُقَابِلَةِ الْأَضْوَاءِ، فَتَضَاعِفُ الْحَرَارَةَ هُنَاكَ، وَلَوْ تَجَاوَزَتْ مَطَارِحَ الْأَشْعَةِ الْمُنْعَكِسَةِ فَلَا حَرَّ هُنَاكَ، بَلْ يَكُونُ فِيهِ الْبَرْدُ حَيْثُ مَجْرَى السُّحْبِ، وَإِنَّمَا الشَّمْسُ فِي نَفْسِهَا لَا حَارَّةً وَلَا بَارِدَةً، وَإِنَّمَا هِيَ جِسْمٌ بَسِيطٌ مُضِيءٌ لِمَزَاجٍ لَهُ. وَالثَّانِي، اعتقادهم أَنَّ أَجْسَادَ الْأَقْنَمِينَ عَظِيمَةً عَنْ أَجْسَادِنَا فِي أَطْرَافِهَا. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَلَيْسَ [بَيْنَ] أَجْسَادِنَا وَأَجْسَادِهِمْ كَبِيرُ بَوْنٍ. وَلَقَدْ أُولَعَ الْقُصَاصُ بِذَلِكَ، وَسَطَرُوا مِنْ عَادٍ وَثُمُودَ وَأَخْبَاراً عَرِيقَةً فِي الْكُذْبِ وَنَقَلَ الْمَسْعُودِي نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا رَأْيِي لَا وَجْهَ لَهُ إِلَّا التَّحَكُّمُ، كَمَا تَرَاهُ. وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ، وَلَا سَبَبٌ بَرَهَانِي، وَنَحْنُ نَشَاهِدُ مَسَاكِنَ الْأَوَّلِينَ، وَأَبْوَابَهُمْ وَطَرَقَهُمْ فِيمَا أَحْنَثُوا مِنَ الْبُنْيَانِ وَالْدِيَارِ وَالْمَسَاكِينِ، كَنِدَارِ ثُمُودَ الْمُنْحَوْتَةِ فِي الصَّخْرِ بِيُوتًا صِغَارًا، وَأَبْوَابًا ضَيِّقَةً. وَقَدْ أَشَارَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى أَنَّهَا دِيَارُهُمْ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ¹.

وقد أكثر الشعراء في مدح الشمس. ابن المعتز²:

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمُقُنَا بِلَحْظٍ مَرِيضٍ مُتَنَفٍّ مِنْ خَلْفٍ سِثَرٍ
تُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٍ وَهُوَ يَأْبَى كَعَيْنَيْنِ يُحَاوِلُ فَتَقَّ بَخَرٍ

ابن طَبَّا طَبَّا³:

مَتَى أَبْصَرْتَ شَمْسًا تَحْتَ غَيْمٍ تَرَى الْمِرْآةَ فِي كَفِّ الْحَسُودِ

وفي القاموس المحيط (عوج): "عُوجُ بْنُ عُوقٍ بضمها: رَجُلٌ وَلَدَ فِي مَنْزِلِ آدَمَ فَعَاشَ إِلَى زَمَنِ مُوسَى، وَذَكَرَ مِنْ عَظَمِ خَلْقِهِ شَنَاعَةً".

¹ - نهاية كلام ابن خلدون بتصرف.

² - ديوان ابن المعتز 580/2 (تحقيق السمراني)، والغيث المسجم 152/2.

³ - البيهقي في الغيث المسجم 153/2، ومعاهد التنصيص 105/2.

تَقَابُلَهَا فَتَلْبِسُهَا غِشَاءً بِأَنفَاسٍ تَرَايِدُ فِي الصُّعُودِ

هذا كقول أبي بكر محمد بن هاشم¹ في السماء:

وَتَنَقَّبْتُ بِخَفِيفِ غَيْمٍ أَبْيَضٍ هِيَ فِيهِ بَيْنَ تَخَفُّرٍ وَتَبَرُّجٍ
كَتَنَّفُسِ الْحَسَنَاءِ فِي الْمِرَاةِ إِذْ كَمَلْتُ مَحَاسِنَهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ

المعوج²:

كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ غُفْوَةٍ عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ أَوَّلُ طَالِعِ
نَنَائِرُ فِي كَفِّ الْأَشَلِّ يَضُمُّهَا لِقَبْضٍ فَتَهْوِي مِنْ فُرُوجِ الْأَصَابِعِ

والوجهة مثلثة وبفتحتين: ما ارتفع من الخد.

والمشرق: مكان الشروق. والمغرب: مكان الغروب. وإقليمان متقابلان. قال ابن حمادة في كتاب المقتبس: حدُّ المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية إلى آخر بلاد المغرب، وحدُّه مدينة سلا. وينقسم أقساماً، فقسم من الإسكندرية إلى أطرابلس، وهو أكبرها وأقلها عمارة. وقسم من أطرابلس، ويقال له الزاب الأعلى، ويليهما الزاب الأسفل، وحدُّه إلى مدينة تيهرت. ويليهما بلاد المغرب، وهي طنجة، وحدُّها مدينة سلا، وهي آخر المغرب. وإذا جا[وَز]ت سلا لِنَاحِيَةِ الْجَنُوبِ تَرَكْتَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ يُمْنَةً وَأَخَذْتَ مِنْهَا قَافِلًا إِلَى الْقِبْلَةِ، فَتُسَمَّى تِلْكَ الْبِلَادُ بِلَادَ تَامَسْنَا، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضاً بِلَادُ السُّوسِ الْأَدْنَى، وَحَدُّهَا إِلَى جَبَلِ دَرَنْ. وَإِذَا جُزْتَ

¹ - هو محمد بن هاشم الخالدي أبو بكر، (معاهد التنصيص 103/2-104)، انظر الصفحة 204 الحاشية

4، و 212. والبيتان في الغيث المسجم، ومعاهد التنصيص.

وفي الأصل: المرأة في الحسناء إذا. وهو غلط، والتصويب عن المطبوعين السابقين.

² - في حطبة الكميت 120: المعوج الشامي.

والبيتان في الحطبة 333، وفي الغيث المسجم 153/2، ومعاهد التنصيص 33/2.

هذا الجبل فعن يمينك بلاد السوس الأقصى، ويقال لها بلاد ماسة، ويتصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى بلاد الزنج. وبلاد الأندلس من المغرب، وكذلك إفريقية.

استطرد

قال الإمام أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف: "عبد الله بن الحسن، هو والد الطالبين القائمين على بني العباس، وهم محمد ويحيى وإدريس. مات إدريس بإفريقية فاراً من الرشيد. ومات مسموماً في دلاعة أكلها"¹، انتهى، منه. وقد أولع أقوام ممن طبع الله على قلوبهم بطبائع العناد بكلام السهيلي، وصرفوا الكلم عن مواضعه وقالوا: [إن مولانا] إدريس الذي يزار بزرهون ليس هو والد عبد الله بن الحسن المذكور، لأنه مات في إفريقية، كما قال السهيلي. وكان بعض العلماء يُبالغ في الرد على السهيلي، ويتغالي في التشنيع عليه. ومن تضلّع بمطالعة كتب التاريخ علم أن كلام السهيلي صواب، وأن الكل على هدى، قال شيخنا أعجوبة الزمان الأديب البارغ أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي في كتابه الدر النفيس، في التعريف بمولانا إدريس، مُصوباً لكلام السهيلي، ما نصّه باختصار: إفريقية تطلق على أرض القيروان، وعلى هذا الإطلاق جرى جمع من الفقهاء، وتارة على ما بين طنجة وأطرابلس².

قال في الروض المعطار في أخبار الأقطار: "طول"³ إفريقية، من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً، وقال في حرف الزاي منه: "رواغة من بلاد إفريقية، سُميت بزواغة قبيلة من البربر"⁴، انتهى كلام الروض. وزواغة التي نكر، بلاد حرت غربي فاس، وهي قبالة

¹ - الدر النفيس 162 نقلاً عن الروض الأنف وفي نهاية النقل: "صح بلفظه".

² - الدر النفيس 162.

³ - في الأصل: أول، وهو كذلك في الدر النفيس 162، والمثبت عن الروض المعطار 47، وهو مصدر

النص المحصور.

⁴ - الروض المعطار 295.

زرهون، وقيل إن فيها مسيرة يوم، فتدخل في إفريقية فاس زرهون من باب أولى. وفي روضة المستعين، الجاري على النلقين، وفي كتاب سحنون عن أبيه: يضم عمل¹ إفريقية بعض هم عن بعض، من أهل أطرابلس إلى طنجة. وطنجة، قيل مدينة وليلي، وقيل المعروفة اليوم. قال في المسالك: عمل طنجة شهر في مثله، انتهى كلام شيخنا².

المعنى

معنى البيت مُحتمِلٌ لأحد أمرين، الأول، أن يكون المراد أن الشمس حازت من سماء خلوده مكاناً شروقها منه وغروبها فيه. والمعنى بهذا، أن الشمس لا تبرح من فلك وجنائه، ولا يتوهم بغروبها أن تتصاعل أنوارها، وتتقطع أضواؤها، بل هي طالعة في سماء المحيا دائماً. الثاني، أن يكون مراده أن الشمس اكتسبت أنوار شروقها من لمعان وجنائه، فوجهه هو الذي يمدّها بالأضواء. وللشمس بسبب الوجنتين غروب، كما لها بها طلوع. والفرق بين الوجهين جعل "مشرق" و"مغرب" للمكان أو مصدرين³، وجعل (في) على بابها من الظرفية والسببية. ويقـ[رّب من بيت ابن سهل] قول أبي عامر بن مسلمة:

مُزَّةٌ مَاتَتْ زَمَانَا	بِحَجَابٍ يَحْتَوِيهَا
لَبِثَتْ فِي بَطْنِ أُمِّ	غَيَّبَتْهَا عَنْ بَنِيهَا
أَلْحَنَتْهَا الشَّمْسُ دَهْرًا	ثُمَّ عَادَ الرُّوحُ فِيهَا
كَانَ مَاءُ الْمُزْنِ عِيسَى	حِينَ أَلْقَيْنَاهُ فِيهَا
فَأَنْبَرَى مِنْهَا سِرَاجٌ	رَأَى مَنْ يَجْتَلِيهَا

¹ - في الأصل: يصح، غير منقوطة، ونراها تصحيف "يضم". وفي الصفحة 156 من الدر النفيس: يضم عمل.

² - الدر النفيس 155، 156، 159.

³ - في الأصل: مصدران.

طَلَعْتَ مِنْهَا شُمُوسٌ غَرَبْتَ فِي مُطْلَعِيهَا
غَرَبْتَ الْبَابُونا إِذْ غَرَبْتَ فِي شَارِبِيهَا

وَيَخْرُطُ فِي سَلَكِ الْبَيْتِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ حَسَنِ الزَّغَارِيِّ فِي مَلِيحٍ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ حَمْرَاءُ¹:

وَبِئْسَ سَامِرِيٌّ مَرَّ بِي فِي عِمَامَةٍ قَدْ اكْتَسَبْتَ مِنْ وَجَنَتَيْهِ احْمَرَارَهَا
مُسَوَّرَةٌ دَارَتْ بِوَجْهِهَ كَأَنَّمَا تَنَاولَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا

المعاني

نُكْنَةُ تَخْصِيصِ الشَّمْسِ بِالضُّحَى تَقَدَّمَتْ. وَلَوْ قَعِ الظَّاهِرُ، فِي قَوْلِهِ: لِلشَّمْسِ، مَوْقِعُ
الْمُضْمَرِ شَرْحاً لِلْقِصَّةِ وَزِيَادَةً بِالتَّنْوِيهِ بِجَمَالِ الْوَجَنَاتِ.

البيان

فِيهِ الْإِسْتِعَارَةُ بِالْكِنَايَةِ عَلَى رَأْيِ السَّكَاكِيِّ فِي الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ. وَكَذَلِكَ الْمَجَازُ فِي الظَّرْفِيَّةِ.
وَلَا يَخْفَى مَا فِي الْبَيْتِ مِنْ حُسْنِ التَّخْيِيلِ الَّذِي هُوَ مَرْقَاةٌ لِبَدِيعِ الْإِسْتِعَارَاتِ، وَلَطِيفِ
الْكِنَايَاتِ.

البديع

فِيهِ الْمِطَابَقَةُ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمِنْ غَرِيبِ الْمِطَابَقَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: "زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ
وَلَا غَرْبِيَّةٌ"².

¹ - الْبَيْتَانِ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ 477، وَمَعَاهِدِ التَّصْيِصِ 478.

² - سُورَةُ النُّورِ 35/24، وَصِلَةُ الْآيَةِ: "الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ذَرْيُ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، زَيْتُونَةٌ لَا
شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ".

أَخْنَتُ: فعلٌ ماضٍ. و شَمْسُ الضُّحَى: فاعلٌ به.

و مِنْ وَجَنَّتَيْهِ: يتعلّق بأخذ. ويجوز أن تكون "مِنْ وَجَنَّتَيْهِ" زائدة بناءً على أَنْ (مِنْ) تزاوُ في الإيجاب، والمسألة فيها خلافٌ في العربية. وما أحسن قول القائل¹:

قَاسُوكَ بِالسُّوْنِ فِي التَّنْثَنِ قِيَاسَ جَهْلٍ بِلاَ انْتِصَافٍ
فَذاكَ عُصْنُ الْخِلافِ يُدْعَى وَأَنْتَ عُصْنٌ بِلاَ خِلافٍ

وعليه فَ(وَجَنَّتَيْهِ) مفعولٌ أولٌ بِ (أَخْنَتُ). ومُشْرِقاً: مفعولٌ ثانٍ. و أخذ حينئذٍ بمعنى اتخذ.

و للشَّمْسِ: خبرٌ مُقَدِّمٌ. و مَغْرِبٌ: مُبْتَدَأٌ. و فيه يتعلّق به.

¹ - البيتان في خزنة الأدب 214، ومعاهد التصحيح 301/2.

ذَهَبَتْ بِمَعِيَ أَشْوَاقِي إِلَيْهِ وَلَهُ خَدٌّ بِلَحْظِي مُذْهَبٌ¹

[اللغة]

قال في [القامو] س: "[الذَّهَبُ: التَّيْرُ وَيُونْتُ، وأذهبه: طلاه به، كذهبه، فهو مُذْهَبٌ، وذَهَبَ، ومُذْهَبٌ]"². ونكر الحكماء أن من خواص الذهب ألا يعلوه صداً، وأما قول ابن خفاجة³:

وَالنَّعْ يُكْسِرُ مِنْ سَنَى شَمْسِ الضَّحَى فَكَأَنَّهُ صَدَاً عَلَى بِنَارِ

قال الصَّغْدِي: ففيه نظرٌ، لما ذكرنا، ولأن أصحاب⁴ الخواص يزعمون أن الذهب إذا علَّق في مكان تتصاعد إليه الرطوبات، كما إذا علَّق في فضاء بئر، ربَّما بلي وتآكل. وابن النبية استعمل الصداً فأحسن:

وَالظِّلُّ⁵ يَسْبَحُ فِي الْغَدِيرِ كَأَنَّهُ صَدَاً يَلُوحُ عَلَى حَسَامٍ مُرْهَفٍ

[والدمع]: ما ترخيه شؤون الرأس بحرارة غريزية، نقر أمامها رطوبات النماغ فتَنزلُ

¹ - ديوان ابن سهل 285.

وفي الأصل: ذهبت دمعِي من أشواقي. و(من) زائدة.

² - القاموس المحيط (ذهب).

³ - لم أعر على هذا البيت في ديوان ابن خفاجة.

⁴ - في الأصل: أصحاب. وفي (ب) أصحاب.

⁵ - في الأصل: الظل، والمثبت عن ديوان ابن النبية 198

منهُ عِنْدَ تَحَرُّكِ النَّفْسِ بِفَرَحٍ، فَتَكُونُ الدَّمْعَةُ بَارِدَةً، وَمِنْهُ: أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَكَ، عِنْدَ الْأَصْمَعِيِّ مِنَ الْقُرْ، وَهُوَ ضَرْبُ الْبَرْدِ، أَوْ بَحْرُنُ فَتَكُونُ حَارَةً، قَالَهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ فِي شَرْحِ الْبَرْدَةِ¹.

والشوق: نزوع النفس، وحركة الهوى، وقد شاقني. فإن قيل: أي فرق بين الشوق والاشتياق؟ فالجواب ما رأيتُه في بعض النقايد، أن الشوق ما يعتري المحبَّ ببُعدِ أحبَّابه عنه، والاشتياق ما يعتريه وهم حاضرون، وهو أقوى من الشوق، لأن كثرة الحروف تدلُّ على كثرة المعنى.

والخذُّ: ما جاوز مؤخر العينين، إلى منتهى الشَّقِّ، أو اللذان يكتنفان الشَّقَّ عن يمين ويسار.

ولحظة كمنعة وإليه لحظاً: نظر بمؤخر عينيهِ، وهو أشدُّ النفاث من الشرز، الملاحظة مفاعلة منه.

المعنى

أنَّ خدوده صيرت دمعِي يَقْطُرُ، وَهُوَ أَحْمَرُ ذَهَبِي اللَّوْنِ، وَنَظَرْتُ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقِي إِلَيْهِ، وَلَمَّا فَعَلْتُ بِي خَدُودَهُ ذَلِكَ، أَخَذْتُ بِثَأْرِي مِنْهَا، فَرَمَيْتُ إِكْسِيرَ² طَرْفِي فِيهَا، فَأَعَادَهَا ذَهَباً نَضَاراً. أَمَا شَطْرُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَمِنْهُ لَا بِنِ نَبَاتَةٍ³:

يَا غَزَالَ رَتَا، وَغُصَّأً تَنَّتَى وَهَلَالاً سَنَا، وَيَنَرَا أَنْارَا
كَانَ مَعِي عَلَى هَوَاكَ لُجِيئَا فَأَحَالَتُهُ نَارُ قَلْبِي نَضَارَا

¹. إظهار صوت المودة 12/1 و.

². الإكسير، عند أصحاب الصنعة والكمياء القدماء، هو ما يُلْقَى عَلَى الْفُضَّةِ وَنَحْوَهَا فَيَحْوِلُهُ إِلَى ذَهَبٍ خَالِصٍ.

³. البيتان له فب معاهد التصحيح 249/1.

وَلَوْلَا أَلَمُ الدَّمْعِي¹:

كُلُّ نَمْعٍ فَبَالَتْكَأْفٍ يَجْرِي
وَرَدَّ الْبَيْنَ نَمْعٌ عَيْي فَأُضْحَى
غَيْرَ [نَمْعٍ الْمُحْسَبِ] وَالْمَهْجُورِ
كَعَقِيقٍ أُنْسِبَ فِي بِلْسُورِ

المطوحي²:

لَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ غَيْرُ النَّوَى أَصْلًا
جَلَسْتُ أَنْظُمُ فِي وَصْفِ النَّوَى ذُرًّا
وَشَتَّتَتْهُمْ صُرُوفُ الْبَيْنِ تَشْتِيئًا
وَالْعَيْنُ تَنْثُرُ مِنْ نَمْعِي يَوَاقِيئًا

آخر:

مَا كُنْتُ أَمْلِكُ غَيْرَ نَفْسٍ حُرَّةٍ
أَنَا مَعْدِنُ الْيَاقُوتِ، جِسْمِي أَصْفَرُ
رَهْنَتِ، وَأَحْسِبُ أَنَّ رَهْنِي يَخْلُقُ³
وَمَدَامَعِي حُمْرٌ، وَقَلْبِي أَرْزَقُ

وما أحسن قول بدر الدين في الدمع الأبيض:

قَالُوا: تَبَاكَى بِالدُّمُوعِ وَمَا بَكَى
فَأَجَبْتُهُمْ: هُوَ مِنْ نَمْعِي لَكِنَّهُ
بَدِمَ عَلَى عَيْنٍ تَصَرَّمْ وَأَنْقَضَى
لَمَّا تَصَعَّدَ صَارَ يَقْطُرُ أَبْيَضًا

عزُّ الدين الموصلي:

خُضْرَةُ الصُّدْغِ، وَالسُّوْلَا مِنْ الْعَيْنِ —
بَيْنَ بَيَاضِ الْمَشِيبِ قَسْدٌ أَوْ رِثَانِي

1 - ديوان الولاء الدمشقي 109، ومعاهد التنصيص 249/1.

2 - معاهد التنصيص 249/1.

3 - غلق للرهن يخلق في يد المرتين: صار ملكه بسبب عجز الراهن عن اقتكاكه في الوقت المحدد. والبيتان في شرح البردة للأبيوري مخ خ ع 528 ج الصفحة 12.

سَنَ بَيَاضِ الْمَشِيبِ قَدْ لَوِثَّ نَيْسِي
كُلُّ ذَا مِنْ تَلَوُّنَاتِ الزَّمَانِ

خُضْرَةُ الصُّدُغِ، وَالسَّوَادُ مِنَ الْعَيْسِ
وَأَخْمِرُ الرُّمُوجِ، صَفَرُ خَسْدِي

وَأَمَّا الشُّطْرُ الثَّانِي فَمِنْهُ لَابِنُ النَّبِيَّةِ¹:

حِينَ يَزْدَكُّ، لِأَيِّ نَيْسِي، أَخْمِرُ رَا
فِي لُجَيْنِ الْخُنُودِ صَارَ نُضَارَا

صَنْعَةُ الْكِيمِيَاءِ صَحَّتْ لِعَيْنِي
فَلِذَا مَا أَقْبَيْتُ إِكْسِيرَ لَحْظِي

ابْنُ الْعَوْبَرَةِ²:

حُزْنًا، أَقْطَرُهَا مِنْ لَوْعَةِ الْحُرْقِ
فَاسْتَقْطَرَ النَّيْنُ مَاءَ السَّوْدِ مِنْ حَذْقِي

كَانَتْ لُمُوعِي حُمْرًا فِي عَيْنِهِمْ
قَطَفْتُ بِالْخُظِّ وَرْدًا مِنْ خُنُودِهِمْ

وَمَا لَطَفَ مَا قَالَ بَعْضُ الْمَشَارِقَةِ وَتُرَوَّى لَابِنُ شَرْفٍ³:

وَلَحْظُنَا يَجْرَحُكُمُ فِي الْخُنُودِ
فَمَا الَّذِي أَوْجَبَ هَذَا الصُّدُودَ؟

لِحَاطِكُمْ تَجْرَحُنَا فِي الْحَشَا
جُرْحٌ بِجُرْحٍ، فَاحْسَبُوا ذَا بَدَا،

وَأَجَابَ عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْإِمَامُ الشَّهِيرُ سَيِّدِي قَاسِمُ الْعُقْبَانِي مُتَنَزِّأً⁴:

جُرْحٌ بِخَدِّ لَيْسَ فِيهِ الْجُودُ

لَوْجَبَهُ مِنْ نَيْسِي، يَا سَيِّدِي،

¹ - ديوان ابن النبيه 347، وسبق البيتان في الصفحة 242 - 243.

² - الصفحة 220 الحاشية 5.

³ - أورد ابن دحية البيتين في المطرب 6. وهما مما أنشدته جنته، كما نقلهما المقرئ في نفع الطبيب

170-169/4 مع جواب العقباني عليهما.

⁴ - البيتان والتعليق في نفع الطبيب 170/4، وفي الأصل: جحود بدون تعريف.

أتى [بصفة تفعّل] في "ذهب" إيداناً بالتكلف، وجمع (أشواقاً) للمبالغة في كثرتها. ونكر (خدا) للتعظيم والتتويج بلطفاته. وقمّ المعمول في قوله: بلحظي، إشعراً بالحصر، وأن الخد كان لجيناً، فعاد بسيف الحياة، من أجل النظر إليه، نضاراً.

البيان

فيه الاستعارة من فاعل (ذهبت) المجازي، وكذلك في قوله: بلحظي مذهب.

البيدع

فيه حسن الاتباع، قال ابن حجة¹: وهو أن يأتي المتكلم إلى معنى اخترعه الغير، فيحسن اتباعه بأن يتصرف فيه باختصار، أو [قصّر الوزن، أو غير ذلك من الزيادات التي يستحق بها المتأخر الفضل على المتقدم، كقول عنتره:

إني امرؤ من خير عبس منصياً شطري وأحمي سائري بالمنصل

أخذه الفقيه منصور² المغربي في فقيه سبه، وكان شريفاً من أبيه دون أمه، فقال:

مَنْ فَاتَنِي بِأَبِيهِ وَلَمْ يَفْتَنِي بِأُمِّهِ
وَرَأَمَ شَتْمِي ظُلْمًا سَكَتٌ عَنْ نَصْفِ شَتْمِهِ

وحدث أبو هلال العسكري في الصناعتين، عن أبي بكر المهلب، قال: "كنا في حلقة دُعبل الشاعر، فجرى نكر أبي تمام، فقال دُعبل: كان يتبع معاني فأخذها، فقال له رجل في

¹ - خزانة الأدب 499-500.

² - في معاهد التنصيص 29/4: المصري.

مجلسه: مثل ماذا؟ قال: مثل قولي:

وَإِنْ أَمَرْتُ أَسْدَى إِلَيَّ بِشَافِعٍ إِلَيْهِ، وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي، لأَحْمَقُ

فأخذه أبو تمام وقال:

وَإِذَا أَمَرْتُ أَسْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّمَا مِنْ مَالِهِ

فقال الرجل: أحسن والله. فقال دِعْبَلُ: كذبت، والله، قبحك الله. فقال الرجل: إن كان سبقك بهذا المعنى، وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك فقد أجاد، وصار أولى به منك في الحالين. فغضب دِعْبَلُ وقام¹.

وقال ابن الرومي²:

تَخَذْتُكُمْ بَرْعاً حَصِيناً لِيَتَّقَعُوا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو مِنْكُمْ خَيْرَ نَاصِرٍ
فَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا لِمَوْتِي
قِفُوا وَقَفَّةَ الْمَعْنُورِ عَنِّي بِمَعَزِلٍ
نِيَالِ الْعِدَى عَنِّي، فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا
عَلَى حِينِ خِذْلَانِ الْيَمِينِ شِمَالَهَا
نِمَاماً، فَكُونُوا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا
وَخَلُّوا نِيَالِي لِلْعِدَى وَنِيبَالَهَا

وأخذه ابن سنان الخفاجي⁴:

أَعَدْتُكُمْ لِدِفَاعِ كُلِّ مُلَمَّةٍ
وَتَخَذْتُكُمْ لِي جُنَّةً، فَكَأَنَّمَا
عَوْتاً، فَكُنْتُمْ عَوْنُ كُلِّ مُلَمَّةٍ
نَظَرَ الْعَدُوِّ مَقَاتِلِي مِنْ جُنْدِي

¹ - كتاب الصناعتين 219، وخزانة الأدب 502، ومعاهد التنصيص 33/4.

² ديوان ابن الرومي 88، (اختيار كامل الكيلاني).

³ - في الأصل و(ج): لا تحفظوا، وهو غلط.

⁴ - خزانة الأدب 500.

فَلَا تُفْضَنَ يَدَيَّ يَا سَاءَ مِنْكُمْ نَفْضَ الْأَمَلِ مِنْ تُرَابِ الْمَيِّتِ

الإعراب

ذَهَبَتْ: فعلٌ ماضٍ، فاعله ضميرُ الوجناتِ. ودمعي: مفعول به. ومن أشواقي: متعلق بـ "ذَهَبَتْ".

وخذٌ: مبتدأ^١.

زلة: صفةٌ لخذٌ.

ومذهبٌ: خبرٌ.

وبلحظي: يتعلق به.

^١ - في هذا القول نظر، ونرى أن "له": خبر مقدم، وخذ: مبتدأ مؤخر، ومذهب: صفة له.

يُنْبِتُ السُّورِدَ بِغَرْسِي كُلِّ مَا لَحَظْتُهُ مُقَلَّتِي فِي الْخَاسِ

اللغة

النبات: معروف. والورد: معلوم. وفي مدحه لصالح بن شريف¹:

الْبُورْدُ سُلْطَانُ كُلِّ زَهْرٍ لَوْ أَنَّهُ دَائِمُ الْوُورِدِ
بَعْدَ خُتُودِ الْمَلِاحِ شَيْءٌ مَا أَشْبَهَ السُّورِدَ بِالْخُتُودِ

آخر²:

أَمَا تَرَى شَجَرَاتِ الْوُورِدِ مُظْهِرَةً لَهَا بَدَائِعَ، قَدْ رُكِبْنَ فِي قُضْبِ
كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ، تُطَيِّفُ بِهَا زُمُرُودٌ، وَسَطَهَا شَنْزُ مِنَ الذَّهَبِ

وحدث البرهان النواجي قال: أنشدني بعض الأصحاب قول الشاعر³:

لِلْوُورِدِ عِنْدِي مَحَلُّ وَرُتْبَةٌ لَا تَمَلُّ
كُلُّ الرِّيَاحِينَ جُنْدٌ وَهُوَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ

واستحسنها وبالغ في مدحها، فقلت: ليس بشيء، ثم أنشدته ارتجالاً:

¹ - نسبها في الوافي في نظم القوافي. الورقة 150 ظ للرصافي، وسقطت فيه كلمة (شيء) وهي ضرورية للوزن.

² - نسب هذان البيتان في المصدر السابق 150 ظ لابن طاهر.

³ - حلبة الكميت 243.

مَلِكُ الْوَرْدِ وَاقِي فِي جُيُوشِ لَهَا بِالسَّعْدِ الْوَيْلُ سَنِيَّةُ
فَوَاقَتْهُ الْأَزَاهِرُ طَائِعَاتِ لِأَنَّ الْوَرْدَ شَوَّكَتُهُ قَوِيَّةُ

ثم وقعتُ بعد ذلكَ على [هذا المعنى]، في ثلاثة أبياتٍ للشيخِ شمسِ الدينِ بنِ العفيف¹:

قَامَتْ حُرُوبُ الزَّهْرِ [مَا] بَيْنَ الرِّيَاضِ السُّنْدُوسِيَّةِ
وَأَلَّتْ بِأَجْمَعِهَا لَتَغْ زَوْ رَوْضَةِ الْوَرْدِ الْجَنِّيَّةِ
لَكِنَّهَا كُسِرَتْ لِأَنَّ الْوَرْدَ شَوَّكَتُهُ قَوِيَّةُ

ورأيتُ في كتابِ المراتعِ للشمسِ النواجي²، قال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصلي: "دخلتُ يوماً على الرَّشِيدِ، وبينَ يديه وردٌ أحمرٌ وأبيضٌ، وهو يخلطُهُ بقضيبٍ كان معه، وقد أهديتُ له جاريةً حسناءً، بديعةً الجمال، حائقةً، أدبيةً، وكانَ له شغفٌ بها، فقال لي: يا إسحاقُ، قلْ في هذا الوردِ شيئاً. فقلتُ: سمعاً وطاعةً، ثم أنشدتُ:

كَأَنَّهُ وَجْهٌ مَحْبُوبٌ يُقَبَّلُهُ فَمُ الْحَبِيبِ، وَقَدْ أَبْدَى بِهِ خَجَلًا
فَأَجَلَبْتُ مِنْ خَلْفِ أَسْتَارِهِ:

كَأَنَّهُ لَوْنُ خَدِّي حِينَ تَقَعُّنِي يَدُ الرَّشِيدِ لِشَيْءٍ يُوجِبُ الْغُسْلًا
فقال لي: يا إسحاقُ، فقد شوقتني هذه الفاجرة إلى ذلك. فقلتُ: واللهِ لأقمتُ إلا بجائزتي فأجازني بجائزةٍ سنينةٍ، فأخذتها وانصرفتُ³. ويُعجبني قولُ ابنِ تميم:

¹ - ديوان الشاب الظريف: 69-70.

² - انظر الصفحة 155، الحاشية 4.

³ - حلبة الكميت 241-242.

[حانر] أَصَابِعَ مَنْ ظَلَمْتَ، فَإِنَّهُ
يَدْعُو بِقَلْبٍ فِي الرَّجَا مَكْسُورٍ
فَالْوَرْدُ مَا أَلْقَاهُ فِي جَمْرِ الْغَضَا
إِلَّا الدُّعَا بِأَصَابِعِ الْمَنْثُورِ

ومما يُنسبُ لابن الرومي في تفضيل النرجس عليه:

لِلنَّارِجِسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ، وَإِنْ أَبَى
فَصَلِّ الْقَضِيَّةَ أَنْ هَذَا قَائِدُ
أَبٍ، وَحَدَا عَنْ الْحَقِيقَةِ حَائِدُ¹
زَهَرَ الرِّيَاضِ وَأَنْ هَذَا طَارِدُ
لِلنَّارِجِسِ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ، إِذَا بَدَا
لِلنَّازِرِينَ طَرِيفُهُ وَالتَّالِدُ

وناقضه في ذلك أبو العباس ابن يونس الكاتب، فقال:²

يَا مَنْ يُشَبِّهُ نَرْجِسًا بِلَوْاحِظٍ
لِنَ الْقِيَاسِ، لِمَنْ يَصِيحُ قِيَاسُهُ،
دُعُجْ، تَبَّهْ! إِنْ فَهَمَكَ رَقِدُ
بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهُ مُتَبَاعِدُ
وَالْوَرْدُ أَشْبَهَ بِالْخُدُودِ حِكَايَةً
فَعَلَامَ تَجْعَدُ فَضْلَهُ، يَا جَاوِدُ
مَلِكٌ قَصِيرٌ عُمْرُهُ مُسْتَأْهِلٌ
لِخُلُودِهِ [لَوْ] أَنْ حَيًّا خَالِدُ

وختمها بقوله:

فَانْظُرْ إِلَى الْمُصْقَرِّ لَوْثًا مِنْهُمَا
وَأَفْطِنْ، فَمَا يَصْقَرُ إِلَّا الْحَاسِدُ

¹ - في ديوان ابن الرومي 76 (اختيار كامل كيلاني):

لِلنَّارِجِسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ لِأَنَّهُ زَهْرٌ وَنُورٌ، وَهُوَ نَبِيْتُ وَاحِدٌ

ومعه خمسة أبيات غير ما جاء هنا. والبيت الثاني، مع ثلاثة أبيات غير ما ذكر هنا، وفي الغيث المسجم

157/2.

² - الغيث المسجم 157/2.

وهذا كقول السلطان، واسطة الملوك السعديين، أبي العباس أحمد المنصور¹:

لَا وَطَرَفٍ سَلَبَ السَّيْفَ الْفَرْنَذَ فِي قِوَامٍ كَقَنَّا الْخَطَّ نَهْذَ
وَوَمِضٍ لَاحَ لَمَّا ابْتَسَمَتِ فَرَأَيْنَا مِنْهُ ذُرًّا أَوْ بَرْدَ
مَا هَلَّ الْأَفْقَ إِلَّا حَاسِدٌ لِبَهَاةَا وَعُلَاهَا وَالْغَيْدَ
وَلِذَا عَاشَ قَلِيلًا نَاحِلًا كَيْفَ لَا يَقْنَى نُحُولًا مِّنْ حَسَدَ

وعارض بهذا مقطعة الشريف محمد بن العقاد المكي²:

لَا وَفَرَعٍ كَدَجَى اللَّيْلِ غَسَقٌ وَجَبِينِ ضَوْءُهُ ضَوْءُ الْفَلَقِ
وَمَحِيًّا كَلَفَ الْبَدْرُ بِهِ وَخُدُودٍ مِّنْ حَوَالِيهِ شَفَقِ
مَا أَرَى الْغَزْلَانَ إِلَّا سَرَقَتْ مِنْهُ جِيدًا، وَالتِّفَاتِ أَوْ حَسَقِ
ثُمَّ خَافَتْ فَتَوَلَّتْ شُرْدًا كَيْفَ لَا يَشْرُدُ خَوْفًا مِّنْ سَرَقِ!

استطرد

النرجس المنكور، هو النوار الأصفر المعروف عندنا. وزعم بعضهم أن النرجس الذي تُشَبَّه به العيون، نرجس في المشرق في أعلاه دائرة، تحفُّ بها ورق بيض، على شكل العين. قال التجاني في تحفة العروس: ولا يصحُّ ذلك، إذ لو صحَّ لكان لا يشبه به إلا من

١ - نقل صاحب مناهل الصفا 298 هذه الأبيات من خط المنصور مع بعض الخلاف في الرواية، وهي في نفح الطيب 80/7، ونزهة الحادي 141.

الخط: ميناء البحرين تنسب إليه الرماح، نهذ: ارتفع.

٢ - في الأصل: العرف.

والمكي الذي وفد على المنصور ومدحه، هو "أبو الفضل بن محمد العقاد" وهو ممن عارضوا موشحة ابن سهل (نفح الطيب 69/7-80)، وفي نزهة الحادي 125: "أبو الفضل المعروف بابن العقاد المكي". وفي مكان آخر من نزهة الحادي 141 يقول الإفراني "وقد عارض، رحمه الله، بهذه الأبيات أبيات الشيخ الأديب الإمام الخليلي". وإمام الدين الخليلي من الوافدين كذلك على المنصور.

علم وجوده، والنشبية واقع ممّن علم وجود ذلك، ومن لم يعلم، انتهى.

رجع، "وغرس الشجر يغرسه: أثبتّه في الأرض، كأغرسه، والغرس: جمعه أغراس¹ وغراس¹".

والمقّلة: شحمة العين الجامعة للسواد والبياض. والحقّة: السواد وسط العين. والإنسان: موضع البصر منها. والخس: سرقة النظر، ووحى اللّظ.

المغنى

أنّ خد الطّبي، إذا سرقت النظر إليه أثبت فيه الورد، وذلك كناية عن كونه يلحقه الخجل، إذا نظر العاشق إليه فيكسو بياض وجنتيه حمرة تحكي احمرار الورد. قال ابن دريد²:

يَصْقُرُ لَوْنِي، [إِذَا تَأَمَّلْتُهُ] طَرَقِي، وَيَحْمَرُّ خَدُّهُ خَجَلًا
حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي بَوَجَّتَهُ مِنْ نَمِ خَدِّي إِلَيْهِ قَدْ تَقَلَّأَ
أحمد بن حنبل³:

مَالِي يَجُورُ الْحَيِيبُ مِنْ قَبْلِ، هَلْ حَاكِمٌ عَالِلٌ، فَيَحْكُمُ لِي؟
حُمْرَةُ خَنْتِيهِ مِنْ نَمِي صَبِغَتْ وَبَدَّعِي أَنَّهُمَا مِنَ الْخَجَلِ

¹ - القاموس المحيط (غرس).

² - لم نجد هذه الأبيات في ديوان ابن دريد.

وهي في ترتيب الأسواق 403-404 منسوبة لابن أبي الحديد:

يصفراً وجهي حين أنظر وجهه خوفاً، ويذكره الحياء فيخجل
فكان ما بخدوده من حمرة ظلت إليها من نمي تنقل

³ - البيتان في ترتيب الأسواق 469 منسوبين لمحمد بن ياقوت.

الصُّنُورِي¹:

ذَاتُ خَدٍّ يَكَادُ يُنْمِيهِ وَهَمٌّ
فِي بَيَاضٍ وَحُمْرَةٍ فَكَأَنَّ قَدْ
مِنْ مُشِيرٍ بِالْجِدِّ أَوْ بِالْمِزَاحِ
صَيْغَ لَوْنًا مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ وَرَاحٍ

تَمِيمُ بْنُ الْمُعْزِ²:

وَرَدُّ الْخُـ لُودٍ أَرْقُ مِنْ
هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأُتُـ
فَإِذَا عَدَلَتْ فَأَفْضَلَ الـ
لَا وَرَدَّ إِلَّا مَاتُوا لـ
سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْخُـ
وَأَعَارَهَا الْأَصْدَاغَ، فَهـ
وَرَدُّ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ
فُ، وَذَا يُقْبَأُ الْفـ
وَرْتَيْنِ وَرَدَّ يُلْـ
سِي صَبَّغَ حُمْرَتِهِ الـ
دَشَقَائِقُ أَتَتْ نَسْـ
سِي بِهِ شَقِيْقٌ مُعْلَمُ

المعاني

عَبَّرَ بِالْمِضَارِعِ فِي (يُنْبِتُ) قَصْدَ الاستمرار والتجدد حيناً فحيناً. وأكد ذلك بلفظة (كلما)
الموضوعة لاستغراق الأحايين، وعموم الأوقات. وزاد قوله: فِي الْخُلْسِ، فكاهة يستحسنها
الذهن السليم لاقتضائها أن الغرس سريع النبات، لأنه ينشأ عن أنون النظر، فكيف لو كان
بالتأمل.

¹ - الروضيات 49 وتزيين الأسواق 469.

² - ديوان تميم بن المعز 386 من قصيدة.

استعار لاحمرار الوجنت الوردة، وذكر البنات مما يلائم المستعار منه. والشعراء يشبهون حمرة الخد بحمرة التفاح وحمرة الخمرة والجمر والنم، قال الطواني¹:

يا طالب الحج، وهو ذو صغر، عجلت، فاستأنبه حتى الكبر
إن كنت تبغي مثوبة، فعسى تخمل لي قبلة إلى الحجر
وإن رميت الجمار، فارم بها كل فؤاد عليك لم يطر
فقال: دعني وزمزمًا، فعسى أغسل عن وختي تم البشر

وقال العباس بن الحسن العلوي:

نادتك من بغض الخور بيض نواعيم كالبثور
خور تخور² إلى صبا ك، بأعين منهن خور
وكأنما برضا بهن من جنى الرحيق من الخور
يصبغن تفاح الخور ديماء رمان الصثور

وما أطرف قول ابن نباتة³ في رمان الصثور:

رب سواداء مقلية هيجت لي ذاء وجدي، أعظم به من ذاء!
ليت رمان نهدها كان يجني فهو بغض اللثا من السواداء

¹ - الأبيات في الشريشي الكبير 95/2. والطناني هو: عبد الكريم بن فضال أبو الحسين القيرواني (انظر

الدخيرة القسم الرابع من المجلد الأول من 219، والحلة السيرة 23/2).

² - تخور: ترجع، حار عن الشيء وإليه: رجع عنه وإليه (اللسان: حور).

³ - في الأصل: لبابة، وهو تصحيف. والبيان لابن نباتة في ديوانه 18.

ويشبه هذا في التلميح بالطَّبَّ قولُ أبي العَرَبِ:

دَبَّ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ ثُمَّ انْتَنَى عَنْ لَثَمٍ مَبْسِمِهِ الْأَكْذَّ الْأَشْنَبِ
لَا غَرَوْ أَنْ خَشِيَ الرَّدَى فِي لَثَمِهِ فَالرِّيْقُ سُمْ قَاتِلٌ لِلْعَقْرِبِ

البديع

فيه التتميم، وهو إتيانُ الشاعرِ بلفظٍ زائدٍ، يُبلِّغه للقافية، وهو على قسمين: قسمٌ لا يفيدُ مَجِيئَهُ إلا إقامةَ الوزنِ، وقسمٌ يفيدُ مع ذلك ضرباً من المحاسن. ومن الثاني قولُ المتنبي¹:

وَحُفُّوقُ قَلْبٍ، لَوْ رَأَيْتَ لَهْيَهُ، يَا جُنَّتِي، لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمََا

فتمم بقوله: "يَا جُنَّتِي"، للوزن مع رعية الطباق. ومنه ما وقعَ لابنِ سهلٍ في قوله: في الخَلَسِ، يتمُّ المعنى بدونه، إلا أنه توصلَ به للقافية، وزادَ به معنى لطيفاً.

ومن القبيح قولُ أبي تمام:

خَذُمَا ابْنَةَ الْفَكْرِ الْمُهَنْدَبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجَانِبِ

فقوله: والليلُ أسودُ.. زيادةٌ مُستهجنةٌ، أغنى عنها لفظُ الدُّجَى.

واعلمُ أن كثيراً من علماء البديع خفيَ عليهم الفرقُ بين التتميم والتكميل، قال زكيُّ الدين ابنُ أبي الإصبع، إمامُ هذه الصناعة: "الفرقُ بينهما، أن التتميمَ يَرُدُّ على المعنى الناقص، فيتمِّمه، والتكميلُ يَرُدُّ على المعنى التامِّ فيكمِّله، إذ الكمالُ اسمٌ زائدٌ على التتميم"². ومن

¹ - ديوان المتنبي 8.

² - خزنة الأدب 212، وفيها: "إذ الكمالُ أمرٌ زائدٌ على التمام" وهو أجود.

التكميل¹ قولٌ كثير²:

لَوْ أَنَّ عَزَّةَ خَاصَمَتِ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ، عِنْدَ مُوَفَّقٍ، لَقَضَى لَهَا

فقوله: عِنْدَ مُوَفَّقٍ، تكميلٌ حسنٌ.

الإعراب

يُنْبِتُ: فعلٌ مضارعٌ. وفاعله ضميرُ الخَدِّ.

والورد: مفعولٌ به.

وبغرسِي: جارٌّ ومَجْرورٌ صلةٌ (يُنْبِتُ).

وكَلَّمَا: منصوبٌ على الظرفية.

ولَحَظْتُهُ مُقَلَّتِي: فعلٌ ماضٍ، وفاعِلٌ، ومفعولٌ.

وفي الخَلْسِ: يتعلّقُ بِـ (لَحَظْتُهُ).

¹ - في الأصل: التتيميم، والصوابُ التكميلُ كما بينَ المؤلفُ في التعليقِ على البيتِ بعد.

² - ديوان كثير 394.

لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ الْوَرْدَ عَلَى الْمُغْتَرَسِ

اللغة

لَيْتَ: حرفُ تمنٍّ إما يُمكنُ وقوعه، أو لا يمكنُ. قال الحلواني¹:

لَيْتَ شِعْرِي، وَلَيْتَ حَرْفُ تَمَنٍّ رَبُّمَا عَلَّلَ الْفُؤَادَ السَّقِيمَا

وشِعْرِي: علمي، يُقال: شعرتُ بكذا، علمته.

والشَيْءُ: معروفٌ، جمعه أشياء، فيه خلافٌ عندَ النحاةِ² يطلبُ من القاموسِ.

وحرَمَ اللهُ كذا: لم يبيحْ انتهاكه. ويقالُ: أحرَمَ الرَّجُلُ، إذا دخلَ في الحرمِ.

وحَكِيَ أنَ الرشيدَ سألَ للكسائي عن قولِ الشاعر³:

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِمًا وَدَعَا، فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ مَخْنُولًا

فَقَالَ لَهُ: ما معنى مُحْرِمًا؟ فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ: كَانَ مُحْرِمًا بِالْحَجِّ. وَنَكَ بِمَحْضَرِ الْأَصْمَعِيِّ

فَأَنكَرَ ذَلِكَ الْأَصْمَعِيُّ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَحْرَمَ بِالْحَجِّ، وَلَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنَّهُ فِي أَشْهُرِ الْحَرَامِ.

¹ - في الشريشي الكبير 89/2. وفيه: "الحلواني القيرواني يتشوف إلى القيروان". وبعده:

كَيْفَ يَا قَيْرَوَانَ، خَالَكَ لَمَّا نَثَرَ الْبَيْنُ سُلُوكِ الْمَنْظُومَا

² - اختلفوا في أصله همزة أو ياء، وجمعه: (القاموس المحيط: شيء).

³ - هو الراعي النميري. والبيت في ديوانه 144، ومجالس العلماء 336.

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: وَمَا أَرَادَ يَا أَصْمَعِي؟ فَقَالَ: يَقَالُ أَحْرَمَ، إِذَا دَخَلَ فِي الْحَرَمِ، كَمَا يَقَالُ أَشْهَرَ، إِذَا دَخَلَ فِي الشَّهْرِ، كَمَا يَقَالُ: أَعَامَ، إِذَا دَخَلَ فِي الْعَامِ. وَهَذَا مِثْلُ مَا أَرَادَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

قَتَلُوا كِسْرَى بِإِيلٍ مُحْرَمًا¹

فَأَيُّ إِحْرَامٍ لِكِسْرَى؟ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: مَا نَطَاقُ فِي الشَّعْرِ أَجْمَعِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَنْتَ [عَرَّضُوا لِلْأَصْمَعِي فِي الشَّعْرِ]².

وَالْمُقْتَرَسُ: الْغَارِسُ.

المعنى

لَمَّا أَبَانَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ، أَنَّهُ الْغَارِسُ لِلْوَرْدِ، فِي رِيَاضِ الْوَجَنَاتِ، وَمَنْ غَرَسَ شَيْئًا فَهُوَ [لَهُ]، عَجَبٌ مِنْ كَوْنِهِ لَا يَجْدُ سَبِيلًا لِقَطْفِ مَا غَرَسَهُ، وَلَمْ يَدْرِ السَّبَبَ الْمَوْجِبَ لِهَذَا الْإِبْعَادِ. وَلابن الفارض في المعنى³:

زَرَعْتُ بِاللَّخْظِ وَرَدًّا فَوْقَ وَجَنَّتِهِ حَقًّا لِيَطْرُقَنِي أَنْ يَجِيئِيَ الَّذِي غَرَسَا

وَقَالَ آخَرُ، وَتَنَسَّبَ لِلْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ⁴:

¹ - تمام البيت:

فَتَوَلَّى لَمْ يَمْتَعْ بِكَفَنٍ

ديوان عدي 178، والمصدر السابق.

² - الراجح أن الإفراني نقل هذه القصة عن أنوار التجلي 94/1، وانظر المصادر المذكورة في مجالس العلماء 336.

³ - ديوان ابن الفارض 177.

⁴ - هو عبد الوهاب علي بن نصر أبو محمد البغدادي فقيه مالكي له نظم ومعرفة بالأدب. ولد ببغداد ومات بمصر سنة 1031/422 (انظر تاريخ قضاة الأندلس 40-41).

يَزْرَعُ وَرَدًا نَاضِيراً نَاطِئِري فِي وَجْةِ كَالْقَمَرِ الطَّالِعِ (الزَّاهِرِ)
فَلِمَ مَنَعْتُمْ شَفَتِي قَطْفَهُ وَالْحُكْمُ أَنَّ الزَّرْعَ لِلزَّارِعِ (البَانِرِ)

وأجاب بعض المغاربة¹:

سَلَّمْتُ أَنَّ الْحُكْمَ مَا قُلْتُكُمْ وَهُوَ الَّذِي نَصَّ عَنِ الشَّارِعِ
فَكَيْفَ تَبْغِي شَفَةَ قَطْفَهُ وَغَيْرُهَا الْمَدْعُو بِالزَّرْعِ

وردَّ عليه الإمام الحافظ أبو عبد الله النَّسَيُّ²:

فِي ذَا الَّذِي قُلْتُكُمْ مَبْحَثٌ إِذْ فِيهِ إِيهَامٌ عَلَى السَّامِعِ
سَلَّمْتُ الْحُكْمَ لَهُ مُطْلَقاً غَيْرُ ذَا نَصٍّ عَنِ الشَّارِعِ

يعني أنه يلزم، على قول المجيب، أن يُباح له النظرُ مطلقاً، والشرعُ خلافه، وأجاب بعض الحنفية³:

لَأَنَّ أَهْلَ الْحُبِّ فِي حُكْمِنَا عَيْنُنَا فِي شَرْعِنَا الْوَاسِعِ
وَالْعَبْدُ لَا مِلْكَ لَهُ عِنْدَنَا فَحَقُّهُ لِلسَّيِّدِ الْمَانِعِ

== والبيتان ينسبان لأبي الفضل الدرامي كما سيأتي غير بعيد نقلا عن نفح الطيب 112/3-113. والبيتان في الشريشي الكبير 148/1.

وزاد في الأصل كلمة (الزاهر) وكلمة (البانر) في نهاية البيتين وكان هناك رواية أخرى للبيتين بهذا الروي.

¹ - نفح الطيب 112/3.

² - المصدر السابق 113/3.

³ - المصدر السابق 113/3.

وهذا جواب حسن. وأجاب بعض المغاربة، ولم يلتزم الروي¹ :

قُلْ لِأَبِي الْفَضْلِ الْوَزِيرِ الَّذِي بَاهَى بِهِ مَغْرِبَنَا الشَّرْقُ
غَرَسَتْ ظِلْمًا وَأَرْكَتَ الْجَنَى وَمَا لِغَرَسِ ظَالِمٍ حَقُّ

قال في نفح الطيب: لراد أبي الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمي، وهذا مما يعين أن
الأبيات المجاب عنها له، وبعضهم ينسبها للقاضي عبد الوهاب المالكي، انتهى². ومن
شعر أبي الفضل³:

دَعَاكَ يَكْرُرُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ دَعَاكَ نَحْوَ الصَّبَا
لَقُلْتُ لِعَيْنَيْكَ: سَمْعًا وَطَاعَةً فَلَوْلَا، وَحَقُّكَ، عَذْرُ الْمَشِيبِ
وله⁴ :

وَالْبَيْتُ بْنُ ضَاقَ عَنْ ثَمَانِيَةِ مُتَسِعٍ بِالْوُدَادِ لِلتَّاسِعِ

وأخذه الشيخ منديل بن أجروم فقال:

بَيْنَ كَرِيمَيْنِ مَنْزِلٌ وَاقِرٌ وَالْوُدُّ شَيْءٌ يُقَرِّبُ النَّاقِرَ
وَالْبَيْتُ، بْنُ ضَاقَ عَنْ ثَمَانِيَةِ مُتَسِعٍ، بِالْوُدَادِ، لِلْعَاشِرِ

¹ - المصدر السابق 11/3-12، 13.

² - الذي علق به المقرئ على الأبيات هو قوله: "وهذا مما يعين أن الأبيات لأبي الفضل الدارمي المذكور في الذخيرة، لا للقاضي عبد الوهاب"، (نفح الطيب 113/3).

³ - المصدر السابق 115/3.

⁴ - قبل هذا البيت:

بين كريمين منزل واسع والود حال تقرب الشاسع

وهما في نفح الطيب 113/3، ونسبهما في الشريشي الكبير 64/2 للتهامي.

وقال ابن الزقاق¹:

أَلَا فَاِنَّ بِنَ ضَاقَ النَّدَى، فَإِنَّهُ
يَضِيقُ الْفَضَا عَنْ صَاحِبَيْنِ تَبَاغَضَا
رَحِيبَ بُودٍ ضُمُنَتْهُ الْأَضَالِغُ
وَسَمُ الْخِيَاطِ، بِالْحَبِيبَيْنِ وَأَسِغُ

ابن الوليد المالقي²:

صَيَّرَ فُؤَادَكَ لِلْمَحْبُوبِ مَنَزِلَةً
وَلَا تُسَامِحْ بَغِيضاً فِي مُعَاشِرَةٍ
سَمُ الْخِيَاطِ مَجَالٌ لِلْمُحِبِّينِ
فَقَلَّمَا تَسَعُ الدُّنْيَا بَغِيضَيْنِ

المعاني

لتي (بليت شعري) تهويلاً للقضية. وأتى باسم الإشارة ظاهراً في موضع المضمرة،
لدعاء لكمال ظهوره، كقول ابن الدمينية³:

قَبِي قَبْلَ وَشَكَ الْبَيْنَ يَابِتَةً مَالِكِ
تَعَالَتْ كَيَّ أُنْجَى، وَمَا بِكَ عِلَّةُ
وَقَوْلُكَ لِلْعَوْلَادِ: كَضِيفَ تَرَوْنَهُ؟
لَنْ سَاعَتِي لَنْ نَلْبِثِي بِمَسَاءَةٍ
وَلَا تَحْرِمِينَا نَظْرَةً فِي جَمَالِكَ
تُرِيدِينَ [قَتْلِي، قَدْ] ظَفِرْتَ بِذَلِكَ
فَقَالُوا: قَتِيلًا. قُلْتَ: لَيْسَ بِهَالِكَ
لَقَدْ سَرَّيْتُ لِي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

¹ - الشريشي الكبير 64/2.

² - البيتان في المغرب 317/1، والشريشي الكبير 64/2 ونفح الطيب 265/3. والمالقي هو غانم بن الوليد بن عمر، أبو محمد المخزومي المالقي، عالم أديب (المصادر السابقة، والمطرب لابن دحية 84).

³ - البيتان الأول والرابع هنا، هما الأول والأخير من قصيدة في ديوان ابن الدمينية تتكون من عشرين بيتاً. وزاد المحقق في الحاشية ثلاثة أبيات بعد البيت الثامن عشر نقلها عن الحماسة البصرية ثانياً وثالثاً هما الثاني والثالث هنا، (ديوان ابن الدمينية 13-14، وورد البيت الأخير وحده في الشريشي الكبير 313/1 وديوان الصبابة 187).

البيان

تَقَدَّمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالرُّودِ وَالْغُرْسِ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ مَجَازٍ.

البديع

فِيهِ التَّوْجِيهُ، وَهُوَ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ احْتِمَالُ الْكَلَامِ وَجْهَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى، مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ لِمَدْحٍ أَوْ نَمٍّ. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ فِي الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، لَمَّا تَزَوَّجَ لِلْمَأْمُونِ ابْنَتَهُ بُورَانَ¹:

بَارَكَ اللَّهُ لِلْحَسَنِ وَيُورَانَ فِي الْخَتَنِ
يَا إِمَامَ الْهُدَى ظَفِرُ نَتٍّ، وَلَكِنْ بِيْنَتٍ مَنْ!

سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْإِمَامَ الشَّهِيرَ، الْعَلَمَةَ النَّحْرِيَّ، جَامِعَ أُسْتَاتِ الْعُلُومِ، فَفِيهِ لِلزَّمَانِ، أَبَا عَلِيٍّ سَيِّدِي الْحَسَنَ بْنَ رَحَالٍ الْمَعْدَانِيَّ، أَنْسَأَ اللَّهَ فِي أَجَلِهِ، يَقُولُ: قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ: سُمِّيَتْ الْبِرَانِيَّةُ الَّتِي تُصْنَعُ مِنَ الْبَانَنْجَانِ بِا[سْمِهَا] نَسْبَةً إِلَى بُورَانَ هَذِهِ، لِأَنَّهَا اسْتَبْطِطَتْ فِي عُرْسِهَا. وَكَانَ عُرْسُهَا حَافِلًا، لَمْ يَسْمَعْ بِمَثَلِهِ فِيمَا سَلَفَ. وَإِلَيْهِ يَشِيرُ قَوْلُ الْأَدِيبِ الْبَارِعِ، عَمْرٍ الْأَنْدَلُسِيِّ صَاحِبِ الْأَرْجَالِ:

لَنَيْكُم مِّنَ الْأَلْوَانِ مَا لَمْ يَجِئْ بِهِ طَهُورُ بْنُ نُّنُونٍ، وَلَا عُرْسُ بُورَانَ²

¹ - انظر خزانة الأدب 98، 169.

والبيان في الشريشي الكبير 198/2 لأبي حازم الباهلي، وهو في الوفيات 1/258-261 (طبعة 1948) محمد بن حازم الباهلي.

² - عمرُ الزجالُ صاحبُ البيتينِ نعتُهُ فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ 40/5 بِالْفَقِيهِ، وَالْبَيْتُ هُوَ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي 83 بَيْتًا.

وهذا البيت من قصيدة مجونية، يقول فيها:

وَنَحْنُ، عَلَى مَا يَغْفِرُ اللَّهُ، إِنَّمَا نَرُوحُ وَنَعْدُو مِنْ رَبَاطٍ إِلَى خَانَ
مَعَ الصُّبْحِ نُضْفِيهَا¹ عَبَاءَ صُفَّةٍ وَقِي اللَّيْلِ نَلْوِيهَا زَنَانِيسَ رُهْبَانِ
أَتُكْرَرُ فِي سَفْحِ الْعُقَابِ مَبِيتَكُمْ ثَمَانِينَ شَخْصاً مِنْ إِنَاثٍ وَتُكْرَرَانِ

والتوجيه عن المتأخرين، أن يوجّه المتكلم مفردات بعض الكلام، أو جملة أسماء متلائمة اصطلاحاً مع² أسماء الأعلام، أو قواعد علوم أو غيرها، توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ، من غير اشتراك. قال ابن أبي الإصبع: هذا لأحقّ بالتسمية بالتوجيه، وأمّا ما ذكرناه عن الأقدمين، فهو من قبيل الإيهام³. ومن التوجيه في الفقه ما كان يتمثل به ابن عبد السلام⁴:

شَرَطْتُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ تَسْلِيمِ مُهْجَتِي وَقَبِلَ تَمَامَ الْبَيْعِ، حَتْمًا يُوَاصِلُوا
فَلَمَّا أَرَنْتُ الْأَخْذَ بِالشَّرْطِ أَعْرَضُوا وَقَالُوا: يَصِيحُ الْبَيْعُ، وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ

عبد الوهاب⁵:

وَنَائِمَةٌ قَبَّلَتْهَا فَتَنَبَّهَتْ وَقَالَتْ: تَعَالَوْا فَاطْلُبُوا اللَّصَّ بِالْحَذِّ

وقال في نفح الطيب 440/1 متحدثاً عن بني ذي النون ملوك طليطلة: "ولهم الإعذار المشهور، الذي يقال له "الإعذار الذنوني" وبه يضرب المثل عند أهل المغرب، وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق، والمأمون بن ذي النون هو صاحب ذلك".

¹ - في الأصل: مصفيها، وما أثبتناه عن نفح الطيب 44/5.

² - في الأصل: مثلاً اصطلاحاً من... وما أثبتناه عن خزنة الأدب 169.

³ - نقل هذا الكلام عن المصدر السابق بتصريف.

⁴ - في أنوار التجلي 129/1: "وأشدّ ابن عبد السلام التونسي في مجلس تدريسه، وقد جرى ذكر البيع والشرط بين يديه".

⁵ - أنوار التجلي 130/1. وفي معاهد التنصيص 48/4: "القاضي عبد الوهاب المالكي" وسبقت ترجمته.

قُلْتُ: فَتَنَّاكَ النَّفْسُ إِيَّيَ غَاصِبٌ وَمَا حَكَمُوا فِي غَاصِبٍ بِسِوَى الرَّدِّ

وقال ابن جابر¹:

طَلَبْتُ زَكَاةَ الْحُسْنِ مِنْهَا فَجَاوَيْتُ إِلَيْكَ، فَهَذَا لَيْسَ تُذَرِكُهُ مِنِّي
عَلَيَّ ثِيُونَ لِلْعُيُونِ، فَلَا تَرُمُ زَكَاةَ فَلَانَ الَّذِي يَنْسُقُهَا عَنِّي

ومن أظرف التوجيه في علم النحو، ما ينكر أنه كان بالعراق عاملان، اسم أحدهما عمر، والآخر أحمد، فعزل عمر من عاملته، واستقر مكانه أحمد بسبب مال وزنه، فقال بعضهم في ذلك²:

أَيَا عُمَرَ اسْتَعِدَّ لِغَيْرِ هَذَا فَأَحْمَدُ فِي الْوِلَايَةِ مُطْمَئِنُّ
فَيَصْنُقُ فِيكَ مَعْرِفَةً وَعَدْلُ وَأَحْمَدُ فِيهِ مَعْرِفَةٌ وَوَزْنُ

ابن عيين في قاض عزل، وكان غير محمود السيرة³:

فَلَا تَغْضَبَنَّ إِذَا مَا صُرِفْتَ وَلَا عَدْلُ فِيكَ وَلَا مَعْرِفَةٌ

خاتمة في التوجيه بوجه جميل

قال الثعالبي في الأنوار⁴: التوجيه على قسمين: قولِي وفعلِي، فالأول كقول من قال لآخر وقت المساء: عِمَّ صَبَاحًا:

¹ - هو ابن جابر الأندلسي (معاهد التنصيص 148/4).

² - البيتان في خزنة الأدب 174.

³ البيت في المصدر السابق.

⁴ - أنوار التجلي 128.

وَقَدْ أَرَحْتَ لَنَا الظَّلْمَاءَ جُنْحًا
الَّذِينَ اللَّيْلُ حِينَ طَلَعْتَ [صُبْحًا]

أَقِمْ عُذْرِي بِقَوْلِكَ: عِمَّ صَبَاحًا
وَهَبْنِي قَدْ أَسَأْتُ بِذَلِكَ عَمْدًا

ومنه فيمن قال في الصباح: عِمَّ مَسَاءً¹:

وَقَدْ بَدَتْ لِلوَرَى ذُكَا
فَيَوْمُهُ كُلُّهُ مَسَاءً

إِنْ قُلْتُ فِي الصُّبْحِ: عِمَّ مَسَاءً
فَلَا تَلَمْ عَاشِقًا كَثِيبًا

والطف منه ما روينا أن ابن عبد المنان الكاتب دخل على السلطان² فصبح عند المساء،
فقال له: أنت سكران! فأنشد بديهة:

مَاذَا الْكَلَامُ؟ وَظَنَّ ذَلِكَ مِرَاحًا
حَتَّى تَوَهَّمْتُ الْمَسَاءَ صَبَاحًا

صَبَحْتُهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، فَقَالَ لِي:
فَأَجَبْتُهُ: إِشْرَاقُ وَجْهِكَ غَرَّيَ

والثاني كقول أبي بكر بن قرمان³:

مَا مِلْتُ، لَكِنِّي مَالَتْ بِي الرَّاحُ
فَكُلُّ مَنْ فِيكُمْ فِي الْبَيْتِ مُصْبِحُ

يَا أَهْلَ ذَا الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ سُرْلِقُهُ
فَإِنْ أَكُنْ مُطْفِئًا مُصْبِحًا بَيْتِكُمْ

آخر في المعنى⁴:

¹ - المصدر السابق.

² - المقصود يحيى بن أحمد بن عبد المنان، وليس الأب أحمد بن عبد المنان كما قد يتبادر إلى الذهن،
لشهرة الأب بالكتابة والشعر، وقد سبقت ترجمته. والسلطان المعنى، هو أحمد بن أبي سالم الميريني (انظر
جذوة الاقتباس 124/1-125).

³ - أنوار التجلي 128/1.

⁴ - المصدر السابق.

لَأَنَّ السَّارَّاجَ تَرِينَا غُرَّةً سَفَرَتْ مِنْ أَجْلِهَا الشَّمْسُ تَسْتَحْيِي وَتَسْتَتِرُ
لَوْ خَلَّه فَكَفَانَا وَجْهَ سَيِّدِنَا لَا يَطْلُبُ الضُّوءَ مَنْ فِي بَيْتِهِ الْقَمَرُ

الإعراب

ليت: حرف تمنٍ.

وشعري: اسمُ ليتٍ مُضافٌ لِيَاءِ المتكلمِ. وخبرُ ليتٍ محذوفٌ، أي حاصلٌ أو كائنٌ.

وأيُّ شيءٍ: مبتدأ.

وجملَةٌ حرَّم: من الفعلِ والفاعلِ: خبرُ المبتدأ.

وذلك الورد: مفعولُ حرَّم.

أُنْفَذَتْ نَمْعِي نَارَ فِي ضِرَامٍ تَلْتَظِي فِي كُلِّ حِينٍ مَتَشًا¹

اللغة

نَفَذَ، بالذال المهملة كَسَمِعَ، نَفَادًا وَنَفْدًا: فَنِيَ وَذَهَبَ، وَأَنْفَذَهُ: أَفْهَاهُ². وَأَمَّا النَفَازُ بِالدالِ
المعجمة، فَجَوَازُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ وَالْخُلُوصُ مِنْهُ كَالنَّفُوضِ.

وَالنَّارُ مَعْرُوفَةٌ، مُؤَنَّثَةٌ، وَقَدْ تُتَكَرَّرُ.

تنبيه

نَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْثُمِي فِي شَرْحِ الْهَمْزِيَةِ أَنَّ النَّارَ وَاوِيَةُ الْعَيْنِ³، وَيَشْهَدُ لَصَحَّةِ ذَلِكَ
قَوْلُهُمْ: تَنَوَّرْتُهَا، وَفِي الْجَمْعِ أَنْوَارٌ وَنِيرَانٌ، وَأَصْلُ نِيرَانٍ نَوْرَانٌ، فَقَلْبَتِ الْوَاوُ يَاءً لَوْقُوعِهَا
إِثْرَ كَسْرَةِ كَمِيزَانٍ، وَلَابِنِ صَارَةٍ فِي وَصْفِ النَّارِ⁴:

كَالدَّرَارِي، فِي لَيْلَةِ الظُّلُمَاءِ	لَا تَبْنَةُ الزُّنْدِ فِي الْكَوَاثِينِ جَمْرٌ
الَّذِيهَا صِنَاعَةُ الْكِيمِيَاءِ	خَبَرُونِي عَنْهَا وَلَا تَكْنِيُونِي
صَبَّغَتْهُ بِالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ	سَبَكْتَ فَحَمَهَا سَبَائِكَ تَبَرٌ
رَقَصَتْ فِي غِلَالَةِ حَمْرَاءِ	كُلَّمَا وَلَوِ النَّسِيمُ عَلَيْهَا

¹ - ديوان ابن سهل 286.

² - القاموس المحيط (نفذ).

³ - شرح الهمزية 31.

⁴ - الأبيات في الشريشي الكبير 281/2 ونفع الطيب 442/3

سَفَرْتُ عَنْ جَبِينَهَا فَأَرْتَنَا
لَوْ تَرَانَا مِنْ خَلْفِهَا قُلْتُ: قَوْمٌ
حَاجِبَ الشَّمْسِ طَالِعاً بِالْعِشَاءِ
يَتَعَاطُونَ أَكْوُسَ الصَّهْبَاءِ
وَقَالَ ابْنُ لُبَّالٍ¹:

فَخَمَّ نَكَافِي حَشَاهُ جَمْرٌ
لَوْ خَذَ مَنْ قَدْ هَوَيْتُ لَمَّا
فَقُلْتُ: مِسْكٌ وَجُلَانُ نَارُ
أَطْلَ مِنْ فَوْقِهِ الْعِذَارُ
وَقَالَ ابْنُ صَارَةَ²:

شَابَتْ نَوَاصِي النَّارِ بَعْدَ شَبَابِهَا
[وَأَجَازَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ³]:
وَتَسْتَرَّتْ عَنَّا بِثُوبٍ رَمَادُ

شَابَتْ كَمَا شَيْئًا وَزَالَ شَبَابُنَا
وَلَأَبِي حَيَّانٍ فِي مَلِيحٍ فَحَامٍ⁴:

وَعَلِقَتْهُ مُسْوَدَّ عَيْنٍ وَوَقْرَةٍ
وَتَوْبٍ يُعَانِي فِي صَنْعَةِ الْفَحْمِ عَنْ قَصْدٍ

¹ - في الأصل: ابن لنال. وفي شريشي الكبير 281/2، ونفح الطيب 442/3: الفقيه الأديب ابن لبّال.
قلت: ولعله أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح، وهو لبّال بن أمية، أنشد ابن دحية، وترجم له هذا الأخير، ونقل نماذج من شعره في المطرب 97.
والبيتان في الشريسي الكبير 281/2، ونفح الطيب 442/3.
وفي الأصل: ذكت، وما أثبتناه عن نفح الطيب، وفي الشريسي الكبير: ذكت في حشاه نار.
² - في الأصل: ابن العربي، وهو خطأ. (انظر أزهار الرياض 88/3، ونفح الطيب 31-30/2).
³ - زيادة ضرورية، مستوحاة من المصدرين السابقين.
⁴ - ديوان أبي حيان 440-441.

كَأَنَّ خُطُوطَ الْفَخْمِ فِي وَجَنَاتِهِ
وَلابن جُرج فِي أَسْوَد¹:

رُبَّ ابْنٍ لَيْلَ سَقَانَا
وَوَظَلَّ يَسْنُوْدُ لَوْنَا
كَأَنَّهُ كُنْسُ فَخْمٍ
وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ غُرَّةَ
وَالْكَأْسُ تَسْطَعُ خُمْرَةَ
قَدْ أَوْقَنْتَ مِنْهُ جَمْرَةَ

ابن تميم²:

كَأَنَّمَا نَارُنَا، وَقَدْ خَمَنْتَ
نَمْ جَرَى مِنْ فَوَاحِشٍ³ نُبَحَّتْ
وَلَكَّ: وَجَمْرُهَا بِالرَّمَادِ مَسْتَوْرُ
مِنْ فَوْقِهَا رِيشُهُنَّ مَذْثَوْرُ

كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْهُبِهَا
زَنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أُنَامِلَهَا
وَالْفَخْمُ مِنْ فَوْقِهَا يُغْطِيهَا
مِنْ فَوْقِ نَارِنَجَةٍ⁴ لِتُخْفِيهَا

ويقال: تَوَرَّتْهَا أَي نَظَرْتُ لِنَارِهَا. وَعَلَيْهِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ⁵:

تَوَرَّتْهَا مِنْ أُنْرَعَاتٍ وَأَهْلُهَا
بِيْثْرِبٍ لَأَنِّي ذَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ

¹ - الأبيات في الغيث المسجم 256/1، ولعل ابن جرج المقصود هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن جرج المعروف بابن الذهبي، فيلسوف طبيب له مشاركة في الأدب، لقيه ابن سعيد بمراكش. (المغرب 102/2).

² - المصدر السابق، ومعاهد التنصيص 102/2.

³ - الفواخت: جمع فاختة، وهي ضرب من الحمام المطوق (اللسان: فخت).

⁴ - النارنج: نوع من الليمون.

⁵ - ديوان امرئ القيس 31. (رواية الأصمعي).

ومعنى هذا البيت من العوائص. وقد استصعبه جماعة من أشياخنا. ورأيت بخط الشيخ الأديب حامل لواء البلاغة بعصرنا، أبي عبد الله سيدي محمد بن زكور الفاسي¹، رحمه الله، في تفسير معناه ما ملخصه، أن يكون (أنتى): فعل ماضٍ، و"دارها" بالنصب: مفعول به. [ونظـ]ر عالٍ: فاعل. والمعنى: قَرَّبَ دارها مني، وإن كانت بعيدة، تفكيري في محاسنها البديعة، وجولان خاطري في جمالها، فأراد بالنظر العالي نظراً للوهم والخيال، انتهى. وهذا الذي نكره في معنى البيت حسن لو ساعدته الرواية. والذي نكره ابنُ خروفٍ في إعراب الأشعار الستة² أن (دارها) بالجر مضاف إليه ما قبله. ولم يزد على هذا، فليأمل.

رجع. وضرمت النار كفـرحت: اشتعلت، وأضرمتها وضرمتها واستضرمتها: أوقدها.

و"الظي كالفتى: النار، أو لهيئها، لظيت كـرضيت لظي، والتظت وتظت: تلهبت"³.

"والحين بالكسر [الدهر⁴] أو وقت مبهم، يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر، يكون سنة أو أكثر".

وشاء الشيء: أَرادَه، والمشيئة: المحبة.

المعنى

أنَّ بين ضلوعي من لواجج الاشتياق ناراً مؤجَّجة، أحرقت ضلوعي، وأفتت ثموعي،

¹ - محمد بن قاسم المشهور بابن زكور الفاسي (1190هـ-1708م) له مؤلفات في الأدب (انظر كتابنا الإفراني ص 67-68).

² - في الأصل و(ج): الست.

³ - القاموس المحيط (الظي).

⁴ - زيادة من المصدر السابق (حين).

وجفت حرارتها ماء جفوني، لأن الحرارة جفافة للنداوة، فهي في كل وقت تلتهب بإرادتها.
وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى. ولا يعجبني في هذا المعنى إلا قول الشيخ عبد الوهاب
المالقي¹:

كَأَنَّ فُؤَادِي وَطَرَقِي مَعَا هُمَا طَرَفَا غُصْنٍ أَخْضَرِ
إِذَا اشْتَعَلَ النَّارُ فِي جَانِبٍ جَرَى الْمَاءُ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ

ابن رشيق²:

إِنْ كُنْتَ تُكْرِهُ مَا مِنْكَ ابْتُلَيْتُ بِهِ وَأَنْ بُرءَ سَقَامِي عَزَّ مَطْلُبُهُ
أَشِيرُ بِعُودٍ مِنَ الْكِبْرِيتِ نَحْوَ فَمِي وَأَنْظُرُ إِلَى زَفَرَاتِي كَيْفَ تُلْهِبُهُ

المعني

نَوْنٌ (نارٌ) ونكرها لقصد التّفخيم. وأكّد ذلك بالطرف³، وفيه ما لا يخفى من الجمع بين
الضّرَام والتلطي، رغبة في الاستعطاف، وإظهاراً للشكاية.

البيان

أطلق النار على ما يجده في قلبه من مضاضة الهجران، توسعاً. وأتى بالتلطي
والاشتعال تقريباً لجانب الاستعارة.

¹ - نفع الطيب 60/2.

² - ديوان ابن رشيق 33، والشريشي الكبير 251/2.

³ - في الأصل: بالطرف، وهو تصحيف.

فيه التكتيتُ بالتاءِ المثناة. وحقيقته عُرْفًا، أن يقصدَ المتكلمُ إلى الشيءِ بالإنكرِ، دونَ أشياءَ كلها تسدُّ مسددهً، لولا نكتةٌ في ذلك الشيءِ المقصودِ تُرجِّحُ اختصاصه بالإنكرِ. ومن أمثاليته قوله تعالى: "وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرِ"¹، فخص الشعرَ لأن من العربِ من عبَّها. ومنه قولُ ابنِ الزقاق²:

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنِّي مُسْلِمٌ حَنِيفٌ، وَلَكِنْ خَيْرُ أَيَّامِي السَّبْتُ

فخصَّ هذا اليومَ لأنه ظفرَ فيه بالمحبوب. ولبعضهم في المعنى:

تَخَيَّرْتُ الْيَهُودَ السَّبْتَ حَقًّا وَقُلْنَا فِي الْعَرُوبَةِ³ يَوْمٌ عِيدٌ
فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ السَّبْتُ فِينَا أَطْلَلْتُ لِسَانَ مُحْتَجِّ الْيَهُودِ

قلت: في هاتين⁴ المقطعتين اللقبُ البديعي المسمى بالتغايرِ، وهو عبارةٌ عن تلطفِ الشاعرِ بمدحِ ما كانَ نمئه، أو نمَّ ما كانَ مدحه هو أو غيره، كقولِ بعضهم:

قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى بُغْضِ (لَا) وَلَسْتُ أَنْسَى أَبَدًا حُبَّ (لَا)
لَأَنْزِي قُلْتُ لَهُ: سَيِّدِي تُحِبُّ غَيْرِي، أَبَدًا، قَالَ: لَا

وألطفُ منه قولُ أبي القاسمِ السُّهيلي:

¹ - سورة النجم 49/53.

² - البيهقي في المطرب 105 ونفع الطيب 19/4، 300.

في الأصل: حنفي، وهو غلط، والتصويب من المطرب ونفع الطيب.

³ - العروبة: يوم الجمعة.

⁴ - في الأصل: و(ج): هذين، وهو غلط.

لَمَّا أَجَابَ بِلَا، طَمِعْتُ بِوَصْلِهِ
وَكَذَا نَعَمْ بِنَعِيمٍ وَصَلِ أَذْنَتُ،
وَقَالَ الطُّغْرَايُ¹:

مَنْ خَصَّ بِالشُّكْرِ الصَّدِيقَ فَإِنِّي
جَعَلُوا التَّنَافُسَ فِي الْمَعَالِي نِيْلِي
وَتَعَوُّوا إِلَيَّ مَعَارِبِي فَحَذِرْتُهَا
وَلَرُبَّمَا انْتَفَعَ الْفَتَى بِعَدُوِّهِ
أَحْبُو بِخَالِصِ شُكْرِي الْأَعْدَاءَ
حَتَّى امْتَطَيْتُ بِنُغْلِي الْجَوْرَاءَ
وَتَفَيْتُ عَنْ أَخْلَاقِي الْأَقْدَاءَ
وَالسُّمُّ، أُخْيَانًا، يَكُونُ شِفَاءً
أَخْذَهُ أَبُو حَيَّانٍ فَقَالَ:

عِدَاتِي لَهُمْ، فَضَلَّ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ.

...البيتين²

ومن التغيير رسالة السيف والقلم التي أملاها جمال الدين ابن نباتة، ونقلها الحجازي وابن
أبي حجلة³ وغيرهما. وأبيات المغامرة كثيرة، والشعر كما قال ابن الرومي⁴:

¹ - الأبيات في نفح الطيب 290/3.

² - البيتان هما:

عِدَاتِي لَهُمْ فَضَلَّ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فلا أذهب الرخمان عَنَّا الْأَعْدَايَا
هُمْ بَحْثُوا عَنْ زِلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَاكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وهما في ديوان أبي حيان 415/5، ونفح الطيب 290/3.

³ - انظرها في خزانة الألب فلعل الإفراني سها فوضع ابن أبي حجلة بدل ابن حجة.

⁴ - ديوان ابن الرومي 1144/3 (تحقيق حديث نشر) وفيه: ترجيح لقائله.. بعض تغييره.

ومجاج النحل: هو العسل

فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْوِيرٌ لِبَاطِنِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَغْيِيرِ
تَقُولُ: هَذَا مُجَاغُ النَّخْلِ تَمْنَحُهُ وَلَئِنْ نَمَمْتَ، فَقُلْ: قَيْءُ الزُّنَابِيرِ
مَذْحٌ وَتَمٌّ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ وَاحِدَةٌ إِنَّ الْبَيَانَ يُسْرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ

الإعراب

أُفْدَ: فعلٌ ماضٍ.

وَنَمَعِي: مفعولٌ به مضافٌ لِيَاءِ المتكلم. وما ألقى قولَ سعدِ الدينِ ولَدِ ابنِ العربي
الحاتمي:

لِي حَبِيبٌ بِالنَّحْوِ أَصْبَحَ مُغْرَى فَهُوَ مِنِّي بِمَا أَعَانِيهِ أَنْزَى
قُلْتُ: مَاذَا تَقُولُ حِينَ تُنَادِي يَا حَبِيبِي، الْمُضَافُ نُونُكَ جَهْرًا
قَالَ لِي: يَا غَلَامُ، أَوْ يَا غَلَامِي! قُلْتُ: لَبَّيْكَ ثُمَّ لَبَّيْكَ عَشْرًا

ونارٌ: فاعلٌ.

وفي ضميرٍ: وصفٌ له.

وتَلَنَظِّي: فعلٌ مضارعٌ.

وضميرُ النارِ فاعلهُ.

وفي كلِّ حينٍ: يتعلَّقُ بهِ.

وما: مصدريةٌ لا غيرُ، أي مَشِينَتَهَا.

هِيَ فِي خَدْيِهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ وَفِي ضَرْوٍ وَحَرِيْقٍ فِي الْحَشَا¹

اللغة

قال في القاموس: "هي، وبسُدُّ، كناية عن الواحد المؤنث، وقد تحذف ياءه فيقال هـ"². والخد: معلوم.

والبرد: ضد الحر، ويُطلق على الموت، ومنه: "لَا يَذْوُقُونَ فِيهَا بَرْدًا"³، وذكر العزيري أن البرد في الآية أريد به النوم⁴، قال: وفي المثل: "منع البرد البرد"⁵.

والسلام: السلامة، أي الخلو من التهلكة، ولهذا سميت الجنة دار السلام، أو لأن الملائكة يسلمون فيها على المؤمنين. ونهر السلام: دجلة. ومدينة السلام: بغداد، وفيها يقول القاضي عبد الوهاب:

وَفِي بَغْدَادَ سَادَاتٌ كِرَامٌ وَلَكِنْ بِالسَّلَامِ بِلَا طَعَامِ
فَمَا زَادُوا الصَّدِيقَ عَلَى سَلَامٍ لِهَذَا سُمِّيَتْ دَارَ السَّلَامِ

وفيه أيضاً يقول⁶:

¹ - ديوان ابن سهل 286.

² - القاموس المحيط (هـ)، وفيه: "... فيقال: حَتَاو فعلت ذلك".

³ - سورة النبأ 24/78.

⁴ - في القاموس المحيط (برد): "والبرد: النوم، ومنه "لَا يَذْوُقُونَ فِيهَا بَرْدًا".

⁵ - لم أعثر على هذا المثل في المصادر المعتمدة عندي في موضوع الأمثال.

⁶ - البيتان وحديثهما في الشريشي الكبير 189/2 والغيث المسجم 68/1-69.

بَغْدَادُ دَارٌ لِأَهْلِ الْمَالِ طَيِّبَةٌ وَلِلْمَقَالِيسِ دَارُ الضُّكِّ وَالضَّيِّقِ
أَقَمْتُ فِيهَا مُضَاعَاً بَيْنَ سَاكِنِهَا كَأَنِّي مُصْنَفٌ فِي بَيْتِ زَنْدِيقِ

وسببُ قوله ذلك، أنه لما ضاقت عليه المعيشة في بغداد خرج قاصداً مصرَ، فشيعةُ أربعمئةٍ مُحَنِّكٍ، فقالَ لهمْ لَمَّا ودَّعَهُمْ: لو وجدتُ بينَ ظَهْرَانِيكُمْ رَغِيفِينَ كُلَّ غَدَاةٍ وَعَشِيَةٍ مَا فَارَقْتُ بَغْدَادَ. ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا اسْتَوَظَنَ مِصْرَ بَسَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ الرِّزْقَ. حَكَى السُّيُوطِيُّ فِي حُسْنِ الْمَحَاضِرَةِ أَنَّ بَعْضَهُمْ دَخَلَ عَلَى الْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ نَعْلَ زَوْجَتِهِ مِنْ خَالِصِ الذَّهَبِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ، وَهُوَ يَجُودُ بِرُوحِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ! عِنْدَمَا عَشَا مِتْنَا.

وَالضَّرُّ: ضِدُّ النِّفَعِ، وَالضَّرَرُ: سُوءُ الْحَالِ.

وَالْحَرِيقُ: التَّهَابُ النَّارِ.

وَالْحَشَا: مَا دُونَ الْحِجَابِ مِمَّا فِي الْبَطْنِ مِنْ كِبِدٍ وَطَحَالٍ وَمَا تَبَعَهُ. أَوْ مَا بَيْنَ صُلْعِ الْخَلْفِ الَّتِي فِي آخِرِ الْجَنْبِ إِلَى الْوَرَكِ وَظَاهِرِ الْبَطْنِ.

سُؤَالٌ حَسَنٌ: كَيْفَ تَكْتُبُ الْحَشَا، هَلْ بِالْأَلْفِ أَوْ بِالْيَاءِ فِي آخِرِهِ؟

جوابه: أَنْ تَعْتَبِرَ الْقَاعِدَةَ الْمَقْرُورَةَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْخَطِّ، وَهِيَ: أَنْ تَنْظُرَ فِي الْأَلْفِ الَّتِي ¹ فِي الْإِسْمِ الثَّلَاثِيِّ الْمَقْصُورِ، فَإِنْ كَانَتْ مُنْقَلِبَةً عَنْ وَائٍ كُتِبَ ذَلِكَ الْإِسْمُ بِالْأَلْفِ، وَإِنْ كَانَتْ عَنْ يَاءٍ فَبِالْيَاءِ. وَهَذَا أَوَّلُ لَا يَنْكَسِرُ قِيَاسُهُ، وَلَا يَهْيِ أَسَاسُهُ. وَيُعْتَبَرُ ذَلِكَ [فِي] التَّصْرِيفِ فِي التَّنْثِيَةِ وَالْجَمْعِ، وَتَصْرِيفِ الْفِعْلِ الْمَأْخُوذِ مِنْهُ. فَعَلَى هَذَا يَكْتُبُ الْعَصَا وَالْقَفَا بِالْأَلْفِ، لِقَوْلِهِمْ فِي الْفِعْلِ: عَصَوْتُ وَقَفَوْتُ، وَعَصَوَانٍ وَقَفَوَانٍ، وَيَكْتُبُ الْحِمَى وَالْحَصَى وَالْحَشَى بِالْيَاءِ ² لِقَوْلِكَ فِيهَا:

¹ - وفي الأصل: الذي، وهو غلط.

² - هكذا نص في الأصل على أنها بالياء ثم كتبها (المؤلف أو الناسخ) بالألف.

حَمَيْتُ وَحَصَيْتُ، وَحِمَايَ وَحَصَايَ وَحَشِيَانِ. وَإِنْ زَادَ الْمُقْصُورُ عَلَى الثَّلَاثَةِ كَتَبَ بِالْيَاءِ مُطْلَقًا، كَمَلَهَيَّ وَمَرَمَيْ وَمَشَى، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَبْلَ آخِرِهِ يَاءٌ، فَيَكْتُبُ بِالْأَلْفِ لئَلَّا يَجْمَعَ بَيْنَ يَاعَيْنَ، كَعَلِيًّا وَدُنْيَا، إِلَّا يَحْيَى إِسْمًا فَيَكْتُبُ بِالْيَاءِ، لِلْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَحْيَا فِعْلًا.

وَحُكْمُ مَا يُكْتُبُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمُعْتَلَةِ بِالْأَلْفِ وَالْيَاءِ، مِثْلُ حَكَمِ الْأَسْمَاءِ الْمُقْصُورَةِ. قَالَ الرَّئِيسُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ الْحَرِيرِيُّ: وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ مِمَّا يَخْبُطُ فِيهَا الْخَوَاصُّ خَبَطَ عَشَوَاءً¹.

المعنى

أَنْ فَعَلَ النَّارَ الَّتِي أَظْهَرْتُ الشَّكَايَةَ بِهَا جِزْعًا مِنْ لَذْعِهَا لِلْفُؤَادِ عَجَبٌ، وَذَلِكَ أَنَّهَا فِي رَوْضٍ وَجَنَاتٍ الطَّيْبِ نَارُ الْخَلِيلِ، الَّتِي قَالَ لَهَا الْجَلِيلُ: "كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا"²، وَفِي شِغَافِ أَضَالَعِي نَارٌ تَرْمِي بِشَرَرٍ³، مَعَ أَنَّ النَّارَ شَيْءٌ وَاحِدٌ جَمَعَ بَيْنَ الضَّرَرِ وَالنَّفْعِ، وَالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ مِمَّا جَرَى كَمَاةُ الْبِرَاعَةِ فِي رِهَانِهِ. قَالَ ابْنُ سَنَاءِ الْمَلِكِ مِنْ قَصِيدَةٍ⁴:

دَنَوْتُ وَقَدْ أَبْدَى الْكَرَى مِنْهُ مَا أَبْدَى	فَقَبَّلْتُهُ فِي الْخَدِّ تَسْعِينَ أَوْ إِحْدَى
وَأَبْصَرْتُ فِي خَدِّيهِ مَاءً وَخُضْرَةً	فَمَا أَمْلَحَ الْمَرْعَى وَمَا أَعَذَّبَ الْوَرْدَا
تَلَهَّبَ مَاءُ الْخَدِّ، أَوْ سَالَ جَمْرُهُ	فَيَا مَاءُ، مَا أَذْكَى! وَيَا جَمْرُ، مَا أَتْدَى!
وَفِي الْقَلْبِ نِيرَانُ الْخَلِيلِ تَوَقَّدَتْ،	وَمَا دَقْتُ مِنْهَا لَا سَلَامًا وَلَا بَرْدًا ⁵

¹ - درة الغواص 129-130 بتصرف.

² - صلة الآية: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ". (سورة الأنبياء 69/21)

³ - يشير إلى الآية: "إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ"، (المرسلات 32/77).

⁴ - الأبيات 1، 2، 3، 13 من قصيدة في ديوان ابن سناء الملك 206.

⁵ - اقتباس من الآية: "لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا سَلَامًا". (سورة النبأ 24/78).

حَسَنُ الزَّغَارِي، وَمَا أَحْسَنُهُ:

وَأَفَى كِتَابِكَ، يَا خَلِيلِي، بَعْدَمَا
لَكِنْ أَرَى نَارَ اشْتِيَاقِي لَمْ تَكُنْ
حَكَمْتُ عَلَيَّ بِبُعْدِكَ الْإِيَّامُ
بَرْدًا عَلَيَّ، وَفِيهِ مِنْكَ سَلَامٌ

وَقَالَ ابْنُ قِرْنَاصٍ¹:

وَوَجَبَتْ قَدْ غَدَتْ كَالْوَرْدِ حُمُرُهَا
كَأَنَّ مُوسَى، كَلِمَ اللَّهِ، أَقْبَسَهَا
وَأَشْبَهَ الْأَسَّ ذَاكَ الْعَارِضُ النَّضِرُ
نَارًا، وَجَرَّ عَلَيْهَا ذَيْلُهُ الْخَضِرُ

وَأَحْسَنَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْقَوَاطِيَةِ²:

قُمْ فَاسْقِنِيهَا عَلَى الْوَرْدِ الَّذِي فَغَمَّا
كَأَنَّمَا ارْتَضَعَا خِلْفِي سَمَائِهِمَا
كَأَنَّ ذَا طَلِيَّةٍ نُضِئَتْ لِمُعْتَرِضٍ
أَوَّلًا، فَذَاكَ أَنَابِيْبُ اللَّجَيْنِ، وَذَا
وَبَاكِرِ السَّوْسَنِ الْغَضَّ الَّذِي نَجَمَا
فَارْضَعَتْ لَبَنًا هَذَا وَذَاكَ دَمًا
وَذَاكَ خَذُّ غَدَاةِ اللَّيْنِ قَدْ لَطَمَا
جَمْرُ الْغَضَا حَرَكْتُهُ الرِّيحُ فَاضْطَرَمَا

إِفَادَةٌ

قَالَ فِي دَرَةِ الْغَوَاصِ: السَّوْسَنُ يَفْتَحُ السَّيْنَ كَكَوْتَرٍ وَجَوْهَرٍ، وَالْخَوَاصُ يُوْهَمُونَ فَيُضْمَوْنَ
السَّيْنَ، وَلَمْ يُسْمَعْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فُوعَلَ إِلَّا جَوْدَرٌ³، وَبَنَى عَلَى هَذَا مَنْ قَالَ:

¹ - البيهقيان في تزيين الأسواق 493.

وفي الأصل: ذلك، وهو خطأ، والتصويب عن تزيين الأسواق.

² - الأبيات في رفع الحجب 153/1 ودرة الغواص 78.

في الأصل: نعمًا، وأثبتنا ما في رفع الحجب. وفي درة الغواص: فعما بالعين المهملة.

فغم الورْد: تفتح. ونجم: ظهر وطلع. والخلف: حلمة ضرع الناقة. والطلية: العنق. أو أصله. والنص: الإظهار، ونص الشيء: أظهره.

لَمْ يَكْفِكَ الْهَجْرُ فَأَهْنَيْتَ لِي تَقَاوُلًا بِالسُّوءِ لِي سَوْسَنَةً
أَوَّلَهَا سُوءٌ، وَبَاقِي اسْمِهَا يُخْبِرُ أَنَّ السُّوءَ يَبْقَى سَنَةً

ومن معنى قول ابن سهل قول ابن العفيف¹:

وَعْيُونَ أَمْرَضَنَ جِسْمِي وَأَضْرَمَ — مِنْ بَقْلِي لَوَاعِجَ الْبَلْبَالِ
وَحُدُودٍ مِثْلَ الرِّيَاضِ زَوَاهِ مَا لِلْأَيَّامِ حُسْنُهَا مِنْ زَوَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا، عَلِمَ اللَّهُ — وَأَنِّي بَحْرَهَا الْيَوْمَ صَالِي

ووعد ابن رشيقي محبوبه أن يكون عنده يوم عيد، فصلّى وارْتَقَب، فإذا السماء قد
أرعدت وأبرقت فكتب إليه²:

تَجَهَّمُ الْعِيدُ وَأَنهَلْتُ مَدَامِعُهُ وَكُنْتُ أَعْهَدُ مِنْهُ الْبِشْرَ وَالضَّحْكَ
كَأَنَّهُ جَاءَ يَطْوِي الْأَرْضَ مِنْ بُعْدٍ شَوْقًا إِلَيْكَ فَلَمَّا لَمْ يَجِدْكَ بَكَى

¹ - ديوان الشاب الطريف 55. والثالث من هذه الأبيات هو للحارث بن عباد البكري من أبطال حرب
البسوس في الجاهلية، قاله في هذه الحرب، وصلة البيت قبله:

قَرَبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِخْتُ حَرْبَ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا.....

(انظر الأصمعيات 71). وقد ضمنه ابن العفيف هنا للمناسبة

وعلق عبد الرحيم العباسي على هذا البيت في معاهد التنصيص 168/4 بقوله: "صرف لفظ جناتها من
معنى الجناية إلى معنى الجني".

الْبَلْبَالُ: الهم.

² - ديوان ابن رشيقي 140.

زادَ (السلامة) لنفع مكيدة البرودة، لأنها إذا استحكمت كانت عذاباً. وهذا مما يقوله علماء التفسير: لو قال الله لنار الخليل: "كوني برداً"¹ ولم يزد: وسلاماً، لمات برداً.

البيان

في التعبير: البرد والسلام ما لا يخفى من ترشيح استعارة النار للخود، حتى كانت هذه النار كنار إبراهيم الخليل، ويروى أن إبراهيم، عليه السلام لم ينتفع أحد بالنار يوم ألقى فيها. وكان إذاك ابن ست عشرة سنة². وحكي أن عبد الله ابن عمر قال لمجاهد: أتدري من أشار بتحريق إبراهيم؟ قال: لا، قال: رجل من أعراب فارس. قال: وهل للفرس أعراب؟ قال: نعم، الكرد.

البديع

فيه الاقتباس في "برد وسلام"، وهو أن يضمن المتكلم آية من كتاب الله خاصة. وتقدم في السمت الأول تحرير أقسامه. والاقتباس منه ما لا يخرج فيه عن أصل معناه، كقول الحريري: "قلم يك إلا كلمح البصر أو أقرب، حتى أنشد فأغرب"³. ومنه ما يخرج فيه عن أصله، كقول ابن الرومي⁴:

¹ سورة الأنبياء 69/21.

² - في الأصل: ستة عشر، وهو غلط.

³ - أوضح ذلك ابن حجة في خزنة الأدب 540 بقوله: "كنى به عن شدة القرب، وكذلك هو في الآية". والآية هي: "وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب" (سورة النحل 77/16).

⁴ - البيتان في ديوان ابن الرومي 1553/4 وعقود الجمان 167 وخزنة الأدب 540.

وقد بين ابن حجة نوع الخروج عن الأصل في هذا الاقتباس في خزنة الأدب 540 فقال: "كنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه، والمراد به في الآية الكريمة أرض مكة". والآية هي: "ربنا إني أسكنت من دُريتي بوادٍ غير ذي زرع". (سورة إبراهيم 37/14).

لَنْ أُخْطِئَ فِي مَذْهِبٍ لَكِ مَا أَخْطِئْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

قال ابن حجة: يجوزُ للمقتبس أن يغيّر اللفظ المقتبس منه بزيّد أو نقص، أو تغيير¹،
كقوله²:

كَانَ الَّذِي خَفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ

فإن قلت: من غيّر شيئاً من القرآن فهو كافر، قلت: هم يقولون في الاقتباس: أخذ الآية من القرآن لا على أنها منه، ولهذا قالوا: إنه ليس من الاقتباس قوله:

أَيُّهَا الْمُسْتَطِيلُ بِالْبَغْيِ أَقْصِرْ رَبُّمَا طَاطَأَ الزَّمَانُ الرُّؤُوسَا
وَتَذَكَّرْ قَوْلَ إِلَهِ تَعَالَى: "إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى"³

ومنه للشهاب العسقلاني⁴:

خَاصَ الْعَوَازِلُ فِي حَدِيثٍ مَذَامِعِي لَمَّا رَأَوْا كَالْبَحْرِ سُرْعَةَ سَيْرِهِ
فَحَبَسَتْهُ الْأَصُونُ سِرّاً هَوَاكُمُ "حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ"

¹ - في خزانة الأدب 540: "بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير".

² - البيت في معاهد التنصيص 139/4.

وفيه اقتباس من الآية: "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون" (سورة البقرة 156/2).
فقد عوض "إنا لله وإنا إليه..." بقوله: "إنا إلى الله"، وفيه نقص.

³ - سورة القصص 76/28.

⁴ - البيتان في خزانة الأدب 542 وعقود الجمال 169 ومعاهد التنصيص 143/4.

رواية الاقتباس: "قَلَّا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ" (سورة النساء 140/4).

وقد ألف بعض أصحابنا في الاقتباس. وجمع في ذلك كراريس حسنة وسمّاه بالنبراس في حكم الاقتباس. والذي عليه المحققون جريان الاقتباس في الحديث أيضا، بل زاد الطيّبي أن يكون في مسائل الفقه¹. ومن لطيف الاقتباس في الحديث قول ابن أجيروم في سيف مولانا إدريس الموضوع على رأس منار القرويين²:

شَامُوا بِفَاسٍ سَيْفَ إِدْرِيسِهِمْ فَوْقَ مَنَارٍ لَا لَأْمَرٍ مَخُوفٍ
بَلْ أَشْعَرُوا بِقَوْلٍ خَيْرِ الْوَرَى: "جَنَّتُكُمْ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ"

ولأحمد بن يحيى الخرجي³:

أَنكَرَ السَّيْفُ بِالْمَنَارِ بِفَاسٍ قَائِلٌ إِنَّ ذَاكَ [دَاعٍ]—يِ اغْتِمَامِ
لَا يَرُعَاكَ الْحُسَامُ سُلَّ عَلَيْهَا جَنَّةُ الْخُلْدِ تَحْتَ ظِلِّ الْحُسَامِ

محمدُ الرّيبب⁴:

وَمَا خَصَّ إِدْرِيسُ الْمَنَارَ بِسَيْفِهِ لَغَمٌ، وَلَكِنْ كَيْ يَغْمَ نِدَاؤُهُ
مُسِيرًا: أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ تَأْمَنُوا وَمَنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَهُ، هَذَا جَزَاؤُهُ!

¹ - خزانة الأدب 541.

² - خصص ابن الأحمر الباب الثاني عشر، وهو الأخير، من كتابه نثر الجمان 451-461 للشعر الذي قيل في سيف إدريس المرفوع على صومعة جامع القرويين من مدينة فاس. وعليه اعتماد الإفراني فيما أورده هنا.

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه 93/2، وفيه أن رسول الله قال: "وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ".

³ - البيتان في نثر الجمان 453. وقد سبق ترجمة أحمد بن يحيى بن عبد المنان.

وقد سقطت الدال والألف من كلمة (داعي) في الأصل. والتصويب من نثر الجمان.

⁴ - في نثر الجمان 454: "صاحبنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالريبب".

وله أيضاً:

سِرُّ فَاسٍ لِفَارِسٍ¹ قَدْ بَدَا فِي وَضْعِ إِدْرِيسَ بِالْمَنَارِ حُسَامَةً
فَهُمَ الْعِزُّ لِلنُّتْدَاءِ فَأُورَى نَارُهُ مُعْلِماً وَشَالَ عِلَامَةً!

قال ابن الأحرر: هذه الزيادة التي زادها في المقطوعة، وهي ذكرُ العلام والفنار اللذين أحدثهما أمير المؤمنين أبو عنان فارسُ المريني سنة². وقال أبو العباس الخزرجي³:

سَيِّفُ إِدْرِيسَ بِالْمَنَارِ بِفَاسٍ لَيْسَ لِلْغَمِّ، لَا وَلَا لِلْمَخَافَةِ
إِنَّمَا كَانَ وَضَعُهُ السَّيِّفَ فِيهَا مُعْلِماً أَنَّهُ مَقَرُّ الْخِلَافَةِ

وفي قوله: "وضعه"، نظر: لأن واضع السيف أحمد بن أبي بكر الزتاتي. وقال غيره⁴:

وَلَيْسَ ارْتِفَاعِي فِي الْمَنَارِ لِكَرْبَةٍ وَلَكِنَّهُ كَيْ يَعْلَمَ الْحَقَّ جَاهِلُهُ
أَحْضٌ عَلَى الْخَمْسِ الَّتِي فَازَ أَهْلُهَا وَمَنْ حَادَ عَنْ أَوْقَاتِهَا، أَنَا قَاتِلُهُ

قال ابن الأحرر: "وقوله: "أنا قاتله"⁵، ليس كذلك، لأن مؤخرَ الصلـ[وات] على أوقاتها لا يقتل وإنما يقتل جاحدُها". قاله في نثير الجمان له. ومنه نقلت هذه المقطعات في السيف المذكور. قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي: في انتقاد ابن الأحرر

¹ - هو فارس أبو عنان المريني.

² - في الأصل ثلاثة حروف غير مقروءة، وفي نثير الجمان في شهر ربيع الأول سنة تسعة وأربعين وثلاثمائة.

³ - أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي الشهير بالدباغ، قال فيه تلميذه ابن الأحرر: "له نظم رائع، جمع فيه بين الجزالة والحلاوة، ونثر فائق، عليه رداء الطلاوة، وباع عظيم في نقد الأدب..". (نثير الجمان 398_414، نثير فرائد الجمان 376).

⁴ - في نثير الجمان 456: "صاحبنا أبو الفضل محمد بن باشر التسولي" والبيتان فيه 459.

⁵ - في نثير الجمان 459: ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله..

نظر، لأن مذهب المالكية أن من أخر الصلاة يُقتل، ولو قال: أنا أفعل، وإنما الخلاف هل كُفراً، وهو رأي ابن حبيب، أو حداً وهو المشهور¹.

الإعراب

هي: مبتدأ،

ويزد وسلام: خبر.

وفي خديّه: في محل نصب على الحال.

وهي: مبتدأ.

وضرّ وحريق: خبر.

وفي الحشا: متعلق بأحدهما، فيتنازعا، وإما أن يجعل في محل نصب على الحال.

¹ - يستفاد من النسخة المعتمدة عندنا من الدر النفيس 377 أن هذا الكلام وجده ابن عبد الحي بطرة نشير الجمان، فردّه بما يلي: "قلت: وهذا كله تعسف بلا فائدة، وإنما جرى هذا الكلام مجرى المبالغة...".

أَتَّقِي مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ أَسَدًا وَرَدًّا، وَأَهْوَاهُ رَشًّا¹

اللغة

اتَّقَاهُ يَتَّقِيهِ: حذرُهُ، والاسم التَّقْوَى، أصلُهُ تَقَيَّا، قَلَبُوهُ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْإِسْمِ وَالصِّفَةِ.

وَالْحُكْمُ بِالضَّمِّ: الْقَضَاءُ.

"وَالْغَرَامُ: الْوَلُوعُ، وَالشَّرُّ الدَّائِمُ، وَالْهَلَاكُ وَالْعَذَابُ. وَالْمُغْرَمُ كَمُكْرَمٍ: أَسِيرُ الْحَبِّ وَالذِّينِ، وَالْمَوْلَعُ بِالشَّيْءِ"².

وَالْأَسَدُ: مَعْرُوفٌ. وَالْوَرْدُ، قَالَ فِي الْقَامُوسِ: الْأَسَدُ، كَالْمُنُورِدِ. وَالْوَرْدُ مِنَ الْخَيْلِ: بَيْنَ الْكُمَيْتِ وَالْأَشْقَرِ³، قَالَهُ الطَّرَابِلْسِيُّ⁴. وَكَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لَكُونِهِ عَلَى لَوْنِ الْوَرْدِ. قَالَ أَبُو تَمَامٍ⁵:

دَرِيَّةُ خَيْلٍ لَا يَزَالُ لَدَى الْوَعَى لَهُ مَخْلَبٌ وَرَدٌّ مِنَ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ⁶:

¹ - ديوان ابن سهل 286.

² - القاموس المحيط (غرم).

³ - المصدر السابق (ورد).

⁴ - هو إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي لغوي باحث من أهل طرابلس. من كتبه (كفاية المتحفظ) توفي سنة 470هـ (المنهل العذب 154-156، وإرشاد الأريب 47/1 عن الأعلام للزركلي 25/1).

⁵ - ديوان أبي تمام.

⁶ - ديوان المتنبي 548.

وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذَّنْبِ شِيمَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

والهوى: العشق. والرشاء: الظبي، والرشاء بالكسر: الحبل. ولابن الرومي¹:

وَإِذَا أَمْرٌ مَدَحَ أَمْرًا لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ، فَقَدْ أَرَادَ هَجَاءَهُ
لَوْ لَمْ يَقْدَرْ فِيهِ بَعْدَ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوُرُودِ، لَمَا أَطَالَ رِشَاءَهُ

وأخذه الوراق²:

سَامِحٌ بِفَضْلِكَ عَبْدًا مَقْصَّرًا فِي الثَّنَاءِ
ر[أى] قَلْبًا قَرِيبًا فَلَمْ يُطَلْ فِي الرِّشَاءِ

قلت: في بيتي ابن الرومي اللقبُ البديعي المسمى بسلامة الاختراع، ذكره الحلي وابنُ حجة وغيرهما. ولابن الرومي اليذُّ الطولى في استنباط المعاني، كقوله في خباز³:

إِنْ أَنَسَ لَا أَنَسَ خَبَازٌ مَرَرْتُ بِهِ يَذْخُو الرِّقَاقَةَ وَشَكَّ اللَّحْمَ بِالْبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَيْتَهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ وَبَيْنَ رُؤْيَيْتَهَا قُورَاءُ كَالْقَمَرِ
إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَنَدَّاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ

وذكر ابنُ بسام في الذخيرة في ترجمة الفقيه المغربي البماري⁴ أنه أنشدت هذه الأبيات بين يديه، فقال بعضُ تلامذته: أما إنه لا يقدرُ على الزيادة عليها، فقال الفقيه⁵:

¹ - البيتان في ديوان ابن الرومي 11/1، (تحقيق حسين نصار)، ومعاهد التنصيص 110/1.

² - البيتان في معاهد التنصيص 110/1. والقليب: البئر.

³ - الأبيات في ديوان ابن الرومي 111/3 (تحقيق حسين نصار)، وفي معاهد التنصيص 109/1.

..وفي الأصل: لم أنس لم أنس، وفي الديوان ما أنس لا أنس. وأثبتنا ما اختاره محقق معاهد التنصيص.

⁴ - في معاهد التنصيص 110/1: الأديب أبو عمرو النميري.

⁵ - البيت في المصدر السابق.

فَكَادَ يَضْرِبُ إِعْجَاباً بِرُؤْيَيْهَا وَمَنْ رَأَى مِثْلَ مَا أَبْصَرْتُ مِنْهُ خَرِي

فضحك من حضر وقالوا: البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع، فقال¹:

إِنْ كَانَ بَيْتِي هَذَا لَيْسَ يُعْجِبُكُمْ فَعَجَلُوا مَخَوْهُ أَوْ فَالْعَقُوهُ طَرِي

وقال أيضاً² يهجو خالداً الشاعر:

لَخَالِدٍ، شَاعِرِنَا، زَوْجَةٌ قَوَّامَةٌ بِاللَّيْلِ لَكِنَّهَا
لَهَا حَرٌّ يَبْلُغُ مِثْلَيْهَا تَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِرَجْلَيْهَا

وله أيضاً³:

إِنْ كُنْتَ مِنْ جَهْلٍ حَقِّي غَيْرَ مُعَذِّرٍ، فَأَعْطِنِي ثَمَنَ الطَّرْسِ الَّذِي كُتِبَتْ
أَوْ كُنْتَ مِنْ رَدِّ مَذْحِي غَيْرَ مُتَّيْبٍ فِيهِ الْقَصِيدَةُ، أَوْ كَفَّارَةَ الْكَذِبِ

ابن زيدون⁴:

قُلْ لِلْوَزِيرِ، وَقَدْ قَطَعْتَ بِمَذْحِهِ لَا تَخْشَ لَا يَمْتَنِي بِمَا قَدْ جُنْتُهُ
عُمْرِي، فَكَانَ السُّجُنُ مِنْهُ ثَوَابِي مِنْ ذَاكَ فِيَّ، وَلَا تَوَقَّ عِتَابِي

¹ - البيت في المصدر السابق.

وفي الأصل: نحو، أو فالحقوه، وأثبتنا ما في معاهد التنصيص.

² - المقصود ابن الرومي، كما في معاهد التنصيص 110/1، وفيه البيتان.

وفي الأصل: من يبلغ، وأثبتنا ما في معهد النصيص.

³ - هو ابن الرومي كما في المصدر السابق.

⁴ - ديوان ابن زيدون 255.

لَمْ تُخْطِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مُوقَّعاً هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ!

الأبيوردي¹:

وَمَدَّاحٍ تَحْكِي الرِّيَاضَ أَضَعَّتْهَا فِي بَاخِلٍ أَغْيَتَ بِهِ الْأَخْسَابُ
فَإِذَا تَنَاشَدَهَا الرُّوَاةُ وَأَبْصَرُوا الـ مَمْدُوحَ قَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابُ

ابنُ حَكِيمَا الْبَغْدَادِي²:

قَدْ بَانَ لِي عُذْرُ الْكِرَامِ، فَصَدَّهُمْ عَنْ أَكْثَرِ الشُّعْرَاءِ لَيْسَ بَعَارِ
لَمْ يَسْأَمُوا بَذْلَ النَّوَالِ، وَإِنَّمَا جَمَدَ النَّدَى لِبُرُودَةِ الْأَشْعَارِ

المعنى

أَنَّ هَذَا الْمَحْبُوبَ سَكَنْتُ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِي، وَتَخَلَّلَتْ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي، فَأَعْشَقُهُ ظُيْماً. وَهُوَ فِي عَظِيمِ سَطَوِيَّتِهِ أَجَدُهُ فِي قَلْبِي كَالْأَسَدِ الضَّارِي وَالْغَضَنَفَرِ الْمَفْتَرِسِ. وَيَنْظُرُ لِهَذَا قَوْلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْشِيِّ الْقَاضِي الْجَمَاعَةِ بِفَاسٍ، صَاحِبِ الْقَوَاعِدِ الْفَقِيهِيَّةِ مُورِياً³:

¹ - لم نجد البيتين في ديوان الأبيوردي، وهما له في معاهد التنصيص 112/1، وفيه: "ولطيف قول أبي المظفر الأبيوردي".

² - هو الحسن بن أحمد بن محمد بن حكيما البغدادي، شاعر ظريف يميل إلى الخلاعة، وأكثر أشعاره مقطعات. توفي سنة 558هـ. (فوات الوفيات 148/1، ومعاهد التنصيص 113/1 الحاشية). والبيتان في معاهد التنصيص.

³ - هو محمد بن محمد القرشي المقرئ أبو عبد الله قاضي الجماعة بفاس وتلمسان، توفي بفاس سنة 759هـ. ونقل بعد سنة إلى تلمسان. حباه حفيذه صاحب النفع ترجمة موسعة نقل فيها أخباره وأشعاره وأخبار شيوخه وتلامذته من مصادر متعددة هامة. وأورد نقولا من كتبه تصلح أن تكون كتاباً قائماً بذاته (نفع الطيب 203/5-354، وجذوة الاقتباس 298/1-300).

وقال عن كتابه (القواعد) في نفع الطيب 284/5: "اشتمل على ألف قاعدة، ومائتي قاعدة".

لَا تَعْجَبَنَّ لِطَبْنِي قَدْ دَهَمَا أَسَدًا فَقَدْ دَهَمَا أَسَدًا مِنْ قَبْلُ سَحْنُونُ

وسُحْنُونُ اسْمُ طَائِرٍ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ، وَبِهِ سُمِّيَ سَحْنُونُ ابْنُ سَعِيدٍ. وَعَنَى بِأَسَدٍ أَسَدَ بَنِ الْفَرَاتِ وَحِكَايَتُهُ مَعَهُ فِي احْتِيَالِهِ عَلَيْهِ فِي نَسْخِ الْمَدُونَةِ شَهِيرَةٌ.

قَالَ فِي جَذْوَةِ الْاِقْتِبَاسِ عَنِ الْقَاضِي الْمَذْكُورِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ حَكَمٍ يَقُولُ: كَتَبَ بَعْضُ أَدْبَاءِ فَاسٍ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ¹:

ابْعَثْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ مَدَارُ فَاسٍ عَلَيْهِ
وَلَيْسَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِمَّا أُشِيرُ إِلَيْهِ

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَطَّةً مَرِيَّةً² يُشِيرُ إِلَى الرِّبَاءِ.

المعاني

نَكْتَةُ قَوْلِهِ: عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ، الْإِعْلَامُ بِأَنَّ الْحَبَّ قَضَاءٌ يُبْلَى بِهِ الْعَبْدُ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَضَاءَ إِذَا نَزَلَ عَمِي بِهِ الْبَصْرُ. وَوَصَفَ الْأَسَدَ بِالْوَرْدِ، وَلَعَلَّهُ أَضْرَمَ الْأَسْوَدَ وَأَكْثَرَهَا عِدَاءً.

ثُمَّ بَعْدَ كِتَابِي هَذَا وَقَفْتُ عَلَى شَرْحِ دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ لِيُوسُفَ بْنِ عِيْسَى النُّحَوِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْأَعْلَمِ، فَوَجَدْتُهُ قَالَ عَلَى قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ³:

وَالْبَيْتُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ 339/5، وَجَذْوَةُ الْاِقْتِبَاسِ 299/1.

¹ - جَذْوَةُ الْاِقْتِبَاسِ 299/1.

² - "البطّة: إناء كالقارورة" (القاموس المحيط: بط). والـ مُرِيٌّ بضمّ الميم وسكون الراء وكسرهما كذلك: مركّب من الدقيق والملح والعسل وموادّ أخرى (دُوزي: مري). وفي الرائد: "المُري ما يُجعل مع الخبز أو الطعام فيطبخه" (الرائد: مري). وشرح ابن البيطار في كتابه: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية 147/4 فوائدَه الطَّيِّبَةَ وتأثيره على الهضم.

³ - دِيْوَانُ أَبِي تَمَامٍ.

أَرَدْتُ يَدِي عَنْ عَرَضِ حُرٍّ وَمَنْطِقِي، وَأَمَلْتُهَا مِنْ شِدَّةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

أي وأقدرُ على هَجْوِ اللَّئِيمِ ولو كانَ في الشِّدَّةِ كالأسدِ الوردِ، وهو أشدُّها.

البيان

فيه التشبيهُ البليغُ بحذفِ الأداة، أي أتوقاهُ كالأسدِ المجترى، وسلفَ القولُ فيه.

البدیع

فيه التجريدُ، قال في الإيضاح¹: "وهو أن [يُنْتَرَعَ] من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ² آخرُ مثله في تلكِ الصفةِ، مبالغةً في كمالها فيه³، نحو: لي من فلانٍ صديقٌ حميمٌ، أي بلغَ عندي من الصداقةِ مبلغاً صحَّ معه أن يُستخلصَ منه صديقٌ آخرٌ". ومنه قولُ الشاعر:

أَعَانِقُ غُصْنَ الْبَانِ مِنْ لَيْنِ قَدِّهَا وَأَجِئِي جَنِيَّ الْوَرْدِ مِنْ وَجَنَاتِهَا
فَجَرَدَ مِنْ قَدِّهَا غُصْنًا وَمِنْ وَجَنَاتِهَا وَرْدًا. قال الثعالبي: ومن التجريدِ مخاطبةُ الإنسان نفسه، كقول أبي الطيب⁴:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

الإعراب

أَتَقِي: فعلٌ مضارعٌ، وفاعله ضميرُ المتكلم.

¹ - الإيضاح 55.

² - في الأصل: أمراً.

³ - زادَ في الإيضاح 55: "وهو أقسامٌ. منها نحو قولهم".

⁴ - أنوار التجلي 288/1، والبيت في ديوان المتنبي 502.

ومنه: جار ومجرورٌ يتعلّق بِـ (أتقى)،

والغرام: مضافٌ إليه.

وأسداً: مفعولٌ (أتقى).

وورداً: وصفٌ له.

وأهواة: جملةٌ معطوفةٌ على جملةٍ (أتقى).

والهاء: مفعولٌ به. ورشاً: حالٌ.

قُلْتُ، لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعَلِّمًا وَهُوَ مِنَ الْحَاطِظِ فِي حَرَسٍ¹:

اللغة

"القول: الكلام، وكلُّ لفظٍ مَدَّلَ به اللسانُ تاماً أو ناقصاً، والقولُ في الخير، والقالُ والقليلُ والقالةُ في الشر"². وما أُمِلِحَ قولُ الحافظِ ابنِ فتوح³:

لِقَاءُ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئاً سِوَى الْهَدْيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
فَأَقِيلَ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ

ولمَّا: بمعنى حين، وللنحاة خلافٌ في اسميتها وحرفيتها.

وَتَبَدَّى: أي ظهر. وتذكرتُ بهذه اللفظة ما رأيته في رحلة البلوي⁴ عن ابن الغمَّاز⁵ قال: "كُنَّا جُلُوساً مَعَ أَبِي الرَّبِيعِ ابْنِ سَالِمِ الْكِلَاعِيِّ بِبَلَنْسِيَةَ لَارْتِقَابِ هَلَالِ شَوَالٍ. فَأُولُ مِنْ رَأَى غُلَامٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ مِنْ قَرَابَةِ الشَّيْخِ، فَارْتَجَلَ الشَّيْخُ:

¹ - ديوان ابن سهل 286.

² - القاموس المحيط (قول)، ومَدَّلَ سره: أفسأه، (القاموس المحيط: مذل).

³ - البيهتان في تفح الطيب 114/2، وابن فتوح هو محمد بن فتوح ابن عبد الله الأرذلي الحميدي (ترجمته في نفح الطيب 112/2-115).

⁴ - تقدم التعريف بها.

⁵ - في الأصل ابن الغمار، براء مهملة، والصواب ما أثبتناه عن تاج المفرق 155/1، وهو: أحمد بن محمد بن الحسن بن الغمَّاز الأنصاري البُلَنْسِي، نزل ببجاية وتولى بها القضاء ومات بتونس سنة 693هـ - انظر تاج المفرق 155/1 وعنوان الدراية 70-72 ونفح الطيب 233/5-234).

تَوَارَى هِلَالُ الْأَفْقِ عَنْ أَعْيُنِ الْوَرَى وَغَطَّى بِسُحْمِ الْغَيْمِ زَهْوًا مُحْيَاً¹
فَلَمَّا أَتَاهُ صِنْوُهُ لِيَزُورَهُ تَبَدَّى لَهُ دُونَ الْأَنَامِ فَحْيَاً²

ويقربُ من هذا ما حدثني به بعضُ الفضلاءِ أَنَّ الشيخَ الإمامَ أبا سالمٍ، عبدَ اللهَ العياشيَّ
صعدَ منارَ جامعِ القرويينَ معَ [الشهيد] لارتقابِ الهلالِ، وكانَ معهمُ القاضي ابنُ سودَةَ، فلم
يروا شيئاً. فأنشدَ أبو سالمُ³:

قُلْ لِلَّذِينَ ارْتَقَبُوا فِعْلَكُمْ لَا أَرْتَضِي
أَنِّي لَكُمْ رُؤَيْتُهُ وَفِيكُمْ شَمْسٌ تُضِي

وأعلمُ الثوبَ: وسمهُ ورقمهُ "ومعلمُ الشيءِ كمَقْعَدٍ: مَظْنَتُهُ وما يُسْتَدلُّ به"⁴.

والألحاظُ: العيونُ.

و"حرسه حرساً وحراسةً فهو حارسٌ"⁵ وأحراسٌ. والحرسيُّ واحدُ حرسِ السُّلْطَانِ". قاله
في القاموس.

المعنى

قلتُ للطَّيْبِي لَمَّا تَجَلَّى كَالْبُرْدِ الْمَعْلَمِ فِي رَقْمِ أَدِيمِهِ بِسِلْكِ الْمَحَاسَنِ. أَوْ يَكُونُ أَرَادَ أَنَّهُ لَا بَسَّ
حَلَّةً ذَاتَ وَشْيٍ وَتَرْويقٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقْرَأَ مُعْلِماً بِالْكَسْرِ اسْمَ فَاعِلٍ مِنَ الْإِعْلَامِ، وَحَالَةً قَوْلِي لَهُ

¹ - في الأصل: زهو، والتتوين عن تاج المفرق.

² - تاج المفرق 155/1. وفيه كما في نفح الطيب 234/5 أن هذه الحادثة تكررت لابن الغمار بتونس.

³ - ترجم له الإفرائي في الصفوة.

⁴ - القاموس المحيط (علم).

⁵ - في القاموس المحيط (حرس) زيادة: "حارسٌ ج حَرَسَ وأحراسٌ وحُرَّاسٌ...".

وهو في حصن حصين، وجيش رصين، من سيوف جفونه، ورماح قده. وقد أكثر الشعراء في معنى المصراع الأخير، ومنه:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَحْرُسُوكَ بِخَادِمٍ وَخَدَامُ ذَلِكَ الْحُسْنِ عِنْدِي أَكْثَرُ

التَّهَامِي¹:

طَرَقَتْهُ فِي أَتْرَابِهَا فَجَلَّتْ لَهُ وَهَذَا مِنَ الْغُرَرِ الصَّبَّاحِ صَبَاحًا
أُبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعُيُونِ أَسِنَّةً وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رِمَاحًا
يَا حَبَّذَا ذَلِكَ السَّلَاحُ وَحَبَّذَا وَقَدْ يَكُونُ الْحُسْنُ فِيهِ سِلَاحًا

ويناسبُ هذا المقامُ أبياتُ مجدِّ الدينِ بنِ الظَّهیرِ الإربلي²، وإنها لمن السَّحرِ الحلالِ:

غِشُّ الْمَقْدَرِ كَأَمِنْ فِي نَصْحِهِ فَأَطْلُ وَقُوفَكَ فِي الْغُيُورِ وَسَفْحِهِ

منها:

وَبِيَ الَّذِي يُغْزِيهِ فَاتِرُ طَرَقِهِ عَنْ سَيِّئِهِ، وَقَوَامُهُ عَنْ رُمَحِهِ
ظَنِّي يُؤَنِّسُ بِالْغَرَامِ نَفَارَهُ وَيَجِدُ فِي نَهَبِ الْقُلُوبِ بِمَزْحِهِ
نُوْ وَجَنَّةٍ شَرِقَتْ بِمَاءِ نَعِيمِهَا كَالْوَرْدِ أَشْرَقَهُ نَدَاهُ بِرَشْحِهِ
وَكَأَنَّ طَرَّتَهُ، وَضَوْءَ جَبِينِهِ لَيْلٌ تَلْقَى فِيهِ بَارِقُ صُبْحِهِ
يَا شَاهِرًا مِنْ جَفْنِهِ عَضْبًا³ غَدَا مَاءُ الْمَنِيَّةِ بَادِيًا فِي صَفْحِهِ

¹ - ديوان التَّهَامِي 10. والوهنُ من الليل: نحوُ منتصِفِهِ.

² - القصيدة في الغيث المسجُم 244-245، وقال في التقديم لها: "أنشدني لنفسه شيخنا الإمام مجدُّ الدين محمدُ بنُ الظَّهیرِ الإربلي الحنفي". (انظر ترجمة مجدِّ الدين الإربلي في فوات الوفيات 3/301).

وفنده: كذَّبه وعجزه وخطأ رأيه. (القاموس المحيط: فند).

³ - في الأصل: غضبا، وهو خطأ، وأثبتنا ما في الغيث المسجُم.

قَلْبِي وَطَرَقِي، ذَا يَسِيلُ دَمًا، وَذَا
وَهُمَا بِحُبِّكَ شَاهِدَانِ، وَإِنَّمَا
وَالْقَلْبُ مَنْزِلُكَ الْقَدِيمُ، فَإِنْ تَجِدْ
دُونَ الْوَرَى أَنْتَ الْعَلِيمُ بِجُرْحِهِ
تَعْدِيلٌ⁵ كُلُّ مِنْهُمَا فِي جُرْحِهِ
فِيهِ سِوَاكَ مِنَ الْأَنَامِ فَنَحْه

المعاني

فائدة الجملة الحالية، وهي قوله: وَهُوَ مِنْ أَلْحَاطِهِ إِنْخ، الإشارة إلى أنه لما ظهر كان في موكب من محاسنه محروساً بسيف لحظه، وآلة ملكه.

البيان

فيه التشبيه البليغ على التفسير الأول¹، وأما على الثاني فلا.

البديع

فيه الاعتراض بالجملة الحالية من قوله: وهو من أَلْحَاطِهِ. وقد ذكر الشيخ صفى الدين الحلبي أن من الألقاب البديعية الاعتراض. قال نصيب:

فَكِدْتُ، وَلَمْ أُخْلُقْ مِنَ الطَّيْرِ، إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٍ، نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
فقوله: ولم أخلق، اعتراض عجيب. قال الثعالبي: وفائدة الاعتراض أمورٌ كالتنزيه والتنبيه على سبب فيه غرابة².

¹ - يقصد حالة تشبيهه "بالبرد المعلم".

قلت: وفي هذه الحالة يكون استعار البرد للمحبيب ورشح بمعلم.

² - أنوار التجلي 472/2-473.

الإعراب

قُلْتُ: فعلٌ وفاعلٌ.

ولَمَّا: اسمٌ بمعنى حين، أو حرفٌ على خلافِ تقدّم.

وَأَنْ: زائدةٌ، وتبدّي: فعلٌ ماضٍ، وفاعله الضميرُ المستترُ.

ومُعَلِّمًا: منصوبٌ على الحالِ.

والواوُ: للحالِ. وهو: مبتدأٌ، وفي حَرَسِ: خبرُهُ. ومن أَلْحَظِهِ: بيانٌ لحَرَسِ.

أَيُّهَا الْآخِذُ قَلْبِي مَغْنَمًا اجْعَلِ الْوَصْلَ مَكَانَ الْخُمْسِ¹

اللغة

الْأَخْذُ: التناول.

وَالْغَنِيمَةُ، وَالْغَنِيمُ، وَالْغَنَمُ بِالضَّمِّ: الْفِيءُ. "غَنِمَ بِالْكَسْرِ غَنْمًا بِالضَّمِّ وَبِالْفَتْحِ وَبِالتَّحْرِيكِ وَغَنَمَانًا: الْفَوْزُ بِالشَّيْءِ بِلَا مَشَقَّةٍ"².

وَاجْعَلْ: صَيَّرَ. وَتَأْتِي مَادَّةُ جَعَلَ عَلَى مَعَانٍ أَنْظَرَهَا فِي الْقَامُوسِ.

وَوَاصِلَةٌ مُوَاصِلَةٌ وَوَصَالًا، كِلَاهُمَا يَكُونُ فِي عِفَافِ الْحَبِّ وَدَعَارَتِهِ³.

وَالْمَكَانُ: الْمَوْضِعُ.

وَالْخُمْسُ: بَضْمَتَيْنِ وَيُسَكَّنُ: جِزَاءٌ مِنَ الْخَمْسَةِ، وَلِهَذَا سُمِّيَ الْجَيْشُ خَمِيْسًا، لِأَنَّهُ عَلَى خَمْسِ فِرَقٍ: الْمَقْدَمَةُ، وَالْقَلْبُ، وَالْمِيْمَنَةُ، وَالْمِيْسِرَةُ، وَالسَّاقَةُ. وَالْخَمِيْسُ، جَمْعُهُ أَخْمَسَاءُ وَأَخْمَسَةٌ⁴. يَأْتِي هُنَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

الْيَوْمَ يَوْمَ الْأَرْبَعَا وَبَعْدَهُ يَوْمَ الْخَمِيْسِ

¹ - ديوان ابن سهل 286.

² - القاموس المحيط (غنم). وفي الأصل: والفوز، والواو زائدة.

³ - في الأصل: ذعارته، وهو غلط.

⁴ - القاموس المحيط (خمس).

فَاخْتَرْ لَهُ مَا تَشْتَهِي وَاجْعَلْ لَهُ نَعَمَ الْأَنَسِ

ولمّا أنشدتهما صاحبا الأديب الفقيه المشارك الناسك سيدي صالح بن مُعطي¹، أنسا الله في أجله، ذيلَ عليهما، فقال:

وَخَيْرُ مَا أَعَدَّتْهُ لِذَاكَ قَدْرٌ مِنْ حَمِيسٍ²

فقلتُ أنا:

وَالْكُسْكُسُونُ حُبُّهُ فِي خَاطِرِي حُبُّ رَسِيسٍ

وزادَ صاحبٌ [لي]:

وَفِي الزَّلَالِ غَنِيَّةٌ عَنْ شُرْبِ كَأْسِ الْخَنْدَرِيسِ³
فَاغْنِمْ نَزَاهَةً عَلَى وَادِي الْجَوَاهِرِ النَّفِيسِ
أَوْ الْمُصَلَّى فَاقْصِدَنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحْمَى الْوَطِيسِ

وبيتُ شيخنا المذكور من قول محمد بن علي الخطيب القصري، أحد أشياخ ابن غازي، ذكره صاحبُ الجذوة⁴، وأنشد له:

¹ - هو صاحب الإفراني، صاحب النسخة الأصل في هذا التحقيق. انظر مقدمتنا، وكتابنا الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.

² الحَمِيسُ: التُّور، والحميسة، وهي المقصودُ هنا: القليّة، وحمس اللحم: قلاه (القاموس المحيط: حمس). والحمّاسُ في الجنوب المغربي: قدرٌ خاصٌّ بالمرق.

³ - كتب فوق كلمة الزلال: الحلال، مع إشارة التصحيح. والخنديس: الخمر، مشتقة من الخدرسة، أو روميةٌ مُعرّبة، (القاموس المحيط: خندريس).

⁴ - قال في جذوة الاقتباس 1/245: "محمد بن الخطيب القصري، أحد عدول سباط فاس، أخذ عن محمد ابن أحمد بن غازي، وكان أديباً" ثم قال: "توفي سنة خمس وخمسين وتسعمائة". وانظر كذلك لقط الفرائد/

إِذَا أَتَيْتَ الْخَمِيسَ فَعَلْ تَوَالِيَهُ مِنْ الْحَمِيسِ وَإِتْيَانِ لِسُؤَالِهِ¹

وقولي: الكُسكسونُ بالنون، خلافُ ما يدورُ على الألسنة، وذلكَ لما رأيتهُ في كتابِ التَّحْفِ والطَّرَفِ للقاضي أبي عبدِ اللهِ المَقْرِي، ونصُّه: قال لي الشيخُ أبو القاسمِ بنُ محمدٍ، ونحنُ في دمشق: قال لي الشيخُ صالحُ برباطِ الخليل، عليه السلامُ: نَزَلَ بي مَغْرِبِيٌّ، فمرضَ حتَّى طَالَ عليَّ أمرُهُ، فدعوتُ اللهَ أن يفرِّجَ عني وعنهُ بموتٍ أو صحَّةٍ، فرأيتُ النبيَّ، صلى اللهُ عليه وسلَّم، فقال لي: أطعمه الكُسكونَ. قال: يقولُه هكذا بالنون، فصنعتُه له، فكأنما جعلتُ له فيه الشفاءَ. وكان أبو القاسمِ يقولُه هكذا بالنون، ويقولُ: لا أعدلُ عن لفظِ رسولِ الله، انتهى². ورأيتُ في كتابِ تحبيرِ السياسةِ لأبي عبدِ اللهِ ابنِ الأزرَقِ الغرناطي: لو رأى أرسطاليسُ ما أحدثَه البربرُ من الكسكونِ والبرائيسِ، لقرَّ على نفسه أنه لا يُحسنُ شيئاً من اللطَبِ³. ويتعلَّقُ بذيلِ الأبياتِ ما كتَبَ به بعضهم⁴ يستدعي صاحبه⁵:

ألف سنة من الوفيات 300. وكان ابنُ غازي الابنُ "خطيبُ جامعِ القرويينِ نحوياً بارعاً في النحو أستاذاً.. توفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة". (نفس المصدر 321/1). أما ابنُ غازي الأب فتوفي سنة 919هـ (نفس المصدر 320/1).

فمن مجموع هذه المعطيات، ونظراً لاعتماد الإفراني على جنوة الاقتباس يرجح أن ابن غازي هو الذي كان من أشياخ القصري.

وبيت القصري مقدم "في جنوة الاقتباس بقوله: "من نظمه يذكرُ سوق خميس فاس".

¹ - في الأصل: ثوابله، بالمثلثة، وأثبتنا ما في جنوة الاقتباس.

² - وردت هذه القصة في نفح الطيب 258/5، وجاءت مختصرة في المحاضرات لأبي علي اليوسي ص 80..

³ - انظر فحوى هذا الكلام في المحاضرات 80.

⁴ - المقصود هو أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن الزناتي الكومي المتوفى سنة 604هـ، وهو شاعر تولى مناصب سياسية (انظر مقدمة ديوانه)..

والأبيات موجودة في ديوان أبي الربيع 137 ونفح الطيب 109/3.

⁵ - المقصود هو أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المومن الموحي. نقل المقرئ عن السرخسي قوله:

الْيَوْمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ سُكُونٍ وَدَعَاةٍ
وَشَمَلْنَا مُفْتَرِقَ فَهَلْ تَرَى أَنْ نُجَمَعَهُ؟

فأجابته:

الْيَوْمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَبُّنَا قَذَرَفَعَةٍ
وَالشُّرْبُ فِيهِ بِدَعَاةٍ فَهَلْ تَرَى أَنْ نَدَعَاةٍ¹

المعنى

لَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ الْغَرَامُ، وَطَالَ بِهِ الْهَيْامُ، خَلَعَ عَذَارَ الْحَيَا، وَأَبْدَى مَا كَانَ خَفِيًّا، وَقَالَ: يَا ذَا
الَّذِي قَاتَلَ قَلْبِي فِي مَعْرَكِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى، فَغَنِمَهُ وَأَخَذَهُ فَيْئًا، هَلَّا جَعَلْتَ وَصْلَكَ لِي مَكَانَ
الْخُمْسِ الْوَاجِبِ شُرْعًا فِي مِثْلِهِ. وَهَذِهِ مُلْحَةٌ فَقْهِيَّةٌ، وَعَارِضُهَا ابْنُ الْخَطِيبِ حَيْثُ قَالَ²:

إِنَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا يَتَلَأْسَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا أَفْتَرَضَ زُونَ خَرَابَ الْحُبْسِ

"أنه (أي أبو الحسن) كان من أهل الأدب والطرب، ولي بجاية مدة ثم عُزِلَ عنها لإهماله وإغفاله،
وانهماكته في ملاذّه" (نفع الطيب 108/3).

¹ - في الأصل: تدعه بالتاء، وأثبتنا ما في ديوان أبي الربيع ونفع الطيب.

² - نفع الطيب 12/7.

المعاني

أتى بهاء التنبيه في "يا أيها" حرصاً على إقبال المخاطب وإلقاء شراشره¹ لما يملأ عليه.

البيان

شبه قلبه بأموال المحاربين، وأنّ الظبي لما هزم جيش صبره وأخذ قلبه غنيمة قسمه كما تقسم الغنائم خمسة أخماس، فأخذ سلطان الحسن الخمس، واستبدّ به، وقسم الأربعة أقسام الباقية على أنصاره من جفونه المقاتلة.

البديع

فيه التوجيه، وسلف القول فيه.

وقد أحسن ابن سهل في مطلع فجر التوشيح وفي ختامه. وأطبق البلغاء على وجوب تأنيق الشاعر في ثلاثة أماكن من القصيدة: في ابتدائها، وانتهاؤها، وفي التخلص من التغزل للمدح. ومن أحسن الختام:

لَأَسْأَلَ اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَدُومَ لَنَا لَا أَنْ تَنُتِمَ مَعَالِيهِ، فَقَدْ كَمَلَتْ

الإعراب

أيها: منادى مبني على الضم، وسلف الكلام فيه.

والآخذ: عطف بيان عليه.

¹ - الشراشر: المحبة، يقال: ألقى شراشره عليه، إذا حرص عليه وأحبه.

وَقَلْبِي: مفعولُه. ومَقَمًا: منصوبٌ على الحالِ.

وإِعْرَابُ الباقي بَيْنٌ، وفي الإِشَارَةِ ما يُغْنِي عن العبارة.

وهذا هنا كمل الغرض، وقضي من الشرح الحق المفترض. والمسؤول ممن رفقته أن يجعل جزائي على ما استفادته منه صفوة المقة. وإن لم يصادف له غرضاً، فلا يجعلني لسهم ملامه غرضاً. ومن أراد أن يظهر منه العجر والبجر¹، فإني أنشده قول الحافظ بن حجر:

يَا سَيِّدًا طَالَعَهُ إِنَّ رَاقٍ مَعْنَاهُ فَعُدْ
وَأَفْتَحْ لَهُ بَابَ الرُّضَا، وَإِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدْ

وعقيدتي أن تألفي لا طائل تحتها، ولا يجد العاري ما يلبس إن فنس تحتها². ولا يخفى على قريني أنها، كما يقال، من الرأي العشرين، وما أنا إلا كالجبان يحاول أن يكون أسد العرين، وما عسى أن يقوله ابن العشرين. فلا يعتب علي معاتب، ولله درُّ العماد الكاتب³:

هِيَ كُتِّبِي فَلَيْسَ تَصْلُحُ مِنْ بَعْدِ لِي لَغَيْرِ الْعَطَارِ وَالْإِسْكَافِ
هِيَ إِمَّا مَزَاوِدُ لِلْعَقَاقِيرِ رِ، وَإِمَّا بَطَائِنُ لِلْخَفَافِ

وقال مجير الدين الإسعري⁴:

عَرَضْتُ كِتَابِي كَيْ يُبَاعَ بِدَرِّهِمْ عَلَى مُشْتَرٍ عِنْدَ الْوَقَاءِ شَحِيحِ
رَأَى خَطُّهُ ذَا عِلَّةٍ فَأَعَادَهُ وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحِ

¹ - العُجْرُ والبُجْرُ: المعاييب. وفي القاموس المحيط (عجر): "وعُجْرُهُ وبُجْرُهُ: عيوبه وأحزانه، وما أبدى، وما أخفى". وفي (بجر) منه: "وذكر عَجْرَهُ وبُجْرَهُ أي عيوبه وأمره كله".

² - التخت: وعاء تصان فيه الثياب. (القاموس المحيط: تخت).

³ - البيتان له في الغيث المسجم 6/2.

⁴ - البيتان له في المصدر السابق.

والمطلوبُ من إحسانِ الواقفِ عليه وبرِّه،

الإنساني من الدعاء

عند طيِّه ونشره.

والسلام.

المستعمل
غفر الله له ولوالديه

الفهارس العامة

المستعمل
غفر الله له ولوالديه

1. المصطلحات البلاغية

161	الاحتراس	340	الإيذان في علم البيان
417	سلامة الاختراع	294	الاستئناف البياني
249	الإمماج	176,159,100,86,75,71,56,51	البيع
364	الرجوع	249,236,222,207,200,188,187	
277,294	سبك الكلام	310,303,303,296,286,277,261	
207,187,157,154,147	الاستعارة	363,354,350,346,334,323,311	
310,296,276,269,234,233		411,403,402,393,386,376,370	
411,402,376,353,334,322,321		432,426,421,417	
384,276,205,187	المضارع للاستمرار	162,161	المبالغة
335,334	السهولة	187,174,157,146,56,52,51	البيان
279	شكل	248,233,221,218,206,200,199	
179,176,174,160,157,154,148	التشبيه	353,346,334,310,303,276,258	
233,227,222,221,220,218,206,87		405,402,393,384,376,370,363	
295,276,263,260,259,258,247,46		432,426,421,411	
426,421,382,346,320,317,303,296		323	بيان = حسن البيان
286,190	الاشتقاق	376	حسن الاتباع
114,108,102,93,91,88,82,73	الشعر	386	التتميم
158,146,145,144,138,130,116,15		421	التجريد
244,235,228,219,190,189,166,165		200	الجمع مع التفريق
404,391,388,359,350,307,03,262		159,139,89,88,87	الجناس. التجنيس
320,264,249,223,122	التضمين	347,303,286,250,189,188,184	
412,356,343,342		346	الحذف

414,413,412		323	الإطناب
275	التقديم	207,200,189,188,177	الطباق والمطابقة
311,310,187	التكرار والتكرير	386,370,354,312 296	
325	الاكتفاء	352,351,350	الاستطراد
387,386	التكميل	199,186,172,157,147,56	المعاني
297,201,191	الالتفات	294,275,255,248,233,217,205	
297,201,191	الالتفات	363,353,346,333,320,310,303	
238	اللف والنشر	411,402,392,384,376,370	
162	المناسبة (الصوتية)	431,426,420	
206,186,178,172,157,146	نكتة	203,195,184,167,155	المعنى
364,263,255,248,222,217		271,253,241,227,213	
420,403,370		331,317,306,302,290	
190,189	مراعاة النظير	383,373,361,350,339	
226,199,191,182,217,72	التكثير	431,424,419,408,401,389	
402,388,386,321,320,303,233		156	الاستفهام
346,161	الإيجاز والإسهاب	426,205,170	الاعتراض
296,269,248,206,158,76	المجاز العقلي	340,333,179,178,177,172	العطف بالفاء
376,370,340,310		261,190	الغلو
350	أوهم، التوهم	262,190,95	الإغراق
432,395,394,393,85,84	التوجيه	236,235	التفسير
		411,341,193,87,86,72	الاقتباس

2 - فهرس الآيات

الآية	الرقم	ص	الآية	الرقم	ص
سورة البقرة 2			سورة المائدة 5		
"وعلى أبصارهم غشوة"	7	172	يا أيها الرسول بلغ	67	186
"في قلوبهم مرض، فزادهم الله			فهل أنتم منتهون	91	329
مرضا"	10	278			
"وإذا لقوا الذين آمنوا.. وإذا خلوا"	14	217	سورة الأنعام 6		
"قافجرت"	60	213	الله أعلم حيث يجعل رسالته	124	95.94
ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع	155	347	حتى يلج الجمل في سم الخياط	40	255
"يسألونك عن الأهلة	189	186			
وبقية مما ترك آل موسى	248	268	سورة الأعراف 7		
أو كالذي مر على قرية	259	278	أتهلكنا بما فعل السفهاء منا	155	196
لها ما كسبت، وعليها ما اكتسب	286	207	فانبجست	160	213
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به	286	194	وأملئ لهم، إن كيدي متين	183	278
سورة آل عمران 3			سورة التوبة 9		
نزع من نشاء وتزل من نشاء	26	207	".. ويخزهم وينصركم عليهم		
بعد إذ أنتم مسلمون	80	239	ويشف صدور قوم مؤمنين"	14	278
لا يألونكم خبالا	118	208			
أفان مات	144	217	سورة يونس 10		
حسبنا الله ونعم الوكي	173	358	حتى إذا أخذت الأرض		
سورة النساء 4			زخرفها.. أتأها أمرنا ليلا أونهارا	24	230
"حتى يخوضوا في حديث غيره".	140	413	ولا تعملون من عمل...إذ		
"لا يكدون يفقهون حديثا".	78	278	تفيضون فيه	61	239
"قلا تميلوا كل الميل فتروها			سورة هود 11		
كالمعلقة".	59	54	واصنع الفلك بأعيننا	37	277
وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.	14	217	وما توفيقى إلا بالله	88	190

الآية	الرقم	ص	الآية	الرقم	ص
(س. هود: تليع)					
إن الحسنت	114	325	قال: فما خطبك يا سامري	95	278
سورة يوسف 12			سورة الأنبياء 21		
"قلقوه على وجه أبي يأت بصيرا"	93	278	ما زالت تلك دعواهم	15	55
سورة الرعد 13			كوني برداً وسلاما	69	408
صنوان وغير صنوان	4	51	سورة الحج 22		411
سورة الحجر 15			وترى الناس سكرى وما هم		
فلصدع بما تؤمر	94	234	بسكرى	2	52
نبي عبادي أنا الغفور الرحيم	49	278	سورة المؤمنون 23		
سورة النحل 16			إلى ربوة ذات قرار ومعين	50	211
وأوحى ربك إلى النحل	68	341	سورة النمل 27		218
فيه شفاء للناس	69	337	فتبسم ضاحكا	19	210
سورة الكهف 18			فلما رآه مستقرا عنده	40	284
وتحسبهم أيقاظا وهم رقود	18	207	وأسلمت مع سليمان	44	286
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر	29	277	وهي تمر مر السحاب	82	303
وإن يستغيثوا يغاثوا بماء	29	324	سورة القصص 28		
أتوني لفرغ عليه قطرا	96	225			
سورة مريم 19					
وكان صادق الوعد	54	190			
لقد جنتم شيئا إذا	89	54			
سورة طه 20					
في جنوع النخل	71	282			

الآية	الرقم	ص	الآية	الرقم	ص
تنودان	23	90	سورة النجم 53		
يا موسى أهبل	31	186	وما ينطق عن الهوى	3	52
إن قارون كان من قوم موسى	76	412	عند سدره المنتهى	14	284
سورة الوم 30			وأنه هو رب الشعري	49	403
وإذا مس الناس ضر.. ثم إذا أذاقهم	33	217	سورة القمر 54		
ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون			عند ملك مقدر	55	284
ما لبثوا غير ساعة	55	159	سورة الرحمن 55		
سورة سبأ 34			الشمس والقمر بحسبان، والنجم		
وجفن كالجواب وقدور راسيات	13	277	والشجر يسجدان	6-5	189
سورة فاطر 35			سنفرغ لكم أيها الثقلان	31	364
هذا عذب فرات.. وهذا ملح أجاج	12	51	سورة التحريم 66		
سورة الصافات 37			فقد صغت قلوبكما	4	257
وتركنا عليهم في الآخرين	108	250	سورة القلم 68		
سورة الزمر 39			إنك لعلى خلق عظيم	4	190
يا حسرتا على ما	56	325	سورة نوح 71		
سورة غافر 40			"رب اغفر لي ولوالدي وللمن		
يوم التناد، يوم تولون مدبرين	33	278	دخل بيتي مؤمنا"	28	243
النار يعرضون عليها	46	266	سورة المنثر 74		
إن الذين يستكبرون عن عبادتي	60	248	"فكر وقد قتل كيف قدر	19/18	148
سورة الأحقاف 46			سورة الإنسان 76		
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم	25	278	"هل أتى"	1	360
أو أثرة من علم	4	251			

الآية	الرقم	ص	الآية	الرقم	ص
(س. الإنسان تابع)					
"إنا خلقنا الإنسان من نطفة"	2	278	سورة الفجر 89		
"ذانية عليهم ظلالها، وذللت قطوفها			يا أيتها النفس المطمئنة	27	266
تنليلاً".	14	278			
			سورة للزلزلة 99		
سورة النبأ 78			فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره	8	257
لا ينوقون فيها بردا	24	406			
سورة التكويد 81			سورة الماعون 107		
الجواري للكنس	16	155	"أرايت الذي يكنب بالدين فذلك		
			الذي يدع اليتيم	2-1	278
سورة الغاشية 88					
إنا إينا إياهم ، ثم إن علينا حسابهم	26	87			

3 - فهرس الأحاديث

الحديث	ص	الحديث	ص
- "أجد نفس ربكم من جهة اليمين	302-	- "خير الأمور أوسطها"	55
303		- "الزرق في العيون يمن"	345
256		- "الظلم ظلمات يوم القيامة"	286
- "أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه		- "لا تسبوا الريح، فإنها من نفس	
ألا أخبركم بما يحو به الله الخطايا		الرحمن"	301
ويرفع به الدرجات:		- "لا يقل أحدكم: يا خبث الدهر، فإن	
إسباغ الوضوء على المكاره،		الله هو الدهر"	268
وكثرة الخطى إلى المسجد،		- "تصرت بالصبا، وهلك عاد	
وانتظار الصلاة إلى الصلاة."	311	بالنبور"	172
- "إن من البيان لسحرا"	52		
"جنتكم تحت ظلال السيوف"	413		

4 - فهرس الأمثال

المثل	المثل
آمن من ظبي الحرم	157
أبعد من بيض الأنوق	54
أحير من ضب	55
أشغل من صب	55
أغرب من الأبلق العقوق	54
تركه ترك الظبي لظله	161
لا بد من صنعا	55
لا عطر بعد عروس	226
ليس هذا بعشك فلارج	227
منع البرد البرد	55
وافق شن طبقة	406
الوجع في الرأس والكي في العرقوب	132
	197

5 - فهرس القوافي¹

أ -

414	محمد الريب	الطويل	(2)	ندوة
396		مخ البسيط	(2)	نكاء
230	ابن قرناص	الكامل	(2)	شمطاء
63	ابن سعيد	المنسرح	(2)	ينشئها
146		الخفيف	(1)	القضاء
331		البسيط	(1)	أمعاء
331		البسيط	(1)	الماء
417	ابن الرومي	الكامل	(2)	هجاءه
404	الطغراني	الكامل	(4)	الأعداء
238		الطويل	(2)	مرائي
129		المديد	(2)	الندماء
216	الحاجي	البسيط	(2)	وإنباء
122	مجير الدين بن تميم	مخ البسيط	(2)	الغناء
82	ابن سهل	الوافر	(2)	المساء
216		الكامل	(2)	الضراء
259	ابن نبلة	الكامل	(2)	مائه
385	ابن نبلة	الخفيف	(2)	داء
320	إبراهيم المعمر	الخفيف	(2)	ورقاء
227	أبو نواس	الخفيف	(1)	السماء
398	أبن صارة	الخفيف	(6)	الظلماء
417	الوراق	المجتث	(2)	النشاء
221	المسعودي	المجتث	(4)	التنائي

ب -

251		الطويل	(2)	مصاحب
262		الطويل	(1)	ثقبه

¹ - الأرقام المحصورة بين قوسين تدل على عدد أبيات الشاهد.

251		الطويل	مصاحب (2)
262		الطويل	ثاقبه (1)
53		الطويل	مغرب (1)
222	بشار	الطويل	كواكبه (1)
212	ابن نبلة	الطويل	مواهب (2)
237	ابن الخيمي	البسيط	العجب (1)
318	ابن تميم	البسيط	الطرب (2)
332	علي بن الجهم	البسيط	نسب (3)
237	ابن الخيمي	البسيط	الطلب (1)
402	ابن رشيق	البسيط	مطلبه (2)
174	أبو تمام بن غالب الحجام	البسيط	تأتهب (2)
363	ابن وكيع	البسيط	أطيه (2)
57	النايعة	الوافر	الشباب (1)
196	المتنبي	الوافر	العذاب (1)
359	الوراق	الوافر	الأبيب (2)
335		الوافر	تتوب (2)
419	الأبيوردي	الكامل	الأحساب (2)
253	أبو العتاهية	الكامل	عطبه (1)
163	ذو الرمة	الطويل	هويها (2)
212	ابن سهل	الكامل	يصيه (1)
53	ابن سهل	الرملي	مغرب (1)
361	ابن سهل	الزامل	المننب (1)
372	ابن سهل	الرملي	مذهب (1)
167	الأرجاني	السريع	الصحب (2)
129		السريع	أهرب (4)
148	المعري	الخفيف	نسبه (5)
362	صالح بن شريف	المتقارب	أعجب (4)
60	ابن الجوزي	المتقارب	قلب (3)
52		الطويل	فتسه (1)
198		الطويل	اللقبا (2)

78	ابن سهل	البسيط	(15)	ذهبا
178		البسيط	(1)	لهبا
249	المتنبي	الوافر	(1)	للنوبا
231	ابن رشيق	الوافر	(2)	وطيبا
83	ابن سهل	الكامل	(6)	خبا
233	منديل بن أجروم	السريع	(2)	المغربا
293	ابن الأبار	الخفيف	(10)	الكثييا
191		المتقارب	(3)	القلوبا
259		الطويل	(1)	للتناوب
254	المتنبي	الطويل	(1)	كاتب
130	بهاء الدين السبكي	الطويل	(2)	كرب
177	النور الإسعدي	كامل	(2)	كتضيب
305		الطويل	(1)	مغلب
80	ابن سهل	الطويل	(6)	ذنوبي
339	ابن المعتز	الطويل	(2)	رقيب
418	ابن الرومي	البسيط	(2)	متنب
430	محمد بن علي القصري	البسيط	(1)	لدولاب
289		البسيط	(2)	الحبيب
355	ابن نباتة	البسيط	(2)	يطب
312	ابن الرومي	الوافر	(2)	عجاب
308	الحسن	الوافر	(3)	جوابي
227		الكامل	(2)	جنائب
386	أبو تمام	الكامل	(1)	الجلياب
138	السراج الوراق	الكامل	(2)	الآداب
86	ابن سهل	الكامل	(1)	إعرابه
418	ابن زيدون	الكامل	(3)	ثولبي
147	ابن أبي حجلة	الكامل	(2)	والطرب
386	أبو العرب	الكامل	(2)	الأشنب
255		السريع	(2)	به
244	السراج الوراق	السريع	(2)	لكتتاب
379	ابن طاهر	السريع	(2)	قضب

132		المديد	(1)	الخطب
342	ابن نباتة	الخفيف	(2)	ذائب
132		الرمل	(1)	واشتهب
361	ابن الخطيب	الرمل	(2)	يذوب
353	الوداعي	السريع	(2)	الرقيب
320		المتقارب	(2)	المنتخب
129		المتقارب	(2)	الكرب

ت -

403	ابن الزقاق	الطويل	(1)	السبت
291	التقي السروجي	الكامل	(9)	نقته
261	أبو علي بن سيناء	الخفيف	(1)	زيت
109	أبو بكر بن زهر	البسيط	(5)	رأنا
374	الملوعي	البسيط	(2)	تشتيتا
194		مخ البسيط	(شطر)	وصفته
360	ابن الوردي	الكامل	(2)	مشتتا
89	ابن عبدون	الطويل	(2)	ثابت
421		الطويل	(1)	وجناتها
254	ابن الفارض	الطويل	(3)	لنظرتي
345	الوألواء دمشقي	البسيط	(3)	مقاته
334	ابن سهل	الكامل	(1)	جمراته
77	صفوان بن إبريس	الكامل	(8)	كلماته
378	ابن سنان الخفاجي	الكامل	(3)	ملمة
325	القيصري	م. الرمل	(2)	حسراتي
126	ابن حبيب الفقيه	السريع	(3)	قبضته
308	الإفراني	المتقارب	(2)	مهجتي
433		السريع	(1)	كملت
315	ابن وهبون وخاله	المنسرح	(2)	سكرت

- ث -

345	أبو الأصبع	الطويل	(3) نافث
208		مج الخفيف	(2) تحدثوا

- ج -

234	منديل بن أجروم	الطويل	(2) زجاج
177	ابن رشيق	الطويل	(1) عجاج
356	ابن أبي حجلة	البسيط	(2) بالبلج
367	محمد بن هاشم (الخالدي)	الكامل	(2) تبرج
184	ابن الشاط	الكامل	(2) منهاج
182	ابن النحوي	المتدارك	(1) السرج

- ح -

101	ابن الزقاق	الطويل	(1) وشاخ
396	ابن قرمان	البسيط	(2) الراح
166	ليبد	البسيط	(1) الصالح
223	ابن وهيب	الكامل	(1) يمتدح
127	ابن الوردي	الكامل	(2) التبريح
90	ابن سهل وابن سعيد	السريع	(2) نفلح
281	عبد المحسن الصوري	الخفيف	(5) قرح
425	التهامي	الكامل	(3) صباحا
396	ابن عبد المنان	الكامل	(2) مزاحا
396		الوافر	(2) جنا
341		الخفيف	(2) وشحا
308		المجتث	(2) وصفاحا
435	مجير الدين الإسعدي	الطويل	(2) شحيح
317	ابن تميم	الوافر	(2) الصباح
91	ابن سهل وابن سعيد	الكامل	(9) الراح
219	ابن مزين	الكامل	(4) نقاحي

345	أبو عامر	الكامل	(3) جناحي
425	مجد الدين بن الظاهر الإربلي	الكامل	(1) سفحه
277	ابن رشيق	السريع	(2) المزاح
384	الصنوبري	الخفيف	(2) بالمزاح
276	أبو نواس	الرمل	(1) ويصيح

خـ

178	محي الدين بن قرناص	الكامل	(2) فيشمخ
232	منديل بن أجروم	البسيط	(5) والشيوخ
218		الطويل	(1) الشوامخ

دـ

381	ابن الرومي	الطويل	(3) حاسد
267	الحماسي	الطويل	(2) مزيد
284	أبو عبد الله القوري	الطويل	(2) بعد
93	إبراهيم بن الفخار	الطويل	(7) ينتقد
279	العباس بن الأحنف	المديد	(2) وتكابد
174	أبو تمام غالب بن رباح الحجام	البسيط	(2) تنقد
220		الطويل	(2) عهد
357	ابن الوردي	البسيط	(2) ولد
267	أبو جعفر (الرعي)	مخ البسيط	(2) مزيد
307	ابن عمار	الوافر	(5) فريد
381	ابن يونس أبو العباس	الكامل	(4) رقد
248	ابن يونس		(2) رقد
186	المنتبي	الكامل	(1) يحمّد
127		الكامل	(2) العود
178		المنسرخ	(2) أجد
318	عرقلة	خفيف	(2) بردا
302	كامل صاحب سلمى	الطويل	(2) العبداء

408	ابن سناء الملك	الطويل	(4)	إحدى
331	ابن سناء الملك	الطويل	(2)	لأشهدا
99	قسمونة بنت إسماعيل	الطويل	(2)	يدا
177	الأسدي	الوافر	(2)	سمودا
166	بنت لييد	الوافر	(4)	الوليدنا
96	إلياس بن مدور الطبيب	الكامل	(2)	واحدا
156	(الأرجاني)	الكامل	(2)	مكمدا
350	(ابن حجاج أو أبو حجاج)	السريع	(2)	فائده
330	الشهاب الخفاجي	السريع	(2)	شاهده
315	ابن نباتة	المنسرح	(2)	العاده
67	ابن سهل	الطويل	(2)	أهتدي
395	عبد الوهاب القاض	الطويل	(2)	بالحد
198	الأرجاني	الطويل	(1)	واحد
276	بشار	الطويل	(1)	خدي
271	بهاء الدين زهير	الطويل	(2)	ووارد
417	المتنبي	الطويل	(1)	الوردي
416	أبو تمام	الطويل	(1)	الوردي
421	أبو تمام	الطويل	(1)	الوردي
294	ابن أبي ربيعة	الطويل	(2)	توسد
127	الصفدي	الطويل	(2)	الأثنيدي
399	أبو حيان	الطويل	(2)	قصدي
85	ابن سهل	الطويل	(2)	الرعد
126	ابن عبد ربه	البسيط	(2)	أحد
170	الحكيم بن عيال	مخلع البسيط	(2)	وساد
159		مخلع البسيط	(5)	فوادي
379	صالح بن شريف	مخلع البسيط	(2)	الورود
367	ابن طباطبا	الوافر	(2)	الحسود
403		الوافر	(2)	عيد
399	(ابن العربي)	الكامل	(1)	ميعاد
399	ابن صارة	الكامل	(1)	رملد
351	حسن (أبو نولس)	الكامل	(2)	البارد

381	ابن يونس أبو العباس	الكامل	(1)	الحاسد
314	النابعة	الكامل	(1)	ندي
319	النابعة	الكامل	(3)	بالإثم
258	النابعة	الكامل	(1)	العود
351	ابن المعتز	الكامل	(2)	حميد
285		مج للرمل	(1)	عندي
289	ابن نبالة	السريع	(2)	الوردي
140	الطيب المريني	السريع	(1)	السعيد
259	ابن النعتر	المنسرح	(2)	بالعيد
161		الطويل	(2)	وقد
382	أحمد المنصور (الذهبي)	الرمل	(4)	نهذ
375	قاسم العقابني	السريع	(2)	الجحود
375	ابن شرف	السريع	(2)	الخنود
434	ابن حجر	المجتث	(2)	فعد



139	ابن رشيق	الكامل	(2)	الموذي
362		الكامل	(2)	ناقض



246	عبد الله بن جندب الهذلي	الطويل	(2)	ثأر
94	إبراهيم بن الفخار	الطويل	(2)	ولستر
425		الطويل	(1)	لكر
165		الطويل	(1)	لقجر
328		الطويل	(2)	والبحر
332		الطويل	(1)	والخمر
187	الحلي	الطويل	(3)	نضيرها
426	نصيب	الطويل	(1)	أطير
254		الطويل	(1)	كافر

322		الطويل	(1) صفر
327	الأخطل	الطويل	(2) هدير
397		البسيط	(2) وتستتر
95	ابن خفاجة	البسيط	(3) وأشجار
335	أبو الخطاب السعدي	البسيط	(2) مضر
409	ابن قرناص	البسيط	(2) النضر
235	ابن وهيب	البسيط	(1) القمر
228	ابن تميم	مج البسيط	(2) نولر
399	ابن لبال	مج البسيط	(2) جئار
229		الكامل	(2) آدار
194	العباس بن الأحنف	الكامل	(2) الأقدار
333		الرمل	(1) تعذر
211		السريع	(2) الأخضر
253	ابن دريد	السريع	(2) يشعر
136	ابن جابر	السريع	(2) ظاهر
400	ابن تميم	المنسرح	(2) مستور
81	ابن سهل	الطويل	(7) البدر
370	حسن الزغاري	الطويل	(2) احمرارها
153	الكميت	الطويل	(1) أغفرا
56	(أبو نواس)	الطويل	(1) شهرا
75	أبو المطرف بن عميرة	الوافر	(2) صفرا
58	(ابن أبي رخ الجزيرة)	مج الوافر	(2) تره
62	ابن سفي	الكامل	(2) ثاره
134	أبو جعفر الرعيني	الكامل	(2) ضماتره
290	ابن المرحل	البسيط	(2) جارا
332	الصفدي	الكامل	(2) تنكرا
183	(أبو عبد الله محمد بن مماتي اللخمي)	الكامل	(2) مقصوره
348	لب عبد الوارث القلعي	الكامل	(2) محيرا
57		الرمل	(1) والثرى
318	(عبد الله الأنصاري)	السريع	(2) حره
359	محمي الدين بن عبد الظاهر	الخفيف	(2) وهجره

405	سعد الدين بن العربي	الخفيف	أدري (3)
246	ابن نبيلة	الخفيف	مكسورا (2)
375,243	ابن النبيه	الخفيف	احمرارا (2)
373	ابن نبيلة	الخفيف	أنرا (2)
400	ابن جرج	المجنت	غرّه (3)
121		الطويل	المحبر (11)
203		الطويل	الستر (2)
264	القاضي الفاضل	الطويل	البدري (1)
321	سعد الدين بن العربي	الطويل	بالدر (2)
313	الصواف	الطويل	يغري (2)
346	كشاجم	الطويل	الجمري (2)
68	ابن سهل	الطويل	الحشري (1)
179	أبو نواس	المديد	ظفر (2)
247	ابن الوردي	البسيط	الباري (2)
229		البسيط	الجاري (2)
418	المنباري	البسيط	خري (1)
259	ابن المعتز	البسيط	حزري (2)
60		البسيط	الطري (1)
417	ابن الرومي	البسيط	بالبصر (3)
418	المنباري	البسيط	طري (1)
128	القيراطي	البسيط	خطر (2)
405	ابن الرومي	البسيط	تعبير (3)
366	ابن المعتز	الوافر	ستر (2)
342		الوافر	كوثري (1)
204		الوافر	الديار (1)
76	ابن سهل	الكامل	لغثاره (17)
333	ابن صارة	الكامل	للنظر (5)
419	ابن حكينا البغدادي	الكامل	بعار (2)
108	الزبير بن أبي غانم	الكامل	بغار (3)
159	صفي الدين الحلي	الكامل	التنكار (2)
372	ابن خفاجة	الكامل	دينار (1)

341	المعتمد	الكامل	(1)	ويواتر
288		الكامل	(2)	المفتري
320	ابن الساعاتي	الكامل	(2)	كوثر
244	أبو الشحناء العسقلاني	الكامل	(2)	خصره
360	ابن نباتة	الكامل	(2)	بفكره
341	النحلي	الكامل	(2)	ظاهر
381	ابن تميم	الكامل	(2)	مكسور
413	الشهاب العسقلاني	الكامل	(2)	سيره
215		السريع	(2)	الساري
288		السريع	(2)	الساري
122	عز الدين الموصلي	السريع	(2)	أسمار
390	القاضي عبد الوهاب أو الدارمي	السريع	(2)	الزاهر
385	الحلواني	المنسرح	(4)	الكبر
229	بن المعتز	الخفيف	(2)	للأمطار
374	الوواء المشقي	الخفيف	(2)	والمهجور
122	(أبو بكر الصولي)	الخفيف	(2)	والمهجور
402	عبد الوهاب المالقي	المتقارب	(2)	أخضر
63	ابن سهل	المتقارب	(2)	للظهور
200		المتقارب	(1)	حرها
356	ابن العطار	الوافر	(2)	ظاهر
171	البهاء زهير	مج الرمل مر	(2)	زائر
250	(ابن عبد الله الغواص)	الرمل	(2)	فقمر
181	ابن سهل	الرمل	(1)	الغرر
322	القاضي المنذر	السريع	(2)	احورار
322		السريع	(2)	المستشار
392	منديل بن أجروم	المنسرح	(2)	النافر
289		الكامل	(3)	بالنظر
98	العباس بن الحسن العلوي	الكامل	(2)	الحور
385		مج الكامل	(4)	كالبدور
202	ابن سهل	الرمل	(1)	بالفكر

193		لرمل	(1)	النظر
183	البستي	المتقارب	(2)	بالظفر

ز -

243		الخفيف	(2)	رمزه
353	ابن يعمر	الخفيف	(2)	وجيز
316	ابن العابد أبو الحسن	المتقارب	(2)	لعجوز
131		الهزح	(1)	خباز

س -

94	إبراهيم بن الفخار	المديد	(2)	عرس
241	الفرزدق	الوافر	(2)	لباس
317	النواجي	الكامل	(2)	نفائس
92	ابن سعيد	السريع	(2)	يرأس
167		الطويل	(2)	الهواجسا
74		الطويل	(4)	عسعا
389	ابن الفارض	البسيط	(1)	غرسا
258	ابن المعتر	السريع	(2)	لحندسا
412		الخفيف	(2)	الرؤوسا
356	ابن العطار	المجتث	(2)	رئيسا
226	الإفراتي	الخفيف	(2)	لنفوس
158	ابن إسرائيل	السريع	(2)	بقرطاسيه
251	ابن الخفيف	السريع	(2)	للكاس
153	ابن سهل	لرمل	(1)	مكتس
428	ابن سهل	لرمل	(1)	لخمس
379	ابن سهل	لرمل	(1)	لخلس
303	ابن الخطيب	لرمل	(1)	لنفس
432	ابن الخطيب	لرمل	(2)	نفس

349	ابن سهل	الرمل	(1) عيس
163	ابن سهل	الرمل	(1) بالقيس
210	ابن سهل	الرمل	(1) المنبجس
388	ابن سهل	الرمل	(1) المغترس
423	ابن سهل	الرمل	(1) حرس
284	ابن سهل	الرمل	(1) كالخرس
225	ابن سهل	الرمل	(1) عرس
337	ابن سهل	الرمل	(1) اللعس
299	ابن سهل	الرمل	(1) النفس
259	(أينمر المحيوي)	الكامل	(1) رأسه
145		الكامل	(2) الراس
227	ابن سهل	الكامل	(3) عروس
222	الخذساء	الوافر	(1) نفسي
301		الوافر	(2) كاسي
309	محمد بن الطيب العلمي	البسيط	(2) بوس

- ش -

398	ابن سهل	الرمل	(1) ماشا
406	ابن سهل	الرمل	(1) الحشا
416	ابن سهل	الرمل	(1) رشا

- ص -

235	منديل بن أجروم	الطويل	(3) نص
135	ابن جابر	البسيط	(2) تنقيص
209		الكامل	(1) وقميصا
72	صاعد	السريع	(1) الفصوص
72		السريع	(1) يغوص

- ص -

245	محاسن الشواء	الطويل	(2)	قارضُ
190	أحمد بن عبد المنان	الخفيف	(1)	عياضُ
66	ابن سهل	الطويل	(2)	والبعضا -
80	ابن سهل	الكامل	(10)	عرضا
374	بدر الدين	الكامل	(2)	وانقضى
245	الشهاب محمود	المتقارب	(2)	فيضا
260	سيف الدولة بن حمدان	الطويل	(5)	الغمض
326	ابن الأزرَق الغرناطي	البسيط	(2)	ليماض
130	أبو فراس الحمداني	مخلع البسيط	(2)	نهوضي
139	ابن صلالة	مخلع البسيط	(2)	غموض
247		المنسرح	(2)	الغمض
424	أبو سالم عبد الله العياشي	المجثث	(2)	أرتضي

- ط -

345	الوداعي	مج الوافر	(2)	تخط
-----	---------	-----------	-----	-----

- ع -

392	ابن الزقاق	الطويل	(2)	الأضالعُ
197	النابعة	الطويل	(1)	رتعُ
215		الطويل	(1)	يتوجعُ
215	السراج الوراق	الطويل	(1)	يسمعُ
197	القاضي شريح	الطويل	(2)	المسامعُ
230	أبو تمام	الطويل	(2)	هامعُ
235	منصور النمري	البسيط	(4)	تجتمعُ
79	ابن سهل	الوافر	(11)	القناعُ
364		الوافر	(1)	تستطيعُ
203		الكامل	(2)	مصدوعُ

55		الكمال	(1)	مرقوغ
264	بدر الدين الزغاري	الطويل	(2)	أضالعه
294	امروء القيس	الطويل	(2)	أثلعاً
336		البسيط	(1)	والضبيعا
339	المتنبى	الكمال	(2)	أربعا
121	كشاجم	مج الكامل	(3)	ونفعا
391	الدرامي محمد بن عبد الواحد	المتقارب	(2)	ساعه
214	الإفراني	الطويل	(1)	القطع
367	المعوج	الطويل	(2)	طالع
89	ابن الوردي	الوافر	(2)	امتناع
260	(سيف الدولة بن حمدان	مج الوافر	(1)	الفرع
412	ابن الرومي	مج الوافر	(2)	منعي
190	ابن جزي	الكمال	(2)	الموضوع
176	(أبو بكر بن الجزار السرقسطي	الكمال	(2)	المسموع
390		السريع	(2)	الشارع
390	التنسي	السريع	(2)	السامع
390		السريع	(2)	الواسع
136	ابن جابر	الخفيف	(2)	سريع
133	القيراطي	الخفيف	(2)	خليعي
391	الدرامي أبو الفضل	المنسرح	(1)	للتاسع

ف

85	ابن سهل	الطويل	(1)	الوقف
187		البسيط	(2)	خلف
306	أبو الحسن الجزار	مج البسيط	(2)	تختلف
242	ابن خطيب داريا	الكمال	(2)	تكليف
238		السريع	(2)	منحوف
182	ابن التلمساني	المنسرح	(2)	يعصفها
129		الطويل	(2)	طرقا
180	محاسن الشواء	الوافر	(2)	أفة
134		الكمال	(9)	مستهدفا

250	ابن سهل	الرمل	(1) الصفا
266	ابن سهل	الرمل	(1) ثلثا
240	ابن سهل	الرمل	(1) الذنفا
268	أبو نواس	السريع	(1) سلقا
414	أبو العباس الخزرجي	الخفيف	(2) للمخافة
395	ابن عنين	المتقارب	(1) معرفه
228	ابن تميم	الكامل	(2) ضاف
270	شرف الدين بن عنين	الكامل	(2) تلاقى
255	أبو نواس	الكامل	(1) أخفى
89	ابن مماتي	الكامل	(1) للأحرف
271	ابن الفارض	الكامل	(4) بمسرف
212	الخالدي	الكامل	(2) لا تطفئ
291	ابن الفارض	الكامل	(3) عنف
272	ابن النبيه	الكامل	(1) مرهف
228	علي ابن أبي طالب	البسيط	(2) صاف
372		مخ. البسيط	(2) انتصاف
134	شهاب الدين ابن صارة	السريع	(2) عطفه
434	العماد الكاتب	الخفيف	(2) الإسكاف
355	الوداعي	الخفيف	(2) تعنفي
281	أبو عبد الله النقاش البغدادي	المتقارب	(2) خفي
265	ابن الأبرار	مخ. الكامل	(4) للارتشاف
413	منديل بن أجروم	السريع	(2) مخوف
205	الخالدي	السريع	(1) الألف
306	حسن بن المصيصي	المتقارب	(7) ما عرف



377	دعبل	الطويل	(1) لاحق
156	المظفر بن عمر الأمدي	البسيط	(2) أصدق
212		الكامل	(2) رفاق
255	ابن اللبابة	الكامل	(1) يطرق

269	سابق البربري	الكامل	(1)	تمزقُ
279	بشار	الكامل	(1)	تعشقُ
309		الكامل	(1)	يعشقُ
374		الكامل	(2)	يغلقُ
391		السريع	(2)	الشرقُ
241	العطار المغربي	السريع	(2)	معشوقها
244	ابن نباتة	الكامل	(1)	المسروقا
333		الخفيف	(1)	يفيقا
310	ابن العفيف	الخفيف	(2)	خليقه
346	السري الموصللي	المتقارب	(2)	مطرقا
239		الطويل	(2)	وشقائق
81	ابن سهل	الطويل	(8)	الشقي
279	بشار	المديد	(1)	العشاق
220	ابن العويرة	البسيط	(2)	حرقى
407	القاضي عبد الوهاب	البسيط	(2)	الضيق ³
221		الوافر	(4)	المذاق
312		الوافر	(2)	بالخلق
289	البدر الغزي	الوافر	(2)	عقيق
312	ابن العابد	الوافر	(2)	بالخلق
200		م. الوافر	(3)	نسق
272	ابن العفيف	الكامل	(5)	البقي
322	عبد المحسن الحلبي	الكامل	(2)	لفرقه
185		الكامل	(2)	العشاق
171	معين الدين	الكامل	(2)	الطارق
220	أبو القاسم العطار	الكامل	(1)	الآماق
59		الكامل	(1)	مشرق
169	ابن بقي	الكامل	(4)	لناتق
170	الصفدي	الكامل	(4)	بعاشق
263	أبو نولس	الكامل	(1)	تخلق
137		الهجج	(4)	وأحدق
318	ابن عبد الظاهر	السريع	(2)	معشوقي

128	ابن الوردي	المجتنث	رفقي (2)
301	(محمد بن سليمان أبو عبد الله)	الطويل	الورق (3)
289		مج. الكامل	المذاق (2)
313	ابن سهل	الرم	رحيق (1)
305	ابن سهل	الرم	رفيق (1)
327	ابن سهل	الرم	يفيق (1)
383	محمد بن العارف	الرم	الفلق (4)
175	المزياني أبو القاسم	السريع	فائق (1)
175	ابن عبدون	السريع	لغسق (1)
176	محمد بن خلف	السريع	الشفق (1)
175	مالك بن المرحل	السريع	الفلق (1)



255	أبو نواس	الطويل	سلق (4)
314	ابن تميم	الكامل	معرك (3)
134	أبو جعفر (الرعي)	الكامل	سالق (2)
233	ابن خفاجة	الكامل	ويمسك (2)
169	الماكودي	البسيط	ولتترك (2)
411	ابن رشيق	البسيط	والضحكا (2)
232	دعل	الكامل	فبكى (1)
269		الهزج	تولتيكا (3)
98	نسيم الإسرائيلي	المجتنث	لراك (2)
269	سفيان الثوري	المتقارب	قكا (2)
272	ابن الأحمر	الطويل	منك (2)
392	ابن الدمينه	الطويل	جملك (4)
273	الصفدي	الطويل	سلق (2)
319	بشار	البسيط	المسلوك (2)
358	الصفدي	الكامل	تهتكى (2)
170	ابن سناء الملك	الوافر	برهطك (2)

216	لُوبَكَرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ	مَج. الْكامل	حَالِكُ (2)
261	عَزُ الدِّينِ المَوْصِلِي	الرَّمَل	المَسَالِكُ (2)

ل -

353	ابن الساعتي	الطويل	والأصلُ (2)
323	ابن هرمة	الطويل	نَقْلُ (1)
201		الطويل	نَوْبِلُ (1)
101	أبو تمام	الطويل	الْخَلَاخُلُ (1)
310		المتقارب	الْخِيَالُ (2)
394	ابن عبد السلام	الطويل	يُوصِلُوا (2)
414	(محمد بن باشر التسولي)	الطويل	جَاهِلُهُ (2)
160	محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدي	الطويل	سَيْبِلُ (1)
165		الطويل	قَلِيلُ (2)
422	المتنبى	البسيط	لَحْلُ (1)
286		البسيط	مَسْدُولُ (4)
83	ابن سهل	الوافر	مَسْتَحِيلُ (1)
334	أبو نواس	م. الوافر	فَضْلُ (5)
75	ابن الرومي	للكامل	مَقْتَلُ (1)
76	ابن سناء الملك	للكامل	مَقْتَلُ (1)
248		للكامل	وَلَطُولُ (1)
173	مجير الدين بن تميم	للكامل	جَمِيلُ (2)
292	البهاء زهير	م. للكامل	تَعَذَّلُ (3)
176	ابن المعتز	م. للكامل	قَتْلُهُ (2)
133	شهاب الدين (بن صارو البجلي)	السريع	طَوِيلُ (2)
89	الشنفرى أو خلف الأحمر	الخفيف	لَحْلُ (1)
127	ابن تميم	الخفيف	نَلُولُ (2)
379		المجثث	تَمْلُ (2)
180	ابن سناء الملك	المتقارب	الشَّامِلُ (2)

320	الصفدي	الطويل	(2)	أقبلا
363	الشريف الرضي	الطويل	(1)	فأقبلا
377	ابن الرومي	الطويل	(4)	تصلها
166	لبيد	البسيط	(1)	سربالا
166	لبيد	البسيط	(1)	أقبالا
380		البسيط	(1)	الغسلا
380	إسحاق بن إبراهيم الموصلي	البسيط	(1)	خجلا
160	(أبو الفتح البستي)	البسيط	(2)	عامله
261	المنتبي	الوافر	(1)	الوصالا
365		الوافر	(2)	الجهاله
387	كثير	الكامل	(1)	لها
341	منديل بن أجروم	الكامل	(2)	جماله
332	سالم بن الوليد	الكامل	(2)	غزالا
388		الكامل	(1)	مخنولا
213	الأرجاني	الكامل	(1)	المشعلا
194		الكامل	(1)	شاغلا
173	فتح الدين (بن عبد الظاهر)	الكامل	(3)	قبولا
173	عز الدين الموصلي	الكامل	(2)	رسولا
83	ابن سهل	الكامل	(2)	كليلا
403		السريع	(2)	لا
252		السريع	(2)	النمله
383	ابن دريد	المنسرح	(2)	خجلا
140	أبو نواس	الخفيف	(3)	قبله
291	عبد العزيز الأنصاري	الخفيف	(8)	ولعه
215		المجثث	(3)	خبالا
86	ابن سهل	المجثث	(2)	مهلا
222	امرؤ القيس	الطويل	(1)	البالي
183		الطويل	(1)	لوصال
401	امرؤ القيس	الطويل	(1)	عل
176	امرؤ القيس	الطويل	(1)	مقتل
179	أبو سعيد الرستمي	الطويل	(2)	مثلي

214		الطويل	(2)	منجلي
272		الطويل	(1)	الوصل
324	امروء القيس	الطويل	(1)	حنظل
252	ابن مرج الكحل	الطويل	(2)	النمل
87	ابن سهل	الطويل	(2)	أبو جهل
263	العتابي	البسيط	(2)	حيل
242	الصفدي	البسيط	(1)	ولاحيلي
223	المنتبي	الوافر	(1)	محال
187		الوافر	(1)	الجمال
423	ابن فتوح	الوافر	(2)	وقال
222	المنتبي	الوافر	(1)	الغزال
165	الوليد بن عتبة	الوافر	(2)	عقيل
277	المجد الإربيلي	الكامل	(2)	ملال
377	أبو تمام	الكامل	(1)	ماله
322	أبو حاتم الحجازي	الكامل	(1)	زوالها
171	ابن العطار	الكامل	(2)	رحل
214		الكامل	(2)	بمحال
282		الكامل	(2)	الأول
281	أبو تمام	الكامل	(2)	الأول
306		الكامل	(2)	قيله
302	الرمادي	الكامل	(4)	عويلي
92	ابن سعيد	السريع	(1)	بالأرجل
92	ابن أبي الأصبع	السريع	(1)	الأكحل
92	أبو الحسن الجزار	السريع	(1)	بالأسفل
384	أحمد بن حبرة	المنسرح	(2)	لي
410	ابن العفيف	الخفيف	(3)	الببال
215		المجثث	(2)	مثلي
84	ابن سهل	السريع	(2)	الجمال
358	ابن تميم	السريع	(3)	جليل
202	الصفدي	المجثث	(2)	ذبل

247	الحلي	الطويل	(2)	المأم
224		الطويل	(2)	حجم
297	ابن ميادة	الطويل	(1)	فنكارمه
242	ابن الخيمي	الطويل	(2)	سقم
170		الطويل	(1)	كريم
263	(الفرزدق)	البسيط	(1)	يستلم
347	المتنبي	البسيط	(1)	والقلم
319	ابن مرج الكحل	الوافر	(2)	مدام
188	زياد الأعجم	الكامل	(1)	وسنام
409	حسن الزغاري	الكامل	(2)	الأيام
339	بكر بن النطاح	الكامل	(2)	أسحم
352	ابن الرومي	الكامل	(2)	بهييم
385	تميم بن المعز	م. الكامل	(6)	وأنعم
270	المأمون	الهزج	(4)	أمه
247	يوسف بن لؤلؤ الذهبي بئر الدين	السريع	(5)	بسام
227		الخفيف	(1)	غمام
262-205	حسان	الطويل	(1)	دما
68	ابن سعيد	الطويل	(2)	يسلمأ
409	أبو بكر بن القوطية	البسيط	(4)	نجمأ
324	الشریف المشقي	البسيط	(2)	ظما
325	ابن سناء الملك	البسيط	(2)	لمى
160	منديل بن أجروم	البسيط	(2)	بينهما
325	ابن حجة	الكامل	(2)	سقلمأ
98	إسماعيل الإسرائيلي	الكامل	(1)	جرمها
98	قسمنة بنت إسماعيل	الكامل	(1)	جرمها
228	الحائك الأمي	الكامل	(3)	تصرما
386	المتنبي	الكامل	(1)	جهنما
245	الأرجاني	الرمل	(2)	العظما
209		م. الرمل	(2)	يتعلمي

285	كشاجم	السريع	(2)	القسمه
324	ابن مكائس	السريع	(2)	للأمي
362		السريع	(5)	خيشمه
414	محمد الريب	للخفيف	(2)	حسامه
60		للخفيف	(2)	للقديما
388	الحلوئي	للخفيف	(1)	السقيما
324	صدر الدين بن عبد الحق	المتقارب	(2)	بالظما
325		المتقارب	(1)	لبنما
338	ابن خطيب داريا	الطويل	(2)	مرامي
82	ابن سهل	الطويل	(2)	حمامي
352		الطويل	(1)	جرم
59	(ابو روح الجزيري)	الطويل	(2)	وللضم
242	ابن الننيه	الطويل	(2)	سقم
231	ابن هاني	الطويل	(1)	للتيمم
216	المتنبي	البسيط	(1)	لرخم
271		البسيط	(1)	دمي
79	ابن سهل	البسيط	(4)	بعندمه
131		البسيط	(2)	والبورم
339	ابن المعتر	م. البسيط	(2)	الظلم
328	الأسود بن يعفر	الوافر	(2)	الكرام
406	القاضي عبد الوهاب	الوافر	(2)	طعام
350	القيراطي	الوافر	(2)	القديم
280	المناري أو حمدة الأندلسية	الوافر	(5)	العميم
352	أحمد السفوجي الجراوي	للكامل	(6)	عفجوم
196	ابن شرف	للكامل	(1)	المتنم
220		للكامل	(2)	عندم
228	الذهبي	السريع	(2)	همه
350		للخفيف	(2)	الأنعام
414	أحمد بن يحيى	للخفيف	(2)	اغتمام
214		للخفيف	(1)	للقمام
59	ابن شرف	للخفيف	(2)	النميم

376	منصور المغربي	المجتث	(2)	بلمه
200		الكمل	(2)	تهم
288	بشار	الرمل	(2)	لم
211		السريع	(2)	المقيم
292	البهاء زهير	مج. الخفيف	(6)	عزركم
319	امروء القيس	المتقارب	(2)	المبتسم
208	بشار	المتقارب	(1)	نم

ن .

250	سبط بن التعلويزي	البسيط	(1)	أجفان
279	بشار	الطويل	(1)	كمين
420	أبو عبد الله القرشي المقرئ	البسيط	(1)	سحنون
74		مج. البسيط ابن نباتة	(2)	العيون
395		وافر	(2)	مطمئن
328	ابن هرمة	الخفيف	(1)	سكران
254		الخفيف	(1)	الأئين
204		الخفيف	(1)	يكون
191		المجتث	(2)	خلدون
344	ابن نباتة	الطويل	(2)	الوسنى
392	ابن الوليد المالقي	البسيط	(2)	المحبين
412		م. البسيط	(1)	راجعونا
357	ابن نباتة	الوافر	(2)	وافيتمونا
359	عمرو بن كلثوم	الوافر	(1)	سخينا
326		الكامل	(2)	الأعينا
326	ابن سناء الملك	الكامل	(1)	نا
185	ابن حويان	الرمل	(3)	عنا
64	البلوي أبو الحجاج	السريع	(2)	يا تينها
64	عبد الوهاب المتنبى	السريع	(1)	زيتينها
316		السريع	(1)	ثمانيها
410		السريع	(2)	سوسنه

257		المتقارب	دينا (3)
394	الأرجاني	الطويل	خان (3)
393	عمر الأندلسي	الطويل	بوران (1)
168	ابن سهل	الطويل	بالخفان (2)
85	ابن سهل	الطويل	وعسائي (1)
357	ابن العفيف (الشاب الظريف)	الطويل	نشبي (2)
309	عبد الله بن عبد السلام جسوس	الطويل	ديني (2)
219	(أبو العلاء المعري)	الطويل	أسن (2)
395	ابن جابر	الطويل	مني (2)
171	ابن الرومي	الطويل	وبين (2)
279	بشار	البسيط	أقصائي (1)
303	المتنبي	البسيط	ترني (1)
404	السهيلي	البسيط	معتقان (2)
168	محمد بن التلمساني (الشاب الظريف)	مخ. البسيط	ثاني (2)
168		مخ. البسيط	فلان (2)
169	ابن شرف	مخ. البسيط	بالتنين (2)
195	أبو الأسرار البوعصامي	مش. البسيط	بلا عين (2)
195		مش. البسيط	البيين (3)
204	الأرجاني	الوافر	علي (2)
307	ابن التلمساني	الوافر	الجفون (4)
340	(ابن المستوفي الإربيلي)	الوافر	بالرقمتين (2)
274	سليمان بن الحكم	الكامل	الأجفان (10)
273	هارون الرشيد	الكامل	مكان (3)
231		الكامل	مكان (2)
204	ابن شرف	الكامل	أمني (1)
108	أبو بكر بن زهر	الكامل	غلاني (3)
171		م. الكامل	ساكن (1)
356	ابن الوردي	الرمل	بعين (2)
203		م. الرمل	وجناني (6)
355	الوداعي	السريع	القائي (2)
128	القيراطي	السريع	الحين (2)

238		المنسرح	زمن (2)
246	الصفدي	المنسرح	بينه (2)
375	عز الدين الموصلي	الخفيف	أورثاني (2)
228	ابن قرنص	الخفيف	بجمان (2)
317	الصفدي	الخفيف	الوسنان (2)
88	(القاضي) الفضل	الخفيف	بالجيران (2)
60	ابن حزم	الخفيف	الهوان (3)
84	ابن سهل	الخفيف	باليمين (4)
85	ابن سهل	الخفيف	كالتوين (1)
138	ابن نبلّة	المجث	ذهني (3)
229	(ابن قرنص)	المقارب	بأفناها (2)
86	ابن سهل	السريع	مبين (2)
393		م. الخفيف	الختن (2)



424	أبو الربيع بن سالم الكلاعي	الطويل	محياء (2)
198		البسيط	ألقاه (5)
311	القاضي الفضل	البسيط	معناه (3)
123	ابن جبر	البسيط	معناه (2)
123	الصفدي	البسيط	هدياه (3)
167	الصفدي الحلي	الطويل	مسراها (2)
172	(الشهاب الحاجي)	الكامل	سواها (2)
353	المعمار	م. الكامل	ضحاها (2)
370	أبو عامر بن مسلمة	م. الرمل	يحتويها (7)
400	ابن تميم	المنسرح	يغطيها (2)
346	المنتبي	المنسرح	نكرناها (1)
211	ابن المعتز	المديد	يحييه (2)
220		البسيط	تشبيه (1)
155		الكامل	تطفيه (2)
270		الهرج	فيه (2)

172	لورق	المجتث	(3) تشتهيه
137	ابن جابر	الطويل	(1) معلية

و -

355	ابن نبطة	الكامل	(2) والنوى
244	السراج الورق	المتقارب	(2) نبوة

ي -

126	عبد الرحمن بن الشمر	الخفيف	(2) اللوذعي
208		الطويل	(1) ليا
380	النواجي	الوافر	(2) سنييه
127		م. الوافر	(2) الدنيا
358	مجير الدين	م. الكامل	(2) تحيه
380	شمس الدين بن العفيف	م. الكامل مر	(3) السندسيه
304		السريع	(2) الجاريه
241	الصفى الحلي	الخفيف	(2) سوبا
343	حسن بن علي الفكون	الوافر	(27) الأريحي
242	النواجي	الوافر	(2) عليه
243	الصفدي	الوافر	(2) عليه
243	ابن النبيه	الوافر	(2) عليه
272	عبد العزيز الأنصاري	الرمل	(3) أبي
418	ابن الرومي	السريع	(2) مثليها
180	ابن نبطة	السريع	(3) عليه
420		المجتث	(2) عليه
109	أبو بكر بن زهر	المتقارب	(4) لنيه

فهرس أنصاف الأبيات

١- الصدور

286	البوصيري	البسيط	ظلمت سنة من أحيا الظلام..
404	أبو حيان	الطويل	عداتي لهم فضل علي ومنه
100	عدي بن الرقاع	الكامل	عرف الديار توها فاعتلها
389	عدي بن زيد	لرمل	قتلوا كسرى بليل محرما
287	جرير	لطويل	لقد نطق اليوم الحمام لتطربا
101		البسيط	ما روضة وشح الوسمى بردتها
69	ينسب للزمخشري	الكامل	يا من يرى مد البعوض جناحها

ب- الأعجاز

223	المتنبى	كامل	1- فإن البيض بعض دم الدجاج
71	ينسب للزمخشري	كامل	2- ويرى نياط عروقها..
156	المتنبى	بسيط	3- فما لجرح إذا أرضاكم ألم

5 - 2 - فهرس الرجز

178	ابن قرناص	(2)	فيشمخ
261		(1)	الناظر
349	ابن الصلغ	(2)	الخفر
357	ابن الوردي	(2)	قذر
429		(3)	الخنديس
429	الإفراني	(1)	رسيين
429	صالح بن معطي	(1)	حميس
428		(2)	الخميس
424	أبو سالم	(2)	أرتضي
290	ابن الوردي	(2)	أوجعها
431	(أبو الربيع سليمان الموحدي)	(2)	ودعه
431	(أبو الحسن علي بن عمر الموحدي)	(2)	رفعه
162	ابن مالك	(1)	حفي
76	ابن سناء الملك	(1)	هقتل
245	ابن العفيف التلمساني	(2)	ونابل
354	الوداعي	(2)	عائلي
376	عنبرة	(1)	بالمنصل
60	أبو أخزم الطائي	(شطر)	أخزم
267		(1)	لثة
337	علي الأجهوري	(2)	تكن
357	ابن الوردي	(2)	أشبهاها
137		(2)	علوية

مجزوء الرجز

75	ابن سهل	(2)	نصيب
138		(2)	امترج
178	ابن قرناص	(2)	فيشمخ
357	ابن الوردي	(2)	قذر
65	أبو الحجاج البلوي	(4)	درفه

5 - 3 - فهرس الموشحات

103	العود قد ترنم	ابن ارفع رأسه
104	كيف السبيل إلى	الأعمى التطيلي
104	ضاحك عن جمان	الأعمى التطيلي
105	جرر النذل ليما جر	ابن باجة
105	عقد الله راية النصر	ابن بقي
104	أما ترى أحمد	ابن بقي
105	ما لذَّ شرب راح	أبو بكر الأبيض
106	شمس قارنت بدرًا	حاتم بن سعيد
111	يا هاجري	ابن حزمون
111	أوا حسرتا لزمان مضى	أبو الحسن بن الفضل
113	شق جيب الليل	الحلي، عبد العزيز بن سرايا
113	جرد الأفق صارم الفجر	الحلي، عبد العزيز بن سرايا
118	جلاك الغيث إذا الغيث همى	ابن الخطيب
112	يد الإصباح	ابن خلف الجزائري
108	ما للمولاه؟	ابن زهر
113	يا حبيبي ارفع حجاب النور	ابن سناء الملك
111	إن سيل الصباح بالشرق	سهل بن مالك
107	كحل النجى يجري	سهل بن مالك
112	قسما باللهوى اذى حجر	ابن الصابوني أبو بكر
112	ما حال صب ذي ضنى واكتتاب	ابن الصابوني أبو بكر
103	بدرتم	عبادة
107	ما العيد في حلة وطاق	ابن مؤهل
111	قلوب تصابت	مطرف
110	لله ما كان من يوم بهيج	المهر بن القرس
106	يا ليلة الوصل والسعود	ابن هردوس

5 - 4 - الأرجل

115	للمل زينة الدنيا وعز النفوس	لُبو شجاع
114	وعرّيش قد قلم على دكان	لُبو بكر بن قزّمان
219	جنان يا جنان	(محي الدين بن العربي)

5 - 5 - المواليا

116	يا حادي العيس يزجر بالمطايا زجر
-----	---------------------------------

6 - فهرس الأعلام

430,326	ابن الأزرق الغرناطي	ابن آجروم، منديل، أبو المكارم	232,160
301	الأزهري أبو منصور		413,391,341,234
420	أسد بن الفراء	ابن الأبلر إبراهيم	293,292,265,256
177	الأسدي (عبد الله بن الزبير)	إبراهيم بن المهدي الأبهري	275,238,237
158	ابن إسرائيل	الأبيض أبو بكر	105
122	إسرائيل	الأبيوردي	419
434	الإسعدي، مجير الدين	ابن الأثير	191
177	الإسعدي، للنور	الأجهوري للشيخ علي	337
226	أسماء بنت عبد الله الخزرجية	أحمد (في شعر)	395,104
190	إسماعيل (النبي)	أحمد (ابن حنبل)	146
97	إسماعيل الإسرائيلي	أحمد بن أبي بكر الزناتي	414
328	الأسود بن يعفر	أحمد بن الحاج لفاسي أبو العباس	70
218	الإشبيلي (صاحب المسالك)	أحمد بن حبرة	383
179	أشجع السلمي	ابن الأحمر	415,414,272
263,92	ابن أبي الإصبع زكي الدين	ابن الأحمر أبو عبد الله (السلطان)	137
394,386,267		أخزم	60
345	أبو الأصمغ	الأخطل	327
189,183,181,154,131	الأصمعي	الأخفش الصغير علي بن سليمان	188,134
388,373,236		إدريس بن عبد الله بن الحسن	368
336	ابن الأعرجي		415,414
273	الأعرج	الأنفث، الغنث	97,94,93
350	الأعشى	الإربلي، محيي الدين بن الظهير،	318,173
421	الأعلم، يوسف بن عيسى النحوي		425,358
104,103	البطلوسي	الإربيلي مجد الدين	276
104	الأعمى التطيلي	الأرجاني أحمد بن محمد	204,197,167
51	الإفراتي محمد الصغير بن محمد بن عبد الله		245,213
96,95	إلياس بن منور الطبيب	أرسطو، أرسطاليس	430,193
72	الأصاري، الرصافي أبو العباس	ابن أرفع راسه	103

ت

- 89 تلبط شرا
383,274 التجاني أبو العباس
105 ابن تيفلوت أبو بكر
313 التقي بن الحرس الحنفي
292,291 التقي السروجي
307,182,168 ابن التلمساني
130,101,77,53 أبو تلم، حبيب بن أوس
421,416,386,281,230
384 تميم بن المعز
228,172,127,121 مجير الدين ابن تميم
400,380,318,314
390 للتسي، أبو عبد الله
425 التهامي
335,161 التيفاشي

ث

- 135,90 ثابت
101,86,84 الثعالبي، أبو محمد بن أبي القاسم
396,341,282,232,207,175,159
427,422
336 ثعلب

ج

- 122 ابن جابر الوادي أشي، أبو جعفر الهولري
395,280,237,136,133
351 الجراوي، أبو العباس أحمد الحفجومي
225 الجرجاني
400 ابن جرج
287,100 جرير
305,92 الجزلر، أبو الحسن
210 الجزولي

- 291,272 الأنصاري، عبد العزيز
232 الأوربي
146 ابن أبي لوفى
96 أيوب بن سليمان المروان
ب
105 ابن باجة أبو بكر
323 بقل
130 البحتري
144 ابن البراء، أبو محمد
330,329,14 ابن البراء، أبو القاسم
132 ابن بري
417,341,307,294,54 ابن بسام
96 بسام بن شمعون
183 البستاني
288,279,276,222,207 بشار بن برد
319
125 بطليموس
170,169,104 ابن بقي، يحيى
72 البلوي، أبو البقاء خالد بن عيسى
195 البلوي، أبو الحجاج يوسف بن الشيخ
230,211
64 البلوي الملقى
417 البماري
140 بناني، أبو عبد الله محمد بن حمون
270 بهاء الدين زهير
292,171 البهاء زهير
393 بورن
147 البوصيري، محمد بن سعيد الصنهاجي
195 البوعصلي، أبو الأسرار
266,182 البيضلاوي

111	ابن حزمون	190	ابن جزى
117	أبو الحسن البنسى	309	جسوس، أبو محمد عبد الله بن عبد السلام
393	الحسن بن سهل	122	ابن جعفر
111	أبو الحسن بن الفضل	265	الجلولي
262، 206، 205	حسان بن ثابت	246	ابن جنذب، مسلم بن عبد الله
235	الحصري، أبو إسحاق القيرواني	306	ابن جهور
68	الحفصي أبو عبد الله المامون	90، 87	أبو جهل، الحكم
420، 340	ابن حكم	332	ابن الجهم علي
126	الحكم المرواني	60	ابن الجوزي
274	الحكم المستنصر	360، 153	الجوهري
170	الحكيم بن عيل		
419	ابن حكينا البغدادي		
	الحلبي، أبو العباس أحمد بن عبد الحي الشافعي		
415، 368			
322	الحلبي، عبد المحسن الكاتب	227	الحائك، الأمي
385	الحواني (أبو الحسن عبد الكريم بن فضل)	106	حاتم بن سعيد
388		406، 154	الحاتمي، أبو علي بن المظفر
101	الحلي، صفى الدين عبد العزيز بن سرليا	216	الحاجي (شهاب الدين)
200، 189، 187، 167، 159، 115، 113		330، 329	حازم بن محمد بن حزم أبو الحسن
311، 247، 241، 235، 222، 207		146، 90	الحاكم (من رواة الحديث)
426، 417، 338		415، 165، 144، 126	ابن حبيب الفقيه
267	الحماسي	98، 63	الحجاري
281، 280	حمدة الأتلسية	404، 322، 155	الحجازي أبو حاتم
257	حمزة بن حسن الأصفهاني	255، 247، 168، 86	ابن حجة الحموي أبو بكر
316، 330	أبو حنيفة	347، 325، 323، 280، 277، 263	
97، 96	حنين الإسرائيلي	417، 412، 376، 354	
185	ابن حويل	398، 181، 147، 90	ابن حجر الهيتمي الحافظ
217	الحوفي	434	
292، 138، 67	أبو حيان، محمد بن يوسف	404، 358، 356، 148، 147	ابن أبي حجة
404، 399، 329		219	الحرالي، الفتح أبو الحسن
		164، 163، 144، 57	الحريري، أبو محمد القاسم
		411، 408، 365، 251، 234	
		60	ابن حزم

391 الدارمي محمد بن عبد الواحد أبو الفضل
 299 دلوود
 108 ابن نحية، أبو الخطاب
 383،253،238 ابن دريد
 106 ابن دريدرة، أبو الحسن
 377،232 دعل، (الخزاعي)
 265،264،164،140 الدماميني
 392 ابن النمنية
 107 الدويني، أبو اسحق
 237 ديك الجن
 334 الذهبي
 247 الذهبي، يوسف بن لؤلؤ
 163 رؤية
 111 ابن الرئيس
 347،213،70 الرازي، الفخر ابن الخطيب
 300 ابن راشد القفصي
 68 الراعي
 413 الريب، محمد
 294 ابن أبي ربيعة، عمر
 179 الرستمي، أبو سعيد
 63 ابن رشد، أبو الوليد
 237،143 ابن رشيد الفهري، أبو زكريا
 67 ابن رشيد الفهري، أبو عبد الله محمد بن عمر
 264،175
 231،204،196،176،139 ابن رشيقي
 410،402،277،261
 73،72 الرصافي، أبو العباس الأنصاري
 94 رضوان (ملك)

110 ابن حيون
 418 خالد
 212،204 الخالدي، أبو بكر بن هاشم
 349 الخرشى
 401 ابن خروف
 113 ابن خزر البجلي
 413،132،111 الخزرجي أحمد بن يحيى
 71 الخزرجي، الشمس أبو الحسن
 414 الخزرجي، أبو العباس
 300 خزيمة بن حكم السلمي
 335 أبو الخطاب السعدي
 238،242 ابن خطيب داريا
 361،303،120،117 ابن الخطيب، لسان الدين
 432
 112،65 ابن الدباج، أبو الحسن
 372،232،96 ابن خفاجة، الأنلسي
 73 ابن خلاص، أبو علي
 191،190 خلون (اسم رجل)
 110،102،99 ابن خلون، ولي الدين عبد الرحمن
 366،274،116،113
 89 خلف الأحمر
 175،112 ابن خلف الجزائري
 430،411،409،408،76 الخليل، (إبراهيم)
 189،139،133،132،130 الخليل، (ابن أحمد)
 95 الخليلي
 132 الخنساء
 362 ابن أبي خيثمة
 237،236 ابن الخيمي

269 سابق البربري
352,319 ابن الماعتي
332 سالم بن الوليد
250 سبط بن التعاويذي
130 السبكي، بهاء الدين
420,369 سخون بن سعيد
297,269,223 السعد (التقزاني)
297,199 سعد الدين، ولد ابن العربي الحاتمي
405
ابن سعيد، علي بن سعيد القيسي أبو الحسن 62،
93,92,91,90,67,63
114,111,110,107,94
273 سعيد بن زيد
62 ابن سفر
269 سفيان الثوري
252 سفيان بن عيينة
132 ابن السقاط
371,354,310,296,217,157 السككي
178 السلطان الأشرف
65 السلفي، أبو طاهر
302 سلمى (صاحبة كمل)
287,286 سليمان
274 سليمان بن الحكم، المستعين بالله.
332 سليمان بن وهب
68 ابن سمعت، أبو الحسن الأندلسي
180,170,113,76 ابن سناء الملك
408,331,326,325
377,335 ابن سنان الخفاجي

الرعيي أبو جعفر الغرناطي، رفيق أبو جابر
137,136
الرضي (محمد بن حسن) 162
الرمادي 303,302
نو الرمة 163
ابن الرومي 404,381,377,352,311,75
417,412
الرويتي 146
رين السواق 246
ز
ابن زكور، أبو عبد الله محمد 401.
الزبير بن أبي بكر 246
الزبير بن أبي غالب عبد الله بن هبة الله 108
الزجاجي، أبو القاسم 66
ابن زرقاء 335
زروق 257,240
زريب، علي بن نافع 126,125
الزغاري، بدر الدين حسن 409,370,264
ابن الزقاق 403,392,101
الزمخشري 217,207,191,71,70,69,68
أبو الزناد 273
ابن زهر، أبو بكر 107,105,104,103,63
110,109,108
ابن زهر، أبو الخطاب 105
الزهري 300
الزيات، محمد بن عبد الملك 235
زيد الأعجم 188
أبو زيد، أمير بلنسية 75
ابن زيدون 418

375,59,196,168,59	ابن شرف	ابن سهل إبراهيم بن أبي العيش	62,61,53
196	ابن شرف القيرواني	76,75,73,71,68,67,66,65,63	
106	ابن شرف، محمد بن أبي الفضل	117,113,98,93,91,90,87,86,84	
209,197	شريح، القاضي	228,212,205, 198,167,153,120	
332,251	الشريشي	386,370, 361,334,308,303,232	
324	الشريف الدمشقي	433,410	
362	الشريف الرضي	111,107	سهل بن مالك، أبو الحسن
169,154,101,77	الشريف الغرناطي	403,368,239,64	السهيلي، أبو القاسم
164	الشعبي	89	سواد بن عمرو (في شعر)
190,90,87	شعيب (النبلي)	79	سواع (صنم)
52	ابن الشقيقة (النعمان)	424	ابن سودة، القاضي
65	الشلوبيني، أبو علي	297	السيد (نحوي)
89	الشنفري	153	ابن سيده
210	الشهاب أفندي	256	السيرافي أبو سعيد
404	الشهاب الحجازي	259,223	سيف الدولة
330	الشهاب الخفاجي	92	سيف الدين بن سلق
413	الشهاب العسقلاني	261	ابن سيناء، أبو علي
300,198	الشهاب القرافي	240,225,217	السيوطي، جلال الدين
292,245	الشهاب محمود	407,300	
ص		ش	
349,286	ابن الصائغ	184	ابن الشاط
138	ابن صابر	356,146,65	الشافعي
112	ابن الصابوني، أبو بكر	81	شبيب (في شعر)
399,398,333,138	ابن صارة، أبو محمد	115	أبو شجاع
134,133	ابن صارو، شهاب الدين	356	شرف الدين عيسى

181	ابن عدل	72	صاعد البغدادي
135	عازب	379,362	صلاح بن شريف (الرندي، أبو البقاء)
345	أبو عمر	430,429	صلاح بن معطي (الشرقي)
370	أبو عمر بن مسلمة	324	صدر الدين بن عبد الحق
251	ابن عبد، الصاحب	132	الصفاقسي
103	عبدة القزاز، شاعر المعتصم بن صمادح	127,123,89,87,75	الصفدي صلاح الدين
362,260	ابن عباس	194,193,191,170,168,158,146	
251	أبو العباس، الحارث	317,273,265,243,242,221,202	
280,279,274,194	العباس بن الأحنف	372,358,354,332,320	
385	العباس بن الحسن العلوي	77	صفوان بن إريس
145	العباس بن عبد المطلب	384	الصنوبري
235	العباسي، عبد الرحيم	89	الصهباء بنت بسطام بن قيس
269,70	ابن عبد البر أبو عمر	313	الصوف
126,103	ابن عبد ربه	281	الصوري، عبد المحسن
126	عبد الرحمن الأموي (الأمير)		ط
126	عبد الرحمن بن التميمي	90,89,87	أبو طالب، عبد مناف
124	عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، أبو زيد	356	طاهر
328	عبد الرحمن بن عوف	367	ابن طباطبا
96	عبد الرحمن، الناصر	416	الطرابلسي
64	عبد الرحيم (بن أبي الحجاج البلوي)	404	الطغرثي
394	ابن عبد السلام	393	طهور بن نون
146	ابن عبد السلام الشافعي	144	الطوسي
145	ابن عبد السلام، عز الدين	413	الطبي
318	ابن عبد الظاهر		ع
173	ابن عبد الظاهر، فتح الدين بن محي الدين	316	ابن العابد، أبو الحسن
359,173	ابن عبد الظاهر، محي الدين		
368	عبد الله بن الحسن، والد الطالبيين		
411	عبد الله بن عمر		

374,261,173,122	عز الدين الموصلي	102	عبد الله بن محمد المروتي
67	العزفي	327,310	عبد الملك بن مروان
406,314,210,166,163	العززي	189	ابن عبد المنان، أحمد
244	العسقلاني، أبو الشحناء	396	ابن عبد المنان، محيي
377,154	العسكري، أبو هلال	351	عبد الوليد
82	عصلم	406,402,395	عبد الوهاب الملقى
217	ابن عصفور	406,391,389	عبد الوهاب، القاضي الملك
220	العطار، أبو القاسم	407	
241	العطار، المغربي	342	العبدري
356,171	ابن العطار	175,89	ابن عبدون
	ابن الغيف لتلمساني شمس الدين محمد (الشاب	285,267,165	أبو عبيد الهروي
410,380,357,310,272,244	الظريف)	302,287	
375	العقباني قاسم	262	العقباني
362	عكرمة	253	أبو العتاهية
70	العكرمي أبو عبد الله	388,165	عثمان بن عفان
	العلمي، أبو عبد الله محمد بن الطيب الشريف	100	عدي بن الرقاع
309,300		389	عدي بن زيد
268	علي (ابن أبي طالب)	218	ابن عذاري، أبو العباس
205	أبو علي اليوسي	386	أبو العرب
434	العماد للكتب	399	ابن العربي، أبو بكر
307	ابن عامر		ابن العربي، سعد الدين، ولد ابن العربي الحاتمي
91	عامر بن ياسر	405	
395,208	عمر (اسم شخص)	338,287,267,144	ابن عرفة
393	عمر الأنطلسي	318	عرقلة
329,328,230	عمر بن الخطاب	227,226	عروس (اسم رجل)

59 الفاسي
 423 ابن فتوح، الحافظ
 66 ابن الفخار (شارح جمل لرجلي)
 93 ابن الفخار، إبراهيم (اليهودي)
 256 لقراء
 130 أبو فراس الحمداني
 275، 273، 188 أبو الفرج الإصبيهي، القرشي
 340 ابن فرحون، أبو الحسن
 241، 101، 100 الفرزدق
 232 الفشتالي، القاضي
 190 الفضيل بن عياض
 342 الفكون، حسن بن علي القسطيني
 139 الفهري، أبو جعفر
 ق
 412 قارون
 144 ابن القاسم
 430 أبو القاسم بن محمد
 264، 311 القاضي الفضل
 334، 175، 73، 66 ابن القاضي أبو العباس
 302، 59 القلي، أبو علي
 237 القباب، أبو العباس أحمد
 189، 188، 161، 100 قدامة (بن جعفر)
 297، 235
 198، 146، 145 القرقي = للشهاب القرقي
 338، 300
 409، 229، 228، 178 ابن قرنص محي الدين
 316 ابن قريعة القاضي
 396، 114 ابن قرمن، أبو بكر
 140 القسطيني، الشيخ بركات

126 عمر بن قلهيل، أبو حفص
 344، 343، 179، 89، 57 عمرو (في شعر)
 350 أبو عمرو (بن العلاء)
 359 عمرو بن كلثوم
 115 ابن عمير
 131 عنان، جارية الناطفي
 233، 95 أبو عنان، فارس بن أبي حسن المريني
 414
 376 عنزة
 395، 270 ابن عنين، شرف الدين
 366 عوج بن عناق
 375، 220 ابن العويرة
 190، 189 عياض
 370 عيسى، (النبلي)
 424 المعياشي، أبو سالم عبد الله
 ع
 429، 116 ابن غازي (الابن)
 116، 69 ابن غازي، أبو عبد الله
 297، 268 الغبريني
 266 الغزالي
 166 الغزنوي
 289 الغزي، البدر
 169 الغضي، أبو الطيب الشريف
 423 ابن الغمار
 ف
 389، 290، 271، 254 ابن الفارض

166,165 ليبد بن ربيعة
 90,87 أبو لهب، عبد العزي
 216  ابن ماء السماء، أبو بكر الأندلسي
 146 ابن ماجة، أحمد
 402,392 الملقى، ابن الوليد
 94 ملك، (ملك)
 273,269,268,118 ملك (صاحب الموطأ)
 256 ابن ملك
 175,116,72 ملك بن المرحل
 393,280,238 الملمون (العاسي)
 103 الملمون بن ذي النون، صاحب طليطلة
 107 ابن مؤهل
 264 المبرد
 233 ابن مت، أبو عبد الله
 216,196,186,94,88,53 المتنبى أبو الطيب
 303,261,254,249,216,223,222
 422,416,413,386,347,346,339
 411 مجاهد
 357 مجد الدين=المجد
 161 مجد للغوي صاحب القاموس= مجد الدين
 315 الفيروزيادي
 155 مجير الدين الخياط الدمشقي
 245,180 محاسن الشواء
 292 أبو محبوب
 67 محمد (في شعر ابن سهل)
 175, 113 محمد بن خلف

97 قسونة بنت إسماعيل الإسرائيلي
 82 ابن القصير
 350 القطامي
 220 ابن قلاص
 347 القلمي، أبو عيسى لب بن عبد الوارث
 284 القوري، أبو عبد الله
 409,338,327,314,225 ابن القوطية
 350,325,133,128 القيراطي، البرهان
 194 ابن قيم الجوزية
 302  كامل، صاحب سلمى
 70 الكبير، أبو عبد الله
 387 كثير
 329 ابن كثير
 257 ابن كحلة
 164 ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك
 388,280 الكسائي
 389 كسرى
 346,285,121 كشاجم
 211 كعب الأحبار
 299 كعب بن لؤي
 423 الكلاعي، أبو الربيع بن سالم
 252,153 الكمال الحميري
 416,153 الكميت
 314,257 الكواشي
 399  ابن لبال
 255 ابن اللبنة

221 لمسعودي شارح المقامات
 148 المسيح
 126 مصليح، جارية أبي حفص عمر بن قلهيل
 306 ابن المصيصي، حسان
 135،110 مطرف (في شعر)
 75 أبو المطرف بن عميرة
 374 المطوعي
 156 المظفر بن عمر الأمدي
 137 معاوية
 298،261،258،229،211،176 ابن المعتز
 366،351،339
 235،164 المعتصم العباسي، أبو إسحق
 103 المعتصم بن صلاح صاحب المرية
 341،147 المعتمد بن عبد
 393 المعتدي، أبو علي الحسن بن رحل
 149،53 المعري، أبو العلاء
 260 ابن المعلى
 353 المعمار، إبراهيم
 266 معمر المعتزلي
 367،223 المعوج
 171 معين الدين ابن لؤلؤ
 102 المقدم بن معلى القبري
 90،67 المقري، أبو العباس
 430،419 المقري، أبو عبد الله القرشي
 324 ابن مكثس

70 أبو محمد بن أبي زيد
 محمد بن عبد الله بن الحسن (أخو المولى إدريس)
 368
 محمد بن أبي نصر، الفتاح بن علي الإشبيلي 67.
 محمد بن عبد الله (الرسول) 67،66،52
 282،190
 محمد بن العقاد المكي 382
 محمد بن علي الخطيب القصري 429
 محمد بن يوسف المشقي الصالحي 146
 المحمودي 330
 ابن المرابط 70
 امرؤ القيس، الضليل 222،154،54
 400،323،318،294
 ابن مرج الكحل 319،252
 ابن المرحل، أبو الحكم مالك 290،175،116،72
 ابن المرزبان 75
 المرزباني 238
 ابن مرزوق، أبو عبد الله 373،233،116،67
 مروان (بن الحكم) 274
 مروان بن أبي حفصة 288
 المريني، أبو عبد الله الطيب 140
 المزيتي، أبو القاسم 175
 ابن المزين 219
 المستنصر (الخليفة) 274،95
 المستنصر (ملك تونس) 329،73
 مسروق 258
 المسعودي 221،96
 المسعودي (المؤرخ) 366

212، 179، 138، 98، 75، 74 **ابن نبلة، الجمل**
 342، 338، 315، 289، 259، 246، 243
 404، 385 373، 360، 357، 355
 375، 372، 243، 242 **ابن النبيه**
 341 **النحلي، أبو الوليد البطل يوسي**
 182 **ابن النحوي**
 98 **نسيم الإسرائيلي**
 426 **نصيب**
 339 **ابن النطاح، بكر**
 154، 118 **النعمان بن المنذر ملك الحير**
 260 **أبو نعيم**
 139 **النمرود**
 379 **النولجي، البرهان**
 158، 155 **النولجي، البرهان، الشمس**
 380، 317، 315، 242، 213، 178
 238، 227، 179، 140، 131 **أبو نولس، الحسن**
 333، 276، 268، 263، 255
 260 **النووي**
 231 **ابن هاني**
 328، 323 **ابن هرمة، إبراهيم**
 106 **ابن هردوس**
 274، 254، 236، 235، 127 **هرون الرشيد**
 390، 389، 380، 368، 275
 273 **أبو هريرة**
 312، 274، 183، 164 **ابن هشام**
 280 **هشيمة الخمار**
 307 **ابن هود**

169 **المكودي**
 145 **الملك لصالح**
 270 **الملك المعظم صاحب دمشق**
 89 **ابن مماتي**
 281، 280 **المناري**
 322 **منذر، القاضي**
 154 **المنذر، ملك الحيرة**
 64 **المنشي، أبو محمد بن عبد الوهاب**
 337، 323 **المنصور، أبو جعفر**
 381 **المنصور، أبو العباس محمد السعدي**
 376 **منصور المغربي**
 235 **منصور النمري**
 110 **المهر بن القرس**
 377، 190 **المهالي، الوزير أبو بكر**
 78، 77، 74، 67، 66 **موسى (في شعر ابن سهل)**
 409، 227، 87، 84، 81، 80، 79
 412، 268، 186، 74 **موسى (النبني)**
 335 **موسى الهادي**
 280 **الموصللي، إبراهيم**
 380 **الموصللي، إسحق بن إبراهيم**
 346 **الموصللي، السري**
 374، 261، 173، 122 **الموصللي، عز الدين**
 199 **المولى سعد الدين**
 297 **ابن ميلة**
 258، 206، 205، 197، 53 **النبغة النيباني**
 319، 314، 264، 262
 238 **ابن نلجية**
 132 **النالطي، عمر**

70	الونشريسي أبو العباس	181	أبو الهيثم
124	الونشريسي عبد الواحد أبو محمد		
236,223	ابن وهيب محمد		و
314	ابن وهيون، عبد الجليل المريني	258	أبو وائل
		223	الولاحدي
206	ياسين	237	الولدي أشي - ابن جابر
160	يحيى	345	الولاء المثنقي
111	يحيى الخزرجي	79	ود (صنم)
368	يحيى بن عبد الله بن الحسن	354,353,344	الوداعي
109,63	يعقوب المنصور	171	الوراق الخطيري
353	ابن يعمر	417,359,244,215,138	الوراق، السراج
212,190	يوسف، النبي	171,143,128,127,88	ابن الوردي
248,144	ابن يونس	360,356,356,290,247	
165	يونس بن حبيب	363	ابن وكيع
381	ابن يونس أبو العباس لكتاب	100	الوليد بن عبد الملك
		165	الوليد بن عقبة بن أبي معيط أمير الكوفة

7 - فهرس الكتب

72	تاج المفرق في تحلية علماء المشرق
430	تحرير السياسة
267	التحرير = تحرير التحرير
430	التحف والطرف
383	تحفة العروس
74	تحفة القلم
329	التنزيل والتكميل
	التسهيل = تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد
162	
166	تفسير الغزنوي
296، 295، 207	التلخيص = تلخيص المفتاح
269	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد
70	تفسير البخاري
420	جنوة الاقتباس
210	الجزولي على الرسالة
90، 88	جنان الجناس
66	حاشية ابن القاضي على الجرومية
265	حاشية المغني للماميني
240، 239، 225، 217	الحدود (السيوطي)
407، 211	حسن المحاضرة
	الحطاب = مواهب الجليل في شرح مختصر خليل:
147	
328، 315، 178	حلبة الكميت
154	حلبة المحاضرة للحتمي
312	الحواشي لابن هشام
206	حواشي الخلاصة



93	الإحاطة = الإحاطة في تاريخ غرناطة
252	الإحياء = إحياء علوم الدين
71	إزهار الريلض في مناقب عياض
284، 252	الأسلس = لباس البلاغة
327، 285	
	الإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فلس وتلمسان
69	
91	الإصابة لابن حجر
401	إعراب الأشعر الستة
275، 273	الأغاني
257	أفعل من كذا
331، 195، 165، 64	ألف باء
117	الإمداد = إمداد بحر القريض
	الأنوار = أنوار التنجلي على ما تضمنته بديعة الحلي
207، 175، 159، 145، 100، 84	
396، 282، 232، 228	
300	الأنيس المطرب
421	الإيضاح = إيضاح المعاني للقريني
	بديعة ابن حجة المقصود: خزنة الألب
354، 86	= شرح بديعة ابن حجة
159	بديعة الحلي
270، 137	بديعة العمين
336	بغية الأمل في ترتيب الكامل
	البين المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس
218	والمغرب

59	شذور الأملی
334	شرح لیك الذهبی
280، 137	شرح بدیعة ابن جابر
354	شرح بدیعة ابن حجة (خزفة الألب)
286	شرح البردة لابن الصلغ
373	شرح البردة لابن مرزوق
295، 269	شرح تلخیص المفتاح (المطول)
154	شرح الحازمية
162	شرح الحاجبية
287	شرح الخزرجية
137	شرح الخلاصة
421	شرح ديون أبي تمام
257	شرح الرسالة
210	شرح الشفا
132	شرح عروض ابن السقاط
298	شرح الفريدة
297	شرح العقائد
256	شرح الكتب
183	شرح الكعبية
337	شرح لامية العراقي
275	شرح مختصر ابن الحكم
251	شرح المقامات للشريشي
102	شرح المقصورة
398	شرح الهمزية لابن حجر الهيتمي
223	شرح الولحدي على ديون أبي الطيب
164	شرح لكفية
376	الصناعتين - كتب الصناعتين
51	الصاحح للجوهري

ط.ع.ع

71

طبقت أعيان اليمين

199	حوشي الكشف
330	حوشي الانتباه
252	حياة الحيوان
243	خبر الشعير
118	اختصار القرطاس
300	الخصائص الكبرى
213	خلع العذار في مدح العذار

د.د.ر.ر

73	درة الحجال
410، 336، 163	درة الغواص للحريري
368	الدر النفيس في التعريف بمولاتا إبريس
92	ديون شعر ابن سعيد
363	ديون الصلبة
116	ديون صفى الدين الحلبي
263، 223	ديون المتنبي
417، 341، 307	الذخيرة لابن بسام
140	الرياء السمرية
330، 327	ربيع الأبرار
423	رحلة البلوي = تاج المفرق
342	رحلة العبدري
404	رسالة السيف والقلم
368	الروض الأنف
369	الروض المعطار في أخبار الأقطار
369	روضة المستعين الجاري على التلقين
140	رفع التلبيس في حقيقة التجنيس
193	الريحان والرياح
236	زهر الأدب وثمر الألباب
205	زهر الأكم

من ش.ص.ص

334

سر الفصاحة

314،225 ابن القوطية= كتاب الأفعال
 338،327
 256،162 لكافية (لابن مالك)
 369 كتاب سخون
 164 الاكتفاء في تاريخ الخفاء لابن الكريبوس
 208 لكشاف
 183 لكعبة= شرح قصيدة بلنت سعد لابن هشام
 221 لذات السمع في صفات الذم
 63 مباهج الفكر
 266 المحصول للفخر الرازي
 337،231 المحكم
 267 مختصر ابن عرفة الكلامي
 380،158،155 مراتع الغزلان
 268 المراقبة من الأحياء
 268،256 مسراح الأنظار
 369،218 المسالك
 99 المسهب
 337 المشارق
 323،249،235،207،161 المصباح
 300،109 المطرب من أشعار أهل المغرب
 295،269 المطول= شرح تلخيص المفتاح
 266 المعالم للفخر الرازي
 280،235 معاهد التنصيص
 143 المعيار للونشريسي
 265،239 المغني
 278،179،172 المفتاح
 182 المنفرجة
 287،147 منطق الطير

طلعة المشتري في التعريف بمحمود الزمخشري
 71
 66 عنوان الإقلادة
 276،261،89 لعمدة
 132،127،103 العقد الفريد
 147،87 عقود الجمال
 256،219،68 عنوان الدرية
 182 لطوال= طوابع الأنوار للبيضاوي
 264،140 لعيون الغمزة
 163 الغريب= نزاهة القلوب في غريب القرآن
 210
 267 الغريبين= كتاب الغريبين للهروي
 287،285
 265،132،88 لغيت المسجم
 298،224 لفريدة (السيوطي)
 354 فض الختام في التورية والاستخدام
 الفضل المبين في الصبر عن قد البنات والبنين
 145
 175 فهرسة ابن رشيد
 154،146 لقلموس= القلموس المحيط
 210،195،193،184،181،166،163
 315،313،305،299،252،240،225
 416،406،393،388،349،338،327
 428،424
 187 قصيدة الحلي النبوية
 51 قلائد العيان
 67 قدح المعلى في التاريخ المعلى
 419 قواعد العقيدة

415	ننير الجمان	269,268	الموطأ
	نشر البردة في شرح قصيدة البردة لابن	207	المفصل
147	أبي حجلة	332,251,234,144	مقامات الحريري
	نفح الطيب	367,125	المقبس
	109,97,96,93,71,67,63	366	مقدمة ابن خلدون
	352,340,280,275,274,138	359	معلقة عمرو بن كلثوم
391			ملء العيبة، فيما جمع بطول النخبة، في الوجهة
337	النهلية	67	الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة
59	نوار لقلبي	175	المنتقى المقصور
398,181	الهزمية		



413 النبراس في حكم الاقتباس

8 - فهرس الأماكن

368

تيهت

ج

144

جامع الزيتونة

424,234,175

جامع القرويين

368

جبل درن

343,342

الجزائر

127,94,53

الجزيرة

74

جلق (نمشق)

ح

426,122

الحجاز

188

الحجرة النبوية

280

حلب

59

الحمراء

111,64,63

حمص

د

406

دجلة

430,270,211

دمشق

ز

343,311

الرباط

430

رباط الخيل

97

رندة

368

الزب الأسفل

368

الزب الأعلى

369, 368

زرهون

369

زواغة

ا

97

أرين

368,367

الإسكندرية

92,91,74,65,63,62

إثبيلية

114,112,110,105

369,368,368

أطرابلس

369,368,329,158,68

إفريقية

114,105,103,97,96,66,63,62

الأندلس

368,218,137,119,118,116,115

ب

97

باب اللباغين

343

بجاية

328

بدر

113

بر العدة

369

برقة

145,116,115

بغداد

368

بلاد الزنج

368

بلاد الصحراء

423,74

بلنسية

343

بنو ورلر

211

بيت المقدس

ث

352,351

تدالا

368

تلمسنا

343,340,70

تلمسان

343

تنس

329,116,73

تونس

342	قسمطينة	س. - ش	سلا
414	القرويين	368, 343	سبنة
165	الكوفة	73, 72	سرقسطة
	م	106	السوس الأدنى
64	ملاقة	368	السوس الأقصى
344, 342, 321, 110	مراكش	368	الشام
343	مازونة	238, 62	
368	ماسة		
323, 269	المدينة	ط	
92	مرج للفضة	65	طبرستان
112	مرسية	331	طرز مباد
104	المرية	104, 98, 97, 94	طليطلة
407, 313, 211, 62	مصر	369, 368	طنجة
109, 105, 96, 94, 67, 63	المغرب	340, 67	طيبة
368, 367, 269, 233, 218, 115		ع - غ	
67, 60	مكة	395, 60	العراق
343	مكاسة	246	العقيق
343	مليانة	112, 111, 67	غرناطة
424	منار جامع القرويين		
343	ميلة	ف	
	ن	412	فارس
97	النهر الأعظم	369, 352, 343, 175, 116, 70	فاس
98, 97	الهند	420, 414	
343	وجدة	ق - ك	
369	وليلي	95	قنس
343	وهران	274, 97, 63	قرطبة

9 - فهرس مصادر التحقيق والمقدمة

1. تحف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكّس. تأليف عبد الرحمن بن محمد ابن زيدان المتوفى سنة 1365هـ/1946م. للطبعة الوطنية. الرباط
2. إجازة محمد بن أحمد المسناوي، المتوفى سنة 1136هـ/1724م لأحد تلاميذه، مخطوط الخزنة العلمية بتطول برقم 536 ضمن مجموع.
3. الألب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها. تأليف الدكتور عباس بن عبد الله الجراري، الجزء الأول. الرباط 1979م.
4. زاهر الرياض في أخبار القاضي عياض. تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ المتوفى سنة 1140هـ/1727م تحقيق مصطفى السقاء وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. راجعه وحقق الجزء الرابع والخامس منه الأستاذة: محمد بن تايوت وسعيد أعراب وعبد السلام الهراس، وأعيد طبعه بالمحمدية 1978م - 1980.
5. أسس البلاغة. تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة 538هـ/1144م، تحقيق عبد الرحيم محمود لقاهرة 1953.
6. الأنوار المبهجة في إيراد دقائق المنفعة. تأليف زكرياء بن محمد الأنصاري المتوفى سنة 926/1520م مخطوطة خم برقم 1984.
7. إظهار الكمال في تنميط مناقب أولياء مراكش وسبعة رجال. تأليف العباس بن إبراهيم المراكشي المتوفى سنة 1959م. فاس بدون تاريخ.
8. إظهار صدق العودة في شرح البردة. تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق المتوفى سنة 781هـ/1380م مخطوطة الخزنة العلمية برقم 1713د.
9. أعجب العجب في شرح لامية العرب. تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة 538هـ/1144م القسطنطينية 1300.
10. الأعلام. تأليف خير الدين الزركلي الطبعة الثالثة.
11. الإعلام بمن حل بمراكش وأغصت من الأعلام. تأليف العباس بن إبراهيم المراكشي المتوفى سنة 1959م. المطبعة الجديدة فاس 1939م.
12. الأغني. تأليف أبي الفرج علي بن الحسن الإصبهاني المتوفى سنة 356هـ/967م لين 1318هـ.
13. ألف باء. تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي المتوفى سنة 604هـ/1207م مصر 1387هـ.

.. عند اعتمادنا طبعتين لكتاب واحد، نميز إحداهما في حواشي التحقيق.

- مخ- مخطوطة. - خ.ع- الخزنة العامة بالرباط. - خ.م- الخزنة الملكية بالرباط.

14. إمداد لبحر القصيد ببحري أهل التوليد. تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي المتوفى سنة 919هـ/1513م. مخ. خ. ع بلربلط.
15. أس السمير في نازل الغرزق وجري. تأليف علي مصباح الزرويلي المتوفى سنة 1150هـ/1737م، مخ. خ. ع 300 ك.
16. أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلبي. تأليف محمد عبيد الله بن أبي القاسم الثعالبي المتوفى حوالي 789هـ. مخ. خ. م برقم 395.
17. الأيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب. تأليف أبي عبد الله محمد بن الطبيب العلمي المتوفى سنة 1134هـ/1722م. فاس 1315هـ.
18. الإيضاح في علوم البلاغة. تأليف جمال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة 739هـ/1338م. شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي المطبعة الفاروقية 1950م. مكتبة النهضة.
19. اللبور الضلوية. تأليف أبي الربيع سليمان بن محمد الحوات المتوفى سنة 1231هـ/1816م. مخ. خ. ع رقم 162د.
20. البدع. تأليف أبي العباس عبد الله بن محمد بن المعتز، المتوفى سنة 296هـ/909م. شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي، مصر 1945م.
21. البلاغة تطور وتاريخ. تأليف الدكتور شوقي ضيف 1976م.
22. بهجة المجالس وأنس المجالس. تأليف ابن عبد البر يوسف بن عبد الله المتوفى سنة 463هـ/1071م. مخ. خ. ع. رقم 4007.
23. البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. تأليف أبي عبد الله محمد بن عذاري المتوفى سنة 695هـ/1295م. تعليق إحسان عباس لبنان 1967م.
24. تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 393هـ/1003م. تحقيق أحمد عبد الغفور. عطار مصر.
25. تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. تأليف أبي البقاء خالد بن عيسى البلوي المتوفى سنة 765هـ/1364م. تحقيق الحسن السليح المحمدية المغرب.
26. تاريخ الأمم والملوك. تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ/923م. لبنان.
27. تزيين الأسواق في أخبار العشاق. تأليف دلوود بن عمر الأطلقي المتوفى سنة 1008هـ/1600م. بيروت 1972.
28. تفرج لكرب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب. تأليف محمد ابن زكور المتوفى سنة 1120هـ/1708م. مخ. خ. ع. برقم 157.
29. توشيع التوشيح. تأليف خليل بن ليك الصنفي صلاح الدين المتوفى سنة 764هـ/1363م. تحقيق أبير حبيب مطلق. بيروت 1966.

- 30- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. تأليف ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأنلسي ابن البيطار. بغداد.
- 31- جنوة الإهتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس. تأليف أبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي، المتوفى سنة 1025هـ/1616م. للرباط 1974.
- 32- الجمل. تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة 337هـ/949م. تحقيق ابن أبي شنب، باريس 1957.
- 33- جنان الجناس في علم البديع. صلاح الدين الصفدي. القسطنطينية. 1200.
- 34- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. تأليف الدكتور محمد حجي. المحمدية المغرب 1977.
- 35- حلبة الكميث. تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي المتوفى سنة 859هـ/1455م. مصر 1276.
- الحلل السننسية (نظر رقم 199).
- 36- الحياة الأبية في المغرب على عهد الدولة العلوية. تأليف محمد الأخضر. لدار البيضاء 1977.
- 37- حياة الحيوان الكبرى. تأليف أبي لبقاء محمد بن موسى الميمري المتوفى سنة 808هـ/1405م. مصر 1313هـ.
- 38- حواشي الخلاصة. تأليف أبي بكر ياسين بن زين الدين العلمي المتوفى سنة 1061هـ/1651م. فاس العليا 1327هـ.
- 39- اختصار القدح المعلى. تأليف أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد المتوفى سنة 685هـ/1285م.
- 40- خزنة الألب وغية الأرب. تأليف أبي بكر ابن حجة الحموي المتوفى سنة 837هـ/1433م. مصر 1273هـ.
- 41- دار الطراز في عمل الموشحات. تأليف أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك. المتوفى سنة 608هـ/1212م. تحقيق الدكتور جودة الركلي. دمشق 1977.
- 42- الدر النفيس. تأليف أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي المتوفى سنة 1120هـ. مخ. خ. ع رقم 433 ك
- 43- درة الحجال في أسماء الرجال. تأليف أبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المتوفى سنة 1225هـ/1611م. تحقيق محمد الأحدي أبي النور. دار النصر للطباعة 1970.
- 44- درة الفواص في لوهم الخواص. تأليف أبي محمد القاسم بن علي الحريري المتوفى سنة 516هـ/1122م.
- 45- الدررة اليتيمة (البردة). تأليف أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري المتوفى سنة 696هـ/1291م. لدار البيضاء
- 46- الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة. تأليف محمد المكي بن موسى للنصري. مخ. خ. ع برقم 265 ك
- 47- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تأليف أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ/1449م. تحقيق محمد سيد جاد الحق القاهرة 1966.
- 48- دليل مؤرخ المغرب الأقصى. تأليف عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة. لدار البيضاء 1960.
- 49- دوحة الناصر. تأليف محمد ابن عسكر الحسني الشفشلوني. تحقيق الدكتور محمد حجي. للرباط 1976.

- 50- ديوان الأبيوردي. شعر أبي الظفر محمد بن أحمد القرشي الأبيوردي المتوفى سنة 507هـ/1113م. لبنان 1317هـ.
- 51- ديوان أحمد بن عبد الحي الحلبي. المتوفى سنة 1120هـ/1708م. مخ.خ.ع برقم 1323 ك.
- 52- ديوان الأرجني أبي بكر ناصح الدين أحمد بن محمد، المتوفى سنة 544هـ/1149م. تصحيح أحمد عباس الأزهرى. مطبعة جريدة بيروت.
- 53- ديوان الأعمى التطيلي أبي جعفر أحمد عبد الله المتوفى سنة 525هـ/1130م. تحقيق الدكتور إحسان عباس 1963.
- 54- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدى المتوفى سنة 604هـ. تحقيق محمد بن تلويت الطنجي وآخرين. تطون.
- 55- ديوان بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى المتوفى سنة 656هـ/1258م بيروت 1964.
- 56- ديوان ابن أبي ربيعة أبي الخطاب عمر بن عبد الله، المتوفى سنة 93هـ/712م. حققه وقدم له فوزي عطوي بيروت 1971.
- 57- ديوان شعر ذي الرمة أبي الحارث غيلان ابن عتبة العلوي المتوفى سنة 117هـ/735م. تصحيح وتقيق كارليل هنري هيس مكارتي. مطبعة كلية كميريدج 1919م.
- 58- ديوان ابن رشيق، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة 459هـ/1066م. جمعه ورتبه الدكتور عبد الرحمن ياغي. بيروت سلسلة المكتبة المغربية 2.
- 59- ديوان ابن الرومي، علي بن العباس أبي الحسن المتوفى سنة 283هـ/896م. تحقيق حسين نصر، أربعة أجزاء منه. القاهرة 1973-1977.
- 60- ديوان ابن الرومي، اختيار وتصنيف كامل كيلاني. مطبعة توفيق الأديبة.
- 61- ديوان ابن زيد، أحمد بن عبد الله الأندلسي المتوفى سنة 463هـ/1071م. شرح وتحقيق كرم البستاني. بيروت 1960.
- 62- ديوان ابن الساعاتي، علي بن محمد أبي الحسن المتوفى سنة 604هـ/1808م. تحقيق أنيس المقدسي. بيروت 1939.
- 63- ديوان سبط ابن التعاويذي، أبي الفتح محمد بن عبد الله ابن التعاويذي المتوفى سنة 583هـ/1183م. اعتنى بنسخه وتصحيحه دس. مرجليوت. مصر 1903.
- 64- ديوان ابن سناء الملك، أبي القاسم هبة الله بن جعفر المتوفى سنة 608هـ/1212م. تصحيح وتعليق وتقديم الدكتور محمد عبد الحق. دار الجبل بيروت.
- 65- ديوان ابن سهل، أبي إسحق إبراهيم بن سهل الإشبيلي المتوفى سنة 649هـ/1251م. تقديم الدكتور إحسان عباس. بيروت 1967.
- 66- ديوان الشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسن المتوفى سنة 406هـ/1015م. بيروت 1310.

- 67- ديوان الصبابة. تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بابن أبي حجلة التلمساني المتوفى سنة 776هـ/1375م. طبع بهامش تزيين الأسواق بيروت 1972.
- 68- ديوان تميم بن المعو لفظلي، أبي علي المتوفى سنة 374هـ/985م. مصر 1947.
- 69- ديوان التهامي، أبي الحسن علي بن محمد المتوفى سنة 416هـ. دمشق 1964.
- 70- ديوان جرير بن عطية اليربوعي، المتوفى سنة 110هـ/728م. بيروت 1964.
- 71- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، أبي الوليد المتوفى سنة 54هـ/674م. بيروت
- 72- ديوان أبي حيان الأنلسي، محمد بن يوسف المتوفى سنة 845هـ/1344م. تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحنفي. بغداد 1969.
- 73- ديوان ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح الأنلسي المتوفى سنة 533هـ/1138م. تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي. مصر 1960.
- 74- ديوان شعر ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي المتوفى سنة 321هـ/933م. جمعه وهدبه وفهرسه محمد بدر الدين العلوي. القاهرة 1946.
- 75- ديوان ابن المدينة، عبد الله بن عبيد الله أبي السري المتوفى سنة 130هـ/747م. تحقيق أحمد راتب النفاخ. 1979.
- 76- ديوان الشاب الظريف، محمد بن سليمان التلمساني ابن الغيف، توفي سنة 688هـ/1289م المطبعة المحمودية.
- 77- ديوان صفى الدين الحلبي، عبد العزيز ابن سرياء، المتوفى سنة 752هـ/1349م. بيروت 1962. وطبعة دار صلار. وقد نص عليها للتمييز.
- 78- ديوان العباس بن الأحنف اليمامي، أبي الفضل المتوفى سنة 192هـ/808م. بيروت 1965.
- 79- ديوان عدي بن زيد العبادي، المتوفى نحو 35ق.هـ. تحقيق محمد جبار المعيد. بغداد 1965.
- 80- ديوان علي مصباح الزرولبي، المتوفى سنة 1150هـ. مخ.م. 38 69.
- 81- ديوان عنتر بن شداد العبسي، المتوفى نحو 22ق.هـ. تحقيق فوزي عطوي. لبنان 1968.
- 82- ديوان ابن عنين، شرف الدين محمد بن نصر. المتوفى سنة 630هـ/1232م. تحقيق خليل مردم بك. بيروت 1959.
- 83- ديوان ابن الفارض، عمر بن علي شرف الدين المتوفى سنة 632هـ/1235م. بيروت 1962.
- 84- ديوان أبي فراس الحرث بن سعيد الحمداني، المتوفى سنة 307/968. تحقيق جورج غريب. بيروت 1966.
- 85- ديوان الفرزدق، همام بن غالب التميمي أبي فراس، المتوفى سنة 110/728م. بيروت 1966.
- 86- ديوان كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، أبي صخر المتوفى سنة 105/723. تحقيق إحسان عباس. بيروت 1971.
- 87- ديوان ليث بن ربيعة العلمري، أبي عقيل المتوفى سنة 41/661م. بيروت 1966.

- 88 - ديوان المتنبي، أبي الطيب أحمد بن الحسين المتوفى سنة 965/354م جمع وتصحيح ومقارنة وجمع وتعليق الدكتور عبد الوهاب عزلم. القاهرة 1944.
- 88 ب - ديوان لمرؤ القيس. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار المعارف . مصر 1964.
- 89 - ديوان ابن المعتز أبي العباس عبد الله بن محمد ، المتوفى سنة 909/296. دراسة وتحقيق الدكتور السمرائي . العراق 1977.
- 90 - ديوان ابن المعتز ، شرح وتقديم ميشيل نعمان . بيروت 1969.
- 91 - ديوان النابعة النيبني ، زياد بن معاوية ، المتوفى نحو 18ق.هـ. تحقيق كرم البستاني. بيروت 1963.
- 92 - ديوان ابن نبلة ، جمال الدين محمد بن محمد أبي بكر . المتوفى سنة 1366/768. نشر محمد القليلي غفل تاريخ النشر ومكانه.
- 93 - ديوان ابن النبيه، علي بن محمد أبي الحسن كمال الدين ، المتوفى سنة 1222/612هـ. تحقيق عمر محمد الأسعد. دار الفكر 1969.
- 94 - عنوان النفاسة، لأبي عبد الله محمد بن القاسم ابن زكور المتوفى سنة 1708/1120. مخ. خ. ع. برقم 158ج.
- 95 - ديوان ابن هاني ، محمد بن هاني الأزدي أبي القاسم المتوفى سنة 973/362 هـ. بيروت 1964.
- 96 - ديوان ابن هرمة ، إبراهيم بن علي الكنتلي أبي إسحاق ، المتوفى سنة 792/176م. تحقيق محمد جبار المعيد. لنجف 1969.
- 97 - ديوان الولاء الدمشقي، محمد بن أحمد أبي عبد الله، المتوفى سنة 997/387م. تحقيق سلمي الدهان دمشق 1950.
- 98 - ديوان اليوسي ، أبي علي الحسن بن مسعود، المتوفى سنة 1102هـ. مخ. خ. ع. 157ج، 491هـ.
- 99 - للخيرة في محاسن الجزيرة ، تأليف علي بن بسلام الشنتريني أبي الحسن، المتوفى سنة 1147/542م تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت 1979.
- 100 - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة 1144/538م . مخ . خ. ع. 2112د.
- 101 - رحلة العبدري - الرحلة المغربية تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المتوفى سنة 688هـ تحقيق محمد الفاسي الرباط 1968م. لرباط.
- 102 - رحلة الولاد من أخبار هجرة الولاد. تأليف أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزرهوني من أهل القرن الثاني عشر الهجري ميكروفيلم .خ. ع. رقم 1124.
- 103 - رسالة التستلوتي المسماة نزهة الناظر. لأحمد بن عبد القادر التستلوتي المتوفى سنة 1127. مخ. خ. ع. برقم 1302د.
- 104 - رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة . تأليف أبي القاسم محمد بن أحمد السبتي الغرناطي، المتوفى سنة 1159/760. مصر 1944.

- 105 - رفع الاتباس في شركة الخماس . تأليف الحسن بن رحال المعدائي ، المتوفى سنة 1140/1727م. مخ.خ.ع. برقم 887ج.
- 106 - الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض. تأليف أبي عبد الله محمد بن قاسم بن زكور ، المتوفى سنة 1120/1708م. مخ.خ.ع. برقم 357 ك.
- 107 - الروض المعطار . تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد الحميري ، المتوفى سنة 900/1494م. تحقيق الدكتور إحسان عجل. بيروت 1975.
- 108 - الروض اليتع الفتح. تأليف حسن بن رحال الهدلجي. مخ.خ.ع. برقم 2260 ك.
- 109 - روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف. تأليف محمد الصغير الإفرائي المراكشي، المتوفى سنة 6-1157. طبع بغاية عبد الوهاب بن منصور. الرباط 1962 .
- 110 - الروضة الغناء في أصول الغناء. لمؤلف مجهول مخ.خ.ع. برقم 190د.
- 111 - روضة المحبين ونزهة المشتكين . تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة 751/1350م. صححه وعلق عليه أحمد عبيد مصر 1956.
- 112 - الروضيات . شعر أبي بكر أحمد بن محمد الصنوبري. المتوفى سنة 334/946م. جمع محمد راتب النفاخ حلب 1932.
- 113 - رليات المبرزين . أبو الحسن علي بن سعيد الأنلسي. تحقيق للنعمان عبد المتعال القاضي. طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة 1973.
- 114 - للرياحين الوردية . تأليف محمد المكي بن موسى الناصري. مخ. خ. ع. برقم 88ج. ضمن مجموع.
- 115 - ربحان الألباب وربعان للشباب ، في مراتب الأدب . تأليف أبي القاسم محمد بن إبراهيم ابن المواعيني القرطبي، المتوفى سنة 564/1168م. مخ.خ.م. برقم 2647.
- 116 - للزوية الدلائية. تأليف الدكتور محمد حجي. الرباط 1964.
- 117 - زهر الآداب وثمرات الألباب. تأليف أبي إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، المتوفى سنة 453هـ. بغاية زكي مبارك ومحبي الدين عبد الحميد . مصر 1953.
- 118 - الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. تأليف شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري ، المتوفى سنة 1250. تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصريين. الدار البيضاء 1956.
- 119 - سر الفصاحة . تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد الخفاجي الحلبي ، المتوفى سنة 466/1073م. تحقيق علي فودة . الطبعة الأولى مصر 1932.
- 120 - السعادة الأدبية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية . تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد ابن الموقت المراكشي المتوفى سنة 1369/1950م. فاس 1336.
- 121 - سقط الزند . لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري، المتوفى سنة 449/1057م. تحقيق جماعة من الأسكنة . مصور عن طبعة دار الكتب 1944.

- 122- سلوة الأنفاس تأليف أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني ، المتوفى سنة 1345/1927م. فلس
1316هـ .
- 123- سنا المهتدي إلى مفاز الوزير اليمامي . تأليف علي مصباح الزرويلي، المتوفى سنة 1150.
مخ.خ.ع. برقم 2365 ك.
- 124 - سنن أبي دود . تأليف أبي دود سليمان بن الأشعث ، المتوفى سنة 889/275م. مصر 1952.
- 125 - سوس العالمة. تأليف محمد المختار السوسي، المتوفى سنة 1963. المحمدية 1960.
- 126 - شرح البوردة للأكيوري. مخ.خ.ع. برقم 530 ج، 528 ج.
- 127 - شرح للتخييص (المطول). تأليف سعد الدين مسعود بن عمر التتازلي، المتوفى سنة 1390/793م.
مطبعة أحمد كامل 1330هـ.
- 128 - شرح ديوان الأخطل للتطلي ، غيث بن غوث أبي مالك، المتوفى سنة 708/90م. تحقيق إلياس سليم
الحوي بيروت .
- 129 - شرح ديوان الخساء، تلماض بنت عمر الرياحية، المتوفاة سنة 645/24م. منشورات دار مكتبة
الحياة بيروت. بدون ذكر الشرح ولا للناسخ.
- 130 - شرح ديوان المتنبّي ، أبي الطيب أحمد بن الحسين، المتوفى سنة 965/354م. لعبد الرحمن
البرقوقي. القاهرة 1938.
- 131 - شرح ديوان لمروى القيس، بن حجر بن الحارث الكندي ، المتوفى سنة 80ق.هـ. /545م.
بيروت 1958.
- 132 - شرح روض السلوان ، المسمى للفريد في تقييد الشريد. تأليف أبي القاسم الفجيجي. مخ.خ.م. برقم
988، 721.
- 133 - شرح على شعر المتنبي في مدح سيف الدولة. لأبي القاسم إبراهيم بن محمد الزهري الإشبيلي،
المتوفى سنة 441هـ/1051م. مخ.خ.ع. برقم 437.
- 134 - شرح على كافية ابن مالك. تأليف محمد بن حسن الرضي، المتوفى سنة 1390/793. الشركة
لصحافة عثمانية 1310.
- 135 - شرح على متن الهمزية للبويعري. تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، المتوفى سنة
1567/974. مصر 1307.
- 136 - شرح قصيدة بغت سعاد. تأليف جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام. المتوفى سنة 761هـ.
مصر 1321.
- 137 - شرح الكافية. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك، المتوفى سنة 1274/672. فلس
1327.
- 138 - شرح الكافية البديعة في علوم البلاغة . صفى الدين الحلبي. (ت 750هـ). ديوان المطبوعات
الجمعية. الجزائر 1989.

- 139- شرح لامية العجم. تأليف شهبون التهامي بن محمد الشفشلوني. مخ. خ. ع. برقم 1004 ج بخط المؤلف.
- 140- شرح المفصل. تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة 1144/538. المطبعة المنيرية مصر.
- 141- شرح المقامات الكبير. تأليف أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، المتوفى سنة 1223/612. المطبعة الخيرية ط1.
- 142- شرح ياقوتة البيان. تأليف أبي عبد الله محمد الصغير الإفرائي. مخ. خ. م. برقم 4294.
- 143- شرف الطالب في أسنى المطالب. لابن قنفذ أحمد. مطبوع ضمن ألف سنة من الوفيت. تحقيق الدكتور محمد حجي الرباط 1976.
- 144- شعر دجبل، بن علي الخزاعي أبي علي، المتوفى سنة 860/246. صنعه الدكتور عبد الكريم الأشر. دمشق 1964.
- 145- شعر الراعي وأخباره. شعر عبيد بن حصين الراعي التميمي أبو جندل، المتوفى سنة 709/90. جمع وتقديم ناصر الحلي. دمشق 1964.
- 146- الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية.
- 147- صحيح الإمام البخاري. تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة 256هـ. الأجزاء (1، 2، 3، 4) للمطبعة العثمانية مصر 1932. والأجزاء (5، 6، 7، 8) مطبعة مصطفى البابي مصر 1345هـ.
- 148- صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر. لأبي عبد الله محمد الصغير الإفرائي، المتوفى سنة 6-1057. مخ. خ. ع. برقم 671. 1178د.
- 149- صفوة ما. انتشر، لمحمد الصغير الإفرائي. طبعة فلس الحجرية.
- 150- الضوء للامع لأهل القرن التاسع. تأليف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المتوفى سنة 902/9 1497. القاهرة 1394هـ.
- 151- طبقات الشعراء. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الجمحي المتوفى سنة 846/232. طبعة بيروت مأخوذة عن طبعة لندن 1966.
- 152- العاقل الحلي صفى الدين الحلي. تحقيق حسين نصار. الهيئة المصرية العامة. القاهرة 1981.
- 153- العقد الفريد. تأليف أبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه، المتوفى سنة 940/328. تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة 1940.
- 154- عقود الجمان في علم المعاني والبيان. تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 1505/911 مصر.
- 155- علم البديع. تأليف الدكتور عبد العزيز عتيق. بيروت 1974.
- 156- علم البيان. تأليف الدكتور عبد العزيز عتيق. بيروت 1974.

- 157- علم المعاني: تأليف الدكتور عبد العزيز عتيق. بيروت 1974.
- 158- لعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، المتوفى سنة 1063/456. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت 1972.
- 159- عنوان الدراية. تأليف أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المتوفى سنة 1315/714. الجزائر 1328.
- 160- عنوان النفاسة، لأبي عبد الله محمد بن قاسم ابن زكور، المتوفى سنة 1708/1120. مخ.خ.ع برقم 158ج.
- 161- العين الغامرة على خبائيا الرامزة. تأليف أبي عبد الله بدر الدين محمد بن أبي بكر المخزومي الملميني، المتوفى سنة 1424/827. مصر 1324هـ.
- 162- النصوص الينة في محاسن المائة السابعة. تأليف أبي الحسن علي بن سعيد، المتوفى سنة 1285/685. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار المعارف مصر.
- 163- الغيث المسجم في شرح لامية العجم. تأليف صلاح الدين خليل بن ليك الصفدي، المتوفى سنة 1362/464.
- 164- الأغني . أبو الفرج الإصفهاني. طبعة دار الثقافة. الطبعة الخامسة 1981.
- 164- ب. أفضل من كذا أبو علي القالي(ت 967/356). تحقيق محمد الفاضل بن عثور تونس. 1972.
- 165- فهرس أحمد المنجور. المتوفى سنة 1587/995. تحقيق الدكتور محمد حجي 1976.
- 166- فهرس للفهارس. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الحي للكتني. طبعة فلس 1346.
- 167- فهرس المخطوطات العربية بالخرزاة العمة بالرباط قسم الوثائق. تأليف علوش وعبد الله الرركلي. ارباط 1958.
- 168- فهرس ابن النديم. تأليف أبي الفرج محمد بن إسحق، المتوفى سنة 1047/438. مصر.
- 169- فهرسة أبي القاسم بن سعيد العميري، المتوفى سنة 1764/1178. مخ.خ.ع برقم 1361وك.
- 170- فوت الوفيات. تأليف محمد بن شاكركتبي، المتوفى سنة 1363/764. تحقيق الدكتور إحسان علس. بيروت 1974.
- 171- لقاموس المحيط. تأليف محمد بن يعقوب الفيروزبادي، المتوفى سنة 1414/817. بيروت 1306.
- 172- القرآن الكريم برواية الإمام ورش. طبعة دار الفكر.
- 173- القصيدة. تأليف الدكتور علس بن عبد الله الجراري. مطبعة الأمنية بالرباط.
- 174- لكلمل. تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المتوفى سنة؟؟؟؟؟؟؟؟ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والشيخ شحنة. مصر.
- 175- لكلمل في اللغة والأب. تأليف أبي الحسن عز الدين علي بن محمد ابن الأثير، المتوفى سنة 1233/630. تصحيح عبد الوهاب النجار. طبعة إدارة الطباعة المنيرية 1357هـ.

- 176- كتاب الأفعال. تأليف أبي بكر محمد بن عمر ابن القوطية الأندلسي، المتوفى سنة 977/367. تحت إشراف علي راتب وتحقيق علي فودة. مصر 1952.
- 177- كتاب الصناعتين. تأليف أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة 1005/395. تحقيق علي محمد البجائي ومحمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة 1971.
- 178- الاكتفاء في تاريخ الخلفاء. تأليف أبي مروان عبد الملك بن الكريبوس. مخ. خ.م. برقم 6709، 8539.
- 179- لامية الطغرثي، شعر أبي إسماعيل الحسن بن علي مؤيد الدين الإصبهاني، المتوفى سنة 1120/513. شرح وتحقيق ودراسة علي جواد الطاهر. بغداد 1962.
- 180- لقاط الدرر. تأليف محمد بن الطيب القلاري، المتوفى سنة 1773/1187. تحقيق ودراسة هاشم بن المهدي العلوي في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا نوقشت سنة 1979 بجامعة محمد الخامس بالرباط.
- 181- لسان العرب. تأليف أبي الفضل بن محمد بن مكرم، جمال الدين بن منظور الأنصاري، المتوفى سنة 1311/711. إعداد يوسف الخياط ونديم مرغسلي. بيروت 1970.
- 182- لزوم ما لا يلزم. شعر أحمد بن عبد الله المعري أبي العلاء، المتوفى سنة 1057/449. تصحيح وتفسير أمين عبد العزيز. مصر 1915.
- 183- لقط الفوائد من لفظ حقق الفوائد. تأليف ابن القاضي أحمد. تحقيق الدكتور محمد حجي. طبع ضمن ألف سنة من الوفيات الرباط 1976.
- 184- متن التلخيص. تأليف أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، المتوفى سنة 1338/739. شرح وتعليق محمد عبد المنعم خلفا. مصر 1949.
- 185- مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي، المتوفى 337. تحقيق عبد السلام هارون الكويت 1962.
- 186- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. العدد 3-4.
- 187- مجمع الأمثال. تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد الميقاتي، المتوفى سنة 1124/518. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية 1955.
- 188- المحاضرات. تأليف أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، المتوفى سنة 1102. أعدها للطبع الدكتور محمد حجي. الرباط 1976.
- 189- المحصل -محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. لإفخر الدين محمد بن عمر الرزقي، مصر 1323.
- 190- المخصص. تأليف علي بن إسماعيل أبي الحسن ابن سيده، المتوفى سنة 1066/458. بيروت.
- 191- المرقصات والمطربات. تأليف أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد، المتوفى سنة 1285/685. دار حمد ومحيو 1973.
- 192- مسراح الأنظار. تأليف أحمد بن أحمد الغبريني. مخ. خ.م. برقم 2466.
- 193- المصايد والمطارد. تأليف أبي الفتح محمود بن الحسين الرملي كشاجم، المتوفى سنة 970/360. حققه وعلق عليه محمد أسعد. بغداد 1954.

- 194- مطلع الأنظار على متن طوابع الأتوار. تأليف أبي الشتاء محمود. عبد الرحمن الأصبهاني المتوفى سنة 1349/749. مصر 1322.
- 195- المطرب من شعاع أهل المغرب. تأليف أبي الخطاب عمر بن حسن ابن دحية. تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين. بيروت 1955.
- 196- مظاهر الثقافة المغربية من القرن 13 إلى 15م. تأليف محمد ابن شقرون. مطبعة الرسالة. الرباط.
- 197- المعالم = معالم أصول الدين. تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606هـ. مطبوع بطرة المحصل. مصر 1323.
- 198- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تأليف أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، المتوفى سنة 1556/963. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- 199- المغرب في تلخيص أخبار المغرب. تأليف عبد الواحد المراكشي. ضبط محمد سعيد العريان ومحمد العلمي. الدار البيضاء 1978.
- 200- معجم الشعراء. تأليف أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، المتوفى سنة 994/384. تحقيق عبد الستار أحمد فرج. دار إحياء العلوم العربية 1960.
- 201- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث. طبعة بريل ليند 1967.
- 202- المعيار المعرب والجامع للمغرب. تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المتوفى سنة 1508/914. طبعة فلس.
- 203- المغرب في حلي المغرب. تأليف أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد، المتوفى سنة 1285/685. تحقيق الدكتور شوقي ضيف مصر 1955.
- 204- المفاتيح المرزوقية. تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق، المتوفى سنة 1380/781. مخ.خ.ع برقم 1349.
- 205- مفتاح العلوم. تأليف أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السككي، المتوفى سنة 1229/626. مصر 1317. = واعتمدت أحيانا طبعة دار الكتب العلمية بيروت 1983 بتحقيق نعيم زرزور (مع التنصيص على الطبعة)
- 206- الخلل السندسية لأحمد بن عبد الحي الحلبي، أبي العباس، المتوفى سنة 1708/1120. مخ.خ.م برقم 4862، 4265.
- 207- مقامة ابن خلدون. ضمن كتاب العبر. تأليف أبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون ولي الدين الحضرمي، المتوفى سنة 1406/808. بيروت 1961.
- 208- مسند ابن حنبل. تأليف أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل، المتوفى سنة 855/241. المكتب الإسلامي دار صائر.
- 209- مناهج الفكر ومباهج العبر. تأليف محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بلوطوط، المتوفى سنة 1318/718. مخ.خ.ع برقم 115ق.

- 210- المنتخب من شعر ابن زكور، أبي عبد الله محمد بن قاسم، المتوفى سنة 1708/1120. اختيار عبد الله كتون. دار المعارف بمصر.
- 211- المنتقى المقصور. تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن القاضي، المتوفى سنة 1616/1025 مخ.ع.ع برقم 48، 764.
- 212- المنح البداية في الأسانيد العالية، فهرسة محمد بن عبد الرحمن الفاسي، المتوفى سنة 1722/1134 مخ.خ.م برقم 1227.
- 213- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي. تقديم وتحقيق ودراسة الأستاذ علاء غازي في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، نوقشت سنة 1976-1977 بجامعة محمد الخامس.
- 214- المنزع اللطيف. تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الطوي بن زيدان، المتوفى سنة 1946/1365 مخ.خ.ع برقم 595 ك.
- 215- منطق الطير. تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني، المتوفى سنة 1375/776 مخ.خ.م برقم 1910.
- 216- المنهل الصافي. تأليف أبي المحاسن يوسف بن تغريبادي، المتوفى سنة 1470/874. تحقيق أحمد يوسف نجاسي. مصر 1956.
- 217- المهمات المفيدة في شرح الفريدة. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري، المتوفى سنة 1731/1144. طبعة حجرية.
- 218- مؤرخو الشرفاء. تأليف ليفي بروفنسل، المتوفى سنة 1956. تحرير عبد القادر الخلافي الرباط 1977.
- 219- الموسوعة المغربية. تأليف عبد العزيز عبد الله. الأجزاء 1، 2، 3. الرباط 1975-1976.
- 220- موسيقى الشعر. تأليف إبراهيم نيس مصر 1972.
- 221- الموشى أو الظرف والظرفاء. تأليف أبي الطيب محمد بن إسحق بن يحيى الوشاء، المتوفى سنة 937/325 بيروت 1960.
- 222- موشحات مغربية. تأليف الدكتور عباس بن عبد الله الجراري. لدار البيضاء 1973.
- 223- موطأ الإمام مالك. أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبجي. المتوفى سنة 795/179 بيروت 1971.
- 224- التنبؤ المغربي في الأدب العربي. تأليف عبد الله كتون. بيروت 1975.
- 225- لنتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف. شعر ابن رشيق المتوفى سنة 1063/456 وابن شرف المتوفى سنة 1067/460. صنع أبي البركات عبد العزيز الميمي. مصر 1343.
- 226- نثر الجمان في شعر من نظمنا وياه لزمان. تأليف أبي الوليد إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر، المتوفى سنة 1404/807. تحقيق محمد رضوان الداية بيروت 1976.

- 227- نشر فرات الجمال في نظم فحول الزمان. تأليف أبي الوليد إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر. دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية. بيروت 1967.
- 228- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تأليف أبي المحاسن يوسف بن تغريبردي، المتوفى سنة 1470/874. مصر 1938.
- 229- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي. تأليف أبي عبد الله محمد الصغير الإفرائي، المتوفى سنة 1157-6. طبعة مكتبة الطالب بالرباط.
- 230- نشر العلم في شرح لامية العجم. تأليف محمد بن عمر الحميري، المتوفى سنة 1524/930. فاس 1353.
- 231- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. تأليف محمد بن الطيب القلاري، المتوفى سنة 1773/1187. فاس 1310.
- 232- نظم الدرر والعيان. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله التتيسي، المتوفى سنة 1494/899. مخ.خ.ع برقم 444 ق.
- 233- فنج الطبيب. تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، المتوفى سنة 1727/1140. تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت 1388/1999.
- 234- لنقد الأدبي في القرن الثامن الهجري. تأليف محمد علي سلطاني. دمشق 1974.
- 235- نقد الشعر. تأليف أبي الفرج قدامة بن جعفر، المتوفى سنة 948/337. ضبط وشرح محمد عيسى ممنون. المطبعة المليجية 1934.
- 236- نقد الشعر. تأليف قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى. مكتبة الختجي 1963.
- 237- لنقد المنهجي عند العرب. تأليف الدكتور محمد مندور، المتوفى سنة 1965. القاهرة 1969.
- 238- مع الهوامع. تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 1505/911. تصحيح بدر الدين النعساني. مصر 1327.
- 239- واسطة العدين، تلخيص كنزشتي الملك إسماعيل، تقديم الإفرائي محمد الصغير مخ.خ.ع رقم 330 ك.
- 240- الوافي بالوفيات. لصلاح الدين خليل بن أليك الصفيدي. طبع باعطاء هملتون ريتز. طهران 1961.
- 241- الوافي في نظم الوافي، لصلاح بن شريف الرندي أبي البقاء مخ.خ.ع برقم 1013. ضمن مجموع.
- 242- وفيات الأعيان. تأليف أحمد بن محمد بن خلكان شمس الدين، المتوفى سنة 1282/681. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة 1948.
- 243- وفيات لونسريسي. تأليف أحمد لونسريسي. مطبوع ضمن ألف سنة من الوفيات. تحقيق الدكتور محمد حجي. مطبوعات دار المغرب 1976.
- 244- بتيمة لادهر. تأليف عبد الملك بن محمد أبي منصور الثعالبي، المتوفى سنة 1038/429. بيروت 1955.

4 - 3

تقديم

8 - 5

أما بعد

1 - مقدمة المحقق

48 - 9

14 - 11

أ - التعريف بالإفراني ومؤلفاته

40 - 15

ب - التعريف بالمسلك السهل

24 - 19

موقع المسلك السهل

29 - 25

الإطار العام للشرح

40 - 29

منهج الإفراني في الشرح

48 - 41

ج - تحقيق الكتاب

45 - 41

المخطوطات المعتمدة

48 - 45

طريقتنا في التحقيق

2 - مقدمة الشارح

149 - 49

148 - 49

: التعريف بالوشاح والموشحات

61 - 51

الدوافع والخطبة والظروف المحيطة

92 - 62

السمط الأول: في التعريف بابن سهل

(نسبه وموطنه: مدينة إشبيلية 62 - 65 / إسلامه وثوبة الزمخشري 65 - 73 /
شاعريته وشعره 73 - 92)

98 - 93

مسك ختام: الشعراء اليهود

(إبراهيم بن الفخار 93 / إلياس بن مدور الطيب 95 / بسام بن شمعون 96 /
حنين الإسرائيلي 96 / قسمونة بنت إسماعيل 97 / نسيم الإسرائيلي 98)

149 - 99

السمط الثاني: في معنى التوشيح لغة وعرفا وذكر أول من ابتكره

102 - 99

تعريف التوشيح لغة وعرفا

116 - 102

تاريخ الموشحات

120 - 117

خاتمة

129 - 121

نفحة الريحان في ذكر الطبوع والألحان

142 - 130

جملة كافية فيما يتعلق بالتوشيح من العروض والقافية

3 - شرح أبيات الموشح

151 - 509

رقم الصفحة	مطالعات الشرح أو مستوياته						البيت المشروح
	الإعراب	اللبس	البيان	المعاني	المعنى	اللفظ	
162-153	161	159	157	157	155	153	1
180-163	177	176	172	172	167	163	2
192-181	191	188	187	186	184	181	3
201-193	201	200	199	199	196	193	4
209-202	208	207	207	205	203	202	5
225-210	223	222	218	217	213	210	6
139-225	239	235	233	233	227	225	7
249-240	249	249	248	248	241	240	8
265-250	264	261	258	255	253	250	9
284-266	282	277	276	275	271	266	10
298-285	297	296	295	294	290	285	11
304-299	304	303	303	302	299	299	12
312-305	312	310	310	310	306	305	13

327-313	324	323	321	320	317	313	14
336-328	336	334	334	333	331	328	15
348-337	347	346	346	346	339	337	16
360-349	359	354	353	353	350	349	17
364-361	364	363	363	363	361	361	18
371-365	371	370	370	370	369	365	19
378-372	378	376	376	376	373	372	20
387-379	387	386	385	384	383	379	21
397-388	397	393	393	392	389	388	22
405-398	405	403	402	402	401	398	23
415-406	415	411	411	411	408	406	24
422-416	421	421	421	420	419	416	25
427-423	427	426	426	426	424	423	26
433-428	432	432	432	432	431	428	27

434

خاتمة المطاف

فهرس الفهارس

440.439	فهرس المصطلحات البلاغية	1
444.441	فهرس الآيات القرآنية	2
445	فهرس الأحاديث	3
445	فهرس الأمثال	4
476.446	فهرس القوافي	5
473.446	القصيد	
474	الرجز	
475	الموشحات	
476	الأزجال	
476	المواليا	
481.477	فهرس الأعلام	6
493.490	فهرس الكتب	7
495.494	فهرس الأماكن	8
509.496	فهرس مصادر التحقيق والمقدمة	9
515.511	فهرس الموضوعات	10

Handwritten text at the top right, likely a title or header, partially obscured by ink stains.

1

والتحقيق في هذه المسئلة
 عشرين على عشرين وثمانين
 انما هي بين ذرة الارض والفضة
 كذا في بعض النسخ والاشهر
 ان يجمعوا على ان الساعات
 في بعض النسخ والاشهر
 ان يجمعوا على ان الساعات
 في بعض النسخ والاشهر

والتحقيق في هذه المسئلة
 عشرين على عشرين وثمانين
 انما هي بين ذرة الارض والفضة
 كذا في بعض النسخ والاشهر

والتحقيق في هذه المسئلة
 عشرين على عشرين وثمانين
 انما هي بين ذرة الارض والفضة
 كذا في بعض النسخ والاشهر

والتحقيق في هذه المسئلة
 عشرين على عشرين وثمانين
 انما هي بين ذرة الارض والفضة
 كذا في بعض النسخ والاشهر

والتحقيق في هذه المسئلة
 عشرين على عشرين وثمانين
 انما هي بين ذرة الارض والفضة
 كذا في بعض النسخ والاشهر

والتحقيق في هذه المسئلة
 عشرين على عشرين وثمانين
 انما هي بين ذرة الارض والفضة
 كذا في بعض النسخ والاشهر

والتحقيق في هذه المسئلة
 عشرين على عشرين وثمانين
 انما هي بين ذرة الارض والفضة
 كذا في بعض النسخ والاشهر

219
 2111



حدود الارض
 219

رقم الإيداع القانوني 1997/1504

ر.د.م.ك 2-33-826-9981

مطبعة فضالة

زنقة ابن زيدون - المحمدية (المغرب)
الهاتف: 32.46.48 (03) الفاكس: 32.46.49 (03)

